(تمت)

الجزء الثاني من تاريخ الكامل للعلامة أبي الحسن على
ابن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن
عبد الواحد الشيباني المعروف بابن
الاثير الجزري الملقب بعز
الدين رحمه
الله

{ وبهامشه التاريخ المسمى بأخبار الدول وآثار الاول للعلامة الفاضل
أبي العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي الشهير بالقرماني وغيره }

Accession No........

بسم الله الرحمن الرحيم

(نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر بعض أخبار آبائه وأجداده)

واسم رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد وقد تقدم ذكر ولادته في ملك كسرى انوشروان وهو محمد بن عبد الله ويكنى عبد الله أبا قثم وقيل أبا محمد وقيل أبا أحمد بن عبد المطلب وكان عبد الله اصغر ولد ابيه فكان عبد الله وابو طالب واسمه عبد مناف والزبير وعبد الكعبة وعاتكة وأميمة وبرة ولد عبد المطلب امهم جميعهم فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمرو بن مخزوم ابن يقظة وكان عبد المطلب نذر حين لقي من قريش العنت في حفر زمزم كما ذكرناه لئن ولد عشرة نفر وبلغوا معه حتى يمنعوه لينحرن أحدهم عند الكعبة لله تعالى فلما بلغوا عشرة وعرف انهم سيمنعونه أخبرهم بنذره فاطاعوه وقالوا كيف نصنع قال يأخذ كل رجل منكم قدحا ثم يكتب فيه اسمه ففعلوا وأتوه بالقداح فدخلوا على هبل في جوف الكعبة وكان أعظم اصنامهم وهو على بئر يجمع فيه ما يهدى الى الكعبة وكان عند هبل سبعة قداح في كل قدح كتاب فقدح فيه العقل اذا اختلفوا في العقل من يحمله منهم ضربوا بالقداح السبعة وقدح فيه نعم للامر اذا أرادوه يضرب به فان خرج نعم عملوا به وقدح فيه لا فاذا أرادوا أمرا ضربوا به فاذا خرج لا لم يعملوا ذلك الامر وقدح فيه منكم وقدح فيه ملصق وقدح فيه من غيركم وقدح فيه المياه اذا أرادوا ان يحفروا للماء ضربوا بالقداح وفيها ذلك القدح فحيثما خرج عملوا به وكانوا اذا ارادوا ان يختنوا غلاما أو ينكحوا جارية أو يدفنوا ميتا او شكوا في نسب أحد منهم ذهبوا به الى هبل وبمائة درهم وبجزور فأعطوه صاحب القداح الذي يضرب بها ثم قربوا صاحبهم الذي يريدون به ما يريدون ثم قالوا يا الهنا هذا فلان بن فلان قد أردنا به كذا وكذا فاخرج

(الفصل الخامس في ذكر خلافة أبي الوليد عبد الملك ابن مروان)

ولد سنة ست وعشرين وانه ولد لستة أشهر وامه عائشة بنت معاوية بن المغيرة وتعرف بالبيضاء بويع له بالخلافة يوم موت أبيه مروان وكان طويلا اقنى الانف رقيق الوجه مشدود الاسنان بالذهب نقش خاتمه آمنت بالله مخلصا وكان شديد البخل يلقب برشح الحجر لبخله ويلقب أيضا بابي ذباب لبخره قيل انه كان اذا مر الذباب على باب فمه مات من شدة نتنه وكان مقداما على سفك الدماء وكذلك كان عماله الحجاج بالعراق والمهلب بن أبي صفرة بخراسان وهشام ابن اسمعيل بمصر وموسى ابن نصير بالمغرب ومحمد أخو الحجاج باليمن ومحمد بن مروان بالجزيرة وكل من هؤلاء ظلوم غشوم جبار وهو أول من سمي بعبد الملك في الاسلام وأول من ضرب الدنانير والدراهم بسكة الاسلام كتب عليها القرآن وكتب فيه ضرب بمدينة كذا والتاريخ وكان قبل ذلك على الدنانير نقش بالرومية وعلى الدراهم نقش بالفارسية وهو أول من غدر في الاسلام

الحق فيه ثم يقولون لصاحب القداح اضرب فيضرب فان خرج عليه منكم كان وسيطا وان خرج عليه من غيركم كان حليفا وان خرج عليه ملصق كان على منزلته منهم لانسب له ولا حلف وان خرج عليه شئ سوى هذا مما يعملون به فان خرج نعم عملوا به وان خرج لا أخروه عامهم ذلك حتى يأتوه به مرة أخرى ينتهون في أمورهم الى ذلك مما خرجت به القداح وقال عبد المطلب لصاحب القداح اضرب على بنى هؤلاء بقداحهم هذه وأخبره بنذره الذى نذر وكان عبد الله اصغر بنى أبيه واحبهم اليه فلما أخذ صاحب القداح يضرب قام عبد المطلب يدعو الله تعالى ثم ضرب صاحب القداح فخرج قدح على عبد الله فاخذ عبد المطلب بيده ثم أقبل الى اساف ونائلة وهما الصنمان اللذان ينحر الناس عندهما فقامت قريش من انديتها فقالوا ما تريد قال اذبحه فقالت قريش وبنوه والله لا تذبحه ابدا حتى تعذر فيه لئن فعلت هذا لايزال الرجل منا يأتى بابنه حتى يذبحه فقال له المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم والله لا تذبحه حتى تعذر فيه فان كان فداؤه بأموالنا فديناه وقالت له قريش وبنوه لا تفعل وانطلق الى كاهنة بالحجر فسلها فان أمرتك بذبحه ذبحته فان أمرتك بما لك وله فيه فرج قبلته فانطلقوا اليها وهى بخيبر فقص عليها عبد المطلب خبره فقالت ارجعوا اليوم حتى يأتينى تابعى فاسأله فرجعوا عنها ثم غدوا عليها فقالت نعم قد جاءنى الخبر فكم الدية فيكم قالوا عشر من الابل وكانت كذلك قالت ارجعوا الى بلادكم وقربوا عشرا من الابل واضربوا عليها وعليه بالقداح فان خرج على صاحبكم فزيدوا عشرا حتى يرضى ربكم وان خرجت على الابل فانحروها فقد رضى ربكم ونجا صاحبكم فخرجوا حتى أتوا مكة فلما أجمعوا الذلك قام عبد المطلب يدعو الله ثم قربوا عبد الله وعشرا من الابل فخرجت القداح على عبد الله فزادوا عشرا فخرجت القداح على عبد الله فما برحوا يزيدون عشرا وتخرج القداح على عبد الله حتى بلغت الابل مائة ثم ضربوا فخرجت القداح على الابل فقال من حضر قد رضى ربك يا عبد المطلب فقال عبد المطلب لا والله حتى أضرب ثلاث مرات فضربوا ثلاثا فخرجت القداح على الابل فنحرت ثم تركت لا يصد عنها انسان ولا سبع * واما تزويج عبد الله بن عبد المطلب بآمنة ابنة وهب أم رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لما فرغ عبد المطلب من الابل انصرف بابنه عبد الله وهو آخذ بيده فمر على أم قتال ابنة نوفل بن أسد أخت ورقة بن نوفل وهى عند البيت فقالت له حين نظرت اليه والى وجهه أين تذهب يا عبد الله فقال مع أبى قالت لك عندى مثل الذى نحر عنك أبوك من الابل وقع على الآن قال ان معى أبى لا أستطيع خلافه ولا فراقه فخرج به عبد المطلب حتى أتى به وهب بن عبد مناف بن زهرة وهو سيد بنى زهرة فزوجها بنته آمنة بنت وهب وهى لبرة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصى وبرة لام حبيب بنت أسد بن عبد العزى بن قصى وأم حبيب لبرة بنت عوف بن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب فدخل عبد الله عليها حين ملكها مكانها فوقع عليها فحملت بمحمد صلى الله عليه وسلم ثم خرج من عندها حتى أتى المرأة التى عرضت عليه نفسها بالامس فقال لها مالك لا تعرضين على اليوم ما كنت عرضت بالامس فقالت فارقك النور الذى كان معك بالامس فليس لى بك اليوم حاجة وقد كانت تسمع من أخيها ورقة بن نوفل انه كائن لهذه الامة نبى من بنى اسمعيل وقيل ان عبد المطلب خرج

وأول من نهى عن الكلام بحضرة الخلفاء وأول من نهى عن الامر بالمعروف وكان قبل الخلافة متعبدا ناسكا عالما فقيها واسع العلم وكان يلقب بحمامة المسجد ذكر السيوطى فى تاريخه نقلا عن بكر بن عبد الله المزنى قال اسلم يهودى اسمه يوسف وكان ممن قرأ الكتب المنزلة فمر بدار مروان فقال ويل لامة محمد من أهل هذه الدار فقلت له الى متى قال حتى تجىء رايات سود من قبل خراسان وكان صديقا لعبد الملك بن مروان فضرب يوما على منكبه وقال اتق الله فى أمة محمد اذا ملكتهم قال دعنى ويحك ما شأنى وشأن ذلك فقال اتق الله فى أمرهم قال وجهز يزيد جيشا لقتال ابن الزبير بمكة فقال عبد الملك أعوذ بالله ايبعث الى حرم الله فضرب يوسف منكبه وقال جيشك اليه أعظم وقال يحيى الغسانى لما نزل مسلم بن عقبة بفناء المدينة وهو عازم على قتال ابن الزبير دخلت مسجد النبى صلى الله عليه وسلم فجلست الى جنب عبد الملك فقال لى عبد الملك أمن هذا الجيش انت قلت نعم قال ثكلتك أمك

بابنه عبد الله ليزوجه مر به على كاهنة من خثعم يقال لها فاطمة بنت مر متهودة من أهل تبالة فرأت فى وجهه نورا وقالت يا فتى هل لك ان تقع على الآن وأعطيك مائة من الابل فقال لها

اما الحرام فالممات دونه * والحل لا حل فأستبينه
فكيف بالامر الذى تبغينه * يحمى الكريم عرضه ودينه

ثم قال لها أنا مع أبى ولا اقدر أن أفارقه فمضى فزوجه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة فأقام عندها ثلاثا ثم انصرف فمر بالخثعمية فدعته نفسه الى مادعته اليه فقال لها هل لك فيما كنت أردت فقالت يا فتى ما انا بصاحبة ريبة ولكنى رأيت فى وجهك نورا فاردت ان يكون لى فأبى الله الا ان يجعله حيث أراده فما صنعت بعدى قال زوجنى أبى آمنة بنت وهب قالت فاطمة بنت مر

انى رأيت مخيلة لمعت * فتلألأت بحناتم القطر
فلمأتها نورا يضىء به * ما حوله كاضاءة البدر
ورأيت سقياها حيا بلد * وقعت به وعمارة القفر
فرجوته فخرا أبوء به * ما كل قادح زنده يورى
لله ما زهرية سلبت * منك الذى سلبت وما تدرى

وقالت أيضا فى ذلك

بنى هاشم قد غادرت من أخيكم * أمينة اذ للباه يعتركان
كما غادر المصباح عند خموده * فتائل قد بلت له بدهان
فما كل ما يحوى الفتى من تلاده * لحزم ولا ما فاته لتوان
فأجمل اذا طالبت أمرا فانه * سيكفيكه جدان يعتلجان
سيكفيكه اما يد مقفعلة * واما يد مبسوطة ببنان
ولما حوت منه أمينة ما حوت * حوت منه فخرا ما لذلك ثانى

وقيل ان الذى اجتاز بها غير هذا والله أعلم قال الزهرى أرسل عبد المطلب ابنه عبد الله الى المدينة يمتار لهم تمرا فمات بالمدينة وقيل بل كان فى الشام فاقبل فى عير قريش فنزل بالمدينة وهو مريض فتوفى بها ودفن فى دار النابغة الجعدى وله خمس وعشرون سنة وقيل ثمان وعشرون سنة وتوفى قبل ان يولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عائذ بن عمرو بالذال المعجمة والياء تحتها نقطتان وعبيد بفتح العين وكسر الباء الموحدة وعويج بفتح العين وكسر الواو وآخره جيم

(ابن عبد المطلب) واسمه شيبة سمى بذلك لانه كان فى رأسه لما ولد شيبة وأمه سلمى بنت عمرو ابن زيد الخزرجية النجارية ويكنى أبا الحرث وانما قيل له عبد المطلب لان أباه هاشما خرج فى تجارة الى الشام فلما قدم المدينة نزل على عمرو بن لبيد الخزرجى من بنى النجار فرأى ابنته سلمى فأعجبته فتزوجها وشرط أبوها ان لا تلد ولدا الا فى أهلها ثم مضى هاشم لوجهه وعاد من الشام فبنى بها فى أهلها ثم حملها الى مكة فحملت فلما أثقلت ردها الى أهلها ومضى الى الشام فمات بغزة وولدت له سلمى عبد المطلب فمكث بالمدينة سبع سنين ثم ان رجلا من بنى الحرث بن عبد مناف مر بالمدينة فاذا غلمان ينتضلون فجعل شيبة اذا أصاب قال أنا ابن هاشم أنا ابن سيد البطحاء فقال له الحارث من أنت قال أنا ابن هاشم بن عبد مناف فلما أتى الحارث مكة قال للمطلب وهو

اندرى الى من تسير الى أول مولود ولد فى الاسلام والى ابن حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى ابن ذات النطاقين والى من حنكه رسول الله صلى الله عليه وسلم اما والله ان جئته نهارا وجدته صائما ولئن جئته ليلا لتجدنه قائما فلو ان اهل الارض أطبقوا على قتله لاكبهم الله جميعا فى النار فلما صارت الخلافة الى عبد الملك وجهنا مع الحجاج حتى قتلناه. وقال ابن أبى عائشة لما افضى الامر الى عبد الملك بن مروان كان المصحف فى حجره وهو يقرأ فأطبقه وقال سلام عليك هذا آخر العهد بك قال الثعالبى كان عبد الملك يقول ولدت فى رمضان وفطمت فى رمضان وختمت القرآن فى رمضان وأتتنى الخلافة فى رمضان واخشى ان أموت فى رمضان فلما دخل شوال وأمن مات بدمشق سنة ست وثمانين وله من العمر ثلاث وستون سنة وخلف سبعة عشر رجلا ولى الخلافة منهم أربعة صلى عليه ابنه الوليد ودفن بين باب الجابية وباب الصغير وكانت خلافته احدى وعشرين سنة وخمسة عشر يوما منها

بالخبر

بالحجر يا أبا الحرث تعلم انى وجدت غلاما بيثرب وفيهم ابن أخيك ولا يحسن ترك مثله فقال المطلب لا ارجع الى أهلى حتى آتى به فاعطاه الحارثى ناقة فركبها وقدم المدينة عشاء فرأى غلمانا يضربون كرة فعرف ابن أخيه فسأل عنه فأخبر به فاخذه واركبه على عجز الناقة وقيل بل أخذه باذن أمه وسار الى مكة فقدمها ضحوة والناس فى مجالسهم فجعلوا يقولون له من هذا وراءك فيقول هذا عبدى حتى أدخله منزله على امرأته خديجة بنت سعيد بن سهم فقالت من هذا معك قال عبدلى واشترى له حلة فالبسها ثم خرج به العشى فجلس الى مجالس بنى عبد مناف فاعلمهم انه ابن أخيه فكان بعد ذلك يطوف بمكة فيقال هذا عبد المطلب لقوله هذا عبدى ثم أوقفه المطلب على ملك أبيه فسلمه اليه فعرض له نوفل بن عبد مناف وهو عمه الآخر بعد موت المطلب فى ركح له وهو الفناء فاخذه فمشى عبد المطلب الى رجالات قريش وسألهم النصرة على عمه فقالوا له ماندخل بينك وبين عمك فكتب الى اخواله من بنى النجار يصف لهم حاله فخرج أبو سعيد بن عدس النجارى فى ثمانين راكبا حتى أتى الابطح فخرج عبد المطلب يتلقاه فقال له المنزل ياخال قال حتى ألقى نوفلا وأقبل حتى وقف على رأسه فى الحجر مع مشايخ قريش فسل سيفه ثم قال ورب هذه البنية لتردن على ابن أختنا ركحه أولاملأن منك السيف قال فانى ورب هذه البنية أرد عليه ركحه فاشهد عليه من حضر ثم قال لعبد المطلب المنزل يا ابن أختى فاقام عنده ثلاثا فاعتمروا وانصرفوا فدعا ذلك عبد المطلب الى الحلف فدعا بشر بن عمرو وورقاء بن فلان ورجالا من رجالات خزاعة فحالفهم فى الكعبة وكتبوا كتابا وكان الى عبد المطلب السقاية والرفادة وشرف فى قومه وعظم شانه ثم انه حفر زمزم وهى بئر اسمعيل بن ابراهيم عليه السلام التى أسقاه الله تعالى منها فدفنتها جرهم وقد تقدم ذكر ذلك وكان سبب حفره اياها انه قال بينا انا نائم بالحجر اذ أتانى آت فقال احفر طيبة قال قلت وما طيبة قال ثم ذهب فرجعت الغد الى مضجعى فنمت فيه فجاءنى فقال احفر برة قال قلت وما برة قال ثم ذهب عنى قال فلما كان الغد رجعت الى مضجعى فنمت فيه فجاءنى فقال احفر المضنونة قال قلت وما المضنونة قال فذهب عنى فلما كان الغد رجعت الى مضجعى فنمت فيه فجاءنى فقال احفر زمزم انك ان حفرتها لاتندم فقلت وما زمزم قال تراث من أبيك الاعظم لاتنزف أبدا ولاتذم تسقى الحجيج الاعظم مثل نعام جافل لم يقسم ينذر فيها ناذر لمنعم يكون ميراثا وعقد محكم ليس كبعض ماقد تعلم وهى بين الفرث والدم عند نقرة الغراب الاعصم عند قرية النمل فلما بين له شأنها ودل على موضعها وعرف انه قد صدق غدا بمعوله ومعه ابنه الحرث ليس له ولد غيره فحفر بين اساف ونائلة فى الموضع الذى تنحر قريش لاصنامها وقد رأى الغراب ينقر هنالك فلما بدا له الطوى كبر فعرفت قريش انه قد أدرك حاجته فقاموا اليه فقالوا انها بئر ابينا اسمعيل وان لنا فيها حقا فاشركنا معك قال ما أنا بفاعل هذا أمر خصصت به دونكم قالوا فانا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها قال فاجعلوا بينى وبينكم من شئتم قالوا كاهنة بنى سعد بن هذيم وكانت بمشارف الشام فركب عبد المطلب ومعه نفر من بنى عبد مناف وركب من كل قبيلة من قريش نفر حتى اذا كانوا ببعض تلك المفاوز بين الحجاز والشام فنى ماء عبد المطلب وأصحابه فظمئوا حتى أيقنوا بالهلكة فطلبوا الماء ممن معهم من قريش فلم يسقوهم فقال لاصحابه ماذا ترون فقالوا رأينا تبع لرأيك فمرنا بما شئت قال فانى أرى ان يحفر

ثمان سنين من احمال ابن الزبير ثم انفرد بملكة الدنيا الى ان مات سامحه الله (واما عبد الله بن الزبير بن العوام رضى الله عنه) كان أبوه أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأمه أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما ذات النطاقين وام ابيه صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد بالمدينة بعد عشرين شهرا من الهجرة وهو أول مولود ولد للمهاجرين بعد الهجرة وفرح المسلمون بولادته فرحا شديدا لان اليهود كانوا يقولون سحرناهم فلا يولد لهم ولد فحنكه رسول الله صلى الله عليه وسلم بتمرة لاكها وسماه عبد الله وكناه أبا بكر باسم جده الصديق وكان صواما قواما قسم الدهر ثلاث ليال ليلة يصلى قائما حتى الصباح وليلة راكعا وليلة ساجدا حتى الصباح روى له عن النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون حديثا روى عنه جماعة كثيرة وكان فارس قريش فى زمانه وله المواقف المشهودة اخرج أبو يعلى فى مسنده عن ابن الزبير ان النبى صلى الله عليه وسلم احتجم فلما فرغ قال له

كل رجل منكم لنفسه حفرة بكلمات واحد واراما أصحابه حتى يكون آخركم ، وناقه وارى الجميع فضيعة رجل واحد أيسر من ضيعة ركب قالوا نعم ما رأيت ففعلوا ما أمرهم به ثم ان عبد المطلب قال لاصحابه والله ان القاء بايدينا هكذا للموت لا نضرب في الارض ونبتغي لانفسنا لعجز فارتحلوا ومن معه من قبائل قريش ينظرون اليهم ثم ركب عبد المطلب فلما انبعثت به راحلته انفجرت من تحت خفها عين عذبة من ماء فكبر وكبر أصحابه وشربوا وملؤا أسقيتهم ثم دعا القبائل من قريش فقال هلموا الى الماء فقد سقانا الله فقال أصحابه لا تسقيهم لانهم لم يسقونا فلم يسمع منهم وقال نحن اذا مثلهم فجاء أولئك القرشيون فشربوا وملؤا أسقيتهم وقالوا قد والله قضى الله لك علينا يا عبد المطلب والله لا نخاصمك في زمزم أبدا ان الذي سقاك هذا الماء بهذه الفلاة لهو الذي سقاك زمزم فارجع الى سقايتك راشدا فرجعوا اليه ولم يصلوا الى الكاهنة وخلوا بينه وبينها فلما فرغ من حفرها وجد الغزالين اللذين دفنتهم ما جرهم فيها وهما من ذهب ووجد فيها أسيافا قلعية وادراعا فقالت له قريش يا عبد المطلب لنا معك في هذا شرك وحق فقال لا ولكن هلم الى أمر نصف بيني وبينكم نضرب عليها بالقداح فقالوا كيف نصنع قال اجعل للكعبة قدحين ولكم قدحين ولي قدحين فمن خرج قداحه على شيء أخذه ومن تخلف قداحه فلا شيء له قالوا أنصفت ففعلوا ذلك وضربت القداح عند هبل فخرج قدحا الكعبة على الغزالين وخرج قدحا عبد المطلب على الاسياف والادراع ولم يخرج لقريش شيء من القداح فضرب عبد المطلب الاسياف بابا للكعبة وجعل فيه الغزالين صفائح من ذهب فكان أول ذهب حليت به الكعبة وقيل بل بقيا في الكعبة وسرقا على ما نذكره وأقبل الناس والحجاج على بئر زمزم تبركا بها ورغبة فيها وأعرضوا عما سواها من الابيار ولما رأى عبد المطلب تظاهر قريش عليه نذر لله تعالى ان رزقه عشرة من الولدان يبلغون أن يمنعوه ويذبوا عنه نحر أحدهم قربانا لله تعالى وقد ذكر السدوقي اسم عبد الله أبي النبي صلى الله عليه وسلم وعبد المطلب أول من خضب بالوسمة وهو السواد لان الشيب أسرع اليه وكان لعبد المطلب جار يهودي يقال له اذينة يتجر وله مال كثير فغاظ ذلك حرب بن أمية وكان نديم عبد المطلب فاغرى به فتيانا من قريش ليقتلوه ويأخذوا ماله فقتله عامر بن عبد مناف بن عبد الدار وصخر بن عمرو بن كعب التيمي جد أبي بكر رضي الله عنه فلم يعرف عبد المطلب قاتله فلم يزل يبحث حتى عرفهما واذا هما قد استجارا بحرب بن أمية فاتى حربا ولامه وطلبهما منه فاخفاهما فتغالظا في القول حتى تنافرا الى النجاشي ملك الحبشة فلم يدخل بينهم ما فجعلا بينهم نفيل بن عبد العزى العدوي جد عمر بن الخطاب فقال لحرب يا أبا عمرو أتنافر رجلا هو أطول منك قامة وأوسم وسامة وأعظم منك هامة وأقل منك ملامة وأكثر منك ولدا وأجزل منك صفدا وأطول منك مددا واني لاقول هذا وانك لبعيد الغضب رفيع الصوت في العرب جلد المريرة لحبل العشيرة ولكنك نافرت منفرا فغضب حرب وقال من انتكاس الزمان ان جعلت حكما فترك عبد المطلب منادمة حرب ونادم عبد الله بن جدعان التيمي وأخذ من حرب مائة ناقة فدفعها الى ابن عم اليهودي وارتجع ماله الا شيئا هلك فغرمه من ماله وهو أول من تحنث بحراء فكان اذا دخل شهر رمضان صعد حراء وأطعم المساكين جميع الشهر وتوفي وله مائة وعشرون سنة وكان قد عمي

يا عبد الله اذهب بهذا الدم فاهرقه حيث لا يراك أحد فلما ذهب شربه فلما رجع قال ما صنعت بالدم قال عمدت الى أخفى موضع علمت فجعلته فيه قال لعلك شربته قال نعم قال ويل للناس منك وويل لك من الناس فكانوا يرون ان القوة التي به من ذلك الدم وهو ممن أبى البيعة ليزيد بن معاوية وفر الى مكة فبايعه أهل الحرمين واليمن والعراق وخراسان وجهز يزيد لقتاله جيشا كما تقدم ففي أثناء الحرب شاع موت يزيد ورجع الجيش الى الشام فلما تفرقت الكلمة وقع في الوقت خليفتان أكبرهما ابن الزبير فجهز عبد الملك لقتاله الحجاج في أربعين ألفا فحصره بمكة أشهرا ونصب المجانيق على أبي قبيس وقعيقعان ومازال يحاصره ويضيق عليه مقدار أربعة اشهر اخرج ابن عساكر عن محمد بن زيد قال اني كنت فوق جبل ابي قبيس حين وضع المنجنيق على ابن الزبير فنزلت صاعقة كاني أنظر اليها تدور كانها حمار احمر قد احرقت أصحاب المنجنيق نحو خمسين رجلا واصابت نار كسوة البيت فاحترقت

وقيل غير ذلك ((ابن هاشم)) واسم هاشم عمرو وكنيته أبو نضلة وانما قيل له هاشم لانه أول من هشم الثريد لقومه بمكة وأطعمه قال ابن الكلبي كان هاشم أكبر ولد عبد مناف والمطلب أصغرهم أمه عاتكة بنت مرة السلمية ونوفل وأمه واقدة وعبد شمس فسادوا كلهم وكان يقال لهم المجبرون وهم أول من أخذ لقريش العصم فانتشروا من الحرم أخذ لهم هاشم حبلا من الروم وغسان بالشام وأخذ لهم عبد شمس حبلا من النجاشي بالحبشة وأخذ لهم نوفل حبلا من الاكاسرة بالعراق وأخذ لهم المطلب حبلا من حمير باليمن فاختلفت قريش بهذا السبب الى هذه النواحي فجبر الله بهم قريشا وقيل ان عبد شمس وهاشما توأمان وان أحدهما ولد قبل الآخر واصبع له ملتصقة بجبهة صاحبه فنحيت فسال الدم فقيل يكون بينهما دم وولي هاشم بعد أبيه عبد مناف ما كان اليه من السقاية والرفادة فحسده أمية بن عبد شمس على رياسته واطعامه فتكلف ان يصنع صنيع هاشم فعجز عنه فشمتت به ناس من قريش فغضب ونال من هاشم ودعاه الى المنافرة فكره هاشم ذلك لسنه وقدره فلم تدعه قريش حتى نافره على خمسين ناقة والجلاء عن مكة عشر سنين فرضي أمية وجعلا بينهما الكاهن الخزاعي وهو جد عمرو بن الحمق ومنزله بعسفان وكان مع أمية همهمة بن عبد العزى الفهري وكانت ابنته عند أمية فقال الكاهن والقمر الباهر والكوكب الزاهر والغمام الماطر وما بالجو من طائر وما اهتدى بعلم مسافر من منجد وغائر لقد سبق هاشم أمية الى المآثر أول منه وآخر وأبو همهمة بذلك خابر فقضى لهاشم بالغلبة وأخذ هاشم الابل فنحرها واطعمها وغاب أمية عن مكة بالشام عشر سنين فكانت هذه أول عداوة وقعت بين هاشم وأمية وكان يقال لهاشم والمطلب البدران لجمالهما ومات هاشم بغزة وله عشرون سنة وقيل خمس وعشرون سنة وهو أول من مات من بني عبد مناف ثم مات عبد شمس بمكة فقبر باجياد ثم مات نوفل بسلمان من طريق العراق ثم مات عبد المطلب بردمان من أرض العراق وكانت الرفادة والسقاية بعد هاشم الى أخيه المطلب اصغر ابنه عبد المطلب بن هاشم ((ابن عبد مناف)) واسمه المغيرة وكنيته أبو عبد شمس وكان يقال له القمر لجماله وكانت أمه حين ولدته دفعته الى مناف صنم بمكة تدينا بذلك فغلب عليه عبد مناف وكان عبد مناف وعبد العزى وعبد الدار بنو قصي اخوة أمهم حبى ابنة حليل بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو بن خزاعة وهو الذي عقد الحلف بين قريش والاحابيش والاحابيش بنو الحرث بن عبد مناف بن كنانة وبنو المصطلق من خزاعة وبنو الهون من خزيمة وكان قصي يقول ولد لي أربعة بنين فسميت اثنين بالاهي وهما عبد مناف وعبد العزى وواحدا بداري وهو عبد الدار وواحدا بي وهو عبد بن قصي حليل بضم الحاء المهملة وفتح اللام الاولى وحبشية بضم الحاء ((ابن قصي)) واسمه زيد وكنيته أبو المغيرة وانما قيل له قصي لان ربيعة بن حرام بن ضبة بن عبد بن كثير بن عذرة بن سعد بن زيد تزوج أمه فاطمة ابنة سعد بن سيل واسمه جبر بن جمالة بن عوف وهي أيضا ام اخيه زهرة ونقلها الى بلاد عذرة من مشارف الشام وحملت معها قصيا الصغره وتخلف زهرة في قومه لكبره فولدت أمه فاطمة لربيعة بن حرام رزاح بن ربيعة فهو أخو قصي لامه وكان لربيعة ثلاثة نفر من امرأة اخرى وهم حن بن ربيعة ومحمود وجلهمة وقيل ان حنا كان أخا قصي لامه فشب زيد في حجر ربيعة فسمي

ثياب الكعبة فهي البيت فلما قتل عبد الله بن الزبير هدم الحجاج الكعبة وبناها وضيقها وسد بابها الغربي وعلى الباب الشرقي فهي اليوم على ما بناها الحجاج ولما كان في الليلة التي قتل عبد الله بن الزبير صبيحتها اغتسل وتحنط ثم أتى امه اسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها وعن أبويها فقال لها ما ترين يا اماه فقد خذلني الناس فقالت لا يلعب بك صبيان بني أمية عش كريما ومت كريما قال اني أخشى ان يمثل بي وأصلب قالت يا ولدي وان الشاة لا تتألم بالسلخ بعد الذبح فقبل بين عينيها وودعها وخرج واسند ظهره الى الكعبة وجعل يقاتل وحده فيهزمهم ويخرجهم من أبواب المسجد فبينما هو يقاتل اذ أتاه حجر من حجارة المنجنيق فصرعه فتبادروا اليه وحملوه الى الحجاج خذله الله تعالى فدعا بالنطع وحز رأسه بيده وبعث به الى عبد الملك وصلب جسده منكوسا وذلك يوم الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من جمادى الاولى سنة ثلاث وسبعين ثم أتى الى امه يعزيها فيه فقالت له يا حجاج اقتلت

كل رجل منكم لنفسه حفرة فكلما مات واحد واراه أصحابه حتى يكون آخركم رجلا واحدا فضيعة رجل واحد أيسر من ضيعة ركب قالوا نعم ما رأيت فعملوا ما امرهم به ثم ان عبد المطلب قال لاصحابه والله ان القاءنا بايدينا هكذا للموت لا نضرب في الارض ونبتغي لانفسنا لعجز فارتحلوا ومن معه من قبائل قريش ينظرون اليهم ثم ركب عبد المطلب فلما انبعثت به راحلته انفجرت من تحت خفها عين عذبة من ماء فكبر وكبر أصحابه وشربوا وملؤا أسقيتهم ثم دعا القبائل من قريش فقال هلموا الى الماء فقد سقانا الله فقال أصحابه لا تسقيهم لانهم لم يسقونا فلم يسمع منهم وقال فنحن اذا مثلهم فجاء أولئك القرشيون فشربوا وملؤا أسقيتهم وقالوا قد والله قضى الله لك علينا يا عبد المطلب والله لا نخاصمك في زمزم أبدا ان الذي سقاك هذا الماء بهذه الفلاة هو الذي سقاك زمزم فارجع الى سقايتك راشدا فرجعوا اليه ولم يصلوا الى الكاهنة وخلوا بينه وبينها فلما فرغ من حفرها وجد الغزالين اللذين دفنتهما جرهم فيها وهما من ذهب ووجد فيها أسيافا قلعية وادراعا فقالت له قريش يا عبد المطلب لنا معك في هذا شرك وحق فقال لا ولكن هلم الى أمر نصف بيني وبينكم نضرب عليها بالقداح فقالوا كيف نصنع قال اجعل للكعبة قدحين ولكم قدحين ولي قدحين فمن خرج قدحاه على شيء أخذه ومن تخلف قدحاه فلا شيء له قالوا انصفت ففعلوا ذلك وضربت القداح عند هبل فخرج قدحا الكعبة على الغزالين وخرج قدحا عبد المطلب على الاسياف والادراع ولم يخرج لقريش شيء من القداح فضرب عبد المطلب الاسياف بابا للكعبة وجعل فيه الغزالين صفائح من ذهب فكان أول ذهب حليت به الكعبة وقيل بل بقيا في الكعبة وسرقا على ما نذكره وأقبل الناس والحجاج على بئر زمزم تبركا بها ورغبة فيها وأعرضوا عما سواها من الآبار ولما رأى عبد المطلب تظاهر قريش عليه نذر لله تعالى ان رزقه عشرة من الولدان يبلغون أن يمنعوه ويذبوا عنه نحر أحدهم قربانا لله تعالى وقد ذكر النذر في اسم عبد الله أبي النبي صلى الله عليه وسلم وعبد المطلب أول من خضب بالوسمة وهو السواد لان الشيب أسرع اليه وكان لعبد المطلب جار يهودي يقال له اذينة يتجر وله مال كثير فغاظ ذلك حرب بن أمية وكان نديم عبد المطلب فاغرى به فتيانا من قريش ليقتلوه ويأخذوا ماله فقتله عامر بن عبد مناف بن عبد الدار وصخر بن عمرو بن كعب التيمي جد أبي بكر رضي الله عنه فلم يعرف عبد المطلب قاتله فلم يزل يبحث حتى عرفهما واذا هما قد استجارا بحرب بن أمية فاتى حربا ولامه وطلبهما منه فاخفاهما فتغالظا في القول حتى تنافرا الى النجاشي ملك الحبشة فلم يدخل بينهما فجعلا بينهما نفيل بن عبد العزى العدوي جد عمر بن الخطاب فقال لحرب يا أبا عمرو أتنافر رجلا هو أطول منك قامة وأوسم وسامة وأعظم منك هامة وأقل منك ملامة وأكثر منك ولدا وأجزل منك صفدا وأطول منك مددا واني لاقول هذا وانك لبعيد الغضب رفيع الصوت في العرب جلد المريرة تحبك العشيرة ولكنك نافرت منفرا فغضب حرب وقال من انتكاس الزمان ان جعلت حكما فترك عبد المطلب منادمة حرب ونادم عبد الله بن جدعان التيمي وأخذ من حرب مائة ناقة فدفعها الى ابن عم اليهودي وارتجع ماله الا شيئا هلك فغرمه من ماله وهو أول من تحنث بحراء فكان اذا دخل شهر رمضان صعد حراء وأطعم المساكين جميع الشهر وتوفي وله مائة وعشرون سنة وكان قد عمي

يا عبد الله اذهب بهذا الدم فاهرقه حيث لا يراك أحد فلما ذهب شربه فلما رجع قال ما صنعت بالدم قال عمدت الى أخفى موضع علمت فجعلته فيه قال لعلك شربته قال نعم قال ويل للناس منك وويل لك من الناس فكانوا يرون ان القوة التي به من ذلك الدم وهرب من أبي البيعة ليزيد بن معاوية وفر الى مكة فبايعه أهل الحرمين واليمن والعراق وخراسان وجهز يزيد لقتاله جيشا كما تقدم ففي أثناء الحرب شاع موت يزيد ورجع الجيش الى الشام فلما تفرقت الكلمة وقع في الوقت خليفتان أكبرهما ابن الزبير فجهز عبد الملك لقتاله الحجاج في أربعين ألفا فحصره بمكة أشهرا ونصب المجانيق على أبي قبيس وقعيقعان ومازال يحاصره ويضيق عليه مقدار أربعة اشهر اخرج ابن عساكر عن محمد بن زيد قال اني كنت فوق جبل ابي قبيس حين وضع المنجنيق على ابن الزبير نزلت صاعقة كاني أنظر اليها تدور كانها حمار احمر فقد احرقت أصحاب المنجنيق نحو خمسين رجلا واصابت نار كسوة البيت فاحترقت

وقيل غير ذلك ((ابن هاشم)) واسم هاشم عمرو وكنيته أبو نضلة وانما قيل له هاشم لانه أول من هشم الثريد لقومه بمكة وأطعمهوه قال ابن الكلبي كان هاشم أكبر ولد عبد مناف والمطلب أصغرهم أمه عاتكة بنت مرة السلمية ونوفل وأمه واقدة وعبد شمس فسادوا كلهم وكان يقال لهم المجيرون وهم أول من أخذ لقريش العصم فانتشروا من الحرم أخذ لهم هاشم حبلا من الروم وغسان بالشام وأخذ لهم عبد شمس حبلا من النجاشي بالحبشة وأخذ لهم نوفل حبلا من الاكاسرة بالعراق وأخذ لهم المطلب حبلا من حمير باليمن فاختلفت قريش بهذا السبب الى هذه النواحي فجبر الله بهم قريشا وقيل ان عبد شمس وهاشما توأمان وان أحدهما ولد قبل الآخر واصبع له ملتصقة بجبهة صاحبه فنحيت فسال الدم فقيل يكون بينهما دم وولي هاشم بعد أبيه عبد مناف ما كان اليه من السقاية والرفادة فحسده أمية بن عبد شمس على رياسته واطعامه فتكلف ان يصنع صنيع هاشم فعجز عنه فشمتت به ناس من قريش فغضب ونال من هاشم ودعاه الى المنافرة فكره هاشم ذلك لسنه وقدره فلم تدعه قريش حتى نافره على خمسين ناقة والجلاء عن مكة عشر سنين فرضي أمية وجعلا بينهما الكاهن الخزاعي وهو جد عمرو بن الحمق ومنزله بعسفان وكان مع أمية همهمة بن عبد العزى الفهري وكانت ابنته عند أمية فقال الكاهن والقمر الباهر والكوكب الزاهر والغمام الماطر وما بالجو من طائر وما اهتدى بعلم مسافر من منجد وغائر لقد سبق هاشم أمية الى المآثر أول منه وآخر وأبو همهمة بذلك خابر فقضى لهاشم بالغلبة وأخذ هاشم الابل فنحرها واطعمها وغاب أمية عن مكة بالشام عشر سنين فكانت هذه أول عداوة وقعت بين هاشم وأمية وكان يقال لهاشم والمطلب البدران لجمالهما ومات هاشم بغزة وله عشرون سنة وقيل خمس وعشرون سنة وهو أول من مات من بني عبد مناف ثم مات عبد شمس بمكة فقبر باجياد ثم مات نوفل بسلمان من طريق العراق ثم مات عبد المطلب بردمان من أرض العراق وكانت الرفادة والسقاية بعد هاشم الى أخيه المطلب لصغر ابنه عبد المطلب بن هاشم ((ابن عبد مناف)) واسمه المغيرة وكنيته أبو عبد شمس وكان يقال له القمر لجماله وكانت أمه حين ولدته دفعته الى مناف صنم بمكة تدينا بذلك فغلب عليه عبد مناف وكان عبد مناف وعبد العزى وعبد الدار بنو قصي اخوة أمهم حبى ابنة حليل بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو بن خزاعة وهو الذي عقد الحلف بين قريش والاحابيش والاحابيش بنو الحرث بن عبد مناف بن كنانة وبنو المصطلق من خزاعة وبنو الهون من خزيمة وكان قصي يقول ولد لي أربعة بنين فسميت اثنين بالاهي وهما عبد مناف وعبد العزى وواحدا بداري وهو عبد الدار وواحدا بي وهو عبد بن قصي حليل بضم الحاء المهملة وفتح اللام الاولى وحبشية بضم الحاء ((ابن قصي)) واسمه زيد وكنيته أبو المغيرة وانما قيل له قصي لان ربيعة بن حرام بن ضبة بن عبد بن كثير بن عذرة بن سعد بن زيد تزوج أمه فاطمة ابنة سعد بن سيل واسمه جبر بن جمالة بن عوف وهي أيضا أم اخيه زهرة ونقلها الى بلاد عذرة من مشارف الشام وحملت معها قصيا لصغره وتخلف زهرة في قومه لكبره فولدت أمه فاطمة لربيعة بن حرام رزاح بن ربيعة فهو أخو قصي لامه وكان لربيعة ثلاثة نفر من امرأة أخرى وهم حن بن ربيعة ومحمود وجلهمة وقيل ان حنا كان أخا قصي لامه فشب زيد في حجر ربيعة فسمي

ثياب الكعبة فوهي البيت فلما قتل عبد الله بن الزبير هدم الحجاج الكعبة وبناها وضيقها وسد بابها الغربي وعلى الباب الشرقي فهي اليوم على ما بناها الحجاج ولما كان في الليلة التي قتل عبد الله بن الزبير صبيحتها اغتسل وتحنط ثم أتى امه اسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها وعن أبويها فقال لها ماترين يا اماه فقد خذلني الناس فقالت لا يلعب بك صبيان بني أمية عش كريما ومت كريما قال اني أخشى ان يمثل بي وأصلب قالت يا ولدي وان الشاة لا تتألم بالسلخ بعد الذبح فقبل بين عينيها وودعها وخرج واسند ظهره الى الكعبة وجعل يقاتل وحده فيهزمهم ويخرجهم من أبواب المسجد فبينما هو يقاتل اذ أتاه حجر من حجارة المنجنيق فصرعه فتبادروا اليه وحملوه الى الحجاج خذله الله تعالى فدعا بالنطع وحز رأسه بيده وبعث به الى عبد الملك وصلب جسده منكوسا وذلك يوم الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من جمادى الاولى سنة ثلاث وسبعين ثم أتى الى امه يعزيها فيه فقالت له يا حجاج اقتلت

قصيا لبعده عن دار قومه وكان قصي ينتمي الى ربيعة الى ان كبر وكان بينه وبين رجل من قضاعة شيء فعيره القضاعي بالغربة فرجع قصي الى أمه وسألها عما قال فقالت له يا بني أنت أكرم منه نفسا وأبا انت ابن كلاب بن مرة وقومك بمكة عند البيت الحرام فصبر حتى دخل الشهر الحرام وخرج مع حاج قضاعة حتى قدم مكة وأقام مع أخيه زهرة ثم خطب الى حليل بن حبشية الخزاعي ابنته حبي فزوجه وحليل يومئذ يلي الكعبة فولدت أولاده عبد الدار وعبد مناف وعبد العزى وعبد بن قصي وكثر ماله وعظم شرفه وهلك حليل وأوصى بولاية البيت لابنته حبي فقالت اني لا أقدر على فتح الباب واغلاقه فجعل فتح الباب واغلاقه الى ابنه المحترش وهو أبو غبشان فاشترى قصي منه ولاية البيت بزق خمر وبعود فضربت به العرب المثل فقالت اخسر صفقة من أبي غبشان فلما رأت ذلك خزاعة كثروا على قصي فاستنصر أخاه رزاحا فحضر هو واخوته الثلاثة فيمن تبعه من قضاعة الى نصرته ومع قصي قومه بنو النضر وتهيأ للحرب خزاعة وبنو بكر وخرجت اليهم خزاعة فاقتتلوا قتالا شديدا فكثرت القتلى في الفريقين والجراح ثم تداعوا الى الصلح على ان يحكموا بينهم عمرو بن عوف بن كعب بن ليث بن بكر بن عبد مناف بن كنانة فقضى بينهم بان قصيا أولى بالبيت ومكة من خزاعة وان كل دم أصابه من خزاعة وبني بكر موضوع فيشدخه تحت قدميه وان كل دم أصابت خزاعة وبنو بكر من قريش وبني كنانة ففي ذلك الدية مؤداة فسمي يعمر والشداخ بما شدخ من الدماء وما وضع منها وولي قصي البيت وأمر مكة وقيل ان حليل بن حبشية أوصى قصيا بذلك وقال انت أحق بولاية البيت من خزاعة فجمع قومه وأرسل الى أخيه يستنصره فحضر في قضاعة في الموسم وخرجوا الى عرفات وفرغوا من الحج ونزلوا منى وقصي مجمع على حربهم وانما ينتظر فراغ الناس من حجهم فلما نزلوا منى ولم يبق الا الصدر وكانت صوفة تدفع بالناس من عرفات وتجيزهم اذا تفرقوا من منى اذا كان يوم النفر أتوا لرمي الجمار ورجل من صوفة يرمي للناس لا يرمون حتى يرمي فاذا فرغوا من منى أخذت صوفة بناحيتي العقبة وحبسوا الناس فقالوا اجيزي صوفة فاذا نفرت صوفة ومضت خلي سبيل الناس فانطلقوا بعدهم فلما كان ذلك العام فعلت صوفة كما كانت تفعل قد عرفت لها العرب ذلك فهو دين في أنفسهم فأتاهم قصي ومن معه من قومه ومن قضاعة فمنعهم وقال نحن أولى بهذا منكم فقاتلوه وقاتلهم قتالا شديدا فانهزمت صوفة وغلبهم قصي على ما كان بأيديهم وانحازت عند ذلك خزاعة وبنو بكر وعرفوا انه سيمنعهم كما منع صوفة فلما انحازوا عنه بادأهم فقاتلهم فكثر القتل في الفريقين وأجلى خزاعة عن البيت وجمع قصي قومه الى مكة من الشعاب والاودية والجبال فسمي مجمعا ونزل بني بغيض بن عامر ابن لؤي وبني تيم الادرم بن غالب بن فهر وبني محارب بن فهر وبني الحرث بن فهر الا بني هلال ابن أهيب رهط أبي عبيدة بن الجراح والا رهط عياض بن غنم بظواهر مكة فسموا قريش الظواهر وتسمى سائر بطون قريش البطاح وكانت قريش الظواهر تغير وتغزو وتسمى قريش البطاح الضب للزومها الحرم فلما نزل قصي قريشا بمكة وما حولها ملكوه عليهم فكان أول ولد كعب بن لؤي أصاب ملكا أطاعه به قومه وكان اليه الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء فحاز شرف قريش كله وقسم مكة أرباعا بين قومه فبنوا المساكن واستأذنوه

عبد الله قال لها يا ابنة أبي بكر اني قاتل الملحدين قالت لا بل أنت قاتل الموحدين لقد أفسدت عليه دنياه وأفسد عليك آخرتك ولا ضير ان الله أكرمه على يديك وقد أهدى رأس يحيى بن زكريا الى بغي من بغايا بني اسرائيل وكلم الناس الحجاج ان ينزل جسد ابن الزبير ويدفنه فحلف أن لا ينزله حتى تشفع فيه أمه فتم على تلك الحالة سنة فمرت به أمه يوما وقد عشش الطير في صدره فقالت اما آن لهذا الفارس ان يترجل أو قالت اما آن لهذا الخطيب ان ينزل من على المنبر فبلغ ذلك الحجاج قال هذه شفاعة فأمر ان ينزل وان يعطى لامه فأخذته وغسلته ودفنته في المدينة في دار صفية بنت حيي ولما أتي به اليها حاضت ودر اللبن من ثديها فقالت حنت اليه مواضعه ودرت عليه مراضعه وكانت تقول قبل ذلك اللهم لا تمتني حتى تقر عيني بجثته فما أتى عليها بعد ذلك جمعة حتى ماتت رحمها الله تعالى فلما بلغ عبد الملك قتل الحجاج ابن الزبير أنابه على الحرمين

* (ذكر جمل من أخبار الحجاج وأفعاله القبيحة) *

في قطع الشجر فمنعهم فبنوا والشجر في منازلهم ثم انهم قطعوه بعد موته وتيمنت قريش بامره فما تنكح امرأة ولا رجل الا في داره ولا يتشاورون في امر ينزل بهم الا في داره ولا يعقدون لواء الحرب الا في داره يعقده بعض ولده وما تدرع جارية اذا بلغت ان تدرع الا في داره وكان أمره في قومه كالدين المتبع في حياته وبعد موته فاتخذ دار الندوة وبابها في المسجد وفيها كانت قريش تقضي أمورها فلما كبر قصي ورق وكان ولده عبد الدار اكبر ولده وكان ضعيفا وكان عبد مناف قد ساد في حياة ابيه وكذلك اخوته فقال قصي لعبد الدار والله لالحقنك بهم فأعطاه دار الندوة والحجابة وهي حجابة الكعبة واللواء فهو كان يعقد لقريش ألويتهم والسقاية كان يسقي الحاج والرفادة وهي خرج تخرجه قريش في كل موسم من أموالها الى قصي بن كلاب فيصنع منه طعاما للحاج يأكله الفقراء وكان قصي قد قال لقومه انكم جيران الله وأهل بيته وان الحاج ضيف الله وزوار بيته وهم أحق الضيف بالكرامة فاجعلوا لهم طعاما وشرابا أيام الحج ففعلوا فكانوا يخرجون من أموالهم فيصنع به الطعام ايام منى فجرى الامر على ذلك في الجاهلية والاسلام الى الآن فهو الطعام الذي يصنعه الخلفاء كل عام بمنى فأما الحجابة فهي في ولده الى الآن وهم بنو شيبة بن عثمان بن ابي طلحة بن عبد العزى بن عثمان ابن عبد الدار وأما اللواء فلم يزل في ولده الى ان جاء الاسلام فقال بنو عبد الدار يا رسول الله اجعل اللواء فينا فقال الاسلام أوسع من ذلك فبطل وأما الرفادة والسقاية فان بني عبد مناف ابن قصي عبد شمس وهاشم والمطلب ونوفل اجمعوا ان يأخذوها من بني عبد الدار لشرفهم عليهم وفضلهم فتفرقت عند ذلك قريش فكانت طائفة مع بني عبد مناف وطائفة مع بني عبد الدار لا يرون تغيير ما فعله قصي وكان صاحب أمر بني عبد الدار عامر بن هاشم بن عبد مناف ابن عبد الدار فكان بنو اسد بن عبد العزى وبنو زهرة بن كلاب وبنو تيم بن مرة وبنو الحرث ابن فهر مع بني عبد مناف وكان بنو مخزوم وبنو سهم وبنو جمح وبنو عدي مع بني عبد الدار فتحالف كل قوم حلفا موكدا واخرج بنو عبد مناف جفنة مملوأة طيبا فوضعوها عند الكعبة وتحالفوا وجعلوا أيديهم في الطيب فسموا المطيبين وتعاقد بنو عبد الدار ومن معهم وتحالفوا فسموا الاحلاف وتعبوا للقتال ثم تداعوا الى الصلح على ان يعطوا بني عبد مناف السقاية والرفادة فرضوا بذلك وتحاجز الناس عن الحرب واقترعوا عليها فصارت لهاشم بن عبد مناف ثم بعده للمطلب بن عبد مناف ثم لابي طالب بن عبد المطلب ولم يكن له مال فادان من أخيه العباس بن عبد المطلب بن عبد مناف مالا فانفقه ثم عجز عن الاداء فاعطى العباس السقاية والرفادة عوضا عن دينه فوليها ثم ابنه عبد الله ثم علي بن عبد الله ثم محمد بن علي ثم داود بن علي بن سليمان بن علي ثم وليها المنصور وصار يليها الخلفاء وأما دار الندوة فلم تزل لعبد الدار ثم لولده حتى باعها عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار من معاوية فجعلها دار الامارة بمكة وهي الآن في الحرم معروفة مشهورة ثم هلك قصي فاقام أمره في قومه من بعده ولده وكان قصي لا يخالف سيرته وأمره ولما مات دفن بالحجون فكانوا يزورون قبره ويعظمونه وحفر بمكة بئرا سماها العجول وهي أول بئر حفرتها قريش بمكة (سيل بفتح السين المهملة والياء المثناة التحتية وحرام بفتح الحاء والراء المهملتين ورزاح بكسر الراء وفتح الزاي وبعد الالف حاء مهملة وحي

ذكر المسعودي في مروج الذهب ان أم الحجاج وهي الفارعة بنت همام كانت عند الحرث بن كلدة فدخل عليها في السحر فوجدها تتخلل فبعث اليها بطلاقها فقالت لم بعثت الي بطلاقي ألشيء رابك مني قال نعم دخلت عليك عند السحر وانت تتخللين فان كنت بادرت الى الغداء فانت شرهة وان كنت بت والطعام بين اسنانك فأنت قذرة فقالت كل ذلك لم يكن ولكني تخللت من شظايا السواك فتزوجها بعده يوسف بن أبي عقيل الثقفي ابو الحجاج فولدت له الحجاج مشوها لا دبر له فنقب عن دبره وابى ان يقبل ثدي أمه او غيرها فاعياهم أمره فيقال ان الشيطان تصور لهم في صورة الحرث بن كلدة فقال ما خبركم فقالوا ابن ولد ليوسف من الفارعة وقد ابى ان يقبل ثدي أمه أو غيرها فقال اذبحوا له تيسا واولغوه دمه ثم اذبحوا له اسود سالخا واولغوه دمه واطلوا به وجهه فانه يقبل الثدي ففعلوا به ذلك ثلاثة أيام فقبل الثدي فكان لا يصبر عن سفك الدماء وكان يخبر عن نفسه ان اكبر

بضم الحاء المهملة وتشديد الباء الموحدة وملكان بكسر الميم وسكون اللام وأما ملكان بن حزم ابن زبان وماكان بن عباد بن عياض فهما بفتح الميم واللام) «ابن كلاب» ويكنى أبا زهرة وأم كلاب هند بنت سرير بن ثعلبة بن الحرث بن فهر بن مالك وله اخوان لابيه من غير أمه وهما تيم ويقظة أمهما اسماء بنت حارثة البارقية وقيل يقظة لهند بنت سرير أم كلاب (يقظة بالياء تحتها نقطتان وبفتح القاف والظاء المعجمة) «ابن مرة» ويكنى أبا يقظة وأم مرة محشية ابنة شيبان بن محارب بن فهر واخواه لابيه وأمه هصيص وعدى وقيل أم عدى رقاش بنت ركبة بن نائلة بن كعب بن حرب بن تيم بن سعد بن فهم بن عمرو بن قيس عيلان (هصيص بضم الهاء وفتح الصاد المهملة بعدها ياء تحتها نقطتان وصاد ثانية) «ابن كعب» ويكنى ابا هصيص وأم كعب ماوية ابنة كعب بن القين بن جسر القضاعية وله اخوان لابيه وأمه احدهما عامر والآخر سامة ولهم من أبيهم اخ كان يقال له عوف أمه الباردة ابنة عوف بن غنم ابن عبد الله بن غطفان وانتمى ولده الى غطفان وكان خرج مع امه الباردة الى غطفان فتزوجها سعد بن ذبيان فتبناه سعد ولكعب أيضا اخوان من غير أمه احدهما خزيمة وهى عائذة قريش وعائذة أمه وهى ابنة الحمس بن قحافة من خثعم والآخر سعد ويقال له بنانة وبنانة أمه فأهل البادية منهم فى بنى سعد بن همام فى بنى شيبان بن ثعلبة والحاضرة ينتمون الى قريش وكان كعب عظيم القدر عند العرب فلهذا أرخوا بموته الى عام الفيل ثم ارخوا بالفيل وكان يخطب الناس أيام الحج وخطبته مشهورة يخبر فيها بالنبى صلى الله عليه وسلم (جسر بفتح الجيم وسكون السين المهملة وآخره راء) «ابن لؤى» ويكنى ابا كعب وأم لؤى عاتكة ابنة يخلد بن النضر بن كنانة وهى أول العواتك اللاتى ولدن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش وله اخوان احدهما تيم الادرم والدرم نقصان فى الذقن قيل انه كان ناقص اللحى والآخر قيس ولم يبق منهم أحد وآخر من مات منهم فى زمن خالد بن عبد الله القسرى فبقى ميراثه لايدرى من يستحقه وقيل ان أمهم سلمى بنت عمرو بن ربيعة وهو يحيى بن حارثة الخزاعى (يخلد بفتح الياء تحتها نقطتان وسكون الخاء المعجمة وبعد اللام دال مهملة) «ابن غالب» ويكنى ابا تيم وام غالب ليلى ابنة الحرث بن تيم بن سعد بن هذيل واخوته من ابيه وأمه الحرث ومحارب واسد وعوف وجون وذئب وكانت محارب والحرث من قريش الظواهر فدخلت الحرث الابطح «ابن فهر» ويكنى ابا غالب وفهر هو جماع قريش فى قول هشام وأمه جندلة بنت عامر بن الحرث بن مضاض الجرهمى وقيل غير ذلك وكان فهر رئيس الناس بمكة وكان حسان فيما قيل اقبل من اليمن مع حمير وغيرهم يريد ان ينقل احجار الكعبة الى اليمن فنزل بنخلة فاجتمع قريش وكنانة وخزيمة وأسد وجذام وغيرهم ورئيسهم فهر بن مالك فاقتتلوا قتالا شديدا وأسر حسان وانهزمت حمير وبقى حسان بمكة ثلاث سنين وافتدى نفسه وخرج فمات بين مكة واليمن «ابن مالك» وكنيته أبو الحرث وأمه عاتكة بنت عدوان وهو الحرث بن قيس عيلان ولقبه عكرشة وقيل غير ذلك «ابن النضر» ويكنى أبا يخلد كنى بابنه يخلد واسم النضر قيس وقيل ان النضر بن كنانة كان اسمه قريشا وقيل لما جمعهم قصى قيل لهم قريش والتقرش التجمع وقيل لما ملك قصى الحرم وفعل افعالا جميلة قيل له القرشى وهو أول من سمى به وهو من الاجتماع أيضا اى لاجتماع

لذاته سفك الدماء وكان يرتكب أمورا لايقدم عليها غيره ولايسبق اليها سواه وكان بدء أمره انه كان فى خدمة روح بن زنباع وزير عبد الملك فلما غلبت الخوارج على البصرة ولاه عبد الملك العراق فتقلد الامارة وهو ابن عشرين سنة وكان عنف السياسة أحصى من قتل بامره سوى من قتل فى حروبه فكانوا مائة ألف وعشرين ألفا ومات فى سجنه خمسون ألف رجل وثلاثون الف امرأة وكان حبس الرجال والنساء فى موضع واحد ولم يكن لحبسه سقف يستر الناس من الحر والبرد وعرضت سجونه بعده فوجد فيها ثلاثة وثلاثون ألفا لم يجب على واحد منهم قطع ولا صلب فأطلقهم الوليد بن عبد الملك (روى) انه ركب يوم جمعة فسمع ضجة فقال ماهذا فقيل المسجونون يضجون ويشكون مماهم فيه من الجوع فالتفت الى ناحيتهم وقال اخسؤا فيها ولاتكلمون فما صلى جمعة بعدها وقد كفره العلماء بهذا القول وفى الكامل للمبرد مما كفر به الفقهاء الحجاج انه رأى

خصال الخير فيه وقد قيل في تسمية قريش قريشا اقوال كثيرة لاحاجة الى ذكرها وقصي أول من احدث وقود النار بالمزدلفة وكانت توقد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن بعده وانما قيل له النضر لجماله وأمه برة ابنة مر بن أد بن طابخة اخت تميم بن مر وأخوته لابيه وأمه نصير ومالك وملكان وعامر والحرث وعمرو وسعد وعوف وغنم ومخرمة وجرول وغزوان وجدال وأخوهم لابيهم عبد مناة وأمه فكيهة وهي الذفراء ابنة هني بن بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاعة وأخو عبد مناة لامه علي بن مسعود بن مازن الغساني وكان قد حضن أولاد أخيه عبد مناة فنسبوا اليه وقيل ابني عبد مناة بنو علي واياهم عنى الشاعر بقوله

لله در بني علي * ايم منهم وناكح

وقيل تزوج امرأة عبد مناة فولدت له وحضن بني عبد مناة فغلب على نسبهم ثم وثب مالك بن كنانة على علي بن مسعود فقتله فواراه أسد بن خزيمة ((ابن كنانة)) ويكنى ابا النضر وأم كنانة عوانة بنت سعد بن قيس عيلان وقيل هند ابنة عمرو بن قيس واخوته لابيه أسد واسدة ويقال انه أبو جذام والهون وأمهم برة بنت مر وهي أم النضر خلف عليها بعد أبيه ((ابن خزيمة)) ويكنى ابا أسد وامه سلمى ابنة أسلم بن الحاف بن قضاعة وأخوه لامه تغلب بن حلوان ابن عمران بن الحاف وأخو خزيمة لابيه وأمه هذيل وقيل أمهما سلمى بنت أسد بن ربيعة وخزيمة هو الذي نصب هبل على الكعبة فكان يقال هبل خزيمة (اسلم بضم اللام) ((ابن مدركة)) واسمه عمرو ويكنى ابا هذيل وقيل أبا خزيمة وأمه خندف وهي ليلى ابنة حلوان بن عمران وأمها ضرية ابنة ربيعة بن نزار وبها سمي حمى ضرية واخوة مدركة لابيه وأمه عامر وهو طابخة وعمير وهو قمعة يقال انه أبو خزاعة قال هشام خرج الياس في نجعة له فنفرت ابله من أرنب فخرج اليها عمرو فادركها فسمي مدركة وأخذها عامر فطبخها فسمي طابخة وانقمع عمير في الخباء فسمي قمعة وخرجت أمهم ليلى تمشي فقال لها الياس أين تخندفين فسميت خندف والخندفة ضرب من المشي ((ابن الياس)) وكان يكنى أبا عمرو وأمه الرباب ابنة جندة بن معد وأخوه لابيه وامه الناس بالنون وهو عيلان وسمي عيلان لفرس له كان يدعى عيلان وقيل لانه ولد في أصل جبل يسمى عيلان وقيل غير ذلك ولما توفي حزنت عليه خندف حزنا شديدا فلم تقم حيث مات ولم يظلها سقف حتى هلكت فضرب بها المثل وتوفي يوم الخميس فكانت تبكي كل خميس من غدوته الى الليل ((ابن مضر)) وأمه سودة بنت عك واخوه لابيه وأمه اياد ولهما اخوان من أبيهما ربيعة وانمار أمهما جدالة ابنة وعلان من جرهم وذكر ان نزار بن معد لما حضرته الوفاة أوصى بنيه وقسم ماله بينهم فقال يا بني هذه القبة وهي من أدم حمراء وما اشبهها من مالي لمضر فسمي مضر الحمراء وهذا الخباء الاسود وما اشبهه من مالي لربيعة وهذه الخادم وما اشبهها من مالي لاياد وكانت شمطاء فاخذ البلق والنقد من غنمه وهذه البدرة والمجلس لانمار يجلس عليه فأخذ انمار ما اصابه فان اشكل في ذلك عليكم شئ واختلفتم في القسمة فعليكم بالافعى الجرهمي فاختلفوا فتوجهوا الى الافعى الجرهمي فبينما هم يسيرون في مسيرهم اذ رأى مضر كلأ قد رعي فقال ان البعير الذي قد رعى هذا الكلأ لاعور وقال ربيعة هو ازور وقال اياد هو أبتر وقال انمار هو شرود فلم يسيروا الا قليلا حتى لقيهم رجل توضع به راحلته فسألهم عن

الناس يطوفون حول حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انما يطوفون باعواد ورمة فانه صح عن سيد البشر صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله حرم على الارض ان تاكل اجساد الانبياء خرجه أبو داود وكان شجاعا مهيبا جبارا عنيدا الا انه كان عالما فصيحا مجودا للقران قال الشعبي لو جاءت كل أمة بخبيثها وفاسقها وجئنا بالحجاج وحده لزدنا عليهم (يروى) عن عمر بن عبد العزيز قال رأيت الحجاج في المنام بعد موته وهو جيفة منتنة فقلت ما فعل الله بك فقال قتلني الله بكل قتيل قتلته قتلة واحدة الا سعيد بن جبير فانه قتلني به سبعين قتلة فقلت له ما انت منتظر قال ما ينتظره الموحدون فهذا ينفي عنه الكفر ويثبت انه مات على التوحيد وعند الله علم حاله وهو أعلم بحقيقة أمره هلك في رمضان سنة خمس وتسعين في خلافة الوليد بواسط ودفن فيها وأخفي قبره واجري عليه الماء وقيل لما مات لم يعلم بموته أحد حتى خرجت جنازته وهم يقولون اليوم يرحمنا من كان يغبطنا

البعير فقال مضر هو اعور وقال نعم قال ربيعة هو أزور قال نعم وقال اياد هو أبتر قال نعم وقال انمار هو شرود قال نعم هذه صفة بعيري دلوني عليه فحلفوا انهم ما رأوه فلزمهم وقال كيف اصدقكم وهذه صفة بعيري فساروا جميعا حتى قدموا نجران فنزلوا على الافعى الجرهمي فقص عليه صاحب البعير حديثه فقال لهم الجرهمي كيف وصفتموه ولم تروه فقال مضر رأيته يرعى جانبا ويدع جانبا فعرفت انه أعور وقال ربيعة رأيت احدى يديه ثابتة والاخرى فاسدة الاثر فعرفت انه ازور وقال اياد عرفت انه أبتر باجتماع بعره ولو كان اذنب لمصع به وقال انمار عرفت انه شرود لانه يرعى المكان الملتف نبته ثم يجوزه الى مكان أرق منه نبتا واخبث فقال الجرهمي ليسوا باصحاب بعيرك فاطلبه ثم سألهم من هم فاخبروه فرحب بهم وقال اتحتاجون انتم الي وانتم كما ارى ودعا لهم بطعام فاكلوا وشربوا فقال مضر لم أر كاليوم خمرا أجود لولا انها نبتت على قبر وقال ربيعة لم أر كاليوم لحما أطيب لولا انه ربي بلبن كلبة وقال اياد لم أر كاليوم رجلا أسرى لولا انه لغير ابيه الذي ينتمي اليه وقال انمار لم أر كاليوم كلاما أنفع لحاجتنا وسمع الجرهمي الكلام فتعجب فاتى أمه وسألها فاخبرته انها كانت تحت ملك لا يولد له فكرهت ان يذهب الملك فامكنت رجلا من نفسها فحملت به وسأل القهرمان عن الخمر فقال من حبلة غرستها على قبر أبيك وسأل الراعي عن اللحم فقال شاة أرضعتها لبن كلبة فقيل لمضر من أين عرفت الخمر فقال لاني اصابني عطش شديد وقيل لربيعة فيما قال فذكر كلاما فاتاهم الجرهمي وقال صفوا الي منتكم فقصوا عليه قصتهم فقضى بالقبة الحمراء والدنانير والابل وهي حمر لمضر وقضى بالخباء الاسود والخيل الدهم لربيعة وقضى بالخادم وكانت شمطاء والماشية البلق لاياد وقضى بالارض والدراهم لانمار ومضر أول من حدا وكان سبب ذلك انه سقط من بعيره فانكسرت يده فجعل يقول يايداه يايداه فاتته الابل من المرعى فلما صلح وركب حدا وكان من أحسن الناس صوتا وقيل بل انكسرت يد مولى له فصاح فاجتمعت الابل فوضع مضر الحداء وزاد الناس فيه وهو أول من قال حينئذ بصبص اذ حدين بالاذناب فذهب مثلا وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تسبوا مضر وربيعة فانهما مسلمان ((ابن نزار)) وقيل كان يكنى ابا اياد وقيل أبا ربيعة أمه معانة ابنة جوشم بن جلهمة بن عمرو بن برهم واخوته لابيه وأمه قنص وقناصة وسالم وجيدة وجناد وجنادة والقحم وعبيد الرماح والعرق والعوف وشك وقضاعة وبه كان يكنى معد ومتقدم جرا ((ابن معد)) وأمه مهدد ابنة اللهم ويقال اللهم بن جلحب بن جديس وقيل ابن طسم واخوته من أبيه الريث وقيل الريث عك وقيل عك بن الريث وعدن بن عدنان قيل هو صاحب عدن ابين واليه تنسب ابين ودرج نسله ونسل عدن وأد وأبي بن عدنان ودرج والضحاك والعي فلحق ولد عدنان باليمن عند حرب بختنصر وحمل ارمياء برخيا معدا الى حران فاسكنه بها فلما سكنت الحرب رده الى مكة فرأى اخوته قد لحقوا باليمن ((ابن عدنان)) ولعدنان اخوان يدعى احدهما نبتا والآخر عامرا فنسب النبي صلى الله عليه وسلم لا يختلف الناسبون فيه الى معد ابن عدنان على ما ذكرت ويختلفون فيما بعد ذلك اختلافا عظيما لا يحصل منه على غرض فتارة يجعل بعضهم بين عدنان وبين اسمعيل عليه السلام أربعة آباء ويجعل آخر بينهما أربعين ابا

واليوم تبيع من كانوا اتباعا فلم موته وسمعوه يقول عند الموت رب اغفر لي فان الناس يزعمون انك لا تغفر لي وقيل له في مرض موته ان الناس يخافون انك من أهل النار قال فبكى وأنشد يقول

يارب قد حلف الاعداء واجتهدوا
أيمانهم انني من ساكني النار
ايحلفون على عمياء ويحهم
ما ظنهم بعظيم العفو غفار

فلما نقل ذلك الى الحسن البصري قال والله الى اخاف ان يكون قد حاز الدنيا والآخرة وكانت مدة خلافة عبد الملك تسع سنين واثنين وعشرين يوما وله من العمر ثلاث وسبعون سنة

((الفصل السادس في ذكر خلافة الوليد بن عبد الملك))

بويع له بالخلافة يوم توفي والده وكان اسمر طويلا أفطس بوجهه اثر جدري وكان دميما سائل الانف مختالا في مشيته قليل العلم كان أبواه مرفهين له فشب بلا ادب وكان لحانا وجبارا ظالما وأمه ولادة بنت العباس بن جزء العبسي نقش خاتمه ربي الله لا اشرك به شيئا قال الحافظ ابن

ويختلفون أيضا فى الاسماء أشد من اختلافهم فى العدد فحيث رأيت الامر كذلك لم اعرج على ذكر شئ منه ومنهم من يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى نسبه حديثا يصله باسمعيل ولا يصح فى ذلك الحديث

(ذكر الفواطم والعواتك)

وأما الفواطم اللاتى ولدن رسول الله صلى الله عليه وسلم فخمس قرشية وقيسيتان ويمانيتان أما القرشية فام ابيه عبد الله بن عبد المطلب فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم المخزومية وأما القيسيتان فأم عمرو بن عائذ بن فاطمة ابنة عبد الله بن رزاح بن ربيعة بن جحوش بن معاوية بن بكر بن هوازن وأمها فاطمة بنت الحرث بن بهثة بن سليم بن منصور واما اليمانيتان فأم قصى بن كلاب فاطمة بنت سعد بن سيل بن ازدشنوأة وام حبى بنت حليل بن حبشية بن كعب بن سلول وهى أم ولد قصى فاطمة بنت نصر بن عوف بن عمرو بن ربيعة بن حارثة الخزاعية وأما العواتك فاثنتا عشرة اثنتان من قريش وواحدة من بنى مخلد بن النضر وثلاث من سليم وعدويتان وهذلية وقضاعية واسدية فأما القرشيتان فأم امه آمنة بنت وهب برة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار وام برة أم حبيب بنت أسد بن عبد العزى وام اسد ريطة بنت كعب بن سعد بن تيم وأمه اميمة بنت عامر الخزاعية وامها عاتكة بنت هلال بن أهيب بن ضبة بن الحرث بن فهر وأم هلال هند بنت هلال بن عامر بن صعصعة وأم اهيب بن ضبة عاتكة بنت غالب بن فهر وأمها عاتكة بنت يخلد بن النضر بن كنانة وأما السلميات فأم هاشم بن عبد مناف عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان بن بهثة بن سليم بن منصور وأم عبد مناف عاتكة بنت هلال بن فالج والثالثة ام جدة لامه وهب وهى عاتكة بنت الاوقص بن مرة بن هلال (قلت) هكذا ذكر بعض العلماء عواتك سليم وجعل أم عبد مناف عاتكة بنت مرة وليس بشئ فان أم عبد مناف حبى بنت حليل الخزاعية وقال غيره أم هاشم عاتكة بنت مرة وأم مرة بن هلال عاتكة بنت جابر بن قنفذ بن مالك بن عوف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم وأم هلال بن فالج عاتكة بنت عصية بن خفاف بن امرئ القيس وأما العدويتان فمن جهة ابيه عبد الله فان أم عبد الله فاطمة بنت عمرو وأم فاطمة تخمر بنت عبد قصى وأمها هند بنت عبد الله بن الحرث ابن وابلة بن الظرب وأمها زينب بنت مالك بن ناصرة بن كعب الفهمية وأمها عاتكة بنت عامر ابن الظرب بن عمرو بن عباد بن بكر بن الحرث وهو عدوان بن عمرو بن قيس عيلان وأم مالك بن النضر عاتكة وهى عكرشة وهى الحصان بنت عدوان وأما الازدية فأم النضر بن كنانة بنت مرة بن أد اخت تميم وامها مارية من بنى ضبيعة بن ربيعة بن نزار وأمها عاتكة بنت الازد بن الغوث وقد ولدته هذه الازدية مرة اخرى من قبل غالب بن فهر فان ام غالب ليلى بنت الحرث بن تميم بن سعد بن هذيل وأمها سلمى بنت طابخة بن الياس بن مضر وامها عاتكة بنت الازد هذه وأما الهذلية فعاتكة بنت سعد بن سيل هى أم عبد الله بن رزام جد عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم لامه وعمرو جد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو أمه وأما القضاعية فأم كعب بن لؤى مارية بنت القين بن جسر بن شيع الله بن أسد بن وبرة وأمها وحشية بنت ربيعة بن حرام بن ضنة العذرية وامها عاتكة بنت رشدان بن قيس بن جهينة وأما الاسدية فأم كلاب بن مرة فهند

عساكر كان الوليد عند اهل الشام من أفضل خلفائهم كان يعطى اكياس الدراهم لتفرق على الصالحين وفرض للمجذومين وقال لا تسألوا الناس وأعطى كل مقعد خادما وكل اعمى قائدا وكان يرحم حملة القرآن ويقضى عنهم ديونهم وبنى الجامع الاموى بدمشق وهدم كنيسة يوحنا وزادها فيه وذلك فى ذى القعدة سنة ست وثمانين وذكر انه كان فى الجامع وهو يبنى اثنا عشر ألف مرخم وتوفى ولم يتم بناؤه فاتمه أخوه سليمان وكان جملة ما انفق على بنائه اربعمائة صندوق فى كل صندوق ثمانية وعشرون الف دينار وكان فيه ستمائة سلسلة ذهبا للقناديل وما زالت الى أيام عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فجعلها فى بيت المال وجعل عوضها صفرا وحديدا وبنى قبة الصخرة ببيت المقدس وبنى المسجد النبوى ووسعه حتى دخلت الحجرة الشريفة فيه وله آثار حسنة جدا ومع ذلك فقد روى ان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قال لما الحدت الوليد اذا هو يضطرب الارض برجله وغلت يداه الى عنقه

بنت سرير بن ثعلبة بن الحرث بن مالك بن كلاب وأمها عاتكة بنت دودان بن أسد بن خزيمة
(وعايذ بن عمران بالياء المثناة من تحتها والذال المعجمة وسعد بن سهيل بفتح السين المهملة والياء
المثناة من تحتها المفتوحة وحبي بضم الحاء المهملة وبالياء المثناة من تحتها وتشديد الياء المثناة
وحليل بضم الحاء المهملة وبالياء المثناة من تحتها وجسر بفتح الجيم وتسكين السين المهملة
وحارثة بالحاء المهملة والثاء المثلثة ووابلة بن القطريب بالياء المثناة من تحتها وضبة بن الحرث
بالضاد المعجمة المفتوحة والباء المشددة الموحدة وشيع اللات بالشين المعجمة المفتوحة والياء
المثناة من تحتها الساكنة وحرام بفتح الحاء المهملة والراء المهملة وضنة العذرية بكسر الضاد
المعجمة والنون المشددة وعصية بالعين المهملة المضمومة وفتح الصاد والياء المثناة من تحتها)

(عدنا الى ذكر النبي) توفي عبد المطلب بعد الفيل بثمان سنين وأوصى أبا طالب برسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أبو طالب هو الذي قام بأمر النبي صلى الله عليه وسلم بعد جده ثم ان أبا طالب خرج الى الشام فلما اراد المسير لزمه رسول الله صلى الله عليه وسلم فرق له وأخذ معه ولرسول الله صلى الله عليه وسلم تسع سنين فلما نزل الركب بصرى من أرض الشام وبها راهب يقال له بحيرا في صومعة له وكان ذا علم في النصرانية ولم يزل بتلك الصومعة راهب يصير اليه علمهم وبها كتاب يتوارثونه فلما رآهم بحيرا صنع لهم طعاما كثيرا وذلك لانه رأى على رأس رسول الله غمامة تظله من بين القوم ثم أقبلوا حتى نزلوا في ظل شجرة قريبا منه فنظر الى الشجرة وقد هصرت اغصانها حتى استظل بها فنزل اليهم من صومعته ودعاهم فلما رأى بحيرا رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل يلحظه لحظا شديدا وينظر الى اشياء من جسده كان يجدها من صفته فلما فرغ القوم من الطعام وتفرقوا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن أشياء من حاله في يقظته ونومه فوجدها بحيرا موافقة لما عنده من صفته ثم نظر الى خاتم النبوة بين كتفيه ثم قال بحيرا لعمه أبي طالب ما هذا الغلام منك قال ابني قال ما ينبغي ان يكون أبوه حيا قال فانه ابن أخي مات أبوه وأمه حبلى به قال صدقت ارجع به الى بلدك واحذر عليه يهود فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه شرا فانه كائن له شان عظيم فخرج به عمه حتى أقدمه مكة وقيل بينا هو يقول لعمه في اعادته الى مكة ويخوفهم عليه من الروم اذ أقبل سبعة نفر من الروم فقال لهم بحيرا ما جاء بكم قالوا جئنا لان هذا النبي خارج في هذا الشهر فلم يبق طريق الا بعث اليها ناس وانا بعثنا الى طريقك قال ارأيتم امرا أراده الله هل يستطيع أحد من الناس رده قالوا لا وتابعوا بحيرا وأقاموا عنده وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هممت بشيء مما كان الجاهلية يعملونه غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبينه ثم ما هممت به حتى اكرمني برسالته قلت ليلة للغلام يرعى معي باعلى مكة لو ابصرت لي غنمي حتى أدخل مكة واسمر بها كما يسمر الشباب فقال افعل فخرجت حتى اذا كنت عند أول دار بمكة سمعت عزفا فقلت ما هذا فقالوا عرس فلان بفلانة فجلست اسمع فضرب الله على أذني فنمت فما ايقظني الا حر الشمس فعدت الى صاحبي فسألني فاخبرته ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك ودخلت مكة فأصابني مثل أول ليلة ثم ما هممت بعده بسوء

(ذكر نكاح النبي صلى الله عليه وسلم خديجة)

ونكح رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد وهو ابن خمس وعشرين سنة وخديجة

نسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة ونسأله خاتمة الخير *(وفي أيامه)* فتحت بلاد الاندلس وحملت اليه منها مائدة سليمان بن داود عليهما السلام وهي من خليطين ذهب وفضة وعليها ثلاثة اطواق من لؤلؤ وحمل له كل ما اخذتها من لؤلؤ وياقوت وزمرد سوى ما اختفى وهي مائة وثلاث عشر قطعة *(وفي ايامه)* كان طاعون الجارف مات في مدة قليلة ثلثمائة الف انسان وفيها مات الحجاج بواسط *توفي الوليد في خامس عشر جمادى الآخرة سنة ست وتسعين بدير مران وحمل على اعناق الرجال الى دمشق وصلى عليه عمر بن عبد العزيز ودفن بباب الصغير وكانت مدة خلافته تسع سنين وثمانية أشهر ونصفا وقد بلغ من العمر تسعة واربعين عاما وخلف اربعة عشر ولدا

(الفصل السابع في ذكر خلافة سليمان بن عبد الملك)

بويع له بالخلافة وهو بالرملة بعد موت اخيه الوليد بثلاثة ايام ثم توجه الى دمشق وكان كبير

يومئذ ابنة أربعين سنة وسبب ذلك ان خديجة بنت خويلد بن سعد بن عبد العزى بن قصى كانت امرأة تاجرة ذات شرف ومال تستأجر الرجال فى مالها وتضاربهم اياه بشئ تجعله لهم منه وكانت قريش تجارا فلما بلغها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الحديث وعظم الامانة وكرم الاخلاق أرسلت اليه ليخرج فى مالها الى الشام تاجرا وتعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره مع غلامها ميسرة فاجابها وخرج معه ميسرة حتى قدم الشام فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ظل شجرة قريبا من صومعة راهب فاطلع الراهب رأسه الى ميسرة فقال من هذا فقال ميسرة هذا رجل من قريش فقال الراهب ما نزل تحت هذه الشجرة الا نبى ثم باع رسول الله صلى الله عليه وسلم واشترى وعاد فكان ميسرة اذا كانت الهاجرة يرى ملكين يظلانه من الشمس وهو على بعيره فلما قدم مكة ربحت خديجة ربحا كثيرا وحدثها ميسرة عن قول الراهب وما رأى من اظلال الملكين اياه وكانت خديجة امرأة حازمة عاقلة شريفة مع ما اراده الله من كرامتها فأرسلت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرضت عليه نفسها وكانت أوسط نساء قريش نسبا واكثرهن مالا وشرفا وكل قومها كان حريصا على ذلك منها لو يقدر عليه فلما أرسلت الى النبى صلى الله عليه وسلم قال لاعمامه وخرج ومعه حمزة بن عبد المطلب وأبو طالب وغيرهما من عمومته حتى دخل على خويلد بن أسد فخطبها اليه فتزوجها فولدت له أولاده كلهم الا ابراهيم زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة والقاسم وبه كان يكنى وعبد الله والطاهر والطيب وقيل ان عبد الله ولد فى الاسلام هو والطاهر والطيب فأما القاسم والطاهر والطيب فهلكوا فى الجاهلية وأما بناته فكلهن ادركن الاسلام فاسلمن وهاجرن معه وقيل ان الذى زوجها عمها عمرو بن أسد وان اباها مات قبل الفجار قال الواقدى وهو الصحيح لان أباها توفى قبل الفجار وكان منزل خديجة يومئذ المنزل الذى يعرف بها اليوم فيقال ان معاوية اشتراه وجعله مسجدا يصلى فيه وكان الرسول بين خديجة وبين النبى صلى الله عليه وسلم نفيسة بنت منية اخت يعلى بن منية واسلمت يوم الفتح فبرها رسول الله صلى الله عليه وسلم واكرمها (منية بالنون الساكنة والياء المثناة من تحتها)

(ذكر حلف الفضول)

قال ابن اسحق وكان نفر من جرهم وقطوراء يقال لهم الفضيل بن الحرث الجرهمى والفضيل بن وداعة القطورى والمفضل بن فضالة الجرهمى اجتمعوا فتحالفوا أن لا يقروا ببطن مكة ظالما وقالوا لا ينبغى الا ذلك لما عظم الله من حقها فقال عمرو بن عوف الجرهمى

ان الفضول تحالفوا وتعاقدوا * أن لا يقر ببطن مكة ظالم

امر عليه تعاهدوا وتواثقوا * فالجار والمعتر فيهم سالم

ثم درس ذلك فلم يبق الا ذكره فى قريش ثم ان قبائل من قريش تداعت الى ذلك الحلف فتحالفوا فى دار عبد الله بن جدعان لشرفه وسنه وكانوا بنى هاشم وبنى المطلب وبنى أسد بن عبد العزى وزهرة بن كلاب وتيم بن مرة فتحالفوا وتعاقدوا ان لا يجدوا بمكة مظلوما من أهلها او من غيرهم من سائر الناس الا قاموا معه وكانوا على ظالمه حتى ترد عليه مظلمته فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول وشهده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حين أرسله الله تعالى لقد شهدت مع

الوجه احمر مليحا مقرون الحاجبين ابيض مقصوص الشعر مهيبا وكان به عرج ومولده سنة ستين وأمه ام الوليد نقش خاتمه آمنت بالله وحده وهو من خيار ملوك بنى أمية وكان فصيحا مفوها مؤثرا للعدل محبا للغزو *(ومن محاسنه)* ان عمر ابن عبد العزيز كان له كالوزير وكان يمتثل أوامره فى الخير قال ابن سيرين يرحم الله سليمان افتتح خلافته باحيائه الصلاة فى مواقيتها واختتمها باستخلافه عمر بن عبد العزيز مع وجود أولاده وهو الذى كمل عمارة الجامع الاموى وجهز اخاه مسلمة بن عبد الملك الى غزو الروم فانتهى الى القسطنطينية فنازلها مدة كما سيأتى بيانه ولم يسكن بدار الامارة بباب الخضراء وكان داره موضع سقاية جيرون وكان من الاكلة المذكورين وكان يأكل كل يوم مائة رطل شامى وفى تاريخ نيسابور ان سليمان ابن عبد الملك اصطبح فى بعض الايام باربعين دجاجة مشوية واربعمائة بيضة واربع وثمانين كلوة بشحمها وثمانين جرذقة ثم أكل مع الناس فى السماط واكل

عرمتى حلفافى دار عبد الله بن جدعان ما احب ان لى به حمر النعم ولودعيت به فى الاسلام لاجبت قال وقال محمد بن ابراهيم بن الحرث التيمى كان بين الحسين بن على بن ابى طالب وبين الوليد بن عتبة بن أبى سفيان منازعة فى مال كان بينهما والوليد يومئذ أمير على المدينة لعمه معاوية فتحامل الوليد لسلطانه فقال له الحسين أقسم بالله لتنصفنى أو لآخذن سيفى ثم لاقومن فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لادعون بحلف الفضول فقال عبد الله بن الزبير وكان حاضرا وانا احلف بالله لودعا به لاجبته حتى ينصف من حقه اونموت وبلغ المسور بن مخرمة الزهرى فقال مثل ذلك وبلغ عبد الرحمن بن عثمان بن عبد الله التيمى فقال مثل ذلك فلما بلغ الوليد ذلك انصف الحسين من نفسه حتى رضى

•(ذكر هدم قريش الكعبة وبنائها)•

وفى سنة خمس وثلاثين من مولده صلى الله عليه وسلم هدمت قريش الكعبة وكان سبب هدمهم اياها انها كانت رضيمة فوق القامة فارادوا رفعها وتسقيفها وذلك ان نفرا من قريش وغيرهم سرقوا كنزها وفيه غزالان من ذهب وكانا فى بئر فى جوف الكعبة وكان امر غزالى الكعبة ان الله لما امر ابراهيم واسمعيل ببناء الكعبة ففعلا ذلك وقد تقدم ذكره واقام اسمعيل بمكة وكان يلى البيت حياته وبعده وليه ابنه نبت فلما مات نبت ولم يكثر ولد اسمعيل غلبت جرهم على ولاية البيت فكان أول من وليه منهم مضاض ثم وليه من بعده حتى بغت جرهم واستحلوا حرمة البيت فظلموا من دخل مكة حتى قيل ان اسافا ونائلة زنيا فى البيت فمسخا حجرين وكانت خزاعة قد اقامت بتهامة بعد تفرق أولاد عمرو بن عامر من اليمن فارسل الله على جرهم الرعاف أفناهم فاجتمعت خزاعة على اجلاء من بقى منهم ورئيس خزاعة عمرو بن ربيعة بن حارثة فاقتتلوا فلما احس عامر بن الحرث الجرهمى بالهزيمة خرج بغزالى الكعبة والحجر الاسود يلتمس التوبة وهو يقول

لاهم ان جرهما عبادكا * والناس طرف وهم تلادكا
* وهم قديما عمروا بلادكا *

فلم تقبل توبته فدفن غزالى الكعبة بئر زمزم وطمسها وخرج بمن بقى من جرهم الى أرض جهينة فجاءهم سيل فذهب بهم أجمعين وقال عمرو بن الحرث

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا أهلها فابادنا * صروف الليالى والجدود العواثر

وولى البيت بعد جرهم عمرو بن ربيعة وقيل وليه عمرو بن الحرث الغسانى ثم خزاعة بعده غير انه كان فى قبائل مضر ثلاث خلال الاجازة بالحج من عرفة وكان ذلك الى الغوث بن مر بن أد وهو صوفة والثانية الافاضة من جمع الى منى وكانت الى بنى زيد بن عدوان وآخر من ولى ذلك منهم أبو سيارة عميلة بن الاعزل بن خالد والثالثة النسىء للشهر والحرم فكان ذلك الى القلمس وهو حذيفة بن فقيم بن كنانة ثم الى بنيه من بعده ثم صار ذلك الى أبى ثمامة وهو جنادة بن عوف ابن قلع بن حذيفة وقام الاسلام وقد عادت الاشهر الحرم الى أصلها فابطل الله عزوجل النسىء ثم وليت البيت بعد خزاعة قريش وقد ذكرنا ذلك عند ذكر قصى بن كلاب ثم حفر عبد المطلب

فى مجلس واحد سبعين رمانة وخوخ فاوست دباجات ومكوكين زبيب طائفى •(وفى أيامه)• اصطنعوا الكانة فكان يصرف ليالى رمضان كل ليلة بثمانين رطل كانة وقيل كان سبب مرضه انه اكل اربعمائة بيضة وثمانمائة حبة تين واربعمائة كلوة بشحمها وعشرين دجاجة فخم وكان موته بالتخمة (ومما يحكى) من شجاعته ان رجلا دخل عليه فقال يا أمير المؤمنين انشدك الله والاذان فقال سليمان اما الله تعالى فقد عرفته فما الاذان قال قوله تعالى فاذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين فقال له سليمان ماظلامتك قال ضيعتى الفلانية غلبنى عليها عاملك فلان فنزل سليمان عن سريره ورفع البساط ووضع خده على الارض وقال والله لارفعت خدى عن الارض حتى يكتب له برد ضيعته فكتب الكتاب وهو واضع خده على الارض لما سمع كلام ربه الذى خلقه وخوله فى نعمه وخشى على نفسه من لعن الله تعالى وطرده رحمه الله وقيل انه خرج من الحمام يوم جمعة فلبس حلة

زمزم فأخرج الغزالين كما تقدم وكان الذي وجد الغزالان عنده دويك مولى لبني مليح بن خزاعة فقطعت قريش يده وكان فيمن اتهم في ذلك عامر بن الحرث بن نوفل وأبو هارب بن عزيز وأبو لهب بن عبد المطلب وكان البحر قذف بسفينة الى جدة لتاجر رومي فتحطمت فأخذوا خشبها فأعدوه لسقفها فتهيأ لهم بعض ما يصلحها وكانت حية تخرج من بئر الكعبة التي يطرح فيها ما يهدى لها كل يوم فتتشرف على جدار الكعبة وكان لا يدنو منها احد الا كشت وفتحت فاها فكانوا يهابونها فبينما هي يوما على جدار الكعبة اختطفها طائر فذهب بها فقالت قريش انا لنرجو ان يكون الله عز وجل قد رضي ما أردناه وكان ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن خمس وثلاثين سنة وبعد الفجار بخمس عشرة سنة فلما أرادوا هدمها قام ابو وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم فتناول حجرا من الكعبة فوثب من يده حتى رجع الى موضعه فقال يا معشر قريش لا تدخلوا في بنائها الا طيبا ولا تدخلوا فيه مهر بغي ولا ربا ولا مظلمة احد وقيل ان الوليد بن المغيرة قال هذا ثم ان الناس هابوا هدمها فقال الوليد بن المغيرة انا ابدؤكم به فأخذ المعول فهدم فتربص الناس به تلك الليلة وقالوا ننظر فان اصيب لم نهدم منها شيأ فأصبح الوليد سالما وغدا الى عمله فهدم والناس معه حتى انتهى الهدم الى الاساس ثم أفضوا الى حجارة خضر اخذ بعضها ببعض فادخل رجل من قريش عتلة بين حجرين منها ليقلع به احدهما فلما تحرك الحجر تحركت مكة بأسرها ثم جمعوا الحجارة لبنائها ثم بنوا حتى بلغ البنيان موضع الركن فأراد كل قبيلة رفعه الى موضعه حتى تحالفوا وتواعدوا للقتال فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دما ثم تعاقدوا هم وبنو عدي على الموت وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم فسموا لعقة الدم بذلك فمكثوا على ذلك أربع ليال ثم تشاوروا فقال أبو امية بن المغيرة وكان اسن قريش اجعلوا بينكم حكما أول من يدخل من باب المسجد يقضي بينكم فكان أول من دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قالوا هذا الامين قد رضينا به واخبروه الخبر فقال هلموا الى ثوبا فأتي به فأخذ الحجر الاسود فوضعه فيه ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا ففعلوا فلما بلغوا به موضعه وضعه بيده ثم بنى عليه

(ذكر الوقت الذي أرسل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم)

بعث الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم لعشرين سنة مضت من ملك كسرى ابرويز بن هرمز ابن انوشروان وكان على الحيرة اياس بن قبيصة الطائي عاملا للفرس على العرب قال ابن عباس من رواية حمزة وعكرمة عنه وانس بن مالك وعروة بن الزبير ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث وأنزل عليه الوحي وهو ابن أربعين سنة وقال ابن عباس من رواية عكرمة أيضا عنه وسعيد بن المسيب انه أنزل عليه صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وأربعين سنة وكان نزول الوحي عليه يوم الاثنين بلا خلاف واختلفوا في أي الاثانين كان ذلك فقال أبو قلابة الجرمي أنزل الفرقان على النبي صلى الله عليه وسلم لثمان عشرة ليلة خلت من رمضان وقال آخرون كان ذلك لتسع عشرة مضت من رمضان وكان صلى الله عليه وسلم قبل ان يظهر له جبريل يرى ويعاين آثارا من آثار من يريد الله اكرامه بفضله وكان من ذلك ما ذكرت من شق الملكين بطنه واستخراجهما ما في قلبه من الغل والدنس ومن ذلك انه كان لا يمر بحجر ولا شجر الا سلم عليه فكان يلتفت يمنا

خضراء ثم نظر في المرآة وكان جميلا فأعجبه جماله فشمر عن ذراعيه وقال كان فينا محمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا وكان أبو بكر صديقا وكان عمر فاروقا وكان عثمان حييا وكان علي شجاعا وكان معاوية حليما وكان يزيد صبورا وكان عبد الملك سائسا وكان الوليد جبارا فأنا الملك الشاب ثم خرج الى صلاة الجمعة فوجد حظية له في صحن الدار فأنشدته هذه الابيات

انت نعم المتاع لو كنت تبقى
غير ان لا بقاء للانسان
ليس فيما بدا لنا منك عيب
عابه الناس غير انك فاني

فقال انا لله وانا اليه راجعون نعيت الى نفسي فما دارت عليه جمعة أخرى حتى مات فلما مرض قال لرجاء ابن حيوة من لهذا الامر بعدي قال فمن ترى قال ارى ان تستخلف عمر بن عبد العزيز قال اتخوف من اخوتي ولا يرضون قال فول عمر ومن بعده أخاك يزيد بن عبد الملك واكتب كتابا واختم عليه وادعهم الى البيعة فليبايعوا على ما فيه مختوما فخرج وأخبر الناس فقالوا لا نبايع حتى

وثمالا فلا يرى أحدا وكانت الامم تتحدث ببعثه وتخبر علماء كل أمة قومها بذلك قال عامر بن ربيعة سمعت زيد بن عمرو بن نفيل يقول انا انتظر نبيا من ولد اسمعيل ثم من بنى عبد المطلب ولا أرانى ادركه وأنا اومن به وأصدقه واشهد انه نبي فان طالت بك حياة ورأيته فاقرأه منى السلام وسأخبرك ما نعته حتى لا يخفى عليك قلت هلم قال هو رجل ليس بالطويل ولا بالقصير ولا بكثير الشعر ولا بقليله ولا تفارق عينيه حمرة وخاتم النبوة بين كتفيه واسمه أحمد وهذا البلد مولده ومبعثه ثم يخرجه قومه ويكرهون ما جاء به ويهاجر الى يثرب فيظهر بها أمره فاياك ان تخدع عنه فانى طفت البلاد كلها اطلب دين ابراهيم فكل من اسأله من اليهود والنصارى والمجوس يقول هذا الدين وراءك وينعتونه مثل ما نعته لك ويقولون لم يبق نبي غيره قال عامر فلما اسلمت أخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول زيد واقرأته السلام فرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وترحم عليه وقال قد رأيته فى الجنة يسحب ذيولا وقال جبير بن مطعم كنا جلوسا عند صنم ببوانة قبل ان يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بشهر نحرنا جزورا فاذا صائح يصيح من جوف الصنم اسمعوا الى العجب (٢) ذهب استراق الوحى ونرمى بالشهب لنبي بمكة اسمه أحمد مهاجره الى يثرب قال فأمسكنا وعجبنا وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والاخبار عن دلائل نبوته كثيرة وقد صنف العلماء فى ذلك كتبا كثيرة ذكروا فيها كل عجيبة ليس هذا موضع ذكرها

(ذكر ابتداء الوحى الى النبى صلى الله عليه وسلم)

قالت عائشة رضى الله عنها كان أول ما ابتدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصادقة كانت تجيء مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلاء فكان بغار حراء يتعبد فيه الليالى ذوات العدد ثم يرجع الى أهله فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق فاتاه جبريل فقال يا محمد انت رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فجثوت لركبتى ثم رجعت ترجف بوادرى فدخلت على خديجة فقلت زملونى زملونى ثم ذهب عنى الروع ثم أتانى فقال يا محمد أنت رسول الله قال فلقد هممت ان أطرح نفسى من حالق فتبدى لى حين هممت بذلك فقال يا محمد أنا جبريل وانت رسول الله قال اقرأ قلت وما اقرأ قال فاخذنى فغتنى ثلاث مرات حتى بلغ منى الجهد ثم قال اقرأ باسم ربك الذى خلق فقرأت فاتيت خديجة فقلت لقد اشفقت على نفسى وأخبرتها خبرى فقالت ابشر فوالله لا يخزيك الله أبدا فوالله انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتؤدى الامانة وتحمل الكل وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق ثم انطلقت بى الى ورقة بن نوفل وهو ابن عمها وكان قد تنصر وقرأ الكتب وسمع من أهل التوراة والانجيل فقالت اسمع من ابن أخيك فسألنى فاخبرته خبرى فقال هذا الناموس الذى أنزل على موسى بن عمران ليتنى كنت حيا حين يخرجك قومك قلت أمخرجى هم قال نعم انه لم يجئ احد بمثل ما جئت به الا عودى ولئن ادركنى يومك لانصرنك نصرا مؤزرا ثم ان أول ما نزل عليه من القرآن بعد اقرأ ن والقلم وما يسطرون ويا ايها المدثر والضحى وقالت خديجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما تثبته فيما اكرمه الله به من نبوته يا ابن عم انستطيع ان تخبرنى بصاحبك هذا الذى يأتيك اذا جاءك قال نعم فجاءه جبريل فاعلمها فقالت قم فاجلس على فخذى اليسرى فقام صلى الله عليه وسلم فجلس عليها فقالت هل تراه قال نعم قالت فتحول فاقعد على فخذى اليمنى فجلس عليها فقالت هل تراه قال نعم فتحسرت فالقت

خمارها

تعرفه فرجع اليه فاخبره فقال انطلق الى صاحب الشرطة والحرس فاجمع الناس ومرهم بالبيعة فمن أبى فاضرب عنقه ففعل فبايعوا فلما مات سليمان وفتح الكتاب فاذا فيه العهد لعمر بن عبد العزيز فتغيرت وجوه بنى أمية فلما سمعوا وبعده يزيد بن عبد الملك تراجعوا فأتوا عمر وسلموا عليه بالخلافة فلم يستطع النهوض قال ابن خلكان مات سليمان من التخمة كما مر وقيل انه مات بذات الجنب فى عاشر صفر سنة ثمان وتسعين بمرج دابق من أرض قنسرين وصلى عليه عمر بن عبد العزيز وقد بلغ خمسا وأربعين سنة وكانت مدة خلافته سنتين وخمسة أشهر وخمسة ايام وخلف أربعة عشر ولدا والله أعلم

(الفصل الثامن فى ذكر خلافة أمير المؤمنين عمر ابن عبد العزيز بن مروان)

الخليفة الصالح خامس الخلفاء الراشدين وامه ام عاصم بنت عمر بن الخطاب فعمر بن الخطاب جده من قبل أمه وهو تابعى جليل ومولده سنة احدى وستين

خمارها ورسول الله صلى الله عليه وسلم في حجرها ثم قالت هل تراه قال لا قالت يا ابن عم اثبت وأبشر فوالله انه ملك وما هو بشيطان وقال يحيى بن ابى كثير سألت اباسلمة عن أول ما نزل من القرآن قال نزلت يا أيها المدثر أول قال قلت انهم يقولون اقرأ باسم ربك قال سألت جابر بن عبد الله قال لا احدثك الا ما حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحراء فلما قضيت جواري هبطت فسمعت صوتا فنظرت عن يميني فلم أر شيأ ونظرت عن يساري فلم ار شيأ ونظرت خلفي وامامي فلم ار شيأ فرفعت رأسي فاذا هو يعني الملك جالس على عرش بين السماء والارض فخشيت منه فأتيت خديجة فقلت دثروني دثروني وصبوا على ماء ففعلوا فنزلت يا أيها المدثر هذا حديث صحيح قال هشام بن الكلبي أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم أول ما أتاه ليلة السبت وليلة الاحد ثم ظهر له برسالة الله يوم الاثنين فعلمه الوضوء والصلاة وعلمه اقرأ باسم ربك الذى خلق وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم اربعون سنة قال الزهري فتر الوحى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فترة فحزن حزنا شديدا وجعل يغدو الى رؤس الجبال ليتردى منها فكلما أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فيقول انك رسول الله حقا فيسكن لذلك جاشه وترجع نفسه فلما امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان ينذر قومه عذاب الله على ما هم عليه من عبادة الاصنام دون الله الذى خلقهم ورزقهم وان يحدث بنعمة ربه عليه وهي النبوة في قول ابن اسحق فكان يذكر ذلك سرا الى من يطمئن اليه من أهله فكان أول من آمن به وصدقه من خلق الله تعالى خديجة بنت خويلد زوجته قال الواقدي أجمع اصحابنا على ان أول اهل القبلة استجاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة ثم كان أول شيء فرض الله من شرائع الاسلام عليه بعد الاقرار بالتوحيد والبراءة من الاوثان الصلاة وان الصلاة لما فرضت عليه صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل وهو بأعلى مكة فهمز له بعقبه في ناحية الوادى فانفجرت فيه عين فتوضأ جبريل وهو ينظر اليه ليريه كيف الطهور للصلاة ثم توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله ثم قام جبريل فصلى به وصلى النبي صلى الله عليه وسلم بصلاته ثم انصرف وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خديجة فعلمها الوضوء ثم صلى بها فصلت بصلاته

(ذكر المعراج برسول الله صلى الله عليه وسلم)

اختلف الناس في وقت المعراج فقيل كان قبل الهجرة بثلاث سنين وقيل بسنة واحدة واختلفوا في الموضع الذى أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم منه فقيل كان نائما بالمسجد في الحجر فأسرى به منه وقيل كان نائما في بيت أم هانئ بنت أبي طالب وقائل هذا يقول الحرم كله مسجد وقد روى حديث المعارج جماعة من الصحابة بأسانيد صحيحة قالوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاني جبريل وميكائيل فقالا أيهم أمرنا فقالا امرنا بسيدهم ثم ذهبا ثم جاآ من القابلة وهم ثلاثة فالقوه وهو نائم فقلبوه لظهره وشقوا بطنه وجاؤا بماء زمزم فغسلوا ما كان في بطنه من غل وغيره وجاؤا بطست مملوء ايمانا وحكمة فملؤا قلبه وبطنه ايمانا وحكمة قال واخرجنى جبريل من المسجد واذا أنا بدابة وهي البراق وهي فوق الحمار ودون البغل ثم مثل البراق خطوه عند منتهى طرفه فقال اركب فلما وضعت يدى عليه تشامس واستصعب فقال جبريل يا براق ما ركبك نبي أكرم على الله من محمد فانصب عرقا وانخفض لى حتى ركبته وسار بي جبريل نحو

بقرية حلوان من اعمال مصر كان والده أميرا عليها وكان بوجهه شجة ضربته دابة في وجهه وهو غلام فجعل أبوه يمسح الدم عنه ويقول ان كنت اشج بني امية انك لسعيد وكان رضي الله عنه أبيض مليحا جميلا مهيبا نحيف الجسم حسن اللحية نقش خاتمه عمر يؤمن بالله مخلصا وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول يكون من ولدى رجل بوجهه شجة يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا وكان رضى الله عنه من أعظم الناس وأكيس الناس واجلهم في مشيته ولبسه فلما استخلف قومت ثيابه التى عليه فاذا هن يعدلن اثنى عشر درهما وكان عفيفا عابدا زاهدا ناسكا مؤمنا تقيا صالحا وهو الذى أزال ما كان بنو امية تذكر به عليا فانهم كانوا يسبون عليا من سنة احدى وأربعين الى أول سنة تسع وتسعين آخر ايام سليمان ابن عبد الملك فلما ولى عمر ابن عبد العزيز أبطل ذلك وكتب الى نوابه بابطاله في آخر الخطبة وان يقرأ قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل

المسجد الاقصى فأتيت باناءين احدهما لبن والآخر خمر فقيل لى اختر احدهما فأخذت اللبن فشربته فقيل لى أصبت الفطرة اما انك لو شربت الخمر لغوت امتك بعدك ثم سرنا فقال لى انزل فصل فنزلت فصليت فقال هذه طيبة واليها المهاجر ثم سرنا فقال لى انزل فصل فنزلت فصليت فقال هذا طور سيناء حيث كلم الله موسى ثم سرنا فقال انزل فصل فنزلت فصليت فقال هذا بيت لحم حيث ولد عيسى ثم سرنا حتى أتينا بيت المقدس فلما انتهينا الى باب المسجد أنزلنى جبريل وربط البراق بالحلقة التى كان يربط بها الانبياء فلما دخلت المسجد اذا أنا بالانبياء حوالى وقيل بارواح الانبياء الذين بعثهم الله قبلى فسلموا على فقلت يا جبريل من هؤلاء قال اخوانك من الانبياء زعمت قريش ان لله شريكا وزعمت النصارى ان لله ولدا اسأل هؤلاء النبيين هل كان لله عزوجل شريك أو ولد فذلك قوله تعالى واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون فأقروا بالوحدانية لله عزوجل ثم جمعهم جبريل وقدمنى فصليت بهم ركعتين ثم انطلق بى جبريل الى الصخرة فصعد بى عليها فاذا معراج الى السماء لا ينظر الناظرون الى شئ أحسن منه ومنه تعرج الملائكة أصله فى صخرة بيت المقدس ورأسه ملتصق بالسماء فاحتملنى جبريل ووضعنى على جناحه وصعد بى الى السماء الدنيا فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل قد بعث اليه قال نعم قيل مرحبا به ونعم المجئ جاء ففتح فدخلنا فاذا أنا برجل تام الخلقة عن يمينه باب يخرج منه ريح طيبة وعن شماله باب يخرج منه ريح خبيثة فاذا انظر الى الباب الذى عن يمينه ضحك واذا انظر الى الباب الذى عن يساره بكى فقلت من هذا وما هذان البابان فقال هذا أبوك آدم والباب الذى عن يمينه باب الجنة فاذا انظر الى من يدخلها من ذريته ضحك والباب الذى عن يساره باب جهنم اذا نظر الى من يدخلها من ذريته بكى وحزن ثم صعد بى الى السماء الثانية فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم قيل حياه الله مرحبا به ونعم المجئ جاء ففتح لنا فدخلنا فاذا بشابين فقلت يا جبريل من هذان فقال هذان عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا ثم صعد بى الى السماء الثالثة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم قيل مرحبا به ونعم المجئ جاء فدخلنا فاذا أنا برجل قد فضل الناس بالحسن قلت من هذا يا جبريل قال هذا أخوك يوسف ثم صعد بى الى السماء الرابعة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم قيل مرحبا به ونعم المجئ جاء فدخلنا فاذا أنا برجل فقلت من هذا قال ادريس رفعه الله مكانا عليا ثم صعد بى الى السماء الخامسة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم قيل مرحبا به ونعم المجئ جاء فدخلنا فاذا ارجل جالس وحوله قوم يقص عليهم قلت من هذا قال هذا هرون والذين حوله بنو اسرائيل ثم صعد بى الى السماء السادسة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم قيل مرحبا به ونعم المجئ جاء فدخلنا فاذا أنا برجل جالس فجاوزناه فبكى الرجل فقلت يا جبريل من هذا قال هذا موسى قلت فما باله يبكى قال يزعم بنو اسرائيل انى اكرم على الله من بنى آدم وهذا الرجل من بنى آدم قد خلفنى وراءه قال ثم صعد بى الى السماء السابعة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث

الآية وكتب الى عماله ان لا يقيد مسجون بقيد فانه يمنع من الصلاة وكتب الى عامله بالبصرة عدى بن ارطاة عليك باربع ليال فى السنة فان الله تعالى يفرغ فيها الرحمة افراغا وهى أول ليلة من شهر رجب وليلة النصف من شعبان وليلتا العيدين وكتب الى عماله اذا دعتكم قدرتكم على الناس الى ظلمهم فاذكروا قدرة الله عليكم ونفاذ ما تأتون اليهم وبقاء ما يأتى اليكم من العذاب بسببهم وذكر السيوطى فى تاريخ الخلفاء ان بعض عمال عمر بن عبد العزيز كتب اليه ان مدينتنا قد خربت فان رأى امير المؤمنين ان يقطع لنا مالا نرمها به فعل فكتب اليه عمر اذا قرأت كتابى هذا فحصنها بالعدل ونق طرقها من الظلم فانه مرمتها والسلام ذكر ان عمر بن عبد العزيز لما دفن سليمان بن عبد الملك وخرج من قبره سمع ضجة فقال ما هذه قيل له هذه مراكب الخلافة قدمت اليك يا أمير المؤمنين لتركبها فقال مالى ولها نحوها عنى وقربوا الى دابتى فقربت اليه فركبها

السماء قال نعم قيل مرحبا به ونعم المجيء جاء فدخلنا فاذا رجل اشمط جالس على كرسي على باب الجنة وحوله قوم بيض الوجوه امثال القراطيس وقوم في الوانهم شيء فقام الذين في الوانهم شيء فاغتسلوا في نهر وخرجوا وقد صارت وجوههم مثل وجوه أصحابهم فقلت من هذا قال أبوك ابراهيم وهؤلاء البيض الوجوه قوم لم يلبسوا ايمانهم بظلم وأما الذين في ألوانهم شيء فقوم خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ فتابوا فتاب الله عليهم واذا ابراهيم مستند الى بيت فقال هذا البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألفا من الملائكة لا يعودون اليه قال واخذني جبريل فانتهينا الى سدرة المنتهى واذا نبقها مثل قلال هجر يخرج من أصلها اربعة انهار نهران باطنان ونهران ظاهران فأما الباطنان ففي الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات قال وغشيها من نور الله ماغشيها وغشيها الملائكة كانهم جراد من ذهب من خشية الله وتحولت حتى مايستطيع أحد ان ينعتها وقام جبريل في وسطها فقال جبريل تقدم يامحمد فتقدمت وجبريل معي الى حجاب فأخذني ملك وتخلف عني جبريل فقلت الى أين فقال ومامنا الا له مقام معلوم وهذا منتهى الخلائق فلم أزل كذلك حتى وصلت الى العرش فاتضع كل شيء عند العرش وكل لساني من هيبة الرحمن ثم أنطق الله لساني فقلت التحيات المباركات والصلوات الطيبات لله وفرض الله علي وعلى أمتي في كل يوم وليلة خمسين صلاة ورجعت الى جبريل فأخذ بيدي وأدخلني الجنة فرأيت القصور من الدر والياقوت والزبرجد ورأيت نهرا يخرج من اصله ماء أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل يجري على رضراض من الدر والياقوت والمسك فقال هذا الكوثر الذي أعطاك ربك ثم عرض علي النار فنظرت الى اغلالها وسلاسلها وحياتها وعقاربها ومافيها من العذاب ثم اخرجني فانحدرنا حتى أتينا موسى فقال ماذا فرض عليك وعلى أمتك قلت خمسين صلاة قال فاني قد بلوت بني اسرائيل قبلك وعالجتهم أشد المعالجة على أقل من هذا فلم يفعلوا فارجع الى ربك فاسأله التخفيف فرجعت الى ربي وسألته فخفف عني عشرا فرجعت الى موسى فأخبرته فقال ارجع واسأله التخفيف فرجعت فخفف عني عشرا فلم أزل بين ربي وموسى حتى جعلها خمسا فقال ارجع فاسأله التخفيف فقلت اني قد استحييت من ربي وما انا براجع فنوديت اني قد فرضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة والخمس بخمسين وقد امضيت فريضتي وخففت عن عبادي ثم انحدرت أنا وجبريل الى مضجعي وكان كل ذلك في ليلة واحدة فلما رجع الى مكة علم ان الناس لايصدقونه فقعد في المسجد مغموما فمر به أبو جهل فقال له كالمستهزئ هل استفدت الليلة شيأ قال نعم أسري بي الليلة الى بيت المقدس قال ثم أصبحت بين ظهرانينا فقال نعم فخاف ان يخبر بذلك عنه فيجحده النبي فقال اتخبر قومك بذلك فقال نعم فقال أبو جهل يامعشر بني كعب بن لؤي هلموا فاقبلوا فحدثهم النبي صلى الله عليه وسلم فمن بين مصدق ومكذب ومصفق وواضع يده على رأسه وارتد الناس ممن كان آمن به وصدقه وسعى رجال من المشركين الى أبي بكر فقالوا ان صاحبك يزعم كذا وكذا فقال ان كان قال ذلك فقد صدق اني لاصدقه بما هو ابعد من ذلك أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة فسمي أبو بكر الصديق من يومئذ قالوا فانعت لنا المسجد الاقصى قال فذهبت أنعت حتى التبس علي قال فجيء بالمسجد واني أنظر اليه فجعلت انعته قالوا فأخبرنا عن عيرنا قال قد مررت على عير بني فلان بالروحاء وقد

فقال انما أنا رجل من المسلمين ثم سار مختلطا بالناس حتى دخل المسجد فصعد المنبر فحمد الله تعالى واثنى عليه ثم قال أيها الناس انه لا كتاب بعد القرآن ولا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم الا واني والله لست بقاض ولكني منفذ ولست بمبتدع ولكني متبع ولست بخير من أحدكم ولكني اثقلكم حملا واني ابتليت بهذا الامر من غير رأي مني فيه ولا طلبة ولا مشورة واني قد حللت اعناقكم من بيعتي فاختاروا لانفسكم غيري فصاح المسلمون صيحة واحدة قد اخترناك ياامير المؤمنين ثم قال أيها الناس من أطاع الله تعالى وجبت طاعته ومن عصى الله عز وجل فلا طاعة له أطيعوني ما اطعت الله فان عصيته فلا طاعة لي عليكم ثم نزل ودخل دار الخلافة فامر بالستور فهتكت وبالبسط فرفعت وأمر ببيع ذلك وادخال اثمانها في بيت المال ولم يسكن في دار الخلافة بباب الخضراء وسكن شمالي جامع دمشق بمكان يعرف اليوم بخانقاه الشميصاتية

أضلوا بعير الهم وهم في طلبه فأخذت قدحا فيه ماء فشربته فسلوهم عن ذلك ومررت بعير بني فلان وفلان فرأيت راكبا قاعدا بذي مر فنفر بكرهما مني فسقط فلان فانكسرت يده فسلوهما قال ومررت بعيركم بالتنعيم يقدمها جمل أورق عليه غرارتان مخيطتان تطلع عليكم من طلوع الشمس فخرجوا الى الثنية فجلسوا ينظرون طلوع الشمس ليكذبوه اذ قال قائل هذه الشمس قد طلعت فقال آخر والله هذه العير قد طلعت يقدمها بعير أورق كما قال فلم يفلحوا وقالوا ان هذا سحر مبين

(ذكر الاختلاف في أول من أسلم)

اختلف العلماء في أول من أسلم مع الاتفاق على ان خديجة أول خلق الله اسلاما فقال قوم أول ذكر آمن علي روي عن علي عليه السلام انه قال أنا عبد الله وأخو رسوله وأنا الصديق الاكبر لا يقولها بعدي الا كاذب مفتر صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الناس بسبع سنين وقال ابن عباس أول من صلى علي وقال جابر بن عبد الله بعث النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين وصلى علي يوم الثلاثاء وقال زيد بن أرقم أول من أسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم علي وقال عفيف الكندي كنت امرأ تاجرا فقدمت مكة أيام الحج فأتيت العباس فبينا نحن عنده اذ خرج رجل فقام تجاه الكعبة يصلي ثم خرجت امرأة تصلي معه ثم خرج غلام فقام يصلي معه فقلت يا عباس ما هذا الدين فقال هذا محمد بن عبد الله ابن أخي زعم ان الله أرسله وان كنوز كسرى وقيصر ستفتح عليه وهذه امرأته خديجة آمنت به وهذا الغلام علي بن أبي طالب آمن به وايم الله ما أعلم على ظهر الارض أحدا على هذا الدين الا هؤلاء الثلاثة قال عفيف ليتني كنت رابعا وقال محمد بن المنكدر وربيعة بن أبي عبد الرحمن وأبو حازم المدني والكلبي أول من أسلم علي قال الكلبي كان عمره تسع سنين وقيل احدى عشرة سنة وقال ابن اسحق أول من أسلم علي وعمره احدى عشرة سنة وكان من نعمة الله عليه ان قريشا أصابتهم أزمة شديدة وكان أبو طالب ذا عيال كثير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه العباس يا عم ان أبا طالب كثير العيال فانطلق بنا نخفف عن عيال أبي طالب فانطلقا اليه وأعلماه ما أرادا فقال أبو طالب ان تركتما لي عقيلا فاصنعا ما شئتما فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وأخذ العباس جعفرا فلم يزل علي عند النبي صلى الله عليه وسلم حتى أرسله الله فاتبعه وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا أراد الصلاة انطلق هو وعلي الى بعض الشعاب بمكة فيصليان ويعودان فعثر عليهما أبو طالب فقال يا ابن أخي ما هذا الدين قال دين الله ودين ملائكته ورسله ودين أبينا ابراهيم بعثني الله تعالى به الى العباد وأنت أحق من دعوته الى الهدى وأحق من أجابني قال لا أستطيع ان أفارق ديني ودين آبائي ولكن والله لا تخلص قريش اليك بشيء تكرهه ما حييت فلم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه قال وقال أبو طالب لعلي ما هذا الدين الذي أنت عليه قال يا أبت آمنت بالله وبرسوله وصليت معه فقال أما انه لا يدعونا الا الى الخير فالزمه وقيل أول من أسلم أبو بكر رضي الله عنه قال الشعبي سألت ابن عباس من أول من أسلم فقال أما سمعت قول حسان بن ثابت

اذا تذكرت شجوا من أخي ثقة * فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا

وهو مسكن الشالحين وقال لامرأته فاطمة بنت عبد الملك وكان عندها جوهر أمر لها به أبوها لم ير مثله اختاري اما ان تردي حليك الى بيت المال واما ان تأذني لي في فراقك فاني أكره ان أكون أنا وانت وهو في بيت واحد قالت لا بل أختارك عليه وعلى أضعافه فأمر به فحمل حتى وضع في بيت مال المسلمين فلما مات عمر واستخلف يزيد قال لفاطمة ان شئت رددت اليك حليك قالت لا والله لا أطيب به نفسا في حياته وارجع اليه بعد موته وعن فاطمة زوج عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه انها قالت والله ما اغتسل عمر عن جنابة ولا احتلام منذ ولي هذا الامر كان نهاره في اشغال الناس ورد المظالم وليله في عبادة ربه قال الشاعر في فاطمة بنت عبد الملك زوجة عمر بن عبد العزيز

بنت الخليفة والخليفة جدها * أخت الخلائف والخليفة زوجها

قال مسلمة بن عبد الملك دخلت على أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أعوده في مرضه

خير البرية أتقاها وأعدلها * بعد النبي وأوفاها بما حملا
والثاني التالي المحمود مشهده * وأول الناس قدما صدق الرسلا

وقال عمرو بن عبسة أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعكاظ فقلت يا رسول الله من تبعك على هذا الامر قال تبعني عليه حر وعبد أبو بكر وبلال فاسلمت عند ذلك فلقد رأيتني رابع الاسلام وكان أبو ذر يقول لقد رأيتني ربع الاسلام لم يسلم قبلي الا النبي وأبو بكر وبلال وقال ابراهيم النخعي ابو بكر أول من اسلم وقيل أول من اسلم زيد بن حارثة قال الزهري وسليمان بن يسار وعمران بن أبي أنس وعروة بن الزبير أول من اسلم زيد بن حارثة وكان هو وعلي يلزمان النبي صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم يخرج الى الكعبة اول النهار ويصلي صلاة الضحى وكانت قريش لا تنكرها وكان اذا صلى غيرها قعد علي وزيد بن حارثة يرصدانه وقال ابن اسحق أول ذكر اسلم بعد النبي علي وزيد بن حارثة ثم اسلم أبو بكر واظهر اسلامه وكان مألفا لقومه محببا فيهم وكان أعلمهم بانساب قريش وما كان فيها وكان تاجرا يجتمع اليه قومه فجعل يدعو من يثق به من قومه فأسلم على يديه عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله فجاء بهم الى النبي صلى الله عليه وسلم حين استجابوا له فاسلموا وصلوا وكان هؤلاء النفر هم الذين سبقوا الى الاسلام ثم تتابع الناس في الاسلام حتى فشا ذكر الاسلام بمكة وتحدث به الناس قال الواقدي وأسلم ابو ذر قالوا رابعا أو خامسا واسلم عمرو بن عبسة السلمي رابعا أو خامسا وقيل ان الزبير اسلم رابعا او خامسا واسلم خالد بن سعيد بن العاص خامسا وقال ابن اسحق أسلم هو وزوجته همينة بنت خلف بن اسعد بن عامر بن بياضة من خزاعة بعد جماعة كثيرة

(ذكر أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم باظهار دعوته)

ثم ان الله تعالى امر النبي صلى الله عليه وسلم بعد مبعثه بثلاث سنين ان يصدع بما يؤمر وكان قبل ذلك في السنين الثلاث مستترا بدعوته لا يظهرها الا لمن يثق به فكان أصحابه اذا أرادوا الصلاة ذهبوا الى الشعاب فاستخفوا فبينما سعد بن أبي وقاص وعمار وابن مسعود وخباب وسعيد بن زيد يصلون في شعب اطلع عليهم نفر من المشركين منهم أبو سفيان بن حرب والاخنس ابن شريق وغيرهما فسبوهم وعابوهم حتى قاتلوهم فضرب سعد رجلا من المشركين بلحي جمل فشجه فكان أول دم اريق في الاسلام في قول قال ابن عباس لما نزلت وأنذر عشيرتك الاقربين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فصعد على الصفا فهتف يا صباحاه فاجتمعوا اليه فقال يا بني فلان يا بني فلان يا بني عبد المطلب يا بني عبد مناف فاجتمعوا اليه فقال أرأيتكم لو أخبرتكم ان خيلا تخرج بسفح الجبل أكنتم مصدقي قالوا نعم ما جربنا عليك كذبا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تبا لك اما جمعتنا الا لهذا ثم قام فنزلت تبت يدا أبي لهب السورة وقال جعفر بن عبد الله بن أبي الحكم لما أنزل الله على رسوله وانذر عشيرتك الاقربين اشتد ذلك عليه وضاق به ذرعا فجلس في بيته كالمريض فأتته عماته يعدنه فقال ما اشتكيت شيأ ولكن الله أمرني ان أنذر عشيرتي الاقربين فقلن له فادعهم ولا تدع ابا لهب فيهم فانه غير مجيبك فدعاهم صلى الله عليه وسلم فحضروا ومعهم نفر من بني المطلب بن عبد مناف فكانوا خمسة

الذي مات فيه فاذا عليه قميص وسخ فقالت لفاطمة اغسلي ثوب أمير المؤمنين فان الناس يعودونه فقالت والله ماله قميص غيره قال مالك بن دينار لما ولي عمر بن عبد العزيز قالت رعاة الشاة من هذا الصالح الذي قام على الناس خليفة وعدل حتى كفت الذئاب عن شياهنا فلما مات علمت الرعاة بموته لجراءة الذئاب واعلم ان مناقب عمر بن عبد العزيز كثيرة جدا فمن أراد معرفة ذلك فعليه بسيرة العمرين والحلية وغيرهما ذكر ابن عساكر وغيره ان عمر ابن عبد العزيز رضي الله عنه كان شدد على أقاربه وانتزع كثيرا مما غصبوه فسقوه السم يروى انه دعا بخادمه الذي سمه فقال له ويحك ما الذي حملك على أن سقيتني السم قال ألف دينار قال هاتها فجاء بها فالقاها في بيت المال وقال اذهب حيث لا يراك أحد توفي رضي الله عنه لخمس بقين من شهر رجب سنة احدى ومائة وهو ابن تسع وثلاثين سنة وكانت مدة خلافته مدة خلافة أبي بكر وهي سنتان وخمسة أشهر ودفن بدير سمعان من

وأربعين رجلا فبادره أبو لهب وقال هؤلاء هم عمومتك وبنو عمك فتكلم ودع الصباة واعلم انه ليس لقومك بالعرب قاطبة طاقة وانا أحق من اخذك فحسبك بنو أبيك وان اقمت على ما انت عليه فهو ايسر عليهم من ان يثب بك بطون قريش وتمدهم العرب فما رأيت أحدا جاء على بني أبيه بشر مما جئتهم به فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتكلم في ذلك المجلس ثم دعاهم ثانية وقال الحمد لله احمده واستعينه وأومن به واتوكل عليه وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ثم قال ان الرائد لا يكذب أهله والله الذي لا اله الا هو انى رسول الله اليكم خاصة والى الناس عامة والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون وانها الجنة أبدا والنار أبدا فقال أبو طالب ما احب الينا معاونتك واقبلنا لنصيحتك وأشد تصديقنا لحديثك وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون وانما أنا احدهم غير انى أسرعهم الى ما تحب فامض لما امرت به فوالله لا ازال احوطك وامنعك غير ان نفسي لا تطاوعني على فراق دين عبد المطلب فقال أبو لهب هذه والله السوءة خذوا على يديه قبل ان يأخذ غيركم فقال ابو طالب والله لنمنعنه ما بقينا وقال على بن أبي طالب لما نزلت وأنذر عشيرتك الاقربين دعانى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا على ان الله أمرني ان انذر عشيرتى الاقربين فضقت ذرعا وعلمت انى متى اباديهم بهذا الامر أرى منهم ما اكره فصمت عليه حتى جاءني جبريل فقال يا محمد الا تفعل ما تؤمر به يعذبك ربك فاصنع لنا صاعا من طعام واجعل عليه رجل شاة واملأ لنا عسا من لبن واجمع لى بنى عبد المطلب حتى اكلمهم وابلغهم ما أمرت به ففعلت ما امرنى به ثم دعوتهم وهم يومئذ أربعون رجلا يزيدون رجلا أو ينقصونه فيهم اعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب فلما اجتمعوا اليه دعاني بالطعام الذى صنعته لهم فلما وضعته تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم حزة من اللحم فشقها باسنانه ثم القاها في نواحي الصحفة ثم قال خذوا باسم الله فأكل القوم حتى ما لهم بشئ من حاجة وما ارى الا مواضع أيديهم وايم الله الذى نفسي على بيده ان كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدمت لجميعهم ثم قال اسق القوم فجئتهم بذلك العس فشربوا منه حتى رووا جميعا وايم الله ان كان الرجل الواحد ليشرب مثله فلما اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكلمهم بدره أبو لهب الى الكلام فقال لهما سحركم به صاحبكم فتفرق القوم ولم يكلمهم صلى الله عليه وسلم فلما كان الغد قال يا على ان هذا الرجل سبقنى الى ما سمعت من القول فتفرقوا قبل ان اكلمهم فعد لنا من الطعام بمثل ما صنعت ثم اجمعهم الى ففعل مثل ما فعل بالامس فأكلوا وسقيتهم ذلك العس فشربوا حتى رووا جميعا وشبعوا ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا بنى عبد المطلب انى والله ما اعلم شابا في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتكم به قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرنى الله تعالى ان أدعوكم اليه فأيكم يوازرنى على هذا الامر على أن يكون أخى ووصيي وخليفتي فيكم فاحجم القوم عنها جميعا وقلت وانى لاحدثهم سنا وأرمصهم عينا واعظمهم بطنا واحمشهم ساقا انا يا نبي الله أكون وزيرك عليه فأخذ برقبتى ثم قال ان هذا أخى ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له واطيعوا قال فقام القوم يضحكون فيقولون لابى طالب قد أمرك ان تسمع لابنك وتطيع وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يصدع بما جاءه من عند الله وان يبادى الناس بأمره ويدعوهم الى الله فكان يدعو في اول ما نزلت عليه النبوة ثلاث

أعمال حمص وذكر الحافظ ابن عساكر انه رضى الله عنه لما وضع فى قبره بدير سمعان هبت ريح شديدة فسقطت منها صحيفة مكتوبة باحسن خط روى فيها بسم الله الرحمن الرحيم براءة من العزيز الجبار لعمر ابن عبد العزيز من النار فاخذوها ووضعوها فى قبره

(الفصل التاسع في ذكر خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان)

ولى الخلافة بعد موت ابن عمه عمر بن عبد العزيز بعهد من اخيه سليمان كما تقدم وكان أبيض جسيما مليح الوجه نقش خاتمه فنى السيئات يا عزيز ولد بدمشق سنة احدى وسبعين وامه عاتكة بنت يزيد قال سليم بن بشير كتب عمر بن عبد العزيز الى يزيد بن عبد الملك لما احتضر سلام عليك اما بعد فانى لا ارانى الا لمابى فالله الله فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم فانك تدع الدنيا لمن لا يحمدك وتفضى الى من لا يعذرك والسلام فلما ولى قال خذوا بسيرة عمر بن العزيز فسار بسيرته مدة فدخل عليه أربعون

سنين مستخفيا الى أن امر بالظهور للدعاء ثم صدع بأمر الله وبادى قومه بالاسلام فلم يبعد وامنه ولم يردوا عليه الا بعض الرد حتى ذكر آلهتهم وعابها فلما فعل ذلك أجمعوا على خلافه الا من عصمه الله منهم بالاسلام وهم قليل مستضعفون وحدب عليه عمه أبو طالب ومنعه وقام دونه ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر الله مظهرا لامره لا يرده شئ فلما رأت قريش انه صلى الله عليه وسلم لا يعتبهم من شئ يكرهونه وأن أباطالب قد قام دونه ولم يسلمه لهم مشى رجال من اشرافهم الى أبي طالب عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو البختري بن هشام والاسود بن المطلب والوليد بن المغيرة وأبو جهل بن هشام والعاص بن وائل ونبيه ومنبه ابنا الحجاج ومن مشى منهم فقالوا يا اباطالب ان ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا وسفه احلامنا وضلل آباءنا فاما ان تكفه عنا واما ان تخلى بيننا وبينه فانك على مثل مانحن عليه من خلافه فقال لهم ابو طالب قولا جميلا وردهم ردا رفيقا فانصرفوا عنه ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هو عليه ثم سرى الامر بينه وبينهم حتى تباعد الرجال فتضاغنوا واكثرت قريش ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وتذامروا فيه فمشوا الى أبي طالب مرة أخرى فقالوا يا اباطالب ان لك سنا وشرفا وانا قد اشتهينا أن تنهى ابن أخيك فلم تفعل وانا والله لانصبر على هذا من شتم آلهتنا وآبائنا وتسفيه احلامنا حتى تكفه عنا أو ننازله واياك فى ذلك حتى يهلك أحد الفريقين أو كما قالوا ثم انصرفوا عنه فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم له ولم تطب نفسه باسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وخذلانه وبعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلمه ماقالت قريش وقال له أبق على نفسك وعلى ولا تحملني من الامر مالا أطيق فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد بدا لعمه وأنه خاذله وقد ضعف عن نصرته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعماه لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى شمالى على ان أترك هذا الامر حتى يظهره الله أو اهلك فيه ماتركته ثم بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام فلما ولى ناداه أبو طالب فأقبل عليه وقال اذهب يا ابن أخى فقل ما احببت فوالله لا أسلمك لشئ أبدا فلما علمت قريش ان اباطالب لا يخذل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه يجمع لعداوتهم مشوا بعمارة بن الوليد فقالوا يا ابا طالب هذا عمارة بن الوليد فتى قريش واشعرهم واجملهم فخذه فلك عقله ونصرته فاتخذه ولدا وأسلم لنا ابن أخيك هذا الذى سفه احلامنا وخالف دينك ودين آبائك وفرق جماعة قومك فنقتله فانما رجل برجل فقال والله لبئس ماتسوموننى اتعطوننى ابنكم اغذوه لكم وأعطيكم ابنى تقتلونه هذا والله لا يكون أبدا فقال المطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف والله لقد انصفك قومك ومااراك تريد أن تقبل منهم فقال أبو طالب والله ما انصفونى ولكنك قد اجمعت خذلانى ومظاهرة القوم على فاصنع مابدالك فاشتد الامر عند ذلك وتنابذ القوم واشتدت قريش على من فى القبائل من الصحابة الذين اسلموا فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم ومنع الله رسوله بعمه ابى طالب وقام ابو طالب فى بنى هاشم فدعاهم الى منع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجابوا الى ذلك واجتمعوا اليه الا ما كان من ابى لهب فلما راى ابو طالب من قومه ماسره أقبل يمدحهم ويذكر فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم وقد مشت قريش الى ابى طالب عند موته وقالوا انت كبيرنا وسيدنا فأنصفنا من ابن

رسولا من مشايخ دمشق وحلفوا له ان ليس على الخلفاء حساب ولا عقاب فى الآخرة وخدعوه بذلك فانخدع لهم وكانت طائفة من جهال الشاميين يعتقدون ذلك * وذكر الحافظ بن عساكر وغيره ان يزيد بن عبد الملك كان قد اشترى فى أيام اخيه سليمان جارية باربعة آلاف دينار وكان اسمها حبابة فاحبها حبا شديدا فبلغ أخاه سليمان ذلك فقال هممت ان أحجر على يزيد فبلغ ذلك يزيد فباعها خوفا من أخيه فلما افضت الخلافة اليه قالت له زوجته يا أمير المؤمنين هل بقى فى نفسك من الدنيا شئ قال نعم فقالت وماهو قال حبابة فاشترتها وهو لا يعلم وزينتها واجلستها من وراء سترها ثم قالت ياأمير المؤمنين هل بقى فى نفسك من الدنيا شئ قال أوما أعلمتك انها حبابة فرفعت الستر وقالت له ها انت وحبابة وتركته واياها وحظيت عنده وغلبت على عقله ولم ينتفع به فى الخلافة وانه قال يوما ان بعض الناس يقولون انه لن يصفو لاحد من الملوك يوم واحد كاملا من الدهر وانى ازيد ان أكذبهم فى ذلك ثم اقبل

اخيك هذا فليكف عن شتم آلهتنا وندعه وإلهه فبعث إليه أبو طالب فلما دخل عليه قال له هؤلاء سروات قومك يسألونك أن تكف عن شتم آلهتهم ويدعوك وإلهك قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أي عم أولا أدعوهم إلى ما هو خير لهم منها كلمة يقولونها تدين لهم بها العرب ويملكون رقاب العجم فقال أبو جهل ما هي وأبيك لنعطينكها وعشر أمثالها قال تقولون لا إله إلا الله فنفروا وتفرقوا وقالوا سل غيرها فقال لو جئتموني بالشمس حتى تضعوها في يدي ما سألتكم غيرها قال فغضبوا وقاموا من عنده غضابا وقالوا والله لنشتمنك وإلهك الذي يأمرك بهذا وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إلى قوله إلا اختلاق وأقبل على عمه فقال قل كلمة أشهد لك بها يوم القيامة قال لولا أن تعيبكم بها العرب وتقول جزع من الموت لأعطيتكها ولكن على ملة الأشياخ فنزلت إنك لا تهدي من أحببت

(ذكر تعذيب المستضعفين من المسلمين)

وهم الذين سبقوا إلى الإسلام ولا عشائر لهم تمنعهم ولا قوة لهم يمتنعون بها فأما من كانت له عشيرة تمنعه فلم يصل الكفار إليه فلما رأوا امتناع من له عشيرة فوثب كل قبيلة على من فيها من مستضعفي المسلمين فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش ورمضاء مكة والنار ليفتنوهم عن دينهم فمنهم من يفتتن من شدة البلاء وقلبه مطمئن بالإيمان ومنهم من تصلب في دينه ويعصمه الله منهم فمنهم بلال بن رباح الحبشي مولى أبي بكر وكان أبوه من سبي الحبشة وأمه حمامة سبية أيضا وهو من مولدي السراة وكنيته أبو عبد الله فصار بلال لأمية بن خلف الجمحي فكان إذا حميت الشمس وقت الظهيرة يلقيه في الرمضاء على وجهه وظهره ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتلقى على صدره ويقول لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى فكان ورقة بن نوفل يمر به وهو يعذب وهو يقول أحد أحد فيقول أحد أحد والله يا بلال ثم يقول لأمية أحلف بالله لئن قتلتموه على هذا لأتخذنه حنانا فرآه أبو بكر يعذب فقال لأمية ابن خلف الجمحي ألا تتقي الله في هذا المسكين فقال أنت أفسدته فأنقذه فقال عندي غلام على دينك أسود أجلد من هذا أعطيكه به قال قبلت فأعطاه أبو بكر غلامه وأخذ بلالا فأعتقه فهاجر وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم عمار بن ياسر أبو اليقظان العنسي وهو بطن من مراد وعنس هذا بالنون أسلم هو وأبوه وأمه وأسلم قديما ورسول الله صلى الله عليه وسلم في دار الأرقم بن أبي الأرقم بعد بضعة وثلاثين رجلا أسلم هو وصهيب في يوم واحد وكان ياسر حليفا لبني مخزوم فكانوا يخرجون عمارا وأباه وأمه إلى الأبطح إذا حميت الرمضاء يعذبونهم بحر الرمضاء فمر بهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة فمات ياسر في العذاب وأغلظت امرأته سمية القول لأبي جهل فطعنها في قبلها بحربة في يده فماتت وهي أول شهيد في الإسلام وشددوا العذاب على عمار بالحر تارة وبوضع الصخر أحمر على صدره أخرى وبالتغريق أخرى فقالوا لا نتركك حتى تسب محمدا وتقول في اللات والعزى خيرا ففعل فتركوه فأتى النبي صلى الله عليه وسلم يبكي فقال ما وراءك قال شر يا رسول الله كان الأمر كذا وكذا قال فكيف تجد قلبك قال أجده مطمئنا بالإيمان فقال يا عمار إن عادوا فعد فأنزل الله تعالى إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان فشهد المشاهد كلها مع رسول الله وقتل بصفين مع علي

قلى لذاته واختلى مع حبابة وأمر أن يحتجب عن سمعه وبصره كل ما يكره فبينما هو على تلك الحالة في صفو عيشه وزيادة فرحه وسروره إذ تناولت حبابة رمانة وهي تضحك فغصت بها فماتت فاختل عقل يزيد وتكدر عيشه وذهب سروره ووجد عليها وجدا شديدا وتركها أياما لم يدفنها بل يقبلها ويرشفها حتى أنتنت وجيفت فأمر بدفنها ثم نبشها من قبرها ولم يعش بعدها سوى خمسة عشر يوما وكان مرضه بالسل وقال فيها

فإن تسل عنك النفس أو تدع الهوى
فباليأس تسلو عنك لا بالتجلد
وكل خليل زارني فهو قائل
من أجلك هذا هامة اليوم أو غد

توفي يزيد بن عبد الملك بإربد من أرض البلقاء وقيل بالجولان وحمل على أعناق الرجال إلى دمشق ودفن بين باب الجابية وباب الصغير وقيل مات بأذرعات ودفن فيها وذلك لخمس بقين من شعبان سنة خمس ومائة وله تسع وعشرون سنة وكانت خلافته أربع سنين وشهرا

(الفصل العاشر في ذكر خلافة هشام بن عبد الملك)

وقد

وقدجاوز التسعين قبل بثلاث وقيل باربع سنين * ومنهم خباب بن الارت كان ابوه سواديا من كسكر فسباه قوم من ربيعة وحملوه الى مكة فباعوه من سباع بن عبد العزى الخزاعى حليف بنى زهرة وسباع هو الذى بارزه حمزة يوم أحد وخباب تميمى وكان اسلامه قديما قيل سادس ستة قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الارقم فأخذه الكفار وعذبوه عذابا شديدا فكانوا يعرونه ويلصقون ظهره بالرمضاء ثم بالرضف وهى الحجارة المحماة بالنار ولووا رأسه فلم يجبهم الى شئ مما أرادوا منه وهاجر وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل الكوفة ومات سنة ست وثلاثين * ومنهم صهيب بن سنان الرومى ولم يكن روميا وانما نسب اليهم لانهم سبوه وباعوه وقيل لانه كان احمر اللون وهو من النمر بن قاسط كناه رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا يحيى قبل ان يولد له وكان ممن يعذب فى الله فعذب عذابا شديدا ولما أراد الهجرة منعته قريش فافتدى نفسه منهم بماله اجمع وجعله عمر بن الخطاب عند موته يصلى بالناس الى ان يستخلف بعض أهل الشورى وتوفى بالمدينة فى شوال من سنة ثمان وثلاثين وعمره سبعون سنة * وأما عامر بن فهيرة فهو مولى الطفيل بن عبد الله الازدى وكان الطفيل أخا عائشة لامها أم رومان أسلم قديما قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الارقم وكان من المستضعفين يعذب فى الله فلم يرجع عن دينه واشتراه أبو بكر واعتقه فكان يرعى غنما له وكان يروح بغنم أبى بكر الى النبى صلى الله عليه وسلم والى ابى بكر لما كانا فى الغار وهاجر معهما الى المدينة يخدمهما وشهد بدرا وأحدا واستشهد يوم بئر معونة وله اربعون سنة ولما طعن قال فزت ورب الكعبة ولم توجد جثته لتدفن مع القتلى فقيل ان الملائكة دفنته * ومنهم أبو فكيهة واسمه افلح وقيل يسار وكان عبدا لصفوان بن امية بن خلف الجمحى أسلم مع بلال فأخذه امية بن خلف وربط فى رجله حبلا وأمر به فجر ثم القاه فى الرمضاء ومر به جعل فقال له أمية أليس هذا ربك فقال الله ربى وربك ورب هذا فخنقه خنقا شديدا ومعه أخوه ابى بن خلف يقول زده عذابا حتى يأتى محمد فيخلصه بسحره ولم يزل على تلك الحال حتى ظنوا انه قد مات ثم افاق فمر به أبو بكر فاشتراه واعتقه وقيل ان بنى عبد الدار كانوا يعذبونه وانما كان مولى لهم وكانوا يضعون الصخرة على صدره حتى دلع لسانه فلم يرجع عن دينه وهاجر ومات قبل بدر * ومنهم لبينة جارية بنى مؤمل بن حبيب بن عدى بن كعب أسلمت قبل اسلام عمر بن الخطاب وكان عمر يعذبها حتى تفتر ثم يدعها ويقول انى لم ادعك الا سآمة فتقول كذلك يفعل الله بك ان لم تسلم فاشتراها ابو بكر فأعتقها * ومنهم زنيرة وكانت لبنى عدى وكان عمر يعذبها وقيل كانت لبنى مخزوم وكان ابو جهل يعذبها حتى عميت فقال لها ان اللات والعزى فعلا بك فقالت وما يدرى اللات والعزى من يعبدهما ولكن هذا أمر من السماء وربى قادر على رد بصرى فأصبحت من الغد وقد رد الله بصرها فقالت قريش هذا من سحر محمد فاشتراها ابو بكر فاعتقها (زنيرة بكسر الزاى وتشديد النون وتسكين الياء المثناة من تحتها وفتح الراء) * ومنهم النهدية مولاة لبنى نهد فصارت لامرأة من بنى عبد الدار فاسلمت وكانت تعذبها وتقول والله لا اقلعت عنك او يبتاعك بعض اصحاب محمد فابتاعها أبو بكر فأعتقها * ومنهم أم عبيس بالباء الموحدة وقيل عنيس بالنون وهى امة لبنى زهرة فكان الاسود بن عبد يغوث يعذبها فابتاعها أبو بكر

استخلف العهد من اخيه يزيد وكان بمدينة الرصافة على الفرات فسجد وسجد أصحابه لما بشر بها وسار الى دمشق وكان أبيض جميلا سمينا أحول يخضب بالسواد نقش خاتمه الحكم لله ولد سنة ست وسبعين وامه عائشة بنت هشام بن اسمعيل المخزومى وكان حازما عاقلا ذا رأى ودهاء وعزم وقلة شر وكانت داره عند سوق الخواصين مكان تربة نور الدين الشهيد *(وفى أيامه)* قحطت البادية فقدمت عليه العرب فهابوا أن يكلموه وكان فيهم درواس بن حبيب وهو ابن ست عشرة سنة له ذؤابة وعليه شملتان فوقعت عليه عين هشام فقال لحاجبه من اراد ان يدخل علىّ فليدخل فدخل حتى الصبيان فوثب درواس حتى وقف بين يديه مطرقا فقال يا أمير المؤمنين ان للكلام طيا ونشرا وانه لا يعرف ما فى طيه الا بنشره فان أذن لى أمير المؤمنين ان انشره نشرته فاعجبه كلامه وقال انشره لله درك فقال يا أمير المؤمنين انه أصابتنا سنون ثلاث سنة اذابت الشحم وسنة اكلت اللحم وسنة دقت العظم وفى أيديكم فضول

فأعتقها وكان ابو جهل يأتي الرجل الشريف ويقول له اتترك دين آبائك ودين ابيك وهو خير منك ويسفه رأيه ويضع شرفه وان كان تاجرا يقول ستكسد تجارتك ويهلك مالك وان كان ضعيفا اغرى به حتى يعذب

•(ذكر المستهزئين ومن كان اشد الاذى للنبي صلى الله عليه وسلم)•

وهم جماعة من قريش فمنهم عمه ابو لهب عبد العزى بن عبد المطلب كان شديدا عليه وعلى المسلمين عظيم التكذيب له دائم الاذى فكان يطرح العذرة والنتن على باب النبي صلى الله عليه وسلم وكان جاره فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أي جوار هذا يا بني عبد المطلب فرآه يوما حمزة فاخذ العذرة وطرحها على رأس ابي لهب فجعل ينفضها عن رأسه ويقول صابئ أحمق وأقصر عما كان يفعله لكنه يضع من يفعل ذلك ومات ابو لهب بمكة عند وصول الخبر بانهزام المشركين يوم بدر بمرض يعرف بالعدسة • ومنهم الاسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة وهو ابن خال النبي صلى الله عليه وسلم وكان من المستهزئين وكان اذا رأى فقراء المسلمين قال لاصحابه هؤلاء ملوك الارض الذين يرثون ملك كسرى وكان يقول للنبي صلى الله عليه وسلم اما كلمت اليوم من السماء يا محمد وما اشبه ذلك فخرج من اهله فأصابه السموم فاسود وجهه فلما عاد اليهم لم يعرفوه واغلقوا الباب دونه فرجع متحيرا حتى مات عطشا وقيل ان جبريل أومأ الى السماء فأصابته الآكلة فامتلأ قيحا فمات • ومنهم الحرث بن قيس بن عدي ابن سعد بن سهم السهمي كان أحد المستهزئين الذين يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن الغيطلة وهي أمه وكان يأخذ حجرا يعبده فاذا رأى احسن منه ترك الاول وعبد الثاني وكان يقول قد غر محمد اصحابه ووعدهم ان يحيوا بعد الموت والله ما يهلكنا الا الدهر وفيه نزلت أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأكل حوتا مملوحا فلم يزل يشرب الماء حتى مات وقيل أخذته الذبحة وقيل امتلأ رأسه قيحا فمات • ومنهم الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكان الوليد يكنى ابا عبد شمس وهو العدل لانه كان عدل قريش كلها لان قريشا كانت تكسو البيت جميعها وكان الوليد يكسوها وحده وهو الذي جمع قريشا وقال ان الناس يأتونكم أيام الحج فيسألونكم عن محمد فتختلف أقوالكم فيه فيقول هذا ساحر ويقول هذا كاهن ويقول هذا شاعر ويقول هذا مجنون وليس يشبه واحدا مما يقولون ولكن اصلح ما قيل فيه ساحر لانه يفرق بين المرء واخيه وزوجته ٢ وقال ابو جهل لان سب محمد آلهتنا لنسبن الهه فأنزل الله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم ومات بعد الهجرة بعد ثلاثة اشهر وهو ابن خمس وتسعين سنة ودفن بالحجون وكان مر برجل من خزاعة يريش نبلا له فوطئ على سهم منها فخدشه ثم أومأ جبريل الى ذلك الخدش بيده فانتقض ومات منه فأوصى الى بنيه ان يأخذوا ديته من خزاعة فأعطت خزاعة ديته • ومنهم امية وابي ابنا خلف وكانا على شر ما عليه احد من أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتكذيبه جاء أبي الى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم ففته في يده وقال زعمت ان ربك يحيي هذا العظم فنزلت قال من يحيي العظام وهي رميم وصنع عقبة بن أبي معيط طعاما ودعا اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا احضره حتى تشهد ان لا اله الا الله ففعل فقام معه فقال له امية بن خلف أملت كذا وكذا

٢ قوله وقال ابو جهل الى قوله بغير علم لا محل لذكره هنا وحقه ان يذكر بعد قوله فيما سيأتي ومنهم ابو جهل الخ

فقال

قال فان كانت لله ففرقوها على عباده وان كانت لهم فلا تحبسوها عنهم وان كانت لكم فتصدقوا بها عليهم فان الله يجزي المتصدقين فقال هشام ما ترك لنا الغلام في واحدة من الثلاث عذرا فأمر للبرادي بمائة ألف دينار وله بمائة ألف درهم ثم قال له ألك حاجة قال ما لي حاجة في حاجة نفسي دون عامة المسلمين وكان هشام لا يدخل بيت ماله مالا حتى يشهد أربعون رجلا انه أخذ من حقه ولقد أعطى لكل ذي حق حقه ويقال انه جمع من الاموال ما لم يجمعه خليفة قبله وذكر انه لما خرج الى الحج حملت ثيابه على ستمائة جمل فلما مات احتاطا الوليد بن يزيد على ما تركه فما غسل ولا كفن حتى أتن لما كان بينه وبين الوليد من المنافرة توفي بالرصافة ودفن بها وقد بلغ احدى وستين سنة وكانت خلافته تسع عشرة سنة وتسعة أشهر وخمسة أيام •(وفي أيامه)• توفي أبو محمد البطال الغازي في سنة سبع ومائة ودفن بمدينته الموسومة اليوم باسمه بالديار الرومية

(الفصل الحادي عشر في) ذكر خلافة الوليد بن يزيد

فقال انما قلت ذلك لطعام فنزلت ويوم يعض الظالم على يديه وقتل أمية يوم بدر كافرا قتله خبيب وبلال وقيل قتله رفاعة بن رافع الانصارى واما اخوه أبى فقتله رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد رماه بحربة فقتله * ومنهم أبو قيس بن الفاكه بن المغيرة وكان ممن يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعين اباجهل على اذاه قتله حمزة يوم بدر * ومنهم العاص بن وائل السهمى والد عمرو بن العاص وكان من المستهزئين وهو القائل لما مات ابراهيم ابن النبى صلى الله عليه وسلم ان محمدا أبتر لا يعيش له ولد ذكر فانزل ان شانئك هو الابتر فركب حمارا له فلما كان بشعب من شعاب مكة ربض به حماره فلدغ فى رجله فانتفخت حتى صارت كعنق البعير فمات منها بعد هجرة النبى صلى الله عليه وسلم ثانى شهر دخل المدينة وهو ابن خمس وثمانين سنة * ومنهم النضر ابن الحرث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار يكنى اباقائد وكان أشد قريش فى تكذيب النبى صلى الله عليه وسلم والاذى له ولاصحابه وكان ينظر فى كتب الفرس ويخالط اليهود والنصارى وسمع بذكر النبى صلى الله عليه وسلم وقرب مبعثه فقال ان جاءنا نذير لنكونن أهدى من احدى الامم فنزلت وأقسموا بالله جهد أيمانهم الآية وكان يقول انما يأتيكم محمد باساطير الاولين فنزل فيه عدة آيات اسره المقداد يوم بدر وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب عنقه فقتله على بن أبى طالب صبرا بالاثيل * ومنهم ابو جهل بن هشام المخزومى كان اشد الناس عداوة للنبى صلى الله عليه وسلم واكثرهم اذى له ولاصحابه واسمه عمرو وكنيته ابو الحكم واما ابو جهل فالمسلمون كنوه به وهو الذى قتل سمية أم عمار بن ياسر وافعاله مشهورة وقتل ببدر قتله ابناء عفراء واجهز عليه عبد الله بن مسعود * ومنهم نبيه ومنبه ابنا الحجاج السهميان وكانا على ما كان عليه أصحابهما من اذى رسول الله صلى الله عليه وسلم والطعن عليه وكانا يلقيانه فيقولان له اما وجد الله من يبعثه غيرك ان ههنا من هو أسن منك وايسر فقتل منبه قتله على بن أبى طالب ببدر وقتل أيضا العاص بن منبه بن الحجاج قتله ايضا على ببدر وهو صاحب ذى الفقار وقيل منبه بن الحجاج صاحبه وقيل نبيه (نبيه بضم النون وفتح الباء الموحدة) * ومنهم زهير بن ابى أمية اخو أم سلمة لابيها وأمها عاتكة بنت عبد المطلب وكان ممن يظهر تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرد ما جاء به ويطعن عليه الا انه ممن اعان على نقض الصحيفة واختلف فى موته فقيل سار الى بدر فمرض فمات وقيل اسر ببدر فاطلقه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما عاد مات بمكة وقيل حضر وقعة أحد فاصابه سهم فمات منه وقيل سار الى اليمن بعد الفتح فمات هنالك كافرا * ومنهم عقبة بن ابى معيط واسم أبى معيط ابان بن أبى عمرو بن أمية بن عبد شمس ويكنى أبا الوليد وكان من أشد الناس اذى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعداوة له وللمسلمين عمد الى مكتل فجعل فيه عذرة وجعله على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصر به طليب بن عمير بن وهب بن عبد مناف بن قصى وأمه اروى بنت عبد المطلب فاخذ المكتل منه وضرب به رأسه واخذ باذنيه فشكاه عقبة الى أمه فقال قد صار ابنك ينصر محمدا فقالت ومن أولى به منا أموالنا وانفسنا دون محمد وأسر عقبة ببدر فقتل صبرا قتله عاصم ابن ثابت الانصارى فلما أراد قتله قال يا محمد من للصبية قال النار قتل بالصفراء وقيل بعرق الظبية وصلب وهو أول مصلوب فى الاسلام * ومنهم الاسود بن المطلب بن اسد بن عبد العزى بن قصى

ابن عبد الملك بن مروان) * الخليفة الفاسق كان من أجمل الناس واحسنهم شكلا وأقواهم وأجودهم شعرا نقش خاتمه ياوليد احذر الموت ولد سنة تسعين وأمه بنت اخى الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفى بويع له بالخلافة يوم موت عمه هشام وكان فى البرية فسار من فوره الى دمشق وكان فاسقا شريبا للخمر منتهكا حرمات الله أراد الحج ليشرب فوق ظهر الكعبة نقل عنه انه دخل يوما فوجد ابنته جالسة مع مربيتها فبرك عليها وازال بكارتها فقالت له الداية هذا دين المجوس فأنشد

من راقب الناس مات غما
وفاز باللذة الجسور

وحكى الماوردى فى كتاب آداب الدين والدنيا انه تفاءل يوما فى المصحف فخرج له قوله عز وجل واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد فمزق المصحف ولا زال يضربه بالنشاب حتى خرقه ثم انشد

أتوعد كل جبار عنيد
فها انا ذاك جبار عنيد
اذا لاقيت ربك يوم حشر
فقل يارب مزقنى الوليد

وقد ورد فى مسند أحمد حديث ليكونن فى هذه الامة رجل يقال له الوليد هو أشد على هذه الامة من

وكان من المستهزئين ويكنى أبا زمعة وكان وأصحابه يتغامزون بالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ويقولون قد جاءكم ملوك الارض ومن يغلب على كنوز كسرى وقيصر ويصفرون به ويصفقون فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعمى ويثكل ولده فجلس في ظل شجرة فجعل جبريل يضرب وجهه وعينيه بورقة من ورقها ويشوكها حتى عمي وقيل أومأ الى عينيه فعمي فشغل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتل ابنه زمعة يبدر كافرا قتله أبو دجانة وقتل ابن ابنه عقيب قتله حمزة وعلى اشتركا في قتله وقتل ابن ابنه الحرث بن زمعة بن الاسود قتله علي وقيل هو الحرث بن الاسود والاول أصح وهو القائل

اتبكي ان يضل لها بعير * ويمنعها من النوم السهود

ومات والناس يتجهزون الى أحد وهو يحرض الكفار وهو مريض * ومنهم مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف يكنى أبا الريان وكان ممن يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويشتمه ويسمعه ويكذبه وأسر يوم بدر وقتل كافرا صبرا قتله حمزة * ومنهم مالك بن الطلاطلة بن عمرو بن غبشان من المستهزئين وكان سفيها فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار جبريل الى رأسه فامتلأ قيحا فمات * ومنهم ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب كان شديد العداوة أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن أخي بلغني عنك أمر ولست بكذاب فان صرعتني علمت انك صادق ولم يكن يصرعه أحد فصرعه النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات ودعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فقال لا أسلم حتى تدعو هذه الشجرة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبلي فأقبلت تخد الارض فقال ركانة ما رأيت سحرا أعظم من هذا مرها فلترجع فأمرها فعادت فقال هذا سحر عظيم هؤلاء أشد عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومن عداهم من رؤساء قريش كانوا أقل عداوة ومن هؤلاء كعتبة وشيبة وغيرهما وكان جماعة من قريش من أشد الناس عليه فأسلموا تركنا ذكرهم لذلك منهم أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وعبد الله بن أبي أمية المخزومي أخو أم سلمة لابيها وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو سفيان بن حرب والحكم بن أبي العاص والد مروان وغيرهم اسلموا يوم الفتح

(ذكر الهجرة الى أرض الحبشة)

ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصيب أصحابه من البلاء وما هو فيه من العافية بمكانه من الله عز وجل وعمه أبي طالب وانه لا يقدر على ان يمنعهم قال لو خرجتم الى أرض الحبشة فان بها ملكا لا يظلم أحد عنده حتى يجعل الله لكم فرجا ومخرجا مما أنتم فيه فخرج المسلمون الى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفروا الى الله بدينهم فكانت أول هجرة في الاسلام فخرج عثمان بن عفان وزوجته رقية ابنة النبي صلى الله عليه وسلم معه وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وامرأته معه سهلة بنت سهيل والزبير بن العوام وغيرهم تمام عشرة رجال وقيل أحد عشر رجلا وأربع نسوة وكان مسيرهم في رجب سنة خمس من النبوة وهي السنة الثانية من اظهار الدعوة فأقاموا شعبان وشهر رمضان وقدموا في شوال سنة خمس من النبوة وكان سبب قدومهم الى النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما رأى مباعدة قومه له شق عليه وتمنى ان

فرعون لقومه يقال انه واقع جارية له وهو سكران وجاءه المؤذن يؤذنه للصلاة فحلف أن لا يصلي بالناس الا هي فلبست ثيابه وتنكرت وصلت بالمسلمين وهي جنبة سكرانة وقيل انه اصطنع بركة من خمر وكان اذا طرب ألقى نفسه وشرب منها حتى يتبين النقص في اطرافها وذكر صاحب كوكب الملك انه ابتلي بثلاثة وثلاثين بلية أقلها انه كان يبول من سرته ولما كثر فسقه مقته الناس وخرجوا عليه قاطبة واجتمع أهل دمشق على خلعه وقتله وتولية ابن عمه يزيد الملقب بالناقص فاستدعوه من البادية وكان مقيما بها لوخم دمشق وكان الوليد الفاسق بناحية تدمر في الصيد فدخل يزيد الى دمشق ليلا واتفق مع الجند وحلفوا وجرى بينه وبين الوليد قتال شديد في آخره انهزم عنه الوليد وأصحابه فحاصروه في قصره ودخلوا اليه وقتلوه شر قتلة وصلبوا رأسه على أعلى سور قصره ثم دفن خارج باب الفراديس وقد بلغ تسعا وثلاثين سنة وكانت خلافته سنة وشهرين واثنين وعشرين يوما

*(الفصل الثاني عشر في

يأتيه الله بشئ يقاربهم به وحدث نفسه بذلك فأنزل الله والنجم اذا هوى فلما وصل الى قوله
أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ألقى الشيطان على لسانه لما كان تحدث به
نفسه تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى فلما سمعت ذلك قريش سرهم والمسلمون
مصدقون بذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتهمونه ولا يظنون به سهوا ولا خطأ فلما انتهى
الى سجدة سجد معه المسلمون والمشركون الا الوليد بن المغيرة فانه لم يطق السجود لكبره فأخذ
كفا من البطحاء فسجد عليها ثم تفرق الناس وبلغ الخبر من بالحبشة من المسلمين ان قريشا
أسلمت فعاد منهم قوم وتخلف قوم وأتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بما قرأ
فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وخاف فأنزل الله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول
ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فذهب عنه الحزن والخوف واشتدت قريش على
المسلمين فلما قرب المسلمون الذين كانوا بالحبشة من مكة بلغهم ان اسلام أهل مكة باطل فلم يدخل
أحد منهم الا بجوار أو مستخفيا فدخل عثمان في جوار أبي أحيحة سعيد بن العاص بن أمية
فأمن بذلك ودخل ابو حذيفة بن عتبة بجوار أبيه ودخل عثمان بن مظعون بجوار الوليد بن
المغيرة ثم قال اكون في ذمة مشرك جوار الله أعز فرد عليه جواره وكان لبيد بن ربيعة ينشد
قريشا قوله * الا كل شئ ما خلا الله باطل * فقال عثمان بن مظعون صدقت فلما قال
* وكل نعيم لا محالة زائل * قال كذبت نعيم الجنة لا يزول فقال لبيد يا معشر قريش ما كانت
مجالسكم هكذا ولا كان السفه من شأنكم فأخبروه خبره وخبر ذمته فقام بعض بني المغيرة
فلطم عين عثمان فضحك الوليد شماتة به حيث رد جواره وقال لعثمان ما كان أغناك عن
هذا فقال ان عيني الاخرى لمحتاجة الى ما نال لمثل هذا فقال له هل لك ان تعود الى جواري قال
لا أعود الى جوار غير الله فقام سعد بن أبي وقاص الى الذي لطم عين عثمان فكسر أنفه فكان
أول دم أريق في الاسلام في قول وأقام المسلمون بمكة يؤذون فلما رأوا ذلك رجعوا مهاجرين
الى الحبشة ثانيا فخرج جعفر بن أبي طالب وتتابع المسلمون الى الحبشة فكمل بها تمام اثنين
وثمانين رجلا والنبي صلى الله عليه وسلم مقيم بمكة يدعو الى الله سرا وجهرا فلما رأت قريش
انه لا سبيل لها اليه رموه بالسحر والكهانة والجنون وانه شاعر وجعلوا يصدون عنه من خافوا
ان يسمع قوله وكان أشد ما بلغوا منه ما ذكره عبد الله بن عمرو بن العاص قال حضرت قريش
يوما بالحجر فذكروا النبي صلى الله عليه وسلم وما نال منهم وصبرهم عليه فبينما هم كذلك اذ
طلع النبي صلى الله عليه وسلم ومشى حتى استلم الركن ثم مر بهم طائفا فغمزوه ببعض القول
فعرفت ذلك في وجهه ثم مضى فلما مر بهم الثانية غمزوه مثلها ثم الثالثة فقال أتسمعون يا معشر
قريش والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح قال فكأنما على رؤسهم الطير واقع حتى ان
أشدهم فيه ليرفؤه بأحسن ما يجد وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان
الغد اجتمعوا في الحجر فقال بعضهم لبعض ذكرتم ما بلغ منكم حتى اذا أتاكم بما تكرهون
تركتموه فبينما هم كذلك اذ طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوثبوا اليه وثبة رجل واحد
يقولون له انت الذي تقول كذا وكذا فيقول أنا الذي أقول ذلك فأخذ عقبة بن أبي معيط
بردائه وقام ابو بكر الصديق دونه يقول وهو يبكي ويلكم أتقتلون رجلا ان يقول ربي الله ثم

وثب على الخلافة بعد قتل ابن عمه الوليد لقب بالناقص لكونه نقص الجند من عطياتهم وقيل لنقصان كان في رجليه وكان مظهرا للنسك وقراءة القرآن وأخلاق عمر بن عبد العزيز وكان ذا دين وورع الا انه لم يمتع بالخلافة وادركته المنية نقش خاتمه يا يزيد قم بالحق تنصر ولد في الكعبة ولم يولد في الكعبة خليفة غيره وأمه ام ولد اسمها شاه فريد من بنات فيروز بن يزدجرد بن كسرى وأم فيروز بنت شيرويه وأم شيرويه بنت خاقان ملك الترك وأم ام فيروز بنت قيصر عظيم الروم فلهذا كان يفتخر يزيد ويقول
أنا ابن كسرى وأبي مروان
وقيصر جدي وجدي خاقان
قال الثعالبي هو أعرق الناس في الملك والخلافة من كل اطرافه مات بالطاعون من عامه في سابع ذي الحجة وكانت خلافته ستة اشهر فما اقامت مدته وكذا كل من كان سببا في قطع رزق لا تطول مدته وكان عمره خمسا وثلاثين سنة والله أعلم

(الفصل الثالث عشر في ذكر خلافة ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان)

بويع له يوم مات أخوه يزيد الناقص وذلك في ذي الحجة سنة ست وعشرين ومائة نقش خاتمه توكلت على الحي القيوم وأمه ام

انصرفوا عنه هذا اشد ما بلغت عنه

(ذكر ارسال قريش الى النجاشي في طلب المهاجرين)

ولما رأت قريش ان المهاجرين قد اطمأنوا بالحبشة وأمنوا وأن النجاشي قد أحسن صحبتهم ائتمروا بينهم فبعثوا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي أمية ومعهما هدية اليه والى اعيان اصحابه فسارا حتى وصلا الحبشة فحملا الى النجاشي هديته والى أصحابه هداياهم وقالا لهم ان ناسا من سفهائنا فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دين الملك وجاؤا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا انتم وقد أرسلنا اشراف قومهم الى الملك ليردهم اليه فاذا كلمنا الملك فيهم فاشيروا عليه بان يسلمهم معنا من غير ان يكلمهم وخافا ان يسمع النجاشي كلام المسلمين أن لا يسلمهم ثم سألا اصحاب النجاشي المساعدة على ما يريدان ثم انهما حضرا عند النجاشي فاعلماه ما قدمناه فأشار اصحابه بتسليم المسلمين اليهما فغضب من ذلك وقال لا والله لا اسلم قوما جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي حتى أدعوهم واسألهم عما يقول هذان فان كانا صادقين سلمتهم اليهما وان كانوا على غير ما يذكر هذان منعتهم وأحسنت جوارهم ثم أرسل النجاشي الى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فدعاهم فحضروا وقد أجمعوا على صدقه فيما ساءه وسره وكان المتكلم عنهم جعفر بن أبي طالب فقال لهم النجاشي ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا دين أحد من الملل فقال جعفر أيها الملك كنا أهل جاهلية نعبد الاصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الارحام ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف حتى بعث الله الينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وامانته وعفافه فدعانا الى توحيد الله وأن لا نشرك به شيأ ونخلع ما كنا نعبد من الاصنام وأمرنا بصدق الحديث واداء الامانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وامرنا بالصلاة والصيام وعدد عليه أمور الاسلام قال فآمنا به وصدقناه وحرمنا ما حرم علينا وحللنا ما أحل لنا فتعدى علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا الى الاوثان فلما قهرونا وظلمونا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا الى بلادك واخترناك على من سواك ورجونا ان لا نظلم عندك أيها الملك فقال النجاشي هل معك مما جاء به عن الله شيء قال نعم فقرأ عليه سطرا من كهيعص فبكى النجاشي واساقفته وقال النجاشي ان هذا والذي جاء به عيسى يخرج من مشكاة واحدة انطلقا والله لا أسلمهم اليكما أبدا فلما خرجا من عنده قال عمرو بن العاص والله لآتينه غدا بما يبيد خضراءهم فقال له عبد الله بن ابي امية وكان أتقى الرجلين لا تفعل فان لهم ارحاما فلما كان الغد قال للنجاشي ان هؤلاء يقولون في عيسى ابن مريم قولا عظيما فارسل النجاشي فسألهم عن قولهم في المسيح فقال جعفر نقول فيه الذي جاء به نبينا هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته القاها الى مريم العذراء البتول فأخذ النجاشي عودا من الارض وقال ما عدا عيسى ما قلت هذا العود فنخرت بطارقته فقال وان نخرتم وقال للمسلمين اذهبوا فانتم آمنون ما احب ان لي جبلا من ذهب واني آذيت رجلا منكم ورد هدية قريش وقال ما اخذ الله الرشوة مني حتى آخذها منكم ولا اطاع الناس في حتى أطيعهم فيه واقام المسلمون بخير دار وظهر ملك من الحبشة فنازع النجاشي في ملكه فعظم ذلك على المسلمين و

ولد يقال لها نعمة ولم يثبت له في الخلافة أمر فكان جمعة يسلم عليه بالخلافة وجمعة بالامارة وجمعة لا يسلم عليه لا بالخلافة ولا بالامارة وما زال مضطربة عليه الى ان خرج عليه مروان بن محمد وبويع له فهرب ابراهيم ثم جاء وخلع نفسه من الامر وسلمه الى مروان وبايع طائعا وعاش ابراهيم بعد ذلك الى سنة اثنتين وثلاثين ومائة وقتل فيمن قتل من بني أمية في وقعة السفاح ومكث في الخلافة سبعين ليلة

(الفصل الرابع عشر في ذكر خلافة مروان بن محمد الملقب بالحمار)

لقب بالحمار لانه كان يصبر على مكاره الحرب ولا ينثني لشجاعته ويقال في المثل فلان أصبر من حمار في الحروب ولد بالجزيرة وأبوه متوليها سنة اثنتين وسبعين وأمه ام ولد يقال لها لبابة الكردية وكان رجلا شجاعا مهيبا ذا هيبة أبيض ربعة أشهل ضخم الهامة كث اللحية نقش خاتمه اذكر الموت يا غافل (وفي ايامه) ظهر أبو مسلم الخراساني صاحب الدعوة وظهر السفاح بالكوفة فبويع له بالخلافة وجهز عمه عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس لقتال مروان فالتقى الجمعان بقرب الموصل واقتتلوا قتالا شديدا وأخذت دمشق على يد عبد الله بعد حصار وحروب وقتل جماعة عدة الوف من الامويين وغيرهم فانهزم مروان الى مصر

النجاشي

النجاشي اليه ليقاتله وأرسل المسلمون الزبير بن العوام ليأتيهم بخبره وهم يدعون له فاقتتلوا فظفر النجاشي فاستبشر المسلمون بذلك وسروا بظفره قيل ان معنى قوله ان الله لم يأخذ الرشوة مني ان أبا النجاشي لم يكن له ولد غيره وكان له عم قد أولد اثني عشر ولدا فقالت الحبشة لو قتلنا أبا النجاشي وملكنا أخاه فانه لا ولد له غير هذا الغلام وكان أخوه وأولاده يتوارثون الملك الدهر فقتلوا أباه وملكوا عمه ومكثوا على ذلك حينا وبقي النجاشي عند عمه وكان عاقلا فغلب على أمر عمه فخافت الحبشة ان يقتلهم جزاء لقتل أبيه فقالوا لعمه اما ان تقتل النجاشي واما ان تخرجه من بين أظهرنا فقد خفناه فأجابهم الى اخراجه من بلادهم على كره منه فخرجوا الى السوق فباعوه من تاجر بستمائة درهم فسار به التاجر في سفينته فلما جاء العشاء هاجت سحابة فأصابت عمه بصاعقة ففزعت الحبشة الى أولاده فاذاهم لا خير فيهم فمرج على الحبشة أمرهم فقال بعضهم والله لا يقيم أمركم الا النجاشي فان كان لكم بالحبشة رأى فادركوه فخرجوا في طلبه حتى أدركوه وملكوه وجاء التاجر وقال لهم اما ان تعطوني مالي واما ان أكلمه فقالوا كلمه فقال أيها الملك ابتعت غلاما بستمائة درهم ثم أخذوا الغلام والمال فقال النجاشي اما ان تعطوه دراهمه واما ان يضع الغلام يده في يده فليذهبن به حيث شاء فاعطوه دراهمه فهذا معنى قوله فكان ذلك أول ما علم من عدله ودينه قال ولما مات النجاشي كانوا لا يزالون يرون على قبره نورا

(ذكر اسلام حمزة بن عبد المطلب)

ثم ان أبا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس عند الصفا فآذاه وشتمه ونال منه وعاب دينه ومولاة لعبد الله بن جدعان في مسكن لها تسمع ذلك ثم انصرف عنه فجلس في نادى قريش عند الكعبة فلم يلبث حمزة بن عبد المطلب ان أقبل من قنصه متوشحا قوسه وكان اذا رجع لم يصل الى أهله حتى يطوف بالكعبة وكان يقف على اندية قريش ويسلم عليهم ويتحدث معهم وكان أعز قريش وأشدهم شكيمة فلما مر بالمولاة وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجع الى بيته فقالت له يا أبا عمارة لو رأيت مالقي ابن أخيك محمد من أبي الحكم بن هشام فانه سبه وآذاه ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد قال فاحتمل حمزة الغضب لما أراد الله به من كرامته فخرج سريعا لا يقف على أحد كما كان يصنع يريد الطواف بالكعبة معدا لابي جهل اذا لقيه ان يقع به حتى دخل المسجد فرآه جالسا في القوم فاقبل نحوه وضرب رأسه بالقوس فشجه شجة منكرة وقال اتشتمه وانا على دينه أقول ما يقول فاردد علي ان استطعت وقامت رجال بني مخزوم الى حمزة لينصروا أبا جهل فقال أبو جهل دعوا أبا عمارة فاني سببت ابن أخيه سبا قبيحا وتم حمزة على اسلامه فلما أسلم حمزة عرفت قريش ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عز وان حمزة سيمنعه فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه واجتمع يوما أصحابه فقالوا ما سمعت قريش القرآن يجهر لها به فمن رجل يسمعهموه فقال ابن مسعود انا فقالوا انخشى عليك انما نريد من له عشيرة يمنعونه قال ان الله سيمنعني فغدا عليهم في الضحى حتى أتى المقام وقريش في انديتها ثم رفع صوته وقرأ سورة الرحمن فلما علمت قريش انه يقرأ القرآن قاموا اليه يضربونه وهو يقرأ ثم انصرف الى أصحابه وقد أثروا بوجهه فقالوا هذا الذي خشينا عليك فقال ما كان أعداء الله أهون علي منهم اليوم ولئن شئتم لاغادينهم قالوا حسبك قد اسمعتهم ما يكرهون

وقتل من عسكره ما لا يحصى وتبعه عبد الله المذكور الى ان وصل الى نهر الاردن فلقي جماعة من بني أمية وكانوا نيفا وثمانين رجلا فقتلهم عن آخرهم ثم أمر عبد الله بسحبهم فسحبوا وبسط عليهم بسط وجلس هو واصحابه فوقهم واستدعى بالطعام فأكلوا وهم يسمعون انينهم من تحتهم فقال عبد الله اليوم كيوم الحسين رضي الله عنه ولا سواء وانهزم مروان حتى وصل الى بوصير وهي قرية عند الفيوم فقال ما اسم هذه القرية قيل بوصير فقال الى الله المصير ثم دخل كنيسة فبلغه ان خادما له نم عليه فامر به فقطع رأسه وسل لسانه والقي على الارض فجاءت هرة فأكلته ثم بعد ايام لحقه عامر بن اسمعيل المزني الذي كان على مقدمة صالح بن علي عم السفاح الذي جهزه بسبب قتله فهجم على الكنيسة فقاتل حتى قتل وقطع رأسه في ذلك المكان وسل لسانه والقي على الارض فجاءت تلك الهرة بعينها فأكلته فقال عامر لو لم يكن في الدنيا عجب الا هذا لكان كافيا وجلس عامر على فرش مروان وكان مروان يتعشى لما كبسوه فلما سمع

(ذكر اسلام عمر بن الخطاب)

ثم اسلم عمر بعد تسعة وثلاثين رجلا وثلاث وعشرين امرأة وقيل اسلم بعد اربعين رجلا واحدى عشرة امرأة وقيل اسلم بعد خمسة واربعين رجلا واحدى وعشرين امرأة وكان رجلا جلدا منيعا واسلم بعد هجرة المسلمين الى الحبشة وكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لا يقدرون يصلون عند الكعبة حتى أسلم عمر فلما أسلم قاتل قريشا حتى صلى عندها وصلى معه اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكان قد اسلم قبله حمزة بن عبد المطلب فقوى المسلمون بهما وعلموا انهما سيمنعان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين قالت ام عبد الله بنت أبي حثمة وكانت زوج عامر بن ربيعة انا لنرحل الى أرض الحبشة وقد ذهب عامر لبعض حاجته اذ أقبل عمر وهو على شركه حتى وقف علي وكنا نلقى منه البلاء اذى وشدة فقال انطلقون يا أم عبد الله قالت قلت نعم والله لنخرجن في ارض الله فقد آذيتمونا وقهرتمونا حتى يجعل الله لنا فرجا قالت فقال صحبكم الله ورأيت له رقة وحزنا قالت فلما عاد عامر اخبرته وقلت له لو رأيت عمر ورقته وحزنه علينا قال اطمعت في اسلامه قلت نعم فقال لا يسلم حتى يسلم حمار الخطاب لما كان يرى من غلظته وشدته على المسلمين فهداه الله تعالى فاسلم فصار على الكفار أشد منه على المسلمين وكان سبب اسلامه ان أخته فاطمة بنت الخطاب كانت تحت سعيد بن زيد بن عمرو العدوي وكانا مسلمين يخفيان اسلامهما من عمر وكان نعيم بن عبد الله النحام العدوي قد اسلم ايضا وهو يخفي اسلامه فرقا من قومه وكان خباب بن الارت يختلف الى فاطمة يقرئها القرآن فخرج عمر يوما ومعه سيفه يريد النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين وهم مجتمعون في دار الارقم عند الصفا وعنده من لم يهاجر من المسلمين في نحو أربعين رجلا فلقيه نعيم بن عبد الله فقال اين تريد يا عمر فقال اريد محمدا الذي فرق أمر قريش وعاب دينهم فاقتله فقال نعيم والله لقد غرتك نفسك أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الارض وقد قتلت محمدا أفلا ترجع الى أهلك فتقيم امرهم قال واي اهلي قال ختنك وابن عمك سعيد بن زيد واختك فاطمة فقد والله أسلما فرجع عمر اليهما وعندهما خباب بن الارت يقرئهما القرآن فلما سمعوا حس عمر تغيب خباب وأخذت فاطمة الصحيفة فالقتها تحت فخذيها وقد سمع عمر قراءة خباب فلما دخل قال ما هذه الهينمة قالا ما سمعت شيأ قال بلى قد أخبرت انكما تابعتما محمدا وبطش بختنه سعيد بن زيد فقامت اليه أخته لتكفه فضربها فشجها فلما فعل ذلك قالت له أخته قد اسلمنا وآمنا بالله ورسوله فاصنع ما شئت ولما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم وقال اعطيني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرؤن فيها الآن حتى أنظر الى ما جاء به محمد قالت انا نخشاك عليها فحلف انه يعيدها قالت وقد طمعت في اسلامه انك نجس على شركك ولا يمسها الا المطهرون فقام فاغتسل فاعطته الصحيفة وقرأها وفيها طه وكان كاتبا فلما قرأ بعضها قال ما احسن هذا الكلام واكرمه فلما سمع خباب خرج اليه وقال يا عمر اني والله لارجو ان يكون الله قد خصك بدعوة نبيه فاني سمعته امس وهو يقول اللهم ايد الاسلام بعمر بن الخطاب او بابي الحكم بن هشام فالله الله يا عمر فقال عمر عند ذلك فدلني يا خباب على محمد حتى آتيه فاسلم فدله خباب فاخذ سيفه وجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فضرب عليهم الباب فقام رجل منهم فنظر من الباب فرآه متوشحا سيفه فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم

ابو جعفر وثب من عماته فقتل بجلس عمر مكانه وأكل طعامه وتزوج ابنة مروان وكانت أحسن شأنه فقالت يا عامر ان دهرا ازال مروان عن فرشه والملك عليها حتى تعثبت بشأنه واستصبحت بمصباحه ونادمت ابنته لقد أبلغ في موعظتك واجمل في ايقاظك فاستحى عامر وصرفها وكان قتل مروان في سنة ثلاث وثلاثين ومائة وهو ابن ست وخمسين سنة وكانت خلافته خمس سنين وعشرة أشهر وسبعة ايام وهو آخر خلفاء بني أمية بالشام (القسم الثاني من خلفاء بني أمية الخلفاء الذين أقاموا بالمغرب) ولما انتقلت الخلافة الى بني العباس واكثروا في قتلهم فافترقوا في البلاد هرب عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الى المغرب فبايعه أهل الاندلس سنة تسع وثلاثين ومائة واقام واليا ثلاثا وثلاثين سنة واربعة أشهر وكان اصهب خفيف العارضين طويلا نحيفا أعور ودعى الناس الى نفسه فاجابوه واذعنوا له بالطاعة وتوفي في سنة احدى وسبعين ومائة وملك بعده ابنه

بذلك فقال حمزة ائذن له فان كان جاء يريد خيرا بذلناه له وان اراد شرا قتلناه بسيفه فاذن له فنهض اليه النبي صلى الله عليه وسلم حتى لقيه فاخذ بمجامع ردائه ثم جذبه جذبة شديدة وقال ما جاء بك ما ارى ان تنتهي حتى ينزل الله عليك قارعة فقال عمر يا رسول الله جئت لأومن بالله وبرسوله فكبر صلى الله عليه وسلم تكبيرة عرف من في البيت ان عمر اسلم فلما اسلم قال اي قريش انقل للحديث قيل جميل بن معمر الجمحي فجاءه فاخبره باسلامه فمشى الى المسجد وعمر وراءه وصرخ يا معشر قريش الا ان ابن الخطاب قد صبأ فيقول عمر من خلفه كذب ولكني اسلمت فقاموا فلم يزل يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس واعيي فقعد وهم على رأسه فقال افعلوا ما بدا لكم فلو كنا ثلثمائة نفر تركناها لكم او تركتموها لنا يعني مكة فبينما هم كذلك اذ أقبل شيخ عليه حلة فقال ما شأنكم قالوا صبأ عمر قال فمه رجل اختار لنفسه امرا فماذا تريدون اترون بني عدي يسلمون لكم صاحبهم هكذا خلوا عن الرجل وكان الرجل العاص بن وائل السهمي قال عمر لما اسلمت اتيت باب ابي جهل بن هشام فضربت عليه بابه فخرج الي وقال مرحبا يا ابن أخي ما جاء بك قلت جئت لاخبرك اني قد اسلمت وآمنت بمحمد صلى الله عليه وسلم وصدقت ما جاء به قال فضرب الباب في وجهي وقال قبحك الله وقبح ما جئت به وقيل في اسلامه غير هذا

(ذكر أمر الصحيفة)

ولما رأت قريش الاسلام يفشو ويزيد وان المسلمين قووا باسلام حمزة وعمر وعاد اليهم عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي أمية من النجاشي بما يكرهون من منع المسلمين عنهم وامنهم عنده ائتمروا في ان يكتبوا بينهم كتابا يتعاقدون فيه على ان لا ينكحوا بني هاشم وبني المطلب ولا ينكحوا اليهم ولا يبيعوهم ولا يبتاعوا منهم شيأ فكتبوا بذلك صحيفة وتعاهدوا على ذلك ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيدا لذلك الامر على أنفسهم فلما فعلت قريش ذلك انحازت بنو هاشم وبنو المطلب الى أبي طالب فدخلوا معه في شعبه واجتمعوا وخرج من بني هاشم أبو لهب بن عبد المطلب الى قريش فلقي هندا ابنة عتبة فقال كيف رأيت نصري اللات والعزى قالت لقد أحسنت فاقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثا حتى جهدوا لا يصل الى أحد منهم شيء الا سرا وذكروا ان أبا جهل لقي حكيم بن حزام بن خويلد ومعه قمح يريد به عمته خديجة وهي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب فتعلق به وقال والله لا تبرح حتى أفضحك فجاء أبو البختري بن هشام فقال مالك وله عنده طعام لعمته أفتمنعه ان يحمله اليها خل سبيله فابى أبو جهل فنال منه فضربه أبو البختري بلحي جمل فشجه ووطئه وطأ شديدا وحمزة ينظر اليهم وهم يكرهون ان يبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فيشمت بهم هو والمسلمون ورسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس سرا وجهرا والوحي متتابع اليه فبقوا كذلك ثلاث سنين وقام في نقض الصحيفة نفر من قريش وكان أحسنهم بلاء فيه هشام بن عمرو بن الحرث بن عمرو بن لؤي وهو ابن أخي نضلة بن هشام بن عبد مناف لامه وكان يأتي بالبعير قد أوقره طعاما ليلا ويستقبل به الشعب ويخلع خطامه فيدخل الشعب فلما رأى ما هم فيه وطول المدة عليهم مشى الى زهير بن ابي أمية بن المغيرة المخزومي اخي أم سلمة وكان شديد الغيرة على النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب فقال يا زهير أرضيت ان تأكل الطعام وتلبس

(هشام بن عبد الرحمن) وكانت مدة ملكه سبع سنين وسبعة أشهر وثمانية ايام وتوفي في سنة ثمانين ومائة واستخلف بعده ابنه (الحكم بن هشام) ولما ولي خرج عليه عماه سليمان وعبد الله وكان الظفر للحكم فقتل عمه سليمان وخاف عمه عبد الله فصالح وكانت مدة ملكه ستا وعشرين سنة وتوفي سنة ست ومائتين وخلف من الاولاد تسعة عشر ذكرا وقام بالملك بعده ابنه (عبد الرحمن بن الحكم) وفي أيامه خرجت المجوس في أقاصي بلاد الاندلس من البحر وجرى بينهم وبين المسلمين عدة وقائع حتى هزموا المجوس وأخذوا لهم اربعة مراكب بما فيها وهرب المجوس في بقية المراكب الى بلادهم وكان عبد الرحمن المذكور أسمر طويلا عظيم اللحية يخضب بالحناء وكانت مدة ولايته احدى وثلاثين سنة وثلاثة أشهر وخلف خمسة وأربعين ولدا ولما مات ملك بعده ابنه (محمد ابن عبد الرحمن) وكان فقيها فصيحا بليغا كثير الجهاد وقال ابن الجوزي هو صاحب رقعة وادي سليط التي لم يسمع بمثلها يقال قتل فيها من الكفرة ثلثمائة ألف وتوفي محمد المذكور سنة اثنين وسبعين ومائتين وعمره نحو خمس وستين سنة وكانت مدة ولايته أربعا وثلاثين سنة واحد عشر شهرا وخلف ثلاثة وثلاثين ذكرا ولما مات ولي بعده ابنه (المنذر بن محمد) وتوفي المنذر

الثياب وتنكح النساء وأخوالك حيث قد علمت أما إني أحلف بالله لو كان أخوال أبي الحكم
يعني أبا جهل ثم دعوته إلى مثل ما دعاك إليه ما أجابك أبدا فقال ويحك فماذا أصنع وإنما أنا رجل
والله لو كان معي رجل آخر لقمت في نقضها فقال قد وجدت رجلا قال ومن هو قال أنا قال زهير ابغنا
ثالثا فذهب إلى المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف فقال له أرضيت أن يهلك بطنان من بني
عبد مناف وأنت شاهد لذلك موافق فيه أما والله لئن أمكنتموهم من هذه لتجدنهم
منكم أسرع قال ما أصنع إنما أنا رجل واحد قال قد وجدت ثانيا قال من هو قال أنا قال ابغنا
ثالثا قال قد فعلت قال من هو قال زهير بن أبي أمية قال ابغنا رابعا فذهب إلى أبي
البختري بن هشام فقال له نحوا مما قال للمطعم قال وهل من أحد يعين على هذا قال نعم
قال من هو قال أنا وزهير والمطعم قال ابغنا خامسا فذهب إلى زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد
فكلمه وذكر له قرابتهم قال وهل على هذا الأمر معين قال نعم وسمى له القوم
الحجون التي بأعلى مكة فاجتمعوا هنالك وتعاهدوا على القيام في نقض الصحيفة وقال زهير أنا
أبدأكم فلما أصبحوا غدوا إلى أنديتهم وغدا زهير فطاف بالبيت ثم أقبل على الناس فقال يا أهل
مكة أنأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكى لا يبتاعون ولا يبتاع منهم والله لا أقعد حتى
تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة قال أبو جهل كذبت والله لا تشق قال زمعة بن
الأسود أنت والله أكذب ما رضينا كتابتها حين كتبت قال أبو البختري صدق زمعة لا نرضى
ما كتب فيها قال المطعم بن عدي صدقتما وكذب من قال غير ذلك وقال هشام بن عمرو نحوه
قال أبو جهل هذا أمر قضي بليل وأبو طالب في ناحية المسجد فقام المطعم إلى الصحيفة
ليشقها فوجد الأرضة قد أكلتها إلا ما كان باسمك اللهم كانت تفتتح بها كتبها وكان كاتب
الصحيفة منصور بن عكرمة فشلت يده وقيل كان سبب خروجهم من الشعب
ونصبت وعلقت بالكعبة اعتزل الناس بني هاشم وبني المطلب وأقام رسول الله صلى الله عليه
وسلم وأبو طالب ومن معهما بالشعب ثلاث سنين فأرسل الله الأرضة فأكلت ما فيها من
وقطيعة رحم وترك كل ما فيها من أسماء الله تعالى فجاء جبريل إلى النبي
فأعلمه بذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعمه أبي طالب وكان أ
من الشعب إلى الحرم فاجتمع الملأ من قريش وقال إن ابن أخي أخبرني أن الله
صحيفتكم الأرضة فأكلت ما فيها من قطيعة رحم وظلم وترك
فإن كان صادقا فاعلموا أنكم ظالمون لنا قاطعون لأرحامنا وإن كان كاذبا علمنا أنكم على
على باطل فقبلوا منه سراعا وأحضروها فوجدوا الأمر كما قاله رسول الله صلى
وقويت نفس أبي طالب واشتد صوته وقال قد تبين لكم أنكم أولى بالظلم والقطيعة فنكس
رؤوسهم ثم قالوا إنما تأتينا بالسحر والبهتان وقام أولئك النفر في نقضها كما ذكرنا وقال
في الصحيفة وأكل الأرضة ما فيها من ظلم وقطيعة رحم أبياتا منها

وقد كان في أمر الصحيفة عبرة ... متى ما يخبر غائب القوم يعجب

محا الله منهم كفرهم وعقوقهم ... وما نقموا من ناطق الحق معرب

فأصبح ما قالوا من الأمر باطلا ... ومن يختلق ما ليس بالحق يكذب

وتولى مكانه أخوه (عبد الله بن محمد) ٢٧٦ وكان [illegible] متصفا بالشجاعة ولما توفي كان عمره اثنتين وأربعين سنة ومدة
ولايته خمس سنين وأحد عشر شهرا وخلف أحد عشر ولدا وتولى مكانه أخوه (عبد الرحمن بن محمد) وهو أول من لقب بأمير المؤمنين من الأمويين بالأندلس وكانوا قبله يسمون بني الخلائف وكان أبيض أشهل حسن الوجه وكان يلقب بالناصر وكانت مدة ملكه خمسين سنة ونصف سنة وعمره ثلاث وسبعون سنة ولما توفي تولى مكانه ابنه (الحكم) وتلقب بالمستنصر وكان فقيها عالما بالتاريخ وغيره وكانت مدة ملكه خمس عشرة سنة وخمسة أشهر وعمره ثلاث وستون سنة وسبعة أشهر ولما مات عهد إلى ابنه (هشام بن الحكم) وعمره عشر سنين ولقبه المؤيد بالله فلما كبر اشتغل بالغزو حتى بلغت عدة غزواته نيفا وخمسين غزوة وكانت مدة ولايته نحو سبع وعشرين سنة فخرج عليه ابن عمه محمد بن هشام وقبض على هشام وحبسه في قرطبة واستولى على ملكه واستقر في الملك إلى أن خرج عليه سليمان بن الحكم فهرب محمد واستولى سليمان مكانه وفي سنة أربعمائة عاد محمد المهدي
إلى الملك وهرب سليمان ثم اجتمع كبار العسكر وقبضوا على محمد المهدي وأخرجوا هشام المؤيد من الحبس وأعادوه إلى (الملك)

(ذكر وفاة أبي طالب وخديجة وعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه على العرب)

توفي أبو طالب وخديجة قبل الهجرة بثلاث سنين وبعد خروجهم من الشعب فتوفي أبو طالب في شوال أو في ذي القعدة وعمره بضع وثمانون سنة وكانت خديجة ماتت قبله بخمسة وثلاثين يوما وقيل كان بينهما خمسة وخمسون يوما وقيل ثلاثة أيام فعظمت المصيبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بهلاكهما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نالت قريش مني شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب وذلك ان قريشا وصلوا من أذاه بعد موت أبي طالب الى مالم يكونوا يصلوا اليه في حياته حتى نثر بعضهم التراب على رأسه وحتى ان بعضهم يطرح عليه رحم الشاة وهو يصلي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج ذلك على العود ويقول أي جوار هذا يابني عبد مناف ثم يلقيه بالطريق فلما اشتد عليه الامر بعد موت أبي طالب خرج ومعه زيد بن حارثة الى ثقيف يلتمس منهم النصر فلما انتهى اليهم عمد الى ثلاثة نفر منهم وهم يومئذ سادة ثقيف وهم اخوة عبد ياليل ومسعود وحبيب بنو عمرو بن عمير فدعاهم الى الله وكلمهم في نصرته على الاسلام والقيام معه على من خالفه فقال أحدهم ماردبمرط ثياب الكعبة ان كان الله ارسلك وقال آخر اما وجد الله من يرسله غيرك وقال الثالث والله لا أكلمك كلمة ابدا لئن كنت رسولا من الله كما تقول لانت أعظم خطرا من ان ارد عليك ولئن كنت تكذب على الله فما ينبغي لي ان أكلمك فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد يئس من خير ثقيف وقال لهم اذا ابيتم فاكتموا على ذلك وكره ان يبلغ قومه فلم يفعلوا واغروا به سفهاءهم فاجتمعوا اليه وألجؤوه الى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة وهو البستان وهما فيه ورجع السفهاء عنه وجلس الى ظل حبلة وقال اللهم اليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس اللهم يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي الى من تكلني الى بعيد يتجهمني او الى عدو ملكته أمري ان لم يكن بك علي غضب فلا أبالي ولكن عافيتك هي أوسع لي أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت به الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من ان تنزل بي غضبك أو تحل بي سخطك فلما رأى ابنا ربيعة مالقيه تحركت له رحمهما فدعوا غلاما لهما نصرانيا اسمه عداس فقالا له خذ قطفا من هذا العنب واذهب به الى ذلك الرجل ففعل فلما وضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع يده فيه وقال بسم الله ثم أكل فقال عداس والله ان هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم من أي البلاد أنت وما دينك قال أنا نصراني من اهل نينوى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمن قرية الرجل الصالح يونس بن متى قال له وما يدريك مايونس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك أخي كان نبيا وانا نبي فاكب عداس على يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجليه يقبلهما فعاد فيقول ابنا ربيعة أحدهما للآخر اما غلامك فقد أفسده عليك فلما جاء عداس قالا له ويحك مالك تقبل يديه ورجليه قال ما في الارض خير من هذا الرجل قالا ويحك ان دينك خير من دينه ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا الى مكة حتى اذا كان في جوف الليل قام قائما يصلي فمر به نفر من الجن وهم سبعة نفر من جن نصيبين رائحين الى اليمن فاستمعوا له فلما فرغ من صلاته ولوا الى قومهم منذرين قد آمنوا وأجابوا وذكر بعضهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عاد من ثقيف أرسل الى المطعم بن عدي ليجيره حتى

الملك واحضر واحمد المهدي بين يديه فامر بقتله واستمر المؤيد في الملك ثم بعد ذلك اتفقت البربر مع سليمان السابق ذكره واخرج هشام المؤيد من قصره بقرطبة ولم يتحقق للمؤيد خبر بعد ذلك وبويع (سليمان بن الحكم) وتلقب بالمستعين بالله وفي سنة سبع واربعمائة خرج بالاندلس على سليمان شخص من القواد يقال له خيران العامري وانضم اليه جماعة كثيرة وساروا الى سليمان بقرطبة وجرى بينهم قتال شديد فانهزم فيه سليمان واخذ اسيرا ثم امر بقتل سليمان وابنه واخيه فقتلوا ودامت قرطبة في يده الى ان قام رجل من بني امية اسمه (عبد الرحمن بن هشام) ولقبوه بالمستظهر بالله وهو أخو المهدي ثم قتلوه في ذي القعدة من هذه السنة وبويع بالملك (محمد بن عبد الرحمن) ولقب بالمستكفي بالله ثم خلع بعد سنة وأربعة أشهر فهرب وسم في الطريق فمات ثم اجتمع أهل قرطبة على طاعة يحيي بن حمود العلوي ثم خرجوا عن طاعته وبايعوا رجلا من بني امية اسمه (هشام بن محمد) ولقبوه بالمقتدر بالله وجرى في أيامه فتن وشرور يطول شرحها ثم خلع وأقام اهل قرطبة بعده شخصا من ولد عبد الرحمن اسمه (امية) فلما ارادوا ان يولوه قالوا انه نخشى عليك ان تقتل فان السعادة قد ولت عنكم يابني امية فقال بايعوني اليوم واقتلوني غدا فلم

يبلغ رسالة ربه فاجابه وأصبح المطعم قد لبس سلاحه هو وبنوه وبنو أخيه فدخلوا المسجد فقال له أبو جهل أمجير أم متابع قال بل مجير قال قد أجرنا من أجرت فدخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة وأقام بها فلما رآه أبو جهل قال هذا نبيكم يا عبد مناف فقال عتبة بن ربيعة وما تنكر ان يكون منا نبي وملك فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فأتاهم فقال اما أنت يا عتبة فما حميت لله واما حميت لنفسك واما انت يا أبا جهل فوالله لا يأتي عليك غير بعيد حتى تضحك قليلا وتبكي كثيرا واما انتم يا معشر قريش فوالله لا يأتي عليكم غير كثير حتى تدخلوا فيما تنكرون وانتم كارهون فكان الامر كذلك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه في المواسم على قبائل العرب فاتى كندة في منازلهم وفيهم سيد لهم يقال له مليح فدعاهم الى الله وعرض نفسه عليهم فابوا عليه فاتى كلبا الى بطن منهم يقال لهم عبد الله فدعاهم الى الله وعرض نفسه عليهم فلم يقبلوا ما عرض عليهم ثم انه أتى بني حنيفة وعرض عليهم نفسه فلم يكن أحد من العرب أقبح ردا عليه منهم ثم اتى بني عامر فدعاهم الى الله وعرض عليهم نفسه فقال له رجل منهم أرأيت ان نحن تابعناك فاظهرك الله على من خالفك أيكون لنا الامر من بعدك قال الامر الى الله يضعه حيث يشاء قال له انهدف نحورنا للعرب دونك فاذا اظهرت كان الامر لغيرنا لا حاجة لنا بامرك فلما رجعت بنو عامر الى شيخ لهم كبير فاخبروه خبر النبي صلى الله عليه وسلم ونسبه فوضع يده على رأسه ثم قال يا بني عامر هل من تلاف والذي نفسي بيده ما تقولها اسماعيلي قط وانها لحق واين كان رأيكم عنه ولم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على كل من له اسم وشرف ويدعو الى الله وكان كلما أتى قبيلة يدعوهم الى الاسلام تبعه عمه أبو لهب فاذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من كلامه يقول لهم أبو لهب يا بني فلان انما يدعوكم هذا الى ان تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم وحلفاءكم من الجن الى ما جاء به من الضلالة والبدعة فلا تطيعوه ولا تسمعوا له

(ذكر أول عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه على الانصار واسلامهم)

فقدم سويد بن الصامت اخو بني عمرو بن عوف بطن من الاوس مكة حاجا ومعتمرا وكان يسمى الكامل بجلده وشعره ونسبه وهو القائل

الا رب من تدعو صديقا ولو ترى ● مقالته بالغيب ساءك ما يفري
مقالته كالشهد ما كان شاهدا ● وبالغيب مأثور على ثغرة النحر
يسرك باديه وتحت أديمه ● نميمة غش تبتري عقب الظهر
تبين لك العينان ما هو كاتم ● وما جن بالبغضاء والنظر الشزر
فرشني بخير طالما قد بريتني ● فخير الموالي من يريش ولا يبري

فتصدى له رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه الى الاسلام وقرأ عليه القرآن فلم يبعد منه وقال ان هذا القول حسن ثم انصرف وقدم المدينة فلم يلبث ان قتله الخزرج قتل يوم بعاث فكان قومه يقولون قتل وهو مسلم (بعاث بالباء الموحدة المضمومة والعين المهملة وهو الصحيح) وقدم أبو الحيسر انس بن رافع مكة مع فتية من بني عبد الاشهل فيهم اياس بن معاذ يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج فاتاهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال لهم هل لكم فيما هو خير

يتسلم له أمر واختفى ذكره وخبره بعد ذلك ثم ان الاندلس وتوابعها اقتسمها أصحاب الاطراف والرؤساء وصاروا مثل ملوك الطوائف وانقرضت الدولة الاموية من الاندلس وغيرها هذا ما وجد من أخبارهم في كتاب البحر الزخار والعلم التيار

(الباب السادس في ذكر الخلفاء العباسيين سلالة ذوي التقى والنقى والدين)

وهم على قسمين (القسم الاول) الخلفاء المقيمون بالعراق وعددهم سبعة وثلاثون خليفة ومدة خلافتهم خمسمائة واربع وعشرون سنة (والقسم الثاني) الخلفاء الذين أقاموا بمصر وعددهم خمسة عشر خليفة ومدة خلافتهم مائتا سنة وخمس وخمسون سنة ونصف سنة واما الخلفاء الذين أقاموا بالعراق ففيهم عدة فصول

(الفصل الاول في ذكر خلافة ابي عبد الله السفاح)

وهو ابو العباس عبد الله ابن محمد بن علي بن عبد الله ابن العباس بن عبد المطلب ابن هاشم بويع له بالكوفة لثلاث ليال خلت من ربيع الاول سنة اثنين وثلاثين ومائة وأمه ريطة بنت عبد الله الحارثي نقش خاتمه الله ثقة عبد الله وبه يؤمن وكان جميلا ابيض مليحا حسن الوجه والهيئة والهيبة وكان من أسخى الناس ما وعد عدة فاخرها عن وقتها وكان سريعا الى سفك الدماء قال الطبري وكان يدور الكرم

لكم مما جئتم له ودعاهم الى الاسلام وقرأ عليهم القرآن فقال اياس وكان غلاما حدثا هذا والله خير مما جئتنا له فضرب وجهه ابو الحيسر بحفنة من البطحاء وقال دعنا منك فلقد جئنا لغير هذا فسكت اياس وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يلبث اياس ان هلك فسمعه قومه يهلل الله ويكبره حتى مات فما يشكون انه مات مسلما

(ذكر بيعة العقبة الاولى واسلام سعد بن معاذ)

فلما أراد الله اظهار دينه وانجاز وعده خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الموسم الذي لقي فيه النفر من الانصار فعرض نفسه على القبائل كما كان يفعله فبينما هو عند العقبة لقي رهطا من الخزرج فدعاهم الى الله وعرض عليهم الاسلام وقد كانت يهود معهم ببلادهم وكان هؤلاء أهل اوثان فكانوا اذا كان بينهم شر تقول اليهود ان نبيا يبعث الآن نتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وثمود فقال أولئك النفر بعضهم لبعض هذا والله النبي الذي توعدكم به اليهود فاجابوه وصدقوه وقالوا له ان بين قومنا شرا وعسى الله ان يجمعهم بك فان اجتمعوا عليك فلا رجل اعز منك ثم انصرفوا عنه وكانوا سبعة نفر من الخزرج اسعد بن زرارة بن عدس ابو امامة وعوف ابن الحرث بن رفاعة وهو ابن عفراء كلاهما من بني النجار ورافع بن مالك بن عجلان وعامر بن عبد حارثة بن ثعلبة بن غنم كلاهما من بني زريق وقطبة بن عامر بن حديدة بن سواد من بني سلمة (سلمة هذا بكسر اللام) وعقبة بن عامر بن نابي من بني غنم وجابر بن عبد الله بن رياب من بني عبيدة (رياب بكسر الراء والياء المعجمة باثنتين من تحت وبالباء الموحدة) فلما قدموا المدينة ذكروا لهم النبي صلى الله عليه وسلم ودعوهم الى الاسلام حتى فشى فيهم حتى اذا كان العام المقبل وافى الموسم من الانصار اثنا عشر رجلا فلقوه بالعقبة وهي العقبة الاولى فبايعوه بيعة النساء وهم اسعد بن زرارة وعوف ومعاذ ابنا الحرث وهما ابنا عفراء ورافع بن مالك بن عجلان وذكوان بن عبد قيس من بني زريق وعبادة بن الصامت من بني عوف بن الخزرج ويزيد بن ثعلبة بن خزمة أبو عبد الرحمن من بلي حليف لهم وعباس بن عبادة بن نضلة من بني سالم وعقبة ابن عامر بن نابي وقطبة بن عامر بن حديدة وهؤلاء من الخزرج وشهدها من الاوس أبو الهيثم ابن التيهان حليف لبني عبد الاشهل وعويم بن ساعدة حليف لهم فانصرفوا عنه وبعث صلى الله عليه وسلم معهم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار وأمره ان يقرئهم القرآن ويعلمهم الاسلام فنزل بالمدينة على اسعد بن زرارة فخرج به اسعد بن زرارة فجلس في دار بني ظفر واجتمع عليهما رجال ممن أسلم فسمع به سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وهما سيدا بني عبد الاشهل وكلاهما مشرك فقال سعد لاسيد انطلق الى هذين اللذين أتيا دارنا فانههما فانه لولا أسعد بن زرارة وهو ابن خالتي كفيتك ذلك فاخذ أسيد حربته ثم اقبل عليهما فقال ما جاء بكما تسفهان ضعفاءنا اعتزلا عنا فقال مصعب أو تجلس فتسمع فان رضيت أمرا قبلته وان كرهته كف عنك ما تكره فقال انصفت ثم جلس اليهما فكلمه مصعب بالاسلام فقال ما أحسن هذا وأجمله كيف تصنعون اذا دخلتم في هذا الدين قالا تغتسل وتطهر ثيابك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلي ركعتين ففعل ذلك وأسلم ثم قال لهما ان ورائي رجلا ان تبعكما لم يتخلف عنكما احد من قومه وسأرسله اليكما سعد بن معاذ ثم انصرف الى سعد وقومه فلما نظر اليه سعد قال احلف بالله

أمر بني العباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم العباس عمه ان الخلافة تؤول الى ولده فلم يزل اولاده يتوقعون ذلك الى ان آل الامر اليهم فلما بويع السفاح صلى بالناس الجمعة وقال في الخطبة الحمد لله الذي اصطفى الاسلام لنفسه فكرمه وشرفه وعظمه واختاره لنا وايده بنا وجعلنا أهله وكهفه وحصنه والقوامين به والذابين عنه ثم ذكر قرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم في آيات القرآن الى ان قال فلما قبض الله نبيه قام بالامر أصحابه الى ان وثب بنو حرب ومروان فجاروا واستأثروا فاملى الله لهم حينا حتى استوفوا فانتقم منهم بأيدينا ورد علينا حقنا ليمن بنا على الذين استضعفوا في الارض وختم بنا كما استفتح بنا وما توفيقنا أهل البيت الا بالله ولما بلغ مروان الحمار مبايعة السفاح خرج لقتاله فانكسر كما تقدم ثم قتل وقتل في مبايعة السفاح من بني أمية وجندهم ما لا يحصى من الخلائق وأمر السفاح بنبش قبور بني أمية بدمشق فنبش قبر يزيد بن معاوية فما وجد فيه الا عظما واحدا فاحرقه ونبش قبر عبد الملك فوجد بعض عظامه فاحرقها ونبش قبر هشام بن عبد الملك فوجده صحيحا فصلبه ثم أحرقه بالنار وذراه ثم نبش قبر مسلمة بن عبد الملك ثم قبر سليمان بن عبد الملك من

كم بغير الوجه الذي ذهب به من عنده ثم فقال له سعد ما دعلت قال كلمت الر...
ما رأيت بهما بأسا وقد حدثت أن بني حارثة قد خرجوا الى ...
... فبادر ... فلما رآهما مطمئنين عرف ما أراد اسيد فوقف
عليهما وقال لاسعد بن زرارة لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني فقال له مصعب
تقعد فتسمع فان رضيت أمرا قبلته وان كرهته عزلنا عنك ما تكره فجلس فعرض عليه
مصعب الاسلام وقرأ عليه القرآن فقال لهما كيف تصنعون اذا دخلتم في هذا الدين فقالا
ما قالا لاسيد فاسلم وتطهر ثم عاد الى نادي قومه ومعه أسيد بن حضير فلما وقف عليهم قال يا بني
الاشهل كيف تعلمون أمري فيكم قالوا سيدنا وافضلنا قال فان كلام
حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله قال فوالله ما أمسى في دار عبد الاشهل رجل ولا امرأة الا مسلما
أو مسلمة ورجع مصعب الى منزل أسعد ولم يزل يدعو الى الاسلام حتى لم يبق دار من دور الانصار
الا وفيها رجال ونساء مسلمون الا ما كان من بني أمية بن زيد ووائل وواقف فانهم أطاعوا ابا قيس
ابن الاسلت فوقفهم عن الاسلام حتى هاجر النبي صلى الله عليه وسلم ومضت بدر وأحد
والخندق وعاد مصعب الى مكة (أسيد بضم الهمزة وفتح السين وحضير بضم الحاء المهملة وفتح
الضاد المعجمة وتسكين الياء تحتها اثنتان وفي آخره راء)

(ذكر بيعة العقبة الثانية)

لما فشا الاسلام في الانصار اتفق جماعة منهم على المسير الى النبي صلى الله عليه وسلم مستخفين
من قومهم ... فساروا الى مكة في الموسم في ذي الحجة مع كفار قومهم واجتمعوا به وواعدوه
أوسط ايام التشريق بالعقبة فلما كان الليل خرجوا بعد مضي ثلثه مستخفين يتسللون
الى العقبة وهم سبعون رجلا معهم امرأتان نسيبة بنت كعب أم عمارة واسماء أم عمرو
بنت عدي من بني سلمة وجاءهم رسول الله ومعه عمه العباس بن عبد المطلب وهو كافر أحب ان
يتوثق لابن أخيه فكان العباس أول من تكلم فقال يا معشر الخزرج وكانت العرب
الخزرج والاوس به ان محمدا منا حيث قد علمتم في عز ومنعة وانه قد أبى الا الانقطاع الي...
كم فان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه فانتم وذلك وان كنتم ترون انكم مسـ...
فمن الآن فدعوه فانه في عز ومنعة فقال الانصار قد سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول
... ربك ما أحببت فتكلم وتلا القرآن ورغب في الاسلام ثم قال تمنعوني مما تمنعون منه
... كم وأبناءكم فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال والذي بعثك بالحق ...
... فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أهل الحرب فاعترض الكلام أبو الهيثم بن ال...
يا رسول الله ان بيننا وبين الناس حبالا وانا قاطعوها يعني اليهود فهل عسيت ان ...
... أن ترجع الى قومك وتدعنا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بل الدم الدم و
الهدم الهدم أنتم مني وانا منكم اسالم من سالمتم واحارب من حاربتم وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم أخرجوا الي اثني عشر نقيبا يكونون على قومهم فاخرجوا تسعة من الخزرج وثلاثة من
الاوس وقال لهم العباس بن عبادة بن نضلة الانصاري يا معشر الخزرج هل تدرون
علام تبايعون هذا الرجل تبايعونه على حرب الاحمر والاسود فان كنتم ترون انكم اذا ...

أرض دابق وتتبع قتل بني أمية واولادهم فلم يفلت منهم غير رضيع أو من هرب الى الاندلس والقى قتلاهم على الطريق
فما كانهم الكلاب وتوطأت
له الممالك الى أقصى ..
ذكر المؤرخون في دولة بني
العباس افترقت كلمة الاسلام
وسقط اسم العرب من
الديوان وأدخل الاتراك
والديلم في الديوان وصارت
لهم دولة عظيمة وانقسمت
ممالك الارض عدة أقسام
وصار بكل قطر قائم يأخذ
الناس بالعسف ويملكهم
بالقهر وفي سنة أربع وثلاثين
ومائة انتقل السفاح الى
الانبار وصيرها دار الخلافة
حكى ابن خلكان في ترجمته
انه نظر يوما في المرآة فقال
اللهم اني لا أقول كما قال
سليمان بن عبد الملك ولكني
أقول اللهم عمرني طويلا
في طاعتك ممتعا بالعافية
فما استتم كلامه حتى سمع
غلاما يقول لغلام آخر
الاجل بيني وبينك شهران
وخمسة أيام فتطير من كلامه
وقال حسبي الله ولا قوة الا
بالله عليه توكلت وبه
استعنت فما مضت الايام
المذكورة حتى اخذته الحمى
فمرض ومات بعد شهرين
وخمسة ايام بالجدري بمدينته
التي بناها وسماها الهاشمية
فكانت وفاته يوم الاحد
لثلاث عشرة خلت من ذي
الحجة سنة ست وثلاثين
ومائة وهو ابن اثنين وثلاثين سنة ونصف سنة وكانت مدة خلافته اربع سنين وتسعة أشهر ودفن بالانبار العتيقة

اليكم

أموالكم مصيبة واشرافكم قتلا اسلمتموه فمن الآن فهو والله خزي الدنيا والآخرة وان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه على نهكة الاموال وقتل الاشراف فخذوه فهو والله خير الدنيا والآخرة قالوا فانا نأخذه على مصيبة الاموال وقتل الاشراف فما لنا بذلك يارسول الله قال الجنة قالوا ابسط يدك فبايعوه وما قال العباس بن عبادة ذلك الا ليشد العقد له عليهم وقيل بل قاله ليؤخر الامر ليحضر عبد الله بن أبي ابن سلول فيكون أقوى لامر القوم فكان أول من بايعه أبو امامة اسعد بن زرارة وقيل أبو الهيثم بن التيهان وقيل البراء بن معرور ثم بايع القوم فبايعوا فلما بايعوه صرخ الشيطان من رأس العقبة يا أهل الجباجب هل لكم في مذمم والصباة معه قد اجتمعوا على حربكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما والله لافرغن لك اي عدو الله ثم قال ارفضوا الى رحالكم فقال له العباس بن عبادة والذي بعثك بالحق نبيا لئن شئت لنميلن غدا على أهل منى باسيافنا فقال لم نؤمر بذلك فرجعوا فلما أصبحوا جاءهم جلة قريش فقالوا قد بلغنا انكم جئتم الى صاحبنا تستخرجونه وتبايعونه على حربنا وانه والله ما من حي من احياء العرب أبغض الينا ان تنشب بيننا وبينهم الحرب منكم فحلف من هنالك من مشركي الانصار ما كان من هذا شيء فلما سار الانصار من مكة قال البراء بن معرور يامعشر الخزرج قد رأيت ان لا أستدبر الكعبة في صلاتي فقالوا له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستقبل الشام فنحن لا نخالفه فكان يصلي الى الكعبة فلما قدم مكة سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال لقد كنت على قبلة لو صبرت عليها فرجع الى قبلة رسول الله فلما بايعوه ورجعوا الى المدينة فكان قدومهم في ذي الحجة فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بقية ذي الحجة والمحرم وصفر وهاجر الى المدينة في شهر ربيع الاول وقدمها الاثني عشرة ليلة خلت منه وقد كانت قريش لما بلغهم اسلام من اسلم من الانصار اشتدوا على من بمكة من المسلمين وحرصوا على ان يفتنوهم فاصابهم جهد شديد وهي الفتنة الآخرة وأما الاولى فكانت قبل هجرة الحبشة وكانت البيعة في هذه العقبة على غير الشروط في العقبة الاولى فان الاولى كانت على بيعة النساء وهذه البيعة كانت على حرب الاحمر والاسود * ثم أمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بالهجرة الى المدينة فكان أول من قدمها أبو سلمة بن عبد الاسد وكانت هجرته قبل البيعة بسنة ثم هاجر بعده عامر بن ربيعة حليف بني عدي مع امرأته ليلى ابنة أبي حثمة ثم عبد الله بن جحش ومعه أخوه ابو أحمد وجميع أهله فاغلقت دارهم وتتابع الصحابة ثم هاجر عمر بن الخطاب وعياش بن أبي ربيعة فنزلا في بني عمرو ابن عوف وخرج أبو جهل بن هشام والحرث بن هشام الى عياش بن أبي ربيعة بالمدينة وكان أخاهما لامهما فقالا له ان امك قد نذرت انها لا تستظل ولا تمتشط فرق لها وعاد وتتابع الصحابة بالهجرة الى ان هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم

(ذكر هجرة النبي صلى الله عليه وسلم)

لما تتابع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة أقام هو بمكة ينتظر ما يؤمر به من ذلك وتخلف معه علي بن أبي طالب وأبو بكر الصديق فلما رأت قريش ذلك حذروا خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمعوا في دار الندوة وهي دار قصي بن كلاب وتشاوروا فيما فدخل معهم ابليس في صورة شيخ وقال أنا من اهل نجد سمعت بخبركم فحضرت وعسى أن لا تعدموا مني رأيا

(الفصل الثاني في ذكر خلافة أبي جعفر المنصور) واسمه عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بويع له بالخلافة بعد موت أخيه السفاح وكان قبل ولاه امارة الحج أتاه خبر الخلافة بمكان يعرف بالصافية فقال صفا أمرنا ان شاء الله تعالى فلما حج بهم ورجع الى الهاشمية بايعه الناس البيعة العامة وكان أفضل بني العباس وكان طويلا اسمر خفيف اللحية رحب الوجه كأن عينيه لسانان ينطقان وامه سلامة بنت بشير البربرية نقش خاتمه اتق الله تزد فتعلم وكان ذا هيبة وشجاعة وجبروت جماعا للمال تاركا للهو واللعب كامل العقل قتل خلقا كثيرا حتى استقام ملكه وأول ما فعل ان قتل ابا مسلم الخراساني صاحب دعوتهم وممهد مملكتهم وهو الذي ضرب ابا حنيفة على القضاء ثم سجنه فمات بعد أيام وقيل قتله بالسم لكونه افتى بالخروج عليه وهو الملقب بالدوانيقي لمحاسبة العمال والصناع على الدوانيق والحبات وهو أبو الخلفاء العباسية كلهم وهو أول خليفة قرب المنجمين وعمل باحكام النجوم واول خليفة ترجمت له الكتب السريانية والاعجمية بالعربية ككتاب كليلة ودمنة واقليدس قال الذهبي في سنة ثلاث واربعين ومائة شرع علماء الاسلام في هذا العصر في تدوين

وكان واعتبة وشيبة وأبا سفيان وطعيمة بن عدي وجبير بن مطعم والحرث بن عامر والنضر بن الحرث وأبا البختري بن هشام وربيعة بن الاسود وحكيم بن حزام وأبا جهل ونبيها ومنبها ابني الحجاج وأمية بن خلف وغيرهم فقال بعضهم لبعض ان هذا الرجل قد كان من أمره ما كان وما نأمنه على الوثوب علينا بمن اتبعه فأجمعوا فيه رأيا فقال بعضهم احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه بابا ثم تربصوا به ما أصاب الشعراء قبله فقال النجدي ما هذا لكم برأي لو حبستموه يخرج أمره من وراء الباب الى أصحابه فلا تشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من ايديكم فقال آخر نخرجه وننفيه من بلدنا ولا نبالي أين وقع اذا غاب عنا فقال النجدي ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه لو فعلتم ذلك لحل على حي من احياء العرب فيغلب عليهم بحلاوة منطقه ثم يسير بهم اليكم حتى يطأكم ويأخذ أمركم من أيديكم فقال ابو جهل ارى أن نأخذ من كل قبيلة فتى نسيبا ونعطي كل فتى منهم سيفا ثم يضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه فاذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل كلها فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا ورضوا منا بالعقل فقال النجدي القول ما قال الرجل هذا الرأي فتفرقوا على ذلك فأتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تبت الليلة على فراشك فلما كان العتمة اجتمعوا على بابه يرصدونه متى ينام فيثبون عليه فلما رآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي بن أبي طالب نم على فراشي واتشح ببردي الاخضر فنم فيه فانه لا يخلص اليك شئ تكرهه وأمره ان يؤدي ما عنده من وديعة وامانة وغير ذلك وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ حفنة من تراب فجعله على رؤسهم وهو يتلو هذه الآيات من يس والقرآن الحكيم الى قوله فهم لا يبصرون ثم انصرف فأتاهم آت فقال ما تنتظرون قالوا محمدا قال خيبكم الله خرج عليكم ولم يترك أحدا منكم الا جعل على رأسه التراب وانطلق لحاجته فوضعوا أيديهم على رؤسهم فرأوا التراب وجعلوا ينظرون فيرون عليا نائما وعليه برد النبي صلى الله عليه وسلم فيقولون ان محمدا النائم فلم يبرحوا كذلك حتى اصبحوا فقام علي عن الفراش فعرفوه وأنزل الله في ذلك واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك الآية وسأل أولئك الرهط عليا عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا ادري أمرتموه بالخروج فخرج فضربوه وأخرجوه الى المسجد فحبسوه ساعة ثم تركوه ونجى الله رسوله من مكرهم وأمره بالهجرة وقام علي يؤدي امانة النبي صلى الله عليه وسلم ويفعل ما امره وقالت عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخطئه أحد طرفي النهار ان يأتي بيت أبي بكر اما بكرة واما عشية حتى كان اليوم الذي اذن الله فيه لرسوله بالهجرة اتانا بالهاجرة فلما رآه أبو بكر قال ما جاء هذه الساعة الا لامر حدث فلما دخل جلس على السرير وقال أخرج من عندك قال يا رسول الله انما هما ابنتاي وماذاك قال ان الله قد اذن لي في الخروج فقال ابو بكر الصحبة يا رسول الله قال الصحبة فبكى ابو بكر من الفرح فاستأجرا عبد الله بن اريقط من بني الديل بن بكر وكان مشركا يدلهما على الطريق ولم يعلم بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم غير أبي بكر وعلي وآل ابي بكر فاما علي فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتخلف عنه حتى يؤدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التي كانت عنده ثم يلحقه وخرجا من خوخة في بيت أبي بكر في ظهر بيته ثم عمدا الى غار بثور فدخلاه وامر ابو بكر ابنه عبد الله ان يستمع

الحديث والفقه والتفسير فصنف ابن جريج بمكة ومالك الموطا بالمدينة والاوزاعي بالشام وابن ابي عروبة وحماد بن سلمة وغيرهما بالبصرة ومعمر باليمن وسفيان الثوري بالكوفة وصنف ابن اسحق المغازي وصنف أبو حنيفة الفقه ثم بعد يسير كثر تدوين العلم وتبويبه ودونت كتب العربية واللغة والتاريخ وفي هذا العصر كان الائمة يتكلمون من حفظهم ويروون العلم من صحف صحيحة غير مرتبة وفي سنة ثمان واربعين توطأت الممالك كلها للمنصور وعظمت هيبته في النفوس ودانت له الاقطار ولم يبق خارج عنه سوى جزيرة الاندلس فقط فانها غلب عليها عبد الرحمن بن معاوية الاموي وبقيت في يد اولاده الى بعد الاربعمائة وفي سنة تسع واربعين ومائة فرغ من بناء بغداد وفي سنة ثمان وخمسين ومائة شكا الناس ضيق المسجد الحرام فاشترى المنازل التي حوله حتى زاد فيه وعمر مسجد الخيف بمنى ورخم الحجر وهو اول من رخمه وكان سبب وفاته انه لما عزم على الحج وكان يريد قتل سفيان الثوري فلما وصل الى بئر ميمون بعث اليه اناسا فقال لهم ان رأيتم سفيان الثوري فاصلبوه فجاؤا ونصبوا له الخشب وكان جالسا بفناء الكعبة ورأسه في حجر فضيل بن عياض

الهما بمكة نهاره ثم يأتيهما ليلا وأمر عامر بن فهيرة مولاه ان يرعى غنمه نهاره ثم يأتيهما بها ليلا
وكانت اسماء بنت ابي بكر تأتيهما بطعامهما مساء فأقاما في الغار ثلاثا وجعلت قريش مائة ناقة
لمن رده عليهم وكان عبد الله بن أبي بكر اذا غدا من عندهما اتبع اثره بالغنم حتى يعفي اثره
فلما مضت الثلاث وسكن الناس أتاهما دليلهما ببعيريهما فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
احدهما بالثمن فركبه واتتهما اسماء بنت أبي بكر بسفرتهما ونسيت ان تجعل لهما عصاما فحلت
نطاقها فجعلته عصاما وعلقت السفرة به وكان يقال لاسماء ذات النطاقين لذلك ثم ركبا وسارا
واردف أبو بكر مولاه عامر بن فهيرة يخدمهما في الطريق فساروا ليلتهم ومن الغد الى الظهر
ورأوا صخرة طويلة فسوى ابو بكر عندها مكانا يقيل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وليستظل بظلها فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرسه أبو بكر حتى رحلوا بعد ما زالت
الشمس وكانت قريش قد جعلت لمن يأتي بالنبي صلى الله عليه وسلم دية فتبعهم سراقة بن مالك بن
جعشم المدلجي فلحقهم وهم في أرض صلبة فقال ابو بكر يا رسول الله ادركنا الطلب فقال
لا تحزن ان الله معنا ودعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فارتطمت فرسه الى بطنها وثار
من تحتها مثل الدخان فقال ادع لي يا محمد ليخلصني الله ولك علي ان أرد عنك الطلب فدعا له
فتخلص فعاد يتبعهم فدعا عليه الثانية فساخت قوائم فرسه في الارض أشد من الاولى فقال
يا محمد قد علمت ان هذا من دعائك علي فادع لي ولك عهد الله ان أردع عنك الطلب فدعا له فخلص
وقرب من النبي صلى الله عليه وسلم وقال له يا رسول الله خذ سهما من كنانتي وان ابلي بمكان كذا
فخذ منها ما أحببت فقال لا حاجة لي في ابلك فلما أراد ان يعود عنه قال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم كيف بك يا سراقة اذا سورت بسواري كسرى بن هرمز قال نعم فعاد سراقة
فكان لا يلقاه أحد يريد الطلب الا قال كفيتم ما ههنا ولا يلقى أحدا الا رده قالت اسماء بنت
أبي بكر لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانا نفر من قريش فيهم ابو جهل فوقفوا على
باب ابي بكر فقالوا اين أبوك قلت لا ادري فرفع ابو جهل يده فلطم خدي لطمة طرح قرطي
وكان فاحشا خبيثا ومكثنا مليا لا ندري أين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى رجل
من الجن من أسفل مكة والناس يتبعونه يسمعون صوته ولا يرون شخصه وهو يقول

جزى الله رب الناس خير جزائه * رفيقين حلا خيمتي أم معبد
هما نزلا بالهدى واغتديا به * فافلح من أمسى رفيق محمد
فيالقصي ما زوى الله عنكم * به من فعال لا تجاري وسودد
ليهن بني كعب مكان فتاتهم * ومقعدها للمؤمنين بمرصد

قالت فلما سمعنا قوله عرفنا ان وجهه كان الى المدينة وقدم بهما دليلهما قباء فنزل على بني
عمرو بن عوف لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الاول يوم الاثنين حين كادت الشمس تعتدل
فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على كلثوم بن الهدم أخي بني عمرو بن عوف وقيل نزل على
سعد بن خيثمة وكان عزبا وكان ينزل عنده العزاب من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكان
يقال لبيته بيت العزاب والله أعلم ونزل ابو بكر على خبيب بن اساف بالسنح وقيل نزل على خارجة
ابن زيد اخي بني الحرث بن الخزرج واما علي فانه لما فرغ من الذي أمره به رسول الله صلى الله

وراس فضيل في حجر سفيان بن عيينة فقيل له يا ابا عبد الله قم فاختنق ولا تشمت بنا الاعداء فتقدم الى استار الكعبة وأخذها ثم قال برئت منه ان دخلها ابو جعفر ورجع الى مكانه فركب أبو جعفر من بئر ميمون فلما كان بينها وبين الحجون سقط عن فرسه فاندقت عنقه فمات في سابع ذي الحجة وقت السحر سنة ثمان وخمسين ومائة فدفن هنالك وهو ابن ثلاث وستين سنة وكانت مدة خلافته احدى وعشرين سنة واحد عشر شهرا وأربعة عشر يوما والله أعلم

(الفصل الثالث في ذكر خلافة محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور عبد الله ابن محمد)

بويع له بالخلافة يوم وفاة أبيه المنصور بعهد منه وهو يومئذ ببغداد وكان جوادا ممدوحا محببا الى الرعية حسن الخلق والخلق وامه أم موسى بنت منصور الحميري نقش خاتمه حسبي الله وهو أول من امر بتصنيف كتب الجدل في الرد على الزنادقة الملحدين وافنى منهم خلقا كثيرا وفي سنة ستين ومائة حج المهدي فلما دخل الحرم شكا اليه حجبة الكعبة انه تراكبت على البيت كسا كثيرة اثقلتها ويخشى على جدرانها فامر بنزعها فنزعت واقتصر على كسوته التي كساها وطلي جدرانها بالمسك والعنبر من أسفلها الى

عليه وسلم مهاجرا الى المدينة فكان يسير الليل ويكمن النهار حتى قدم المدينة وقد تفطرت قدماه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ادعوا الى عليا قيل لا يقدر ان يمشي فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم واعتنقه وبكى رحمة لما بقدميه من الورم وتفل في يديه وامرهما على قدميه فلم يشتكهما بعد حتى قتل ونزل بالمدينة على امرأة لا زوج لها فرأى انسانا يأتيها كل ليلة ويعطيها شيئا فاستراب بها فسألها عنه فقالت هو سهل بن حنيف قد علم اني امرأة لا زوج لي فهو يكسر اصنام قومه يحملها الي ويقول احتطبي بهذه فكان علي يذكر ذلك عن سهل بن حنيف بعد موته وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقباء يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وأسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة وقيل أقام عندهم اكثر من ذلك والله أعلم وادركت رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمعة في بني سالم بن عوف فصلاها في المسجد الذي ببطن الوادي فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة قال ابن عباس ولد النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين واستنبئ يوم الاثنين ورفع الحجر الاسود يوم الاثنين وهاجر يوم الاثنين وقبض يوم الاثنين واختلف العلماء في مقامه بمكة بعدما أوحي اليه فقال أنس وابن عباس رضي الله عنه من رواية أبي سلمة عنه وعائشة انه أقام بمكة عشر سنين ومثلهم قال من التابعين ابن المسيب والحسن وعمرو بن دينار وقيل اقام ثلاث عشرة سنة قاله ابن عباس من رواية ابي حمزة وعكرمة ايضا عنه واهل الذي قال أقام عشر سنين أراد بعد اظهار الدعوة فانه بقي سنين يسيرة ومما يقوي هذا القول قول صرمة بن أبي أنس الانصاري

ثوى في قريش بضع عشرة حجة ● يذكر لو يلقى صديقا مواتيا

فهذا يدل على مقامه ثلاث عشرة سنة لانه قد زاد على عشر سنين فلو كان خمس عشرة لصح الوزن وكذلك ست عشرة وسبع عشرة وحيث لم يستقم الوزن بان يقول ثلاث عشرة قال بضع عشرة ولم ينقل في مقام زيادة على عشر سنين الا ثلاث عشرة وخمس عشرة وقد روي عن قتادة قول غريب جدا وذلك انه قال نزل القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ثماني سنين ولم يوافقه غيره

● (ذكر ما كان من الامر وأول سنة من الهجرة) ●

فمن ذلك تجميعه باصحابه الجمعة في اليوم الذي نزل فيه من قباء في بني سالم في بطن واديهم وهي أول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاسلام وخطبهم وهي اول خطبة وكان رحل من قباء يريد المدينة فركب ناقته وأرخى زمامها فكان لا يمر بدار من دور الانصار الا قالوا هلم يارسول الله الى العدد والعدة والمنعة فيقول خلوا سبيلها فانها مأمورة حتى انتهى الى موضع مسجده اليوم فبركت على باب مسجده وهو يومئذ مربد لغلامين يتيمين في حجر معاذ بن عفراء وهما سهل وسهيل ابنا عمرو من بني النجار فلما بركت لم ينزل عنها ثم وثبت فسارت غير بعيد ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع لها زمامها لا يثنيها به فالتفتت خلفها ثم رجعت الى مبركها أول مرة فبركت فيه ووضعت جرانها فنزل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتمل أبو أيوب الانصاري رحله وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المربد فقال له معاذ بن عفراء هو ليتيمين لي وسأرضيهما من ثمنه فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبنى مسجدا وقام عند أبي ايوب حتى بني مسجده ومساكنه وقيل ان موضع المسجد كان لبني النجار فيه نخل وحرث وقبور

املاها من داخلها وخارجها فكانوا يكسون قوارير ماء الورد مع الغالية الممسكة المطيبة على الجدران من الجوانب الاربعة ثم كسيت ثلاث كساوى من القباطي والخز والديباج وفرق على اهالي الحرمين الشريفين أموالا عظيمة وكانت الكعبة المعظمة ليست في وسط المسجد بل في جانب منه فاشترى دورا كثيرة وزاد في الحرم من جانب الشامي واليماني حتى صار البيت الشريف في وسط الحرم وحمل اليه الثلج الى مكة ولم يتم ذلك لملك قط وأمر بعمارة طريق مكة وقصر المنابر وصيرها على مقدار منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أول من جهز الصبر وعينه لاهل الحرمين توفي بقرية من قرى ماسبذان ساق خلف صيد فدخل خربة فدق ظهره بباب الخربة من قوة سوق الفرس فتلف لوقته وقيل بل سمته جاريته وكانت وضعت السم في الطعام لضرتها فدخل الخليفة ومد يده فأكل فما جسرت ان تقول له مسموم وكانت وفاته لثمان بقين من المحرم سنة تسع وستين ومائة فلم يوجد له نعش يحمل عليه فحمل على باب ودفن تحت شجرة جوز وصلى عليه ولده الرشيد وله اثنتان وأربعون سنة وكانت خلافته عشر سنين وشهرا

● (الفصل الرابع في ذكر خلافة موسى الهادي بن محمد المهدي) ●

المشركين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثامنوني به فقالوا لا يبتغي به الا الا عند الله فامر به فبني مسجده وكان قبله يصلي حيث أدركته الصلاة وبناه هو والمهاجرون والانصار وهو الصحيح وفيها بنى مسجد قباء وفيها أيضا توفي كلثوم بن الهدم وتوفي بعده أسعد بن زرارة وكان نقيب بني النجار فاجتمع بنو النجار وطلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقيم لهم نقيبا فقال لهم انتم اخوالي وانا نقيبكم فكان فضيلة لهم وفيها مات أبو أحيحة بالطائف والوليد بن المغيرة والعاص ابن وائل السهمي بمكة مشركين وفيها بنى النبي صلى الله عليه وسلم بعائشة بعد مقدمه المدينة بثمانية أشهر وقيل بسبعة أشهر في ذي القعدة وقيل في شوال وكان تزوجها بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين بعد وفاة خديجة وهي ابنة ست سنين وقيل ابنة سبع سنين وفيها هاجرت سودة بنت زمعة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم وبناته ما عدا زينب وهاجر أيضا عيال أبي بكر ومعهم ابنه عبد الله وطلحة بن عبيد الله وفيها زيد في صلاة العصر ركعتين بعد مقدمه المدينة بشهر وفيها ولد عبد الله بن الزبير وقيل في السنة الثانية في شوال وكان أول مولود للمهاجرين بالمدينة وكان النعمان بن بشير أول مولود للانصار بعد الهجرة وقيل ان المختار بن أبي عبيد وزياد ابن ابيه ولدا فيها وفيها على رأس سبعة أشهر عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه حمزة لواء أبيض في ثلاثين رجلا من المهاجرين ليتعرضوا العير قريش فلقي أبا جهل في ثلثمائة رجل فحجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني وكان يحمل اللواء أبو مرثد وهو أول لواء عقده وفيها أيضا عقد لواء لعبيدة بن الحرث بن المطلب وكان أبيض يحمله مسطح بن اثاثة فالتقى هو والمشركون فكان بينهم الرمي دون المسايفة وكان سعد بن أبي وقاص أول من رمى بسهم في سبيل الله وكان المقداد بن عمرو وعتبة بن غزوان مسلمين وهما بمكة فخرجا مع المشركين يتوصلان بذلك فلما لقيهم المسلمون انحازا اليهم وقال بعضهم كان لواء أبي عبيدة اول لواء عقده وانما اشتبه ذلك لقرب بعضها ببعض وكان على المشركين أبو سفيان بن حرب وقيل مكرز بن حفص بن الاخيف وقيل عكرمة بن أبي جهل (والاخيف بالخاء المعجمة والياء المثناة من تحتها) وفيها عقد لواء لسعد بن أبي وقاص وسيره الى الابواء وكان يحمل اللواء المقداد بن الاسود وكان مسيره في ذي القعدة ورجع من معه من المهاجرين فلم يلق حربا جعل الواقدي هذه السرايا جميعها في السنة الاولى من الهجرة وجعلها ابن اسحق في السنة الثانية فقال على رأس اثني عشر شهرا من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة خرج غازيا واستخلف على المدينة سعد بن عبادة فبلغ ودان يريد قريشا وبني ضمرة من كنانة وهي غزاة الابواء بينهما ستة أميال فوادعته فيها بنو ضمرة ورئيسهم مخشي بن عمرو ثم رجع الى المدينة ولم يلق كيدا وذكر ابن اسحق بعد هذه الغزوة غزوة عبيدة بن الحرث ثم غزوة حمزة بن عبد المطلب وفيها كان غزاة بواط خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في مائتين من أصحابه في شهر ربيع الآخر يعني سنة اثنتين يريد قريشا حتى بلغ بواط من ناحية رضوى وكان في عير قريش أمية بن خلف الجمحي في مائة رجل ومعهم ألفان وخمسمائة بعير فرجع ولم يلق كيدا وكان يحمل لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن أبي وقاص واستخلف على المدينة سعد بن معاذ (بواط بفتح الباء الموحدة وبالطاء المهملة) وفيها غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة العشيرة من ينبع في جمادى الاولى يريد قريشا حين ساروا الى الشام فلما وصل العشيرة

بويع له بالخلافة بعد موت أبيه وكان مقيما بجرجان يحارب أهل طبرستان فبويع له بها بما سبذان ثم أخذ له اخوه الرشيد البيعة العامة ببغداد فقدم بغداد على خيل البريد وكان طويلا مليحا جسيما ذا ظلم وجبروت ولد بالري سنة سبع وأربعين ومائة وأمه ام ولد بربرية اسمها الخيزران وفيها يقول مروان بن أبي حفصة

يا خيزران هناك ثم هناك ... أمسى يسوس العالمين ابناك

وهي أم الخلفاء نقش خاتمه موسى يؤمن بالله وكان يسمى موسى اطبق وسببه ان شفته العليا كانت تقلص فكان ابوه وكل به في صغره خادما كلما رآه مفتوح الفم قال له موسى اطبق فيفيق على نفسه ويضم شفتيه فشهر بذلك قال الذهبي وكان يتناول المسكر ويلعب ويركب حمارا فارها ولا يقيم أبهة الخلافة وهو أول من مشت الرجال بين يديه بالسيوف المرهفة والاعمدة والقسي الموترة وكان اتمام عمارة المسجد الحرام في أيامه ومن اخباره ما ذكره المدايني انه عزى الهادي رجلا في ابن له فقال سرك وهو فتنة وبلية ويحزنك وهو ثواب ورحمة توفي ببغداد في رابع عشر ربيع الاول سنة سبعين ومائة وله اربع وعشرون سنة واختلف في سبب موته قيل اصابته قرحة وقيل سمته امه الخيزران لما عزم على قتل أخيه الرشيد وكانت خلافته

وادع بنى مدلج وحلفاءهم من ضمرة ورجع ولم يلق كيدا واستخلف على المدينة أبا سلمة
وكان يحمل لواءه حمزة وفى هذه الغزوة كنى النبى صلى الله عليه وسلم عليا أبا تراب فى
اغار كرز بن جابر الفهرى على سرح المدينة فخرج رسول الله صلى
بلغ واديا يقال له سفوان من ناحية بدر وفاته كرز وكان لواؤه مع على واستخلف على
يد بن حارثة وفيها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن أبى وقاص فى سر
لم يلق كيدا وفيها جاء أبو قيس بن الاسلت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض
سلام فقال ما أحسن ما تدعو اليه سأنظر فى أمرى ثم اعود فلقيه عبد الله بن أبى المنافق
كرهت قتال الخزرج فقال أبو قيس لا اسلم الى سنة فمات فى ذى القعدة ثم دخلت
من الهجرة فى هذه السنة غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قول بعض أهل
وة الابواء وقيل ودان وبينهما ستة أميال واستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على
بن عبادة وكان لواؤه أبيض مع حمزة بن عبد المطلب وقد تقدم ذكرها وفيها تزوج على
طالب فاطمة فى صفر

﴿ذكر سرية عبد الله بن جحش﴾

سول الله صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة بن الجراح أن يتجهز للغزو فتجهز فلما أراد المسير
صبابة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث مكانه عبد الله بن جحش فى جمادى الآخرة
ثمانية رهط من المهاجرين وقيل اثنا عشر رجلا وكتب له كتابا وأمره ان لا ينظر فيه حتى
يومين ثم ينظر فيه فيمضى لما أمر به ولا يكره أحدا من أصحابه ففعل ذلك ثم قرأ
ما امره بنزول نخلة بين مكة والطائف فيرصد قريشا ويعلم أخبارهم فاعلم
وأضل سعد بن أبى وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا لهما يعتقبانه فتخلفا فى طلبه ومضى عبد
نزل بنخلة فمرت عير لقريش تحمل زبيبا وغيره فيها عمرو بن الحضرمى وعثمان بن عبد الله بن ا
وأخوه نوفل والحكم بن كيسان فاشرف لهم عكاشة بن محصن وقد حلق رأسه فلما رأوه قالوا
عمار لا بأس عليكم وذلك آخر يوم من رجب فرمى واقد بن عبد الله التميمى عمرو بن الحضرمى
عثمان والحكم وهرب نوفل وغنم المسلمون ما معهم فقال عبد الله بن جحش
لرسول الله صلى الله عليه وسلم خمس ما غنمتم وذلك قبل ان يفرض الخمس وكانت أول
خمس فى الاسلام وأقبل عبد الله بن جحش
قدموا قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أمرتكم بقتال فى الشهر الحرام فوقف ا
الاسيرين فسقط فى أيديهم وعنفهم المسلمون وقالت قريش قد استحل محمد وأصحابه
الحرام وقالت اليهود تفاءل بذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن الحضرمى قتله وا
ابن عبد الله عمرو عمرت الحرب والحضرمى حضرت الحرب وواقد وقدت الحرب فانزل ا
يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه الآية فلما نزل القرآن وفرج الله عن المسلمين قبض رسو ا
الله صلى الله عليه وسلم العير وكانت أول غنيمة أصابوها وفدى رسول الله صلى
الاسيرين فاما الحكم فاقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل يوم بئر معونة وقيل
عمرو بن الحضرمى وأخذ العير آخر يوم من الجمادى وأول ليلة من ر

بويع له بالخلافة بعد موت أخيه فى الليلة التى توفى أخوه فيها وولد له تلك الليلة ولده المأمون وكانت ليلة عجيبة لم ير مثلها فى بنى العباس مات فيها خليفة وولي فيها خليفة وولد فيها خليفة وكان يكنى أبا موسى فتكنى بابى جعفر وكان أبيض طويلا جميلا مليحا عبل الجسم قد وخطه الشيب ولد بالرى حين كان أبوه اميرا عليها وعلى خراسان فى سنة ثمان وأربعين ومائة وامه الخيزران البربرية أم الهادى نقش خاتمه العظمة والقدرة لله عز وجل وهو من اجل ملوك الارض له نظر فى العلم والآداب وكان يصلى فى كل يوم وليلة مائة ركعة ويتصدق من خالص ماله كل يوم بألف درهم وكان يحب العلم ويوقر أهله روى عن أبى معاوية الضرير قال أكلت مع الرشيد يوما ثم صب على يدى رجل لا أعرفه ثم قال الرشيد اتدرى من يصب عليك قلت لا قال انا اجلالا للعلم (ومن عجيب ما اتفق له) ان اخاه موسى الهادى لما ولى الخلافة سأله عن خاتم عظيم كان لابيه المهدى فلعله الرشيد أخذه فطلبه منه فامتنع من اعطائه فالح عليه فانكر الرشيد وهو على جسر بغداد فرماه فى دجلة فلما مات الهادى وولى الرشيد الخلافة الفى

القبلة من الشام الى الكعبة وكان أول مافرضت القبلة الى بيت المقدس والنبي صلى الله عليه وسلم بمكة وكان يحب استقبال الكعبة وكان يصلي بمكة ويجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس فلما هاجر الى المدينة لم يمكنه ذلك وكان يؤثر ان يصرف الى الكعبة فامره الله ان يستقبل الكعبة يوم الثلاثاء للنصف من شعبان على رأس ثمانية عشر شهرا من قدومه المدينة وقيل على رأس ستة عشر شهرا في صلاة الظهر وفيها أيضا في شعبان فرض صوم شهر رمضان وكان لما قدم المدينة رأى اليهود تصوم عاشوراء فصامه وأمر بصيامه فلما فرض رمضان لم يأمرهم بصوم عاشوراء ولم ينههم وفيها أمر الناس باخراج زكاة الفطر قبل الفطر بيوم او يومين وفيها خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المصلى فصلى بهم صلاة العيد وكان ذلك أول خرجة خرجها وحملت بين يديه العنزة وكانت للزبير وهبها له النجاشي وهي اليوم للمؤذنين في المدينة

(ذكر غزوة بدر الكبرى)

وفي السنة الثانية كانت وقعة بدر الكبرى في شهر رمضان في سابع عشره وقيل تاسع عشره وكانت يوم الجمعة وكان سببها قتل عمرو بن الحضرمي واقبال أبي سفيان بن حرب في عير لقريش عظيمة من الشام وفيها أموال كثيرة ومعها ثلاثون رجلا أو اربعون وقيل قريبا من سبعين رجلا من قريش منهم مخرمة بن نوفل الزهري وعمرو بن العاص فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ندب المسلمين اليهم وقال هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا اليها لعل الله ان ينفلكموها فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعضهم وذلك لانهم لم يظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى حربا وكان أبو سفيان قد سمع ان النبي صلى الله عليه وسلم يريده فحذر واستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثه الى مكة يستنفر قريشا ويخبرهم الخبر فخرج ضمضم الى مكة وكانت عاتكة بنت عبد المطلب قد رأت قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث ليال رؤيا افزعتها فقصتها على أخيها العباس واستكتمته خبرها قالت رأيت راكبا على بعير له واقفا بالابطح ثم صرخ بأعلى صوته ان انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث قالت فارى الناس قد اجتمعوا اليه ثم دخل المسجد ثم مثل به بعيره على الكعبة ثم صرخ مثلها ثم مثل بعيره على رأس ابي قبيس فصرخ مثلها ثم أخذ صخرة عظيمة وارسلها فلما كانت بأسفل الوادي ارفضت فما بقي بيت من مكة الا دخله فلقة منها فخرج العباس فلقي الوليد بن عتبة بن ربيعة وكان صديقه فذكرها له واستكتمه ذلك فذكرها الوليد لابيه عتبة ففشا الخبر فلقي أبو جهل العباس فقال له يا أبا الفضل اقبل الينا قال فلما فرغت من طوافي اقبلت اليه فقال لي متى حدثت فيكم هذه النبية وذكر رؤيا عاتكة ثم قال ما رضيتم ان تتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم فسنتربص بكم هذه الثلاث فان يكن حقا والا كتبنا عليكم أنكم أكذب اهل بيت في العرب قال العباس فما كان مني اليه الا اني جحدت ذلك وانكرته فلما أمسيت أتاني نساء بني عبد المطلب وقلن لي اقررتم لهذا الفاسق الخبيث ان يقع في رجالكم وقد تناول نساءكم ولم تنكر عليه ذلك قال قلت والله كان ذلك لا تعرضن له فان عاد كفيتكموه قال فغدوت اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وانا مغضب احب ان أدركه فرأيته في المسجد فمشيت نحوه اتعرض له ليعود فاوقع به فخرج نحو باب المسجد يشتد قال قلت ماباله قاتله الله أكل هذا فرقا من ان أشاتمه واذا هو قد سمع ما لم اسمع صوت ضمضم بن

أتى الى ذلك المكان بعينه ومعه خاتم رصاص فرماه في ذلك المكان وأمر الغطاسين ان يلتمسوه ففعلوا فاخرجوا الخاتم الاول فعد ذلك من سعادة الرشيد وبقاء ملكه قال الجاحظ اجتمع للرشيد ما لم يجتمع لغيره وزراؤه البرامكة وقاضيه أبو يوسف وشاعره مروان بن أبي حفصة ونديمه العباس بن محمد ابن عم أبيه وزوجته زبيدة ومغنيه ابراهيم الموصلي وحاجبه الفضل بن الربيع أبهى الناس واعظمهم وكانت ايام الرشيد كلها خيرا كانها من حسنها اعراس واخبار الرشيد يطول شرحها ومحاسنه جمة وله اخبار كثيرة في اللهو واللذات (ومن الحوادث في ايامه) انه افترى عبد الله بن مصعب الزبيري على يحيى بن عبد الله بن حسن العلوي انه طلب اليه ان يخرج معه على الرشيد فباهله يحيى بحضرة الرشيد وشبك يده في يده وقال قل اللهم ان كنت تعلم ان يحيى لم يدعني الى الخلافة والخروج على أمير المؤمنين هذا فكلني الى حولي وقوتي واسحتني بعذاب من عندك آمين يارب العالمين فتلجلج الزبيري وقالها ثم قال يحيى مثل ذلك وقاما فمات الزبيري ليومه وفي الطيوريات ان الرشيد دعا أبا يوسف ليلا وقال اني اشتريت جارية واريد ان أطأها الآن قبل الاستبراء فهل عندك حيلة قال نعم تهبها لبعض ولدك ثم تتزوجها فامر له بمائة ألف

وهو يصرخ ببطن الوادي واقفا على بعيره قد جدع بعيره وحول رحله وشق قميصه وهو يقول يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد وأصحابه لا أدري أن تدركوها الغوث الغوث فشغلني منه وشغله عني ما جاء فتجهز الناس سراعا ولم يتخلف من اشرافهم أحد الا أبو لهب وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة وعزم أمية بن خلف على القعود فانه كان شيخا ثقيلا جسيما فأتاه عقبة بن أبي معيط بمجمرة فيها نار وما يتجمر به وقال يا أبا علي استجمر فانما أنت من النساء فقال قبحك الله وقبح ما جئت به ثم تجهز وخرج معهم وعزم ابن ربيعة أيضا على القعود فقال له أخوه شيبة ان فارقنا قومنا كان ذلك سبة علينا فامض فمضى معهم فلما اجمعوا على المسير ذكروا ما بينهم وبين بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب فخافوا ان يؤتوا من خلفهم فجاءهم ابليس في صورة سراقة بن جعشم المدلجي وكان من اشراف كنانة وقال انا جار لكم فاخرجوا سراعا وكانوا تسعمائة وخمسين رجلا وقيل كانوا ألفا وكان خيلهم مائة فرس فجاء منها سبعون فرسا وغنم المسلمون ثلاثين فرسا وكان معهم سبعمائة بعير وكان مسير رسول الله صلى الله عليه وسلم لثلاث ليال خلون من شهر رمضان وكان معه ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا وقيل أربعة عشر وقيل بضعة عشر رجلا وقيل ثمانية عشر كانوا سبعة وسبعين من المهاجرين وقيل ثلاثة وثمانون والباقون من الانصار وقيل جميع من ضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهم من المهاجرين ثلاثة وثمانون رجلا ومن الاوس ... رجلا ومن الخزرج مائة وسبعون رجلا ولم يكن فيهم غير فارسين أحدهما المقداد بن عمرو الكندي ولا خلاف فيه والثاني قيل كان الزبير بن العوام وقيل كان مرثد وقيل المقداد وحده وكانت الابل سبعين بعيرا فكانوا يتعاقبون عليها البعير بين الاثنين والثلاثة والاربعة فكان بين النبي صلى الله عليه وسلم وعلي وزيد بن حارثة بعير وبين أبي بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف بعير وعلى مثل هذا وكان فرس المقداد اسمه سبحة وفرس الزبير ... وكان لواؤه مع مصعب بن عمير بن عبد الدار ورايته مع علي بن أبي طالب وعلى الساقة قيس بن أبي صعصعة الانصاري فلما كان قريبا من الصفراء بعث بسبس بن عمرو وعدي بن أبي الزغباء الجهنيين يتجسسان الاخبار عن أبي سفيان ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصفراء يسارا وعاد اليه بسبس بن عمرو يخبره ان العير قد قاربت بدرا ولم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين علم بمسير قريش لمنع عيرهم وكان قد بعث عليا والزبير وسعدا ... الخبر ببدر فأصابوا راوية لقريش فيهم أسلم غلام بني الحجاج وابو يسار غلام بني العاص ... بهما النبي صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلي فسألوهما فقالا نحن سقاة قريش بعثونا نسقيهم الماء فكره القوم خبرهما وضربوهما ليخبروهما عن أبي سفيان فقالا نحن لابي سفيان فتركوهما وفرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة وقال اذا صدقاكم ضربتموهما واذا كذباكم تركتموهما صدقا انهما لقريش أخبراني أين قريش قالا هم وراء هذا الكثيب الذي بالعدوة القصوى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كم القوم قالا كثير قال ما عدتهم قالا لا ندري قال كم ينحرون قالا يوما تسعا ويوما عشرا قال القوم بين تسعمائة الى الالف ثم قال فمن فيهم من اشراف قريش قالا عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد وابو البختري بن ...

درهم فقال ابو يوسف ان رأى امير ٤٨ المؤمنين يأمر بتعجيلها قبل الصبح فقال عجلوها فقال بعض من عنده ان الخازن في بيته والابواب مغلقة فقال ابو يوسف قد كانت الدروب مغلقة حين دعيت ففتحت ولم يلبث ساعة الا وقد اتى بالمال فقبضه وسار (ومما نقل) ان الرشيد حلف ان لا يدخل على جارية له اياما وكان يحبها فمضت الايام ولم تسترضه فقال

صد عني اذ رآني مفتتن
واطال الصبر لما ان فطن
كان مملوكي فأضحى مالكي
ان هذا من اعاجيب الزمن

ثم احضر ابا العتاهية فقال اجزهما فقال في الحال

عزة الحب ارته ذلتي
في هواه وله وجه حسن
فلهذا صرت مملوكا له
ولهذا شاع ما بي وعلن

(ذكر العتبي) ان ابان ... مع الرشيد يوما فجاؤا بهريسة في وسطها مكرجة فيها من دهن الدجاج قال ابان فاشتهيت من ذلك الدسم ومددت يدي لاغمس فانقلب الدسم شوى على الهريسة فقال الرشيد يا ابان اخرقتها لتغرق أهلها فقال ابان لا يا امير المؤمنين ولكن سقناه لبلد ميت فضحك الرشيد حتى امسك صدره وله اخبار في اللهو واللذات سامحه الله تعالى وله مناقب لا تحصى ومحاسن لا تستقصى (منها) ما روى ابن السماك دخل على الرشيد يوما فاستسقى فاتي بكوز فلما اخذه قال على رسلك يا امير المؤمنين

ابن حزام والحرث بن عامر وطعيمة بن عدي والنضر بن الحرث وزمعة بن الاسود وأبو جهل وأمية بن خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وسهيل بن عمرو وعمرو بن عبد ود فاقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه وقال هذه مكة قد القت اليكم افلاذ كبدها ثم استشار أصحابه فقال أبو بكر فاحسن ثم قال عمر فاحسن ثم قام المقداد بن عمرو فقال يارسول الله امض لما أمرك الله فنحن معك والله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد يعني مدينة الحبشة لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه فدعا له بخير ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشيروا علي أيها الناس وانما يريد الانصار لانهم كانوا اعدد الناس وخاف ان لا تكون الانصار ترى عليها نصرته الا ممن دهمه بالمدينة وليس عليهم ان يسير بهم فقال له سعد بن معاذ لكأنك تريدنا يارسول الله قال اجل قال قد آمنا بك وصدقناك واعطيناك عهودنا فامض يارسول الله لما أمرت فوالذي بعثك بالحق ان استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك وما نكره ان تكون تلقى العدو بنا غدا انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء لعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابشروا فان الله قد وعدني احدى الطائفتين والله لكأني أنظر الى مصارع القوم ثم انحط على بدر فنزل قريبا منها وكان أبو سفيان قد ساحل وترك بدرا يسارا ثم أسرع فنجا فلما رأى انه قد احرز عيره أرسل الى قريش وهم بالجحفة ان الله قد نجى عيركم وأموالكم فارجعوا فقال ابو جهل بن هشام والله لا نرجع حتى نرد بدرا وكان بدر موسما من مواسم العرب تجتمع لهم بها سوق كل عام فنقيم بها ثلاثا فننحر الجزر ونطعم الطعام ونسقي الخمر وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا أبدا فقال الاخنس بن شريق الثقفي وكان حليفا لبني زهرة وهم بالجحفة يابني زهرة قد نجى الله أموالكم وصاحبكم فارجعوا فرجعوا فلم يشهدها زهري ولا عدوي وشهدها سائر بطون قريش ولما كانت قريش بالجحفة رأى جهيم بن الصلت بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف رؤيا فقال اني رأيت فيما يرى النائم رجلا اقبل على فرس ومعه بعير له فقال قتل عتبة وشيبة وأبو جهل وغيرهم ممن قتل يومئذ ورأيته ضرب لبة بعيره ثم أرسله في العسكر فما بقي خباء الا اصابه من دمه فقال أبو جهل وهذا أيضا نبي من بني المطلب سيعلم غدا من المقتول وكان بين طالب بن أبي طالب وهو في القوم وبين بعض قريش محاورة فقالوا والله قد عرفنا ان هواكم مع محمد فرجع طالب الى مكة فيمن رجع وقيل انما كان خرج كرها فلم يوجد في الاسرى ولا في القتلى ولا فيمن رجع الى مكة وهو الذي يقول

يارب اما يغزون طالب * في مقنب من هذه المقانب
فليكن المسلوب غير السالب * وليكن المغلوب غير الغالب

ومضت قريش حتى نزلت بالعدوة القصوى من الوادي وبعث الله السماء وكان الوادي دهسا فاصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه منه مالبد لهم الارض ولم يمنعهم المسير وأصاب قريشا منه مالم يقدروا على ان يرحلوا معه فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يبادرهم الى الماء حتى اذا جاء أدنى ماء من بدر نزله فقال الحباب بن المنذر بن الجموح يارسول الله أهذا منزل

اترى لو منعت هذه الشربة فبم كنت تشتريها قال بنصف ملكي قال له اشرب هنأك الله فلما شربها قال اترى لو منعت خروجها من بدنك بماذا كنت تشتري خروجها قال بجميع ملكي قال ان ملكا قيمته شربة ماء لجدير ان لا يتنافس فيه فبكى هرون * وعن الصولي قال خرج الرشيد في السنة التي ولي فيها الخلافة الى اطراف الروم فغزا أهلها فظفر وعاد فحج بالناس آخر السنة وفرق بالحرمين مالا كثيرا وكان رأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال له ان هذا الامر قد صار اليك في هذا الشهر فاغز وحج ووسع على أهل الحرمين ففعل هذا كله في عام واحد وكان حجه ماشيا على اللبود وتفرش له من منزل الى منزل ولما ولي الرشيد قلد جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي وزارته وكان جعفر من الكرم والعطايا على جانب عظيم واخباره في ذلك مشهورة وفي الكتب مسطورة ولم يبلغ أحد من الوزراء المنزلة التي بلغها من الرشيد وكان الرشيد يسميه أخي ويدخله معه في ثوبه وكانت مدة وزارته للرشيد سبع عشرة سنة فقال يوما يحيى لابنه جعفر يابني ما دام قلمك يرعد فامطره معروفا واختلف الناس في سبب قتل جعفر والارجح ان الرشيد كان لا يصبر عن جعفر ولا عن اخته عباسة بنت المهدي ساعة واحدة وكانت

انزلكه الله ليس لنا ان نتقدمه أو نتأخره ام هو الرأي والحرب والمكيدة قال بل هو الرأي والحرب والمكيدة فقال يا رسول الله فان هذا ليس لك بمنزل فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ثم نغوّر ما وراءه من القلب ثم نبني له حوضا ونملأه ماء فنشرب ماء ولا يشربون ثم نقاتلهم ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فلما نزل جاء سعد بن معاذ فقال يا رسول الله نبني لك عريشا من جريد فتكون فيه ونترك عندك ركائبك ثم نلقى عدونا فان أعزنا الله واظهرنا الله عليهم كان ذلك مما أحببناه وان كانت الاخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا فقد تخلف عنك اقوام ما نحن بأشد حبا لك منهم ولو ظنوا انك تلقى حربا ما تخلفوا عنك يمنعك الله بهم يناصحونك ويحاربون معك فاثنى عليه خيرا ثم بني لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريش واقبلت قريش بخيلائها وفخرها فلما رآها قال اللهم هذه قريش قد اقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني اللهم أحنهم الغداة ورأى عتبة بن ربيعة على جمل احمر فقال ان يكن عند أحد من القوم خير فعند صاحب الجمل الاحمر ان يطيعوه يرشدوا وكان خفاف بن أيماء بن رحضة الغفاري او ابوه أيماء بعث الى قريش حين مروا به ابنا له بجزائر اهداها لهم وعرض عليهم المدد بالرجال والسلاح فقالت قريش ان كنا انما نقاتل الناس فما بنا من ضعف وان كنا نقاتل الله كما زعم محمد فما لاحد بالله طاقة فلما نزلت قريش اقبل جماعة منهم حكيم بن حزام حتى وردوا حوض النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتركوهم فما شرب منه رجل الا قتل يومئذ الا حكيم فنجا على فرس له يقال له الوجيه واسلم بعد ذلك فحسن اسلامه وكان يقول اذا اجتهد في يمينه لا والذي نجاني يوم بدر ولما اطمأنت قريش بعثوا عمرو بن وهب الجمحي ليحزر المسلمين فجال بفرسه حولهم ثم عاد فقال هم ثلثمائة يزيدون قليلا أو ينقصونه ولقد رأيت الولايا تحمل المنايا نواضح يثرب تحمل الموت الناقع ليس لهم منعة الا سيوفهم والله لا يقتل رجل منهم الا يقتل رجلا منكم فاذا أصابوا اعدادهم فما خير العيش بعد ذلك فروا رأيكم فلما سمع حكيم بن حزام ذلك مشى في القوم وأتى عتبة بن ربيعة فقال يا أبا الوليد انك كبير قريش وسيدها هل لك ان لا تزال تذكر فيها بخير الى آخر الدهر قال وما ذاك قال ترجع بالناس وتحمل دم حليفك عمرو بن الحضرمي قال قد فعلت على دمه وما أصيب من ماله فائت ابن الحنظلية يعني أبا جهل فلا أخشى ان يفسد أمر الناس غيره فقام عتبة في الناس فقال انكم ما تصنعون بان تلقوا محمدا وأصحابه شيأ والله لئن اصبتموهم لا يزال رجل ينظر في وجه رجل يكره النظر اليه قتل ابن عمه او ابن خاله أو رجلا من عشيرته قال حكيم بن حزام فانطلقت الى ابي جهل فوجدته قد نثل درعا وهو يهيئها فاعلمته ما قال عتبة فقال انتفخ والله سحره حين رأى محمدا وأصحابه والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد وما بعتبة ما قال ولكن رأى ابنه ابا حذيفة فيهم وقد خافكم عليه ثم بعث الى عامر بن الحضرمي فقال له هذا حليفك يريد ان يرجع الى مكة بالناس وقد رأيت ثأرك بعينك فانشد خفرتك ومقتل أخيك فقام عامر وصرخ واعمراه واعمراه فحميت الحرب واستوثق الناس على الشر فلما بلغ عتبة قول أبي جهل انتفخ سحره قال سيعلم مصفر استه من انتفخ سحره انا ام هو ثم التمس بيضة يدخلها رأسه فما وجد من عظم هامته فاعتجر ببردة وخرج الاسود بن

من اجل النساء فقال لجعفر ازوجكها ليحل لك النظر اليها ولا تمسها فكانا يحضران مجلسه ثم يقوم الرشيد عن المجلس فيملئان من الشراب وهما شابان فيقوم اليها جعفر فيجامعها فحملت وولدت غلاما وخافت الرشيد فوجهت المولود مع خواصها الى مكة ولم يزل الامر مستورا حتى وقع بين عباسة وبين بعض جواريها شر فانهت أمر الصبي وأخبرت بمكانه فلما حج الرشيد أرسل من أتاه بالصبي فوجد الامر صحيحا فاوقع بالبرامكة وقيل سبب قتله انه رفعت الى الرشيد رقعة لم يعرف رافعها فيها هذه الابيات

قل لامير المؤمنين الرضا
ومن اليه الحل والعقد
هذا ابن يحيى قد غدا مالكا
مثلك ما بينكما بد
أمرك مردود الى امره
وامره ليس له رد
وقد بنى الدار التي ما بنى الـ
فرس لها مثلا ولا الهند
الدر والياقوت حصباؤها
وتربها العنبر والند
ونحن نخشى انه وارث
ملكك ان غيبك اللحد
وهل يباهي العبد أربابه
الا اذا ما بطر العبد

فلما وقف الرشيد عليها اضمر له السوء واوقع بهم وقيل بل ارادت البرامكة اظهار الزندقة وفساد الملك فقتلهم وكان قتلهم في مستهل صفر سنة سبع وثمانين ومائة ولما نصب رأس جعفر على الجسر وقف عليه يزيد الرقاشي الشاعر فقال

عبد الاسد المخزومي وكان سيئ الخلق فقال اعاهد الله لاشربن من حوضهم ولاهدمنه أولاموتن دونه فخرج اليه حمزة فضربه فاطن قدمه بنصف ساقه فوقع على الارض ثم حبا الى الحوض فاقتحم فيه ليبر يمينه وتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض ثم خرج عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة ودعوا الى المبارزة فخرج اليهم عوف ومعوذ ابنا عفراء وعبد الله بن رواحة كلهم من الانصار فقالوا ممن أنتم قالوا من الانصار فقالوا أكفاء كرام ومالنا بكم من حاجة ليخرج الينا أكفاؤنا من قومنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم قم يا حمزة قم يا عبيدة بن الحرث قم يا على فقاموا ودنا بعضهم من بعض فبارز عبيدة بن الحرث بن عبد المطلب وكان أمير القوم عتبة وبارز حمزة شيبة وبارز على الوليد فاما حمزة فلم يمهل شيبة ان قتله واما على فلم يمهل الوليد ان قتله واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين كلاهما اثبت صاحبه وكر حمزة وعلى على عتبة فقتلاه واحتملا عبيدة الى أصحابه وقد قطعت رجله فلما أتوا به النبي صلى الله عليه وسلم قال ألست شهيدا يا رسول الله قال نعم قال لو رآني أبو طالب لعلم اننا احق منه بقوله

ونسلمه حتى نصرع حوله * ونذهل عن ابنائنا والحلائل

ثم مات وتزاحف القوم ودنا بعضهم من بعض وابو جهل يقول اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لا نعرف فأحنه الغداة فكان هو المستفتح على نفسه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر أصحابه ان لا يحملوا حتى يأمرهم وقال ان اكتنفكم القوم فانضحوهم عنكم بالنبل ونزل في العريش ومعه أبو بكر وهو يدعو ويقول اللهم ان تهلك هذه العصابة من أهل الاسلام لا تعبد في الارض اللهم انجز لي ما وعدتني ولم يزل حتى سقط رداؤه فوضعه عليه أبو بكر ثم قال له كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك واغفى رسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش اغفاءة وانتبه ثم قال يا أبا بكر اتاك نصر الله هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على ثناياه النقع وانزل الله اذ تستغيثون ربكم الآية وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر وحرض المسلمين وقال والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر الا أدخله الله الجنة فقال عمير بن الحمام الانصاري وبيده تمرات يأكلهن بخ بخ ما بيني وبين ان أدخل الجنة الا ان يقتلني هؤلاء ثم القى التمرات من يده وقاتل حتى قتل ورمى مهجع مولى عمر بن الخطاب بسهم فقتل فكان أول قتيل ثم رمى حارثة بن سراقة الانصاري فقتل وقاتل عوف بن عفراء حتى قتل واقتتل الناس قتالا شديدا فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حفنة من التراب ورمى بها قريشا وقال شاهت الوجوه وقال لاصحابه شدوا عليهم فكانت الهزيمة فقتل الله من قتل من المشركين وأسر من أسر منهم ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش وسعد بن معاذ قائم على باب العريش متوشحا بالسيف في نفر من الانصار يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم يخافون عليه كرة العدو فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجه سعد بن معاذ الكراهية لما يصنع الناس من الاسر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لكأنك تكره ذلك يا سعد قال اجل يا رسول الله أول وقعة أوقعها الله بالمشركين كان الاثخان أحب الي من استبقاء الرجال وكان أول من لقى أبا جهل معاذ بن عمرو ابن الجموح وقريش محيطة به يقولون لا يخلص الى أبي الحكم قال معاذ فجعلته من شاني فلما

انا والله لولا خوف واش * وعين للخليفة لاتنام
لطفنا حول جذعك واستلمنا * كما للناس بالحجر استلام
فما أبصرت قبلك يا ابن يحيى * حساما فله السيف الحسام
على اللذات والدنيا جميعا * لدولة آل برمك السلام

فبلغ الرشيد مقاله فاحضره فقال ما حملك على ما قلت وقد بلغك ما توعدنا به كل من يقف عليه او يرثيه قال كان يعطيني كل سنة ألف دينار فأمر له الرشيد بألفي دينار وقال هي لك ما دمنا في قيد الحياة وروى ان امرأة وقفت على جعفر ونظرت الى رأسه معلقا فقالت أما والله ان صرت اليوم آية لقد كنت في المكارم غاية ولما بلغ سفيان بن عيينة رحمه الله قتل جعفر وما نزل بالبرامكة حول وجهه الى القبلة وقال اللهم ان جعفرا كان قد كفاني مؤنة الدنيا فاكفه مؤنة الآخرة وفي نزهة النفوس ان اخبار البرامكة الكثيرة ينبغي لكل مؤرخ ان يجعل طراز تاريخه ذكر صفاتهم لان فيها خمس فوائد أولاها ان الكريم اذا سمعها ازيد في كرمه وثانيتها ان البخيل يأنف على نفسه ويتكرم وثالثها ان الاديب يقتبس من أدبهم ورابعها ان المغرور بدنياه يعتبر بما جرى عليهم بعد عز سلطانهم وخامسها ان يتأسى بهم من دارت عليه دائرتهم والعياذ بالله من مكره مات الرشيد في الغزو بطوس من خراسان ودفن بها

أمكنني حملت عليه فضربته ضربة اطنت قدمه بنصف ساقه وضربني ابنه عكرمة فطرح يدي من عاتقي فتعلقت بجلدة من جنبي فقاتلت عامة يومي واني لاسحبها خلفي فلما آذتني جعلت عليها رجلي ثم تمطيت حتى طرحتها وعاش معاذ الى زمان عثمان رضي الله عنه ثم مر بأبي جهل معوذ بن عفراء فضربه حتى اثبته وتركه وبه رمق ثم مر به ابن مسعود وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يلتمس في القتلى فوجده بآخر رمق قال فوضعت رجلي على عنقه ثم قلت هل أخزاك الله يا عدو الله قال وبما أخزاني أأعمد من رجل قتلتموه اخبرني لمن الدائرة قلت لله ولرسوله فقال له أبو جهل لقد ارتقيت يا رويعي الغنم مرتقى صعبا قال فقلت اني قاتلك قال ما انت بأول عبد قتل سيده أما ان أشد شيء لقيته اليوم قتلك اياي وألا قتلني رجل من المطيبين الاحلاف فضربه عبد الله فوقع رأسه بين رجليه فحمله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد شكر الله وكان عبد الرحمن بن عوف قد غنم ادراعا فمر بأمية بن خلف وابنه علي فقالا له نحن خير لك من هذه الادراع فطرح الادراع وأخذ بيده وبيد ابنه ومشى بهما فقال له أمية من الرجل المعلم بريشة نعامة في صدره قال حمزة بن عبد المطلب قال أمية هو الذي فعل بنا الافاعيل ورأى بلال أمية وكان يعذبه بمكة فيخرج به الى رمضاء مكة فيضجعه على ظهره ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ويقول لا تزال هكذا حتى تفارق دين محمد فيقول بلال احد احد فلما رآه بلال قال أمية رأس الكفر لانجوت ان نجا ثم صرخ يا أنصار الله رأس الكفر أمية بن خلف لانجوت ان نجا فأحاط بهم المسلمون وقتل أمية وابنه علي وكان عبد الرحمن يقول رحم الله بلالا ذهبت ادراعي وفجعني بأسيري وقتل حنظلة بن أبي سفيان بن حرب قتله علي بن ابي طالب ولما انهزم المشركون أمر النبي صلى الله عليه وسلم ان لا يقتل أبو البختري بن هشام لانه كان أكف القوم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة وكان ممن اهتم في نقض الصحيفة فلقيه المجذر بن زياد البلوي حليف الانصار ومعه زميل له فقال له ان رسول الله قد نهى عن قتلك فقال وزميلي فقال المجذر لا والله قال اذا والله لاموتن انا وهو ولا تتحدث نساء قريش اني تركت زميلي حرصا على الحياة فقتل ثم أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبره وجيء بالعباس أسره ابو اليسر وكان مجموعا وكان العباس جسيما فقيل لابي اليسر كيف أسرته قال أعانني عليه رجل ما رأيته قبل ذلك بهيئة كذا وكذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أعانك عليه ملك كريم ولما امسى العباس مأسورا بات رسول الله صلى الله عليه وسلم ساهرا أول ليلة فقال له أصحابه يا رسول الله ما لك لا تنام فقال سمعت تضور العباس في وثاقه فمنع مني النوم فقاموا اليه فاطلقوه فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يومئذ قد عرفت رجالا من بني هاشم وغيرهم أخرجوا كرها فمن لقي منكم أحدا من بني هاشم فلا يقتله ومن لقي العباس بن عبد المطلب فلا يقتله فانه أخرج كرها فقال أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة انقتل ابناءنا وآباءنا واخواننا ونترك العباس والله لئن لقيته لالحمنه بالسيف فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال لعمر يا أبا حفص اما تسمع قول أبي حذيفة ايضرب وجه عم رسول الله بالسيف فقال ابو حذيفة لا ازال خائفا من تلك الكلمة ولا يكفرها عني الا الشهادة فقتل يوم اليمامة شهيدا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه قد رأيت جبريل

في ثالث جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة وله خمس وأربعون سنة وصلى عليه ابنه صالح قيل انه رأى مناما انه يموت بطوس فبكى وقال احضروا لي قبرا فحفروا له ثم حمل في قبة على جمل وسيق به حتى نظر الى القبر فقال يا ابن آدم تصير الى هذا وأمر قوما فنزلوا فختموا فيه ختمة وهو في محفة على شفير القبر وعهد بالخلافة لابنه الامين وهو حينئذ ببغداد وأخذ رجاء الخادم البردة والقضيب والخاتم وسار على البريد في اثني عشر يوما من مرو حتى قدم بغداد فدفع ذلك الى الامين وقال أبو نواس جامعا بين الهناء والعزاء

جرت جوار بالسعد والنحس
فنحن في مأتم وفي عرس
القلب يبكي والعين ضاحكة
ونحن في وحشة وفي أنس
يضحكنا القائم الامين ويب
كينا وفاة الامام بالامس
بدران بدر اضحى ببغداد في ال
خلد وبدر بطوس في الرمس

وكانت مدة ملكه ثلاثا وعشرين سنة وشهرين رحمه الله تعالى

* (الفصل السادس) * في ذكر خلافة محمد الامين أبي عبد الله بن هرون الرشيد

بويع له بالخلافة بعد موت أبيه هرون الرشيد بعهد منه وكان من أحسن الناس صورة كان طويلا أبيض جميلا بديع الحسن جدا ذا قوة مفرطة وبطش وشجاعة وفصاحة وأدب وفضيلة وكان أشرف الخلفاء ابا واما وامه امة وعلى

العزيز زبيدة امها وهي بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور كان سيئ التدبير كثير التبذير لا يصغي الى قول المشير

وعلى ثناياه النقع فقال رجل من بني غفار اقبلت أنا وابن عم لي فصعدنا جبلا يشرف بنا على بدر ونحن مشركان ننتظر لمن تكون الدائرة فننتهب فدنت منا سحابة فسمعت فيها حمحمة الخيل وسمعت قائلا يقول اقدم حيزوم قال فاما ابن عمي فمات مكانه وأما أنا فكدت اهلك فتماسكت وقال أبو داود المازني اني لاتبع رجلا من المشركين لاضربه اذ وقع رأسه قبل ان يصل سيفي اليه فعرفت انه قتله غيري وقال سهل بن حنيف كان أحدنا يشير بسيفه الى المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل ان يصل اليه السيف فلما هزم الله المشركين وقتل منهم من قتل واسر من أسر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تطرح القتلى في القليب فطرحوا فيه الا امية بن خلف فانه انتفخ في درعه فملأها فذهبوا به ليخرجوه فتقطع وطرحوا عليه من التراب والحجارة ما غيبه ولما القوا في القليب وقف عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا أهل القليب بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم كذبتموني وصدقني الناس ثم قال يا عتبة يا شيبة يا أمية بن خلف يا ابا جهل بن هشام وعدد من كان في القليب هل وجدتم ما وعد ربكم حقا فاني وجدت ما وعدني ربي حقا فقال له أصحابه اتكلم قوما موتى فقال ما انتم باسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يستطيعون ان يجيبوني ولما قال صلى الله عليه وسلم لاهل القليب ما قال رأى في وجه ابي حذيفة بن عتبة الكراهية وقد تغير فقال لعلك قد دخلك من شأن أبيك شيء قال لا والله يا رسول الله ما شككت في أبي وفي مصرعه ولكنه كان له عقل وحلم وفضل فكنت ارجو له الاسلام فلما رأيت ما مات عليه من الكفر احزنني ذلك فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بجمع ما في العسكر فاختلف المسلمون فقال من جمعه هو لنا وقال الذين كانوا يقاتلون العدو لولا نحن ما اصبتموه نحن شغلنا القوم عنكم وقال الذين كانوا يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في العريش والله ما أنتم باحق به منا لقد رأينا ان نأخذ المتاع حين لم يكن له من يمنعه ولكن خفنا كرة العدو على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقمنا دونه فنزع الله الانفال من أيديهم وجعلها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمها بين المسلمين على سواء وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة بشيرا الى اهل العالية وزيد بن حارثة بشيرا الى أهل السافلة من المدينة فوصل زيد وقد سووا التراب على رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت زوجة عثمان بن عفان خلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وقسم له فلما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم لقيه الناس يهنئونه بما فتح الله عليه فقال سلمة بن سلامة بن وقش الانصاري ان لقينا الا عجائز صلعا كالبدن المعقلة فنحرناها فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا ابن اخي أولئك الملأ من قريش وكان في الاسرى النضر بن الحرث وعقبة بن أبي معيط فامر علي بن ابي طالب بقتل النضر فقتله بالصفراء وأمر عاصم بن ثابت بقتل عقبة بن ابي معيط فلما ارادوا قتله جزع من القتل وقال مالي اسوة بهؤلاء يعني الاسرى ثم قال يا محمد من للصبية قال النار فقتله بعرق الظبية صبرا وكان في الاسرى سهيل بن عمرو واسره مالك بن الدخشم الانصاري فلما أتي به النبي صلى الله عليه وسلم قال عمر بن الخطاب دعني انزع ثنيتيه يا رسول الله فلا يقوم عليك خطيبا أبدا وكان سهيل أعلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعه يا عمر فسيقوم مقاما تحمده عليه فكان مقامه ذلك عند موت النبي

نقش خاتمه لكل عمل ثواب ولم يكن في الخلفاء من امه هاشمية سواه وسوى علي ابن أبي طالب والحسن والحسين وكان مشتغلا باللهو والقصف والاقبال على اللذات ومما قيل فيه من ابيات

اذا غدا ملك باللهو مشتغلا ... فاحكم على ملكه بالويل والحرب

أما ترى الشمس في الميزان هابطة ... لما غدا وهو برج اللهو والطرب

ولما ولي الخلافة فرق الاموال وانعكف على الشراب ومنادمة الفساق وأرسل الى البلاد لجمع المغاني واجرى عليهم الرواتب واحتجب عن الامراء والاعيان ثم قسم الاموال والجواهر في الحظيات والنساء واشترى عريبة المغنية بمائة ألف دينار وأخذ جارية ابن عمه بعشرين ألف دينار ولم يزل يعمل برأيه السقيم وصمم على ذلك أشد تصميم كتب الامين يوما الى أخيه المأمون هذه الابيات

يا ابن التي بيعت بابخس قيمة ... بين الورى في سوق هل من زائد

ما فيك موضع غرزة من ابرة ... الا وفيه نطفة من واحد

(فأجابه المأمون) وانما أمهات الناس أوعية * مستودعات وللآباء ابناء

صلى الله عليه وسلم وسنذكره عند خبر الخندق ان شاء الله ولما قدم به المدينة قالت سودة بنت زمعة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أعطيتم بأيديكم كما تفعل النساء ألا متم كراما فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قولها فقال لها يا سودة على الله وعلى رسوله فقالت يا رسول الله ما ملكت نفسي حين رأيته أن قلت ما قلت وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استوصوا بالاسرى خيرا وكان أحدهم يؤثر اسيره بطعامه فكان أول من قدم مكة بمصاب قريش الحيسمان بن اياس الخزاعي فقالوا ما وراءك قال قتل عتبة وشيبة وأبو الحكم ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وعدد اشراف قريش فقال صفوان بن أمية والله ان يعقل فاسألوه عني فقالوا ما فعل صفوان قال هو ذاك جالس في الحجر وقد رأيت اباه وأخاه حين قتلا ومات أبو لهب بمكة بعد وصول خبر مقتل قريش بسبعة ايام وناحت قريش على قتلاهم ثم قالوا لا تفعلوا فيشمت محمد وأصحابه ولا تعجلوا في فداء اسراكم لا يشتط عليكم محمد وكان الاسود بن عبد يغوث قد أصيب له ثلاثة من ولده زمعة وعقيل والحرث وكان يحب ان يبكي على بنيه فبينما هو كذلك اذ سمع نائحة فقال لغلامه وقد ذهب بصره انظر هل احل البكاء لعلي ابكي على زمعة فان جوفي قد احترق فرجع اليه وقال انما هي امرأة تبكي على بعير لها أضلته فقال

أتبكي ان يضل لها بعير * ويمنعها من النوم السهود
ولا تبكي على بكر ولكن * على بدر تقاصرت الجدود
على بدر سراة بني هصيص * ومخزوم ورهط ابي الوليد
فبكي ان بكيت على عقيل * وبكي حارثا أسد الاسود
وبكيهم ولا تسمي جميعا * فما لابي حكيمة من نديد
ألا قد ساد بعدهم اناس * ولولا يوم بدر لم يسودوا

يعني أبا سفيان ثم ان قريشا ارسلت في فداء الاسارى فأول من فدى ابو وداعة السهمي فداه ابنه المطلب وفدى العباس نفسه وعقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحرث بن عبد المطلب وحليفه عتبة بن عمرو بن جحدم أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال لا مال لي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أين المال الذي وضعته عند أم الفضل وقلت لها ان أصبت فللفضل كذا ولعبد الله كذا ولعبيد الله كذا فقال والذي بعثك بالحق ما علم به أحد غيري وغيرها واني لاعلم انك رسول الله وفدى نفسه وابني أخويه وحليفه وكان قد أخذ مع العباس عشرون أوقية من ذهب فقال احسبها في فدائي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا ذاك شيء أعطاناه الله عز وجل وكان في الاسارى عمرو بن أبي سفيان اسره علي فقيل لابيه افد عمرا فقال لا اجمع على دمي ومالي يقتل ابني حنظلة وأفدي عمرا فتركه ولم يفكه ثم ان سعد بن النعمان الانصاري خرج الى مكة معتمرا فأخذه أبو سفيان وكانت قريش لا تعرض لحاج ولا معتمر فحبسه أبو سفيان ليفدي به عمرا ابنه وقال

ارهط ابن اكال اجيبوا دعاءه * تعاقدتم لا تسلموا السيد الكهلا
فان بني عمرو لئام اذلة * لئن لم يفكوا عن اسيرهم الكبلا

فمشى بنو عمرو بن عوف الى النبي صلى الله عليه وسلم فطلبوا منه عمرو بن ابي سفيان ففادوا به

قرب معربة ليست بخصبة * وطالما الشيب في المدر عماه

ثم ان المأمون خلع أخاه الامين من الخلافة وجهز لقتاله طاهر بن الحسين وهرثمة بن أعين فسارا اليه وحصراه ببغداد وبلغ الخبر الى الامين وهو في جنب حوض ماء مع جواريه يتصيد السمك وكان وضع في أنف كل سمكة درة نفيسة شبكها بقضيب الذهب فكل من صادت من جواريه سمكة كانت الدرة لصائدتها فرفع الامين رأسه فقال للذي اخبره ويلك دعني فان الجارية فلانة قد صادت سمكتين وأنا ما صدت شيأ بعد واستمر القتال بينه وبين أخيه وفسد المال ونفدت الاموال وكثر الخراب والهدم من القتال حتى درست محاسن بغداد ودام حصار بغداد خمسة عشر شهرا ولحق غالب العباسيين واركان الدولة بجند المأمون ولم يبق مع الامين من يقاتل عنه الا اناس قليل الى ان استهلت سنة ثمان وتسعين ومائة فدخل طاهر بن الحسين ومن معه بغداد بالسيف قهرا فخرج الامين بامه وأهله من القصر الى مدينة المنصور وتفرق عامة جنده ثم دخل عليه قوم من العجم ليلا فضربوه بالسيف ثم ذبحوه من قفاه وذهبوا برأسه الى طاهر فنصبه على حائط بستان ونودي هذا رأس المخلوع محمد الامين وجرت جثته بحبل ثم بعث طاهر بالرأس والبردة والقضيب سعدا

سعدا وكان فى الاسارى أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس زوج زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من اكثر رجال مكة مالا وامانة وتجارة وكانت أمه هالة بنت خويلد اخت خديجة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته ان يزوجه زينب ففعل قبل ان يوحى اليه فلما أوحى اليه آمنت به زينب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مغلوبا بمكة لم يقدر ان يفرق بينهما فلما خرجت قريش الى بدر خرج معهم فأسر فلما بعثت قريش فى فداء الاسارى بعثت زينب فى فداء ابى العاص زوجها بقلادة لها كانت خديجة ادخلتها معها فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لها رقة شديدة وقال ان رأيتم ان تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها الذى لها فافعلوا فاطلقوا لها أسيرها وردوا القلادة وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه ان يرسل زينب اليه بالمدينة وسار الى مكة وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد ابن حارثة مولاه ورجلا من الانصار ليصحبا زينب من مكة فلما قدم أبو العاص امرها باللحاق بالنبى صلى الله عليه وسلم فتجهزت سرا واركبها كنانة بن الربيع أخو ابى العاص بعيرا وأخذ قوسه وخرج بها نهارا فسمعت بها قريش فخرجوا فى طلبها فلحقوها بذى طوى وكانت حاملا فطرحت حملها لما رجعت لخوفها ونثر كنانة أسهمه ثم قال والله لا يدنو منى أحد الا وضعت فيه سهما فاتاه أبو سفيان بن حرب وقال خرجت بها علانية فيظن الناس ان ذلك عن ذل وضعف منا ولعمرى ما لنا فى حبسها حاجة فارجع بالمرأة ليتحدث الناس أنا رددناها ثم أخرجها ليلا وسلمها الى زيد ابن حارثة وصاحبه فقدما بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقامت عنده فلما كان قبيل الفتح خرج أبو العاص تاجرا الى الشام باموال وأموال رجال من قريش فلما عاد لقيه سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذوا ما معه وهرب منهم فلما كان الليل أتى الى المدينة فدخل على زينب فلما كان الصبح خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الصلاة فكبر وكبر الناس فنادت زينب من صفة النساء أيها الناس انى قد اجرت أبا العاص فقال النبى صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ما علمت بشئ من ذلك وانه ليجير على المسلمين أدناهم وقال لزينب لا يخلصن اليك فلا يحل لك وقال للسرية الذين أصابوه ان رأيتم ان تردوا عليه الذى له فانا نحب ذلك وان أبيتم فهو فئ الله الذى افاءه عليكم وأنتم احق به قالوا يا رسول الله بل نرده عليه فردوا عليه ماله كله حتى الشطاط ثم عاد الى مكة فرد على الناس مالهم وقال لهم اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله والله ما منعنى من الاسلام عنده الا تخوف ان تظنوا انما أردت ا كل أموالكم ثم خرج فقدم على النبى صلى الله عليه وسلم فرد عليه أهله بالنكاح الاول وقيل بنكاح جديد وجلس عمير بن وهب الجمحى مع صفوان بن أمية بعد بدر وكان شيطانا ممن كان يؤذى النبى وأصحابه وكان ابن وهب فى الاسارى فقال صفوان لا خير فى العيش بعد من أصيب ببدر فقال عمير صدقت ولولا دين على وعيال اخشى ضيعتهم لركبت الى محمد حتى أقتله فقال صفوان دينك على وعيالك مع عيالى اسوتهم فسار الى المدينة فقدمها فامر النبى صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب بادخاله عليه فأخذ عمر بحمالة سيفه وقال لرجال معه من الانصار ادخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم واحذروا هذا الخبيث فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعمر اتركه ثم قال ادن يا عمير ما جاء بك قال جئت لهذا الاسير قال أصدقنى قال

والمصلى وهو من سعف مبطن الى المأمون واشتد على المأمون قتل أخيه وكان يحب ان يرسل اليه جميلا يرى فيه رأيه فحقد ذلك على طاهر واهمله الى أن مات طريدا بعيدا وفى عيون التواريخ ان المأمون مر يوما على زبيدة أم الامين فرآها تحرك شفتيها بشئ لا يفهم فقال يا أماه أتدعين على لكونى قتلت ابنك وسلبت ملكه قالت لا والله يا أمير المؤمنين قال فما الذى قلته قالت يعفونى أمير المؤمنين فألح عليها وقال لابد ان تقوليه قالت قلت قبح الله الملاححة قال وكيف ذلك قالت لانى لعبت يوما مع أمير المؤمنين الرشيد بالشطرنج والشرط على الحكم والرضا فغلبنى فامرنى ان اتجرد من أثوابى واطوف القصر عريانة فاستعفيته فلم يعفنى فتجردت من اثوابى وطفت القصر عريانة وانا حنقة عليه ثم عاودنا اللعب فغلبته فأمرته ان يذهب الى المطبخ فيطأ أقبح جواريه واسوأها خلقة فاستعفانى ذلك فلم اعفه فبذل لى خراج مصر والعراق فابيت فقلت والله لتفعلن ذلك فأبى فألححت عليه فاخذت بيده وجئت به الى المطبخ فلم أجد جارية أقبح ولا اقذر ولا اسوأ خلقة من أمك مراجل فامرته ان يطأها فوطئها فحملت منه بك فكنت سببا لقتل ولدى وسلبه مملكته فولى المأمون وهو يقول لعن الله الملاححة اى التى الح عليها حتى

ما جئت الا لذلك قال بل قعدت أنت وصفوان وجرى بينكما كذا وكذا فقال عمير أشهد انك رسول الله هذا الامر لم يحضره الا أنا وصفوان فالحمد لله الذي هداني للاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقهوا أخاكم في دينه وعلموه القرآن وأطلقوا له اسيره ففعلوا فقال يارسول الله كنت شديد الاذى للمسلمين فاحب ان تأذن لي فأقدم مكة فادعو الى الله وأوذي الكفار في دينهم كما كنت أوذي أصحابك فاذن له فكان صفوان يقول أبشروا الآن بوقعة تأتيكم تنسيكم وقعة بدر فلما قدم عمير مكة أقام بها يدعو الى الله فأسلم معه ناس كثير وكان يؤذي من خالفه وقدم مكرز بن حفص بن الاخيف في فداء سهيل بن عمرو وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشاور أبا بكر وعمر وعليا في الاسارى فأشار أبو بكر بالفداء وأشار عمر بالقتل فمال رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القتل فأنزل الله تعالى ما كان لنبي ان تكون له أسرى حتى يثخن في الارض الى قوله لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم وكان الاسرى سبعين فقتل من المسلمين عقوبة بالمفاداة يوم أحد سبعون وكسرت رباعية رسول الله وهشمت البيضة على رأسه وسال الدم على وجهه وانهزم أصحابه فأنزل الله تعالى أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها وكان جميع من قتل من المسلمين يبدر أربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة استصغرهم منهم عبد الله بن عمر ورافع بن خديج والبراء بن عازب وزيد بن ثابت وأسيد بن حضير وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم لثمانية نفر بسهم في الانفال لم يحضروا الوقعة منهم عثمان بن عفان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه على زوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم لمرضها وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد كان أرسلهما يتجسسان خبر العير وأبو لبابة خلفه على المدينة وعاصم بن عدي خلفه على العالية والحرث بن حاطب رده الى بني عمرو بن عوف لشئ بلغه عنهم والحرث بن الصمة كسر بالروحاء وخوات ابن جبير كسر في بدر ونفل سيفه ذي الفقار وكان لمنبه بن الحجاج وقيل كان للعاص بن منبه قتله علي صبرا وأخذ سيفه ذا الفقار فكان للنبي صلى الله عليه وسلم فوهبه لعلي (روحة بفتح الراء المهملة والحاء المهملة والضاد المعجمة والحباب بضم الحاء المهملة والباء الموحدة أسيد بن حضير بضم الهمزة والضاد المعجمة وخديج بفتح الخاء المعجمة وكسر الدال المهملة)

(ذكر غزوة بني قينقاع)

لما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر أظهرت يهود له الحسد بما فتح الله عليه وبغوا ونقضوا العهد وكان قد وادعهم حين قدم المدينة مهاجرا فلما بلغه حسدهم جمعهم بسوق بني قينقاع فقال لهم احذروا ما نزل بقريش وأسلموا فانكم قد عرفتم اني نبي مرسل فقالوا يا محمد لا يغرنك انك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة فكانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبينه فبينما هم على مجاهرتهم وكفرهم اذ جاءت امرأة مسلمة الى سوق بني قينقاع فجلست عند صائغ لاجل حلي لها فجاء رجل منهم فخل درعها الى ظهرها وهي لا تشعر فلما قامت بدت عورتها فضحكوا منها فقام اليه رجل من المسلمين فقتله ونبذوا العهد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحصنوا في حصونهم فغزاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاصرهم خمس عشرة ليلة فنزلوا على حكمه فكتفوا وهو يريد قتلهم وكانوا حلفاء الخزرج فقام اليه عبد الله بن

اخبرنه هذا الخبر وكان قتله في محرم سنة ثمان كما سبق وتسع وعشرون سنة ودفن ببغداد فكانت خلافته أربع سنين وثمانية شهور

(الفصل السابع) في ذكر خلافة عبد الله المأمون أبي العباس بن هرون الرشيد

بويع له بالخلافة في حياة أخيه وكان أبيض مربوعا مليح الوجه طويل اللحية دينا عارفا بالعلم فيه دهاء وسياسة قرأ العلم في صغره مع أخيه الامين على أبي حنيفة ؟ رحمه الله وسمع الحديث من أبيه ولد سنة سبعين ومائة في ليلة النصف من ربيع الاول وكانت ليلة الجمعة وهي التي مات فيها الهادي وأمه أم ولد اسمها مراجل ماتت في نفاسها به نفس ساعة المرت حق وذكر ابن خلكان ان المأمون كان عظيم العفو وكان يقول لو يعلم الناس ما أجد في العفو من اللذة لتقربوا الي بالذنوب وكان جوادا بالاموال عارفا بعلم النجوم وغيره ولم يل الخلافة من بني العباس أعلم منه وقيل انه ختم في بعض أشهر رمضان ثلاثا وثلاثين ختمة (وفي أيامه) ظهر القول بخلق القرآن فحمل الناس على القول بخلق القرآن وكل من لم يقل بمقالته عاقبه أشد عقوبة ثم غزا الروم وفتح فتوحات كثيرة وكان أمره نافذا بافريقية الى أقصى بلاد خراسان وما وراء النهر الى الهند والسند وكان يخرج في الليل يتفقد أحوال عسكره

ابي

أبي ابن سلول فكلمه فيهم فلم يجبه فادخل يده في جيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى الغضب في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ويحك أرسلني فقال لا أرسلك حتى تحسن الى موالي أربعمائة حاسر وثلثمائة دارع قد منعوني من الاحمر والاسود واني والله لا أخشى الدوائر فقال النبي صلى الله عليه وسلم هم لك خلوهم لعنهم الله ولعنه معهم وغنم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ما كان لهم من مال ولم يكن لهم ارضون انما كانوا صاغة وكان الذي أخرجهم عبادة بن الصامت الانصاري فبلغ بهم ذباب ثم ساروا الى أذرعات من أرض الشام فلم يلبثوا الا قليلا حتى هلكوا وكان قد استخلف على المدينة أبا لبابة وكان لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم مع حمزة وقسم الغنيمة بين أصحابه وخمسها وكان أول خمس أخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم في قول ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وحضر الاضحى وخرج الى المصلى فصلى بالمسلمين وهو أول صلاة عيد صلاها وضحى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاتين وقيل بشاة وكان أول اضحى رآه المسلمون وضحى معه ذوو اليسار وكانت الغزاة في شوال بعد بدر وقيل كانت في صفر سنة ثلاث وجعلها بعضهم بعد غزوة الكدر (ذباب بكسر الذال المعجمة وباءين موحدتين)*

(ذكر غزوة الكدر)

قال ابن اسحق كانت في شوال سنة اثنتين وقال الواقدي كانت في المحرم سنة ثلاث وكان قد بلغ النبي صلى الله عليه وسلم اجتماع بني سليم على ماء لهم يقال له الكدر فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكدر فلم يلق كيدا وكان لواؤه مع علي بن أبي طالب واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم وعاد ومعه النعم والرعاء وكان قدومه في قول لعشر ليال مضين من شوال وبعد قدومه أرسل غالب بن عبد الله الليثي في سرية الى بني سليم وغطفان فقتلوا فيهم وغنموا النعم واستشهد من المسلمين ثلاثة نفر وعادوا منتصف شوال (الكدر بضم الكاف وسكون الدال المهملة)

(ذكر غزوة السويق)

كان أبو سفيان قد نذر بعد بدر أن لا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمدا فخرج في مائتي راكب من قريش ليبر يمينه حتى جاء المدينة ليلا واجتمع بسلام بن مشكم سيد النضير فعلم منه خبر الناس ثم خرج في ليلته فبعث رجالا من قريش الى المدينة فأتوا العريض فحرقوا في نخلها وقتلوا رجلا من الانصار وحليفا له واسم الانصاري معبد بن عمرو وعادوا ورأى ان قد بر في يمينه وجاء الصريخ فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فأعجزهم وكان أبو سفيان وأصحابه يلقون جرب السويق يتخففون بها وكان ذلك عامة زادهم فلذلك سميت غزوة السويق ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون قالوا يا رسول الله انطمع ان تكون لنا غزوة قال نعم وقال أبو سفيان بمكة وهو يتجهز

كروا على يثرب وجمعهم * فانما جمعوا لكم نفل
ان يك يوم القليب كان لهم * فانما بعده لكم دول
آليت لا اقرب النساء ولا * يمس رأسي وجلدي الغسل

و ينظر من يحبه ومن يبغضه وكان يحب معرفة أحوال الناس اتخذ الفا وسبعمائة عجوز يدرن في المدينة يعرفنه أحوال الناس في ذلك اليوم وكان من افرس الشعراء عن عمارة بن عقيل قال والله انا لننشد أول البيت عند المأمون فيسبقنا الى آخره من غير ان يكون سمعه *اخرج ابن عساكر عن أبي خليفة الفضل قال سمعت بعض النخاسين يقول عرضت على المأمون جارية فصيحة شاعرة شطرنجية فساومته في ثمنها بألفي دينار فقال المأمون ان هي اجازت بيتا أقوله ببيت من عندها اشتريتها بما تقول وزدتك في ثمنها فانشد المأمون

ماذا تقولين فيمن شفه ارق
من اجل حبك حتى صار حيرانا

(فاجابته)

اذا وجدنا محبا قد اضر به
داء الصبابة أوليناه احسانا

فاشتراها بما قال وتمتع بها وفي سنة احدى ومائتين جعل ولي العهد من بعده علي الرضا ابن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق أحد الائمة حمله على ذلك افراطه في التشيع حتى قيل انه هم ان يخلع نفسه ويفوض الامر اليه فاشتد ذلك على بني العباس جدا وخرجوا عليه وفي سنة احدى عشرة ومائتين أمر المأمون بأن ينادي برئت الذمة ممن ذكر معاوية بخير وان أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب كرم الله وجهه وفي سنة اثنتي عشرة

حتى تبيروا قبائل الاوس والخزرج ان الفؤاد يشتعل

فاجابه كعب بن مالك بقوله

يالهف أم المسحبين على * جيش ابن حرب بالحرة الفشل
اذ يطرحون الرجال من شيم الطير ويرقى لقنة الجبل
جاؤا بجمع لو قيس مبركه * ما كان الا كمفحص الدؤل
عار من النصر والثراء ومن * أبطال أهل البطحاء والاسل

وفى ذى الحجة منها مات عثمان بن مظعون فدفن بالبقيع وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأس القبر حجرا علامة لقبره وقيل ان الحسن بن على ولدفيها وقيل ان على بن أبي طالب بنى بفاطمة على رأس اثنين وعشرين شهرا فان كان هذا صحيحا فالاول باطل وفى هذه السنة ٣ كتب المعاقلة وقربه بسيفه (سلام بتشديد اللام ومشكم بكسر الميم وسكون الشين المعجمة وفتح الكاف والعريض بضم العين المهملة وفتح الراء وآخره ضاد معجمة واد بالمدينة)

(ودخلت السنة الثالثة من الهجرة)

فى المحرم سنة ثلاث جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جمعا من بنى ثعلبة بن سعد بن ذبيان وبنى محارب بن حفص تجمعوا ليصيبوا من المسلمين فسار اليهم فى أربعمائة وخمسين رجلا فلما صار بذى القصة لقى رجلا من ثعلبة فدعاه الى الاسلام فاسلم وأخبره ان المشركين أتاهم خبره فهربوا الى رؤس الجبال فعاد ولم يلق كيدا وكان مقامه اثنتى عشرة ليلة وفيها فى جمادى الاولى غزا بنى سليم بحران وسبب هذه الغزوة ان جمعا من بنى سليم تجمعوا ببحران من ناحية الفرع فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فسار اليهم فى ثلثمائة فلما بلغ بحران وجدهم قد تفرقوا فانصرف ولم يلق كيدا وكانت غيبته عشر ليال واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم (القصة بفتح القاف والصاد المهملة وبحران بالباء الموحدة والحاء المهملة الساكنة)

(ذكر قتل كعب بن الاشرف اليهودى)

وفى هذه السنة قتل كعب بن الاشرف وهو أحد بنى نبهان من طيئ وكانت أمه من بنى النضير وكان قد كبر عليه قتل من قتل ببدر من قريش فسار الى مكة وحرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكى اصحاب بدر وكان يشبب بنساء المسلمين حتى آذاهم فلما عاد الى المدينة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لى من ابن الاشرف فقال محمد بن مسلمة الانصارى أنا لك به انا أقتله قال ما فعل ان قدرت على ذلك قال يارسول الله لابد لنا ما نقول قال قولوا ما بدا لكم فانتم فى حل من ذلك فاجتمع محمد بن مسلمة وسلكان بن سلامة بن وقش وهو أبو نائلة والحرث بن أوس ابن معاذ وكان أخا كعب من الرضاعة وعباد بن بشر وأبو عبس بن جبير ثم قدموا الى ابن الاشرف أبا نائلة فتحدث معه ثم قال له يا ابن الاشرف انى قد جئتك لحاجة فاكتمها على قال افعل قال كان قدوم هذا الرجل شؤما على العرب قطع عنا السبل حتى ضاعت العيال وجهدت البهائم فقال كعب قد كنت أخبرتك بهذا قال أبو نائلة وأريد ان تبيعنا طعاما ونرهنك ونوثق لك وتحسن فى ذلك قال ترهنونى ابناءكم قال أردت ان تفضحنا ان معى أصحابى على مثل رأيى تبيعهم وتحسن ونجعل عندك رهنا من الحلقة ما فيه وفاء وأراد أبو نائلة بذكر الحلقة وهى

وماتين أظهر القول بخلق القرآن مضافا الى تفضيل على على أبي بكر وعمر فاشمأزت النفوس منه وكاد البلد ان يفتتن وكتب بذلك الى عماله ان يمتحنوا الناس ويحملوهم على القول بخلق القرآن فاجابه طائفة وامتنع آخرون فامر باحضار من امتنع فاحضر جماعة منهم أحمد بن حنبل فقيل له ما تقول فى كلام الله تعالى أمخلوق هو قال هو كلام الله لا ازيد على هذا ثم بلغ المأمون ان الذين أجابوا انما اجابوا مكرهين فغضب وامر باحضارهم اليه وهو بالروم فحملوا اليه فبلغتهم وفاة المأمون قبل وصولهم اليه ولطف الله وفرج توفى المأمون يوم الخميس لاثنتى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ثمان عشرة ومائتين بذندون من أرض الروم ونقل الى طرسوس فدفن بها فلما احتضر سأل عن تفسير المكان بالعربى فقيل مد رجليك فتطير به ثم سأل عن اسم البقعة فقيل الرقة وكان فيما علم من والده انه يموت بالرقة فكان يتجنب نزول الرقة فلما سمع هذا من الروم عرف وأيس وقال يامن لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه ولما وردت وفاته الى بغداد رحمه الله قال ابو سعيد المخزومى

هل رايت النجوم أغنت عن المأ * مون فى ثبت ملكه المأسوس
خلفوه بعرصتى طرسوس * مثل ما خلفوا أباه بطوس

٣ قوله كتب الخ هذه العبارة غير ظاهرة فلتحرر

السلاح

السلاح ان لا ينكروا السلاح اذا جاء مع أصحابه فقال ان في الحلقة لوفاء فرجع أبو نائلة الى أصحابه فأخبرهم فأخذوا السلاح وساروا اليه وشيعهم النبي صلى الله عليه وسلم الى بقيع الغرقد ودعا لهم فلما انتهوا الى حصن كعب هتف به أبو نائلة وكان كعب قريب عهد بعرس فوثب اليه وتحدثوا ساعة وسار معهم الى شعب العجوز ثم ان أبا نائلة أخذ برأس كعب وشم يده وقال ما رأيت كالليلة طيبا اعرف قط ثم مشى ساعة وعاد لمثلها حتى اطمأن كعب ثم مشى ساعة وأخذ بفود رأسه ثم قال اضربوا عدو الله فاختلفت عليه اسيافهم فلم تغن شيأ قال محمد ابن مسلمة فذكرت مغولا في سيفي فأخذته وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن الا أوقدت عليه نار قال فوضعته في ثنته ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته ووقع عدو الله وقد أصيب الحرث بن أوس بن معاذ أصابه بعض اسيافنا قال فخرجنا على بعاث وقد ابطأ علينا صاحبنا فوقفنا له ساعة وقد نزفه الدم ثم أتانا فاحتملناه وجئنا به للنبي صلى الله عليه وسلم فأخبرناه بقتل عدو الله وتفل على جرح صاحبنا وعدنا الى أهلينا فأصبحنا وقد خافت يهود ليس بها يهودي الا وهو يخاف على نفسه قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه فوثب محيصة بن مسعود على ابن سنينة اليهودي وهو من تجار يهود فقتله وكان يبايعهم فقال له أخوه حويصة وهو مشرك يا عدو الله قتلته أما والله لرب شحم في بطنك من ماله وضربه فقال محيصة لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك لقتلتك قال فوالله ان كان لاول اسلام حويصة فقال ان دينا بلغ بك ما ارى لعجب ثم أسلم (عبس بن جبر بفتح العين المهملة وسكون الباء الموحدة وجبر بالجيم والباء الموحدة وسنينة تصغير سن) وفي ربيع الاول منها تزوج عثمان بن عفان أم كلثوم بنت النبي صلى الله عليه وسلم وبنى بها في جمادى الآخرة وفيها ولد السائب بن زيد ابن أخت نمير * وقال الواقدي وفيها غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة أنمار يقال لها ذو أمر وقد ذكرنا قول ابن اسحق قبل ذلك وفيها كان غزوة القردة وكان أميرها زيد بن حارثة وهي أول سرية خرج فيها زيد أميرا وكان من حديثها ان قريشا خافت من طريقها التي كانت تسلك الى الشام بعد بدر فسلكوا طريق العراق فخرج منهم جماعة فيهم صفوان بن أمية وأبو سفيان وكان عظيم تجارتهم الفضة وكان دليلهم فرات ابن حيان بن بكر بن وائل فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا فلقيهم على ماء يقال له القردة فأصاب العير وما فيها وأعجزه الرجال فقدم بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الخمس عشرين ألفا وقسم الاربعة اخماس على السرية وأتى بفرات بن حيان أسيرا فأسلم فأطلقه رسول الله صلى الله عليه وسلم (القردة ماء بنجد وقد اختلف العلماء في ضبطه فقيل فردة بالفاء المفتوحة والراء الساكنة وبه مات زيد الخيل ويرد ذكره وضبطه ابن الفرات في غير موضع قردة بالقاف وقال ابن اسحق وسير زيد بن حارثة الى القردة ماء من مياه نجد ضبطه ابن الفرات أيضا بفتح القاف والراء فان كانا مكانين والا فقد ضبط ابن الفرات احدهما خطأ)

(ذكر قتل أبي رافع)

في هذه السنة في جمادى الآخرة قتل أبو رافع سلام بن أبي الحقيق اليهودي وكان يظاهر كعب بن الاشرف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قتل كعب بن الاشرف وكان قتله

بلغ عمر المأمون ثمانيا واربعين سنة وكانت مدة خلافته عشرين سنة وخمسة اشهر واحدى وعشرين يوما

(الفصل الثامن في ذكر خلافة المعتصم بالله)

اسمه ابراهيم بن هرون الرشيد بويع له بالخلافة يوم موت أخيه المأمون بسر من رأى وكان ابيض اصهب اللحية حزبوعا وكان شجاعا مهيبا قوي البدن الى الغاية وكان فيه ظلم وعنف لكنه ارهب للاعداء ولد سنة ثمانين ومائة وامه ام ولد من مولدات الكوفة اسمها ماردة بنت شبيب نقش خاتمه سل الله يعطك وكان اذا غضب لا يبالي من قتل وكان يخرج ساعده ويقول للرجل عض ساعدي باكثر قوتك لانه لا يعمل فيه السنان فضلا عن الاسنان قال نفطويه كان من أشد الناس بطشا كان يجعل زند الرجل بين أصبعيه فيكسره وكان يحمل ألف رطل ويمشي بها خطوات وكان عريا من العلم وسببه ان الرشيد كان يميل اليه فاتفق انه مات غلام كان يقرأ معه في الكتاب فقال له الرشيد يا محمد مات غلامك قال نعم يا سيدي واستراح من الكتاب فقال وان الكتاب ليبلغ منك هذا دعوه لا تعلموه فكان يكتب ويقرأ قراءة ضعيفة ولم يكن

من الاوس قالت الخزرج والله لايذهبون بها علينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانا يتصاولان تصاول الفحلين فتذاكر الخزرج من يعادي رسول الله صلى الله عليه وسلم كابن الاشرف فذكروا ابن أبي الحقيق وهو بخيبر فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتله فاذن لهم فخرج اليه من الخزرج عبد الله بن عتيك ومسعود بن سنان وعبد الله بن أنيس وابو قتادة وخزاعي بن الاسود حليف لهم وأمر عليهم عبد الله بن عتيك فخرجوا حتى قدموا خيبر فاتوا دار أبي رافع ليلا فلم يدعوا بابا في الدار الا أغلقوه على اهله وكان في علية فاستأذنوا عليه فخرجت امرأته فقالت من أنتم قالوا انفر من العرب يلتمسون الميرة قالت ذاك صاحبكم فادخلوا عليه فدخلوا فلما دخلوا أغلقوا باب العلية ووجدوه على فراشه وابتدروه فصاحت المرأة فجعل الرجل منهم يريد قتلها فذكر نهي النبي صلى الله عليه وسلم اياهم عن قتل النساء والصبيان فأمسكوا عنها وضربوه باسيافهم وتحامل عليه عبد الله بن أنيس بسيفه في بطنه حتى انفذه ثم خرجوا من عنده وكان عبد الله بن عتيك سيء البصر فوقع من الدرجة فوثئت رجله وثأ شديدا فاحتملوه واختفوا وطلبتهم يهود في كل وجه فلم يروهم فرجعوا الى صاحبهم فقال المسلمون كيف نعلم ان عدو الله قد مات فعاد بعضهم ودخل في الناس فرأى الناس حوله وهو يقول لقد عرفت صوت ابن عتيك ثم قلت أين ابن عتيك ثم صاحت امرأته وقالت مات والله قال فما سمعت كلمة ألذ الى نفسي منها ثم عاد الى أصحابه وأخبرهم الخبر وسمع صوت الناعي يقول أنعى أبا رافع تاجر أهل الحجاز وساروا حتى قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم واختلفوا في قتله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هاتوا أسيافكم فجاؤا بها فنظر اليها فقال لسيف عبد الله ابن أنيس هذا قتله أرى فيه اثر الطعام * وقيل في قتله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى أبي رافع اليهودي وكان بأرض الحجاز رجالا من الانصار وأمر عليهم عبد الله بن عتيك وكان أبو رافع يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دنوا منه غربت الشمس وراح الناس بسرحهم فقال عبد الله بن عتيك لاصحابه أقيموا مكانكم فاني أنطلق وانلطف للبواب لعلي أدخل فانطلق فأقبل حتى دنا من الباب فتقنع بثوبه كانه يقضي حاجته فهتف به البواب ان كنت تريد ان تدخل فادخل فاني أريد ان أغلق الباب فدخل واغلق الباب وعلق المفاتيح على وتد قال فقمت فأخذتها ففتحت بها الباب وكان أبو رافع يسمر عنده في علالي له فلما أراد النوم ذهب عنه السمار فصعدت اليه فجعلت كلما فتحت بابا اغلقته علي من داخل فقلت ان علموا بي لم يخلصوا الي حتى أقتله قال فانتهيت اليه فاذا هو في بيت مظلم وسط عياله لا ادري أين هو فقلت أبا رافع قال من هذا فأهويت نحو الصوت فضربته ضربة بالسيف وانا دهش فما أغنى عني شيئا وصاح فخرجت من البيت غير بعيد ثم دخلت عليه فقلت ماهذا الصوت قال لامك الويل ان رجلا في البيت ضربني بالسيف قال فضربته فاثخنته فلم اقتله ثم وضعت حد السيف في بطنه حتى أخرجته من ظهره فعرفت أني قتلته فجعلت افتح الابواب وأخرج حتى انتهيت الى درجة فوضعت رجلي وانا أظن اني انتهيت الى الارض فوقعت في ليلة مقمرة وانكسرت ساقي فعصبتها بعمامتي وجلست عند الباب فقلت والله لا أبرح حتى اعلم اقتلته أم لا فلما صاح الديك قام الناعي فقال أنعى أبا رافع تاجر أهل الحجاز فانطلقت الى أصحابي فقلت النجاء

في بني العباس مثله في القوة والشجاعة والاقدام (ومما يدل لك) مانقله سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان ان المعتصم كان جالسا في مجلس انسه والكاس في يده فبلغه ان امرأة شريفة في الاسر عند علج من علوج الروم في مدينة عمورية وأنه لطمها على وجهها يوما فصاحت وامعتصماه فقال لها العلج ما يجيء اليك المعتصم الا على ابلق فلما سمع ذلك اغتم غما شديدا وختم الكاس وناوله لساقيه وقال والله لاشربته الا بعد فك الشريفة من الاسر وقتل العلج فلما أصبح وكان يوم برد عظيم وثلج فلم يقدر احد على اخراج يده ولا امساك قوسه فنادى بالرحيل الى غزوة عمورية وأمر عسكره ان لايخرج أحد منهم الا على فرس ابلق فخرجوا في سبعين ألف ابلق فاناخ عليها وما زال يحاصرها حتى فتحها عنوة فلما دخلها صار يقول لبيك لبيك وطلب العلج صاحب الاسيرة الشريفة وضرب عنقه وفك قيود الشريفة وقال للساقي ائتني بالكاس التي اودعتها اياك ففك ختمه وشربه وقال الآن طاب الشراب واحتوى على ما فيها من الاموال وقتل منها ثلاثين ألفا وسبى مثلهم فانكاهم نكاية عظيمة لم يسمع بمثلها الخليفة * ذكر عبد الواحد بن العباس الرياشي قال كتب ملك الروم الى المعتصم

قد قتل الله أبا رافع فانتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم فحدثته فقال ابسط رجلك فبسطتها فمسحها فكأنما لم أشتكها قط قيل كان قتل أبي رافع في ذي الحجة سنة أربع من الهجرة والله أعلم (سلام بتشديد اللام وحقيق بضم الحاء المهملة وفتح القاف الاولى تصغير حق) وفيها تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة بنت عمر بن الخطاب في شعبان وكانت قبله تحت خنيس (بضم الخاء المعجمة وبالنون المفتوحة وبالياء المعجمة باثنتين من تحت وبالسين المهملة) وهو ابن حذافة السهمي فتوفي فيها

(ذكر غزوة أحد)

وفيها في شوال لسبع ليال خلون منه كانت وقعة أحد وقيل للنصف منه وكان الذي أهاجها وقعة بدر فانه لما اصيب من المشركين من أصيب ببدر ومشى عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن امية وغيرهم ممن أصيب آباؤهم وابناؤهم واخوانهم ببدر فكلموا ابا سفيان ومن كان له في تلك العير تجارة وسألوهم ان يعينوهم بذلك المال على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدركوا ثارهم منهم ففعلوا وتجهز الناس وأرسلوا اربعة نفر وهم عمرو بن العاص وهبيرة بن أبي وهب وابن الزبعرى وابو عزة الجمحي فساروا في العرب ليستنفروهم فجمعوا جمعا من ثقيف وكنانة وغيرهم واجتمعت قريش بأحابيشها ومن اطاعها من قبائل كنانة وتهامة ودعا جبير بن مطعم غلامه وحشي بن حرب وكان حبشيا يقذف بالحربة قلما يخطئ فقال له اخرج مع الناس فان قتلت عم محمد بعمي طعيمة بن عدي فانت عتيق وخرجوا معهم بالظعن لئلا يفروا وكان ابو سفيان قائد الناس فخرج بزوجته هند بنت عتبة وغيره من رؤساء قريش خرجوا بنسائهم فخرج عكرمة بن أبي جهل بزوجته ام حكيم بنت الحرث بن هشام وخرج الحرث بن المغيرة بفاطمة بنت الوليد بن المغيرة أخت خالد وخرج صفوان بن أمية ببريرة وقيل برزة بنت مسعود الثقفية أخت عروة بن مسعود وهي أم ابنه عبد الله بن صفوان وخرج عمرو بن العاص بريطة بنت منبه بن الحجاج وهي أم ولده عبد الله بن عمرو وخرج طلحة بن أبي طلحة بسلافة بنت سعد وهي أم بنيه مسافع والجلاس وكلاب وغيرهم وكان مع النساء الدفوف يبكين على قتلى بدر يحرضن بذلك المشركين وكان مع المشركين أبو عامر الراهب الانصاري وكان خرج الى مكة مباعدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه خمسون غلاما من الاوس وقيل كانوا خمسة عشر وكان يعد قريشا أنه لو لقي محمدا لم يتخلف عنه من الاوس رجلان فلما التقى الناس بأحد كان أبو عامر اول من لقي في الاحابيش وعبدان أهل مكة فنادى يا معشر الاوس انا أبو عامر فقالوا فلا انعم الله بك عينا يا فاسق فقال لقد أصاب قومي بعدي شر ثم قاتلهم قتالا شديدا حتى راضخهم بالحجارة وكانت هند كلما مرت بوحشي أو مر بها قالت ايها أبا دسمة اشف واستشف وكان يكنى ابا دسمة فاقبلوا حتى نزلوا بعينين بجبل ببطن السبخة من قناة على شفير الوادي مما يلي المدينة فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون قال اني رأيت بقرا فاولتها خيرا ورأيت في ذباب سيفي ثلما ورأيت اني أدخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فان رأيتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فان أقاموا اقاموا بشر وان دخلوا علينا قاتلناهم فيها وكان رأي عبد الله بن أبي ابن سلول مع رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره الخروج وأشار

كتابه ثم دعا به فلما قرئ عليه قال للكاتب اكتب بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت خطابك والجواب ما ترى لا ما تسمع وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار * ولما عهد المأمون الى أخيه المعتصم بالخلافة أوصاه ان يحمل الناس على القول بخلق القرآن واستمر الامام أحمد ابن حنبل محبوسا الى ان بويع المعتصم فاحضر الامام أحمد رضي الله عنه الى بغداد وعقد له مجلسا للمناظرة فناظره ثلاثة أيام ولم يزل معهم في جدال الى اليوم الرابع فأمر بضربه فضرب الى ان أغمي عليه وهو مع ذلك كله صائم لم يفطر وفي اثناء الضرب انحلت وزرته فهمهم بشفتيه فخرجت يدان فربطتاها فسئل عن ذلك بعد اطلاقه فقال رضي الله عنه قلت اللهم ان كنت على الحق فلا تفضحني ورمي على بارية ثم حمل الى منزله قال الامام احمد وكان عندي شعرات من شعر النبي صلى الله عليه وسلم قد صررتها في كم قميصي فارادوا نزع القميص وخرقه فقال المعتصم لا تخرقوه فسلم القميص من الخرق ببركة شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم وشدوا ايديه فتخلعت كتافه ولم يزل الامام أحمد رضي الله عنه يتوجع منها حتى مات وكان مدة مكثه في السجن ثمانية وعشرين شهرا ولم يزل بعد

بالخروج جماعة ممن استشهد يومئذ وأقامت قريش يوم الاربعاء والخميس والجمعة وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلى الجمعة فالتقوا يوم السبت نصف شوال فلما لبس رسول الله صلى الله عليه وسلم سلاحه وخرج ندم الذين كانوا أشاروا بالخروج الى قريش وقالوا استكرهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشير عليه والوحي يأتيه فاعتذروا اليه وقالوا اصنع ما شئت فقال لا ينبغي لنبي أن يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج في ألف رجل واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم فلما كان بين المدينة وأحد عاد عبد الله بن أبي بثلث الناس فقال أطاعهم وعصاني وكان من تبعه أهل النفاق والريب واتبعهم عبد الله بن حرام أخو بني سلمة يذكرهم الله أن يخذلوا نبيهم فقالوا لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم وانصرفوا فقال أبعدكم الله أعداء الله فسيغني الله عنكم ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعمائة فسلك في حرة بني حارثة وبين أموالهم فمر بمال رجل من المنافقين يقال له مربع بن قيظي وكان ضرير البصر فلما سمع حس رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه قام يحثي التراب في وجوههم ويقول ان كنت رسول الله فاني لا أحل لك أن تدخل حائطي وأخذ حفنة من تراب في يده وقال لو أعلم أني لا أصيب غيرك لضربت به وجهك فابتدروه ليقتلوه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تقتلوه فهذا الأعمى أعمى البصر والقلب فضربه سعد بن زيد بقوس فشجه وذب فرس بذنبه فأصاب كلاب سيف صاحبه فاستله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم شم سيفك فاني أرى السيوف ستسل اليوم وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بعدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره الى أحد وكان المشركون ثلاثة آلاف منهم سبعمائة دارع والخيل مائتي فرس والظعن خمس عشرة امرأة وكان المسلمون مائة دارع ولم يكن من الخيل غير فرسين فرس لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفرس لأبي بردة بن نيار وعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم المقاتلة فرد زيد بن ثابت وابن عمر وأسيد بن حضير والبراء بن عازب وعرابة بن أوس وأبا سعيد الخدري وغيرهم وأجاز جابر ابن عمرة ورافع بن خديج وأرسل أبو سفيان الى الأنصار يقول خلوا بيننا وبين ابن عمنا فننصرف عنكم فلا حاجة لنا الى قتالكم فردوا عليه ما يكره وتعبى المشركون فجعلوا على ميمنتهم خالد بن الوليد وعلى ميسرتهم عكرمة بن أبي جهل وكان لواؤهم مع بني عبد الدار فقال لهم أبو سفيان انما يؤتى الناس من قبل راياتهم فاما أن تكفونا واما أن تخلوا بيننا وبين اللواء يحرضهم بذلك فقالوا ستعلم اذا التقينا كيف نصنع وذلك أراد واستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وترك أحدا خلف ظهره وجعل وراءه الرماة وهم خمسون رجلا وأمر عليهم عبد الله بن جبير أخا خوات بن جبير وقال له انضح عنا الخيل بالنبل لا يأتونا من خلفنا واثبت مكانك ان كانت لنا أو علينا وظاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين درعين وأعطى اللواء مصعب بن عمير وأمر الزبير على الخيل ومعه المقداد وخرج حمزة بالجيش بين يديه وأقبل خالد وعكرمة فلقيهما الزبير والمقداد فهزما المشركين وحمل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فهزموا أبا سفيان وخرج طلحة بن عثمان صاحب لواء المشركين وقال يا معشر أصحاب محمد انكم تزعمون أن الله يعجلنا بسيوفكم الى النار ويعجلكم بسيوفنا الى الجنة فهل أحد منكم يعجله سيفي الى الجنة أو يعجلني سيفه الى النار فبرز اليه علي بن أبي طالب فضربه علي فقطع رجله فسقط وانكشفت عورته

ذلك بقي ويعتب الى ان مات المعتصم وولي الواثق فاظهر ما اظهره المأمون والمعتصم من المحنة وقال للامام أحمد لا تجمعن اليك أحدا ولا تساكني في بلدة أنا فيها فأقام الامام أحمد مختفيا في داره لا يخرج الى صلاة ولا الى غيرها الى ان مات الواثق وولي المتوكل فرفع المحنة وأحضر الامام أحمد رضي الله عنه وأكرمه (وحكي) ان الشافعي رضي الله عنه لما كان بمصر رأى سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم في المنام وهو يقول بشر أحمد بن حنبل بالجنة على بلوى تصيبه فانه يدعى الى القول بخلق القرآن فلا يجيب الى ذلك فلما أصبح الشافعي رضي الله عنه كتب صورة ما رآه في منامه وأرسله مع الربيع الى بغداد الى أحمد بن حنبل رضي الله عنه فلما دخل عليه وقرأ الكتاب بكى الامام أحمد رضي الله عنه وقال ما شاء الله لا قوة الا بالله العلي العظيم فقال الجائزة وكان عليه قميصان أحدهما على جسده والآخر فوقه فنزع الذي على جسده ودفعه اليه فأخذه ورجع الى الشافعي وقال ما أجازك قال أعطاني القميص الذي على جسده فقال رضي الله عنه أما أنا فلا أفجعك فيه ولكن اغسله وأتني بمائه فغسله وأتاه بالماء فأمسه الشافعي على سائر جسده وقال ابراهيم الحربي جعل الامام أحمد بن حنبل جميع من ضربه فناشده

وبنات عبد الله فتركه فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لعلي ما منعك ان تجهز عليه قال انه ناشدني الله والرحم فاستحييت منه وكان بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم سيف فقال من يأخذه بحقه فقام اليه رجال فامسكه عنهم حتى قام أبو دجانة فقال وما حقه يارسول الله قال تضرب به العدو حتى ينحني قال انا آخذه فاعطاه اياه وكان شجاعا وكان اذا أعلم بعصابة له حمراء علم الناس انه يقاتل فعصب رأسه بها واخذ السيف وجعل يتبختر بين الصفين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها مشية يبغضها الله الا في هذا الموطن فجعل لا يرتفع له شئ الا حطمه حتى انتهى الى نسوة في سفح الجبل فيهن امرأة تقول

نحن بنات طارق * نمشي على النمارق
مشي القطا البوارق * والمسك في المفارق
والدر في المخانق * ان تقبلوا نعانق
ونفرش النمارق * او تدبروا نفارق
* فراق غير وامق *

وتقول أيضا ويها بني عبد الدار * ويها حماة الديار * ضربا بكل بتار

فرفع السيف ليضربها ثم اكرم سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يضرب به امرأة وكانت المرأة هندا والنساء معها يضربن بالدفوف خلف الرجال يحرضن واقتتل الناس قتالا شديدا وامعن في الناس حمزة وعلي وأبو دجانة في رجال من المسلمين وأنزل الله نصره على المسلمين وكانت الهزيمة على المشركين وهرب النساء مصعدات في الجبل ودخل المسلمون عسكرهم ينهبون فلما نظر بعض الرماة الى العسكر حين انكشف الكفار عنه أقبلوا يريدون النهب وثبتت طائفة وقالوا نطيع رسول الله ونثبت مكاننا فانزل الله منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة يعني اتباع أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن مسعود وما علمت ان احدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى نزلت الآية فلما فارق بعض الرماة مكانهم رأى خالد بن الوليد قلة من بقي من الرماة فحمل عليهم فقتلهم وحمل على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من خلفهم فلما رأى المشركون خيلهم تقاتل تبادروا وأفشدوا على المسلمين فهزموهم وقتلوهم وقد كان المسلمون قتلوا أصحاب اللواء فبقي مطروحا لا يدنو منه أحد فاخذته عمرة بنت علقمة الحارثية فرفعته فاجتمعت قريش حوله وأخذه صواب فقتل عليه وكان الذي قتل أصحاب اللواء علي قاله أبو رافع قال فلما قتلهم أبصر النبي صلى الله عليه وسلم جماعة من المشركين فقال لعلي احمل عليهم ففرقهم وقتل فيهم ثم ابصر جماعة أخرى فقال له احمل عليهم وفرقهم وقتل فيهم فقال جبريل يارسول الله هذه المواساة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه مني وأنا منه فقال جبريل وانا منكما قال فسمعوا صوتا لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا علي وكسرت رباعية رسول الله صلى الله عليه وسلم السفلى وشقت شفته وكلم في وجنته وجبهته في أصول شعره وعلاه ابن قمئة بالسيف وكان هو الذي اصابه وقيل أصابه عتبة بن أبي وقاص وقيل عبد الله بن شهاب الزهري جد محمد بن مسلم وقيل ان عتبة بن أبي وقاص وابن قمئة الليثي الادرمي من بني تيم بن غالب وكان تيم ادرم ناقص الذقن وأبي بن خلف الجمحي وعبد الله بن حميد الاسدي أسد

أو احضره أو ساعد عليه فحل الا ابن أبي دواد وقال لولا انه ذو بدعة لاحللته ولو تاب من بدعته لاحللته وجعل المعتصم في حل يوم فتح عمورية وقال هو في حل من ضربي وذكر ابن خلكان ان الامام أحمد ولد في سنة أربع وستين ومائة وتوفي في سنة احدى وأربعين ومائتين وحزر من حضر جنازته من الرجال فكانوا ثمانمائة ألف ومن النساء ستين ألفا واسلم يوم موته عشرون ألفا من اليهود والنصارى قال محمد بن خزيمة لما بلغني موت الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه اغتممت غما شديدا فرأيته من ليلتي في المنام وهو يتبختر في مشيته فقلت له يا ابا عبد الله ما هذه المشية فقال مشية الخدام في دار السلام فقلت ما فعل الله بك قال غفر لي وتوجني وألبسني نعلين من ذهب وقال يا احمد هذا بقولك القرآن كلامي غير مخلوق ثم قال الله تعالى يا احمد ادعني بتلك الدعوات التي بلغتك عن سفيان التي كنت تدعو بهن في دار الدنيا فقلت يارب كل شئ بقدرتك على كل شئ لا تسألني عن شئ واغفر لي كل شئ فقال جل وعلا يا أحمد هذه الجنة فادخل فيها فدخلت فاذا بسفيان الثوري له جناحان اخضران يطير بهما من نخلة الى نخلة وهو يقول الحمد لله الذي أورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر

قريش تعاقدوا على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاما ابن شهاب فاصاب جبهته واما عتبة فرماه باربعة أحجار فكسر رباعيته اليمنى وشق شفته واما ابن قمئة فكلم وجنته ودخل من حلق المغفر فيها وعلاه بالسيف فلم يطق أن يقطع فسقط رسول الله صلى الله عليه وسلم فجحشت ركبته واما أبي بن خلف فشد عليه بحربة فاخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم منه وقتله بها وقيل ان كانت حربة الزبير أخذها منه وقيل أخذها من الحرث بن الصمة واما عبد الله بن حميد فقتله أبو دجانة الانصارى ولما جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل الدم يسيل على وجهه وهو يمسحه ويقول كيف يفلح القوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى الله وقاتل دونه نفر خمسة من الانصار فقتلوا وترس أبو دجانة رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه فكان يقع النبل فى ظهره وهو منحن عليه ورمى سعد بن أبي وقاص دون رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يناوله السهم ويقول ارم فداك أبي وامى واصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فكانت احسن عينيه وقاتل مصعب بن عمير ومعه لواء المسلمين فقتل قتله ابن قمئة الليثى وهو يظن انه النبي صلى الله عليه وسلم فرجع الى قريش وقال قتلت محمدا فجعل الناس يقولون قتل محمد قتل محمد ولما قتل مصعب أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللواء على بن ابي طالب وقاتل حمزة حتى مر به سباع بن عبد العزى الغبشانى فقال له حمزة هلم الى يا ابن مقطعة البظور وكانت أمه ام انمار ختانة بمكة فلما التقيا ضربه حمزة فقتله قال وحشى انى والله لانظر الى حمزة وهو يهد الناس بسيفه ما يلقى شيأ يمر به الا قتله وقتل سباع بن عبد العزى قال فهززت حربتى ودفعتها اليه فوقعت فى ثنته حتى خرجت من بين رجليه واقبل نحوى فغلب فوقع فامهلته حتى مات فاخذت حربتى ثم تنحيت الى العسكر فرضى الله عن حمزة وارضاه وقتل عاصم بن ثابت مسافع بن طلحة وأخاه كلاب بن طلحة بسهمين فحملا الى امهما سلامة واخبراها ان عاصما قتلهما فنذرت ان امكنها الله من راسه ان تشرب فيه الخمر وبرز عبد الرحمن بن ابي بكر وكان مع المشركين وطلب المبارزة فاراد ابو بكر أن يبرز اليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شم سيفك وأمتعنا بك وانتهى انس بن النضر عم انس بن مالك الى عمر وطلحة فى رجال من المهاجرين قد القوا بايديهم فقال ما يجلسكم قالوا قد قتل النبي صلى الله عليه وسلم قال فما تصنعون بالحياة بعده موتوا على ما مات عليه ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل فوجد به سبعون ضربة وطعنة وما عرفه الا اخته عرفته بحسن بنانه وقيل ان انس بن النضر سمع نفرا من المسلمين يقولون لما سمعوا أن النبي صلى الله عليه وسلم قتل ليت لنا من يأتى عبد الله بن ابى بن سلول ليأخذ لنا امانا من ابى سفيان قبل ان يقتلونا فقال لهم انس يا قوم ان كان محمد قد قتل فان رب محمد لم يقتل فقاتلوا على ما قاتل عليه محمد اللهم انى اعتذر اليك عما يقول هؤلاء وابرأ اليك مما جاء به هؤلاء ثم قاتل حتى قتل وكان أول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك قال فناديت باعلى صوتى يا معشر المسلمين ابشروا هذا رسول الله حى لم يقتل فاشار اليه أنصت فلما عرفه المسلمون نهضوا نحو الشعب ومعه على وأبو بكر وعمر وطلحة والزبير والحرث بن الصمة وغيرهم فلما اسند الى الشعب أدركه أبي بن خلف وهو يقول يا محمد لا نجوت ان نجوت فعطف عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فطعنه بالحربة

العاملين فقلت ما فعل عبد الوهاب الوراق قال تركته فى بحر من نور تزود به الفقه ور قلت فما فعل بشر بن الحرث فقال لى بخ بخ ومن مثل بشر تركته بين يدى الله تعالى وبين يديه مائدة من الطعام والجليل جل جلاله مقبل عليه وهو يقول كل يا من لا يأكل واشرب يا من لا يشرب وتنعم يا من لا يتنعم وفى سنة سبع وعشرين ومائتين احتضر المعتصم بسر من رأى ثم مات وذلك لاثنتى عشرة ليلة من ربيع الاول وهو ابن ثمان وأربعين سنة فكانت خلافته ثمان سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام وهو الثامن من خلفاء بنى العباس وفتح ثمانية فتوح ووقف بابه ثمانية ملوك وقتل ثمانية اعداء وخلف ثمانية بنين وثمان بنات وثمانية آلاف ألف دينار وثمانمائة ألف درهم وثمانين الف فرس وثمانين ألف جمل وبغل وثمانين ألف خيمة وثمانية آلاف عبد وثمانية آلاف جارية وبنى ثمانية قصور وكانت غلمانه من الاتراك ثمانية عشر ألفا وطالعه الثمانية من كل شئ فلهذا يدعى بالمثمن والثمانيني وهذا من العجائب التى لم يسمع بمثلها

(الفصل التاسع فى ذكر خلافة الواثق بالله)

اسمه هرون أبو جعفر بن المعتصم بن الرشيد بويع له بالخلافة بسر من رأى يوم موت ابيه وكان ابيض مليحا يعلوه اصفرار حسن اللحية

ثم

في عنقه وكان ابي يقول بمكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان عندي العود أعلفه كل يوم فرقا من ذرة اقتلك عليه فيقول له النبي صلى الله عليه وسلم بل أنا أقتلك ان شاء الله تعالى فلما رجع الى قريش وقد خدشه رسول الله صلى الله عليه وسلم خدشا غير كبير قال قتلني محمد قالوا والله ما بك بأس قال انه قد كان قال لي انا أقتلك فوالله لو بصق علي لقتلني فمات عدو الله بسرف وقاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد قتالا شديدا فرمي بالنبل حتى فني نبله وانكسرت سية قوسه وانقطع وتره ولما جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل علي ينقل له الماء في درقته من المهراس ويغسله فلم ينقطع الدم فاتت فاطمة وجعلت تعانقه وتبكي واحرقت حصيرا وجعلت على الجرح من رماده فانقطع الدم ورمى مالك بن زهير الجشمي النبي صلى الله عليه وسلم فاتقاه طلحة بيده فأصاب السهم خنصره وقيل رماه حبان بن العرقة فقال حس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قال باسم الله لدخل الجنة والناس ينظرون اليه وقيل ان يده شلت الا السبابة والوسطى والاول أثبت وصعد أبو سفيان ومعه جماعة من المشركين في الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لهم ان يعلونا فقاتلهم عمر وجماعة من المهاجرين حتى أهبطوهم ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الصخرة ليعلوها وكان عليه درعان فلم يستطع فجلس تحته طلحة حتى صعد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوجب طلحة وانتهت الهزيمة بجماعة المسلمين فيهم عثمان بن عفان وغيره الى الأعوص فأقاموا به ثلاثا ثم أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم حين رآهم لقد ذهبتم فيها عريضة والتقى حنظلة بن أبي عامر غسيل الملائكة وأبو سفيان بن حرب فلما استعلاه حنظلة رآه شداد بن الاسود وهو ابن شعوب فدعاه ابو سفيان فأتاه فضرب حنظلة فقتله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لتغسله الملائكة فسألوا أهله فسئلت صاحبته فقالت خرج وهو جنب سمع الهائعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك غسلته الملائكة وقال أبو سفيان يذكر صبره ومعاونة ابن شعوب اياه على قتل حنظلة

ولو شئت نجتني كميت طمرة * ولم أحمل النعماء لابن شعوب
فما زال مهري مزجر الكلب منهم * لدن غدوة حتى دنت لغروب
اقاتلهم وأدعي يال غالب * وادفعهم عني بركن صليب
فبكي ولا ترعي مقالة عاذل * ولا تسأمي من عبرة بنحيب
اباك واخوانا لنا قد تتابعوا * وحق لهم من عبرة بنصيب
وسلى الذي قد كان في النفس أنني * قتلت من النجار كل نجيب
ومن هاشم قرما نجيبا ومصعبا * وكان لدى الهيجاء غير هيوب
ولو انني لم اشف منهم قرونه * لكانت شجي في القلب ذات ندوب

فاجابه حسان بقوله

ذكرت القروم الصيد من آل هاشم * ولست لزور قلته بمصيب
اتعجب ان أقصدت حمزة منهم * عشاء وقد سميته بنجيب
الم يقتلوا عمرا وعتبة وابنه * وشيبة والحجاج وابن حبيب
غداة دعا العاصي عليا فراعه * بضربة عضب بله بخضيب

في عينيه نكتة عالما أديبا يجيد الشعر شجاعا مهيبا حازما فهمه جبيرا وت وامه أم ولد رومية اسمها قراطيس ولد لعشر بقين من شعبان سنة تسعين ومائة نقش خاتمه لا اله الا الله محمد رسول الله فلما ولي الخلافة استخلف على السلطنة اشناس التركي والبسه وشاحين مجوهرين وتاجا مجوهرا وهو اول خليفة استخلف سلطانا وكان اعلم الخلفاء بالغناء وله اصوات والحان عملها نحو مائة صوت وكان يضرب بالعود وكان راوية للاشعار والاخبار وكان كثير الاكل جدا كان له خوان من ذهب مؤلف من اربع قطع يحمل كل قطعة عشرون رجلا وكل ما على الخوان من صحن وصحفة من ذهب وقال احمد بن حمدون دخل هرون بن زياد مؤدب الواثق اليه فاكرمه وعظمه الى الغاية فقيل له من هذا يا أمير المؤمنين قال هذا أول من فتق لساني بذكر الله وادناني من رحمة الله وكان قد تبع اباه في القول بخلق القرآن وقتل أحمد بن نصر الخزاعي لمخالفته ونصب رأسه الى

ووقعت هند وصواحباتها على القتلى يمثلن بهم واتخذت هند من آذان الرجال وآنافهم خدما وقلائد واعطت خدمها وقلائدها وحشيا وبقرت عن كبد حمزة فلاكتها فلم تستطع ان تسيغها فلفظتها ثم أشرف أبو سفيان على المسلمين فقال أفي القوم محمد ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجيبوه ثم قال أفي القوم ابن أبي قحافة ثلاثا ثم قال أفي القوم عمر بن الخطاب ثلاثا ثم التفت الى أصحابه فقال أما هؤلاء فقد قتلوا فقال عمر كذبت اى عدو الله قد أبقى الله لك ما يخزيك فقال اعل هبل اعل هبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا الله أعلى واجل فقال أبو سفيان ان لنا العزى ولا عزى لكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا الله مولانا ولا مولى لكم فقال ابو سفيان انشدك يا عمر اقتلنا محمدا قال عمر اللهم لا وانه ليسمع كلامك فقال انت أصدق من ابن قمئة ثم قال هذا يوم بدر والحرب سجال اما انكم ستجدون في قتلاكم مثلة والله ما رضيت ولا سخطت ولا نهيت ولا أمرت واجتاز بها الحليس بن زبان سيد الاحابيش وهو يضرب في شدق حمزة بزج الرمح ويقول ذق عقق فقال الحليس يا بني كنانة هذا سيد قريش يصنع بابن عمه كما ترون فقال أبو سفيان اكتمه فانها زلة وكانت أم ايمن حاضنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونساء من الانصار يسقين المياه فرماها حبان بن العرقة بسهم فاصاب ذيلها فضحك فدفع النبي صلى الله عليه وسلم الى سعد بن أبي وقاص سهما وقال ارمه فرماه فاصابه فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وقال استقاد لها سعد أجاب الله دعوتك وسدد رميتك ثم انصرف أبو سفيان ومن معه وقال ان موعدكم العام المقبل ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا في اثرهم وقال انظر فان جنبوا الخيل وامتطوا الابل فانهم يريدون مكة وان ركبوا الخيل فانهم يريدون المدينة والذي نفسي بيده لئن أرادوها لاناجزنهم قال علي فخرجت في اثرهم فامتطوا الابل وجنبوا الخيل يريدون مكة فاقبلت أصيح ما استطيع ان اكتم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره بالكتمان وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا ان ينظر في القتلى فرأى سعد بن الربيع الانصاري وبه رمق فقال للذي رآه ابلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم عني السلام وقل له جزاك الله خير ما جزى نبيا عن أمته وأبلغ قومي السلام وقل لهم لا عذر لكم عند الله ان خلص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذى وفيكم عين تطرف ثم مات ووجد حمزة ببطن الوادي قد بقر بطنه عن كبده ومثل به فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لولا ان تحزن صفية أو تكون سنة بعدي لتركته حتى يكون في اجواف السباع وحواصل الطير ولئن أظهرني الله على قريش لامثلن بثلاثين رجلا منهم وقال المسلمون لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب فأنزل الله في ذلك وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به الآية فعفا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصبر ونهى عن المثلة وأقبلت صفية بنت عبد المطلب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنها الزبير لتردها لئلا ترى ما باخيها حمزة فلقيها الزبير فاعلمها بامر النبي صلى الله عليه وسلم فقالت انه بلغني انه مثل باخي وذلك في الله قليل فما أرضانا بما كان من ذلك لاحتسبن ولاصبرن فاعلم الزبير النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال خل سبيلها فاتته وصلت عليه واسترجعت وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم به فدفن وكان في المسلمين رجل اسمه قزمان وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه من أهل النار فقاتل يوم أحد قتالا شديدا فقتل من المشركين

الشرق فدار الى القبلة فاجلس رجلا معه رمح او قصبة وكان كلما دار الرأس الى القبلة اداره الى الشرق فذكر الرجل أنه كان يسمع من الرأس بالليل قراءة سورة يس بلسان طلق ويروى انه رؤى في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لي ورحمني الا اني كنت مهموما منذ ثلاثة ايام قيل ولم قال لان النبي صلى الله عليه وسلم مر على مرتين فاعرض بوجهه الكريم عني ففعل ذلك فلما مر صلى الله عليه وسلم الثالثة قلت له يا رسول الله الست على الحق وهم على الباطل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى قلت ما بالك تعرض عني بوجهك الكريم فقال صلى الله عليه وسلم حياء منك اذ قتلك رجل من أهل بيتي ويقال ان الواثق رجع عن هذا القول قبل موته وسببه ما ذكره الحافظ ابو بكر الآجري انه أتي للواثق بشيخ مكث في السجن مدة بقيوده فلما وقف بين يديه سلم عليه فلم يرد الواثق السلام فقال له الشيخ يا أمير المؤمنين بئسما أدبك مؤدبك قال الله تعالى

ثمانية أو تسعة ثم جرح فحمل الى داره وقال له المسلمون ابشر قزمان قال بم أبشر والله ما قاتلت الا عن احساب قومي ثم اشتد عليه جرحه فاخذ سهما فقطع رواهشه فنزف الدم فمات فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أشهد انى رسول الله وكان ممن قتل يوم أحد مخيريق اليهودي قال ذلك اليوم ليهود يا معشر يهود لقد علمتم ان نصر محمد عليكم حق فقالوا ان اليوم السبت فقال لا سبت وأخذ سيفه وعدته وقال ان قتلت فمالى لمحمد يصنع به ما يشاء ثم غدا فقاتل حتى قتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مخيريق خير يهود وقتل اليمان أبو حذيفة قتله المسلمون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم رفعه وثابت بن قيس بن وقش مع النساء فقال احدهما لصاحبه وهما شيخان ما ننتظر أفلا نأخذ اسيافنا فنلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم لعل الله ان يرزقنا الشهادة ففعلا ودخلا في الناس ولا يعلم بهما فاما ثابت فقتله المشركون وأما اليمان فاختلفت عليه سيوف المسلمين فقتلوه ولا يعرفونه فقال حذيفة أبي ابي فقالوا والله ما عرفناه فقال يغفر الله لكم وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يديه فتصدق حذيفة بديته على المسلمين واحتمل بعض الناس قتلاهم الى المدينة فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بدفنهم حيث صرعوا وأمر ان يدفن الاثنان والثلاثة في القبر الواحد وان يقدم الى القبلة أكثرهم قرآنا وصلى عليهم فكان كلما أتى بشهيد جعل حمزة معه وصلى عليهما وقيل كان يجمع تسعة من الشهداء وحمزة عاشرهم فيصلى عليهم ونزل في قبره علي وأبو بكر وعمر والزبير وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على حفرته وأمر ان يدفن عمرو بن الجموح وعبد الله بن حرام في قبر واحد وقال كانا متصافيين في الدنيا فلما دفن الشهداء انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقيته حمنة بنت جحش فنعى لها أخاها عبد الله فاسترجعت له ثم نعى لها أخاها حمزة فاستغفرت له ثم نعى لها زوجها مصعب بن عمير فولولت وصاحت فقال ان زوج المرأة منها لبمكان ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بدار من دور الانصار فسمع البكاء والنوائح فذرفت عيناه بالبكاء وقال لكن حمزة لا بواكي له فرجع سعد بن معاذ الى دار بني عبد الاشهل فامر نساءهم ان يذهبن فيبكين على حمزة ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة من الانصار قد أصيب أبوها وزوجها فلما نعيا لها قالت ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هو بحمد الله كما تحبين قالت أرونيه فلما نظرت اليه قالت كل مصيبة بعدك جلل وكان رجوعه الى المدينة يوم السبت يوم الوقعة (نيار بالنون المكسورة والياء تحتها نقطتان وآخره راء وجبير بضم الجيم تصغير جبر وخوات بالخاء المعجمة والواو المشددة وبعد الالف تاء فوقها نقطتان وحبان بكسر الحاء المهملة وبالباء الموحدة وآخره نون والحليس بضم الحاء المهملة تصغير حلس وزبان بالزاى والباء الموحدة وآخره نون)

(ذكر غزوة حمراء الاسد)

لما كان الغد من يوم الاحد أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغزو وقال لا يخرج معنا الا من حضر بالامس فخرج ليظن الكفار به قوة وخرج معه جماعة جرحى يحملون انفسهم وسار وا حتى بلغوا حمراء الاسد وهي من المدينة على سبعة اميال فاقام بها الاثنين والثلاثاء والاربعاء ومر به معبد الخزاعي وكانت خزاعة مسلمهم ومشركهم عيبة نصح لرسول الله صلى الله عليه وسلم بتهامة وكان معبد مشركا فقال لقد عز علينا ما أصابك ثم خرج من عند

واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها فما حييتني بأحسن منها ولا بها فقال الواثق وعليك السلام ثم قال لابن ابي دواد سله فقال الشيخ المسئلة لي مرة فليجبني فقال سل فاقبل الشيخ على ابن أبي دواد فقال اخبرني عن هذا الامر الذي تدعو الناس اليه أشئ دعا اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا قال دعا اليه أبو بكر الصديق بعده قال لا قال دعا اليه عمر بن الخطاب بعدهما قال لا قال دعا اليه عثمان ابن عفان بعدهم قال لا قال دعا اليه علي بن ابي طالب بعدهم قال لا فقال الشيخ شئ لم يدع اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ابو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي رضي الله عنهم تدعو انت اليه الناس ليس يخلو ان تقول علموه أو جهلوه فان قلت علموه وسكتوا عنه وسعنا واياك من السكوت ما وسع القوم وان قلت جهلوه وعلمته أنت فيا لكع ابن لكع يجهل النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون بعده رضي الله عنهم شيأ وتعلمه أنت واصحابك فألزمه الشيخ

النبي صلى الله عليه وسلم فلقي أباسفيان ومن معه بالروحاء قد أجمعوا الرجعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستأصلوا المسلمين بزعمهم فلما رأى أبو سفيان معبدا قال ما وراءك قال محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قد جمع معه من تخلف عنه وندموا على ما صنعوا وما ترحل حتى ترى نواصي الخيل قال فوالله قد أجمعنا الرجعة لنستأصل بقيتهم قال فانى أنهاك عن هذا فثنى أباسفيان ومن معه ومر بابي سفيان ركب من عبد القيس فقال لهم بلغوا عني محمدا رسالة وأحمل لكم ابلكم هذه زبيبا بعكاظ قالوا نعم قال اخبروه انا قد اجمعنا السير اليه والى أصحابه لنستأصلهم فمروا بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الاسد فأخبروه فقال صلى الله عليه وسلم حسبنا الله ونعم الوكيل ثم عاد الى المدينة وظفر في طريقه بمعاوية بن المغيرة بن أبي العاص وبابي عزة عمرو بن عبد الله الجمحي وكان قد تخلف عن المشركين بحمراء الاسد سار وا وتركوه نائما وكان ابو عزة قد أسر يوم بدر فأطلقه رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير فداء لانه شكا اليه فقرا وكثرة عيال فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه العهود ان لا يقاتله ولا يعين على قتاله فخرج معهم يوم أحد وحرض على المسلمين فلما أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له يا محمد امنن علي قال المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين وأمر به فقتل وأما معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية وهو الذي جدع أنف حمزة ومثل به مع من مثل به وكان قد اخطأ الطريق فلما أصبح أتى دار عثمان بن عفان فلما رآه قال له عثمان أهلكتني واهلكت نفسك فقال أنت اقربهم مني رحما وقد جئتك لتجيرني وأدخله عثمان داره وقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشفع فيه فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان معاوية بالمدينة فاطلبوه فاخرجوه من منزل عثمان وانطلقوا به الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال عثمان والذي بعثك بالحق ما جئت الا لاطلب له امانا فهبه لي فوهبه له وأجله ثلاثة أيام واقسم لئن اقام بعدها ليقتلنه فجهزه عثمان وقال له ارتحل وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حمراء الاسد وأقام معاوية ليعرف اخبار النبي صلى الله عليه وسلم فلما كان اليوم الرابع قال النبي صلى الله عليه وسلم ان معاوية أصبح قريبا ولم يبعد فاطلبوه فطلبه زيد بن حارثة وعمار فادركاه بالحماة فقتلاه وهذا معاوية جد عبد الملك بن مروان بن الحكم لامه وفيها قيل ولد الحسن بن علي في النصف من شهر رمضان وفيها علقت فاطمة بالحسين وكان بين ولادتها وحملها خمسون يوما وفيها حلت جميلة بنت عبد الله (٣) بن أبي عامر غسيل الملائكة في شوال * (ودخلت السنة الرابعة من الهجرة) *

* (ذكر غزوة الرجيع) *

في هذه السنة في صفر كانت غزوة الرجيع وكان سببها ان رهطا من عضل والقارة قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ان فينا اسلاما فابعث لنا نفرا يفقهونا ويعلمونا الدين ويقرئونا القرآن فبعث معهم ستة نفر وأمر عليهم عاصم بن ثابت وقيل مرثد بن أبي مرثد فلما كانوا بالهدأة غدروا واستصرخوا عليهم حيا من هذيل يقال لهم بنو لحيان فبعثوا اليهم مائة رجل فالتجأ المسلمون الى جبل فاستنزلوهم وأعطوهم العهد فقال عاصم والله لا أنزل على عهد كافر اللهم خبر نبيك عنا وقاتلهم هو ومرثد وخالد بن البكير ونزل اليهم ابن الدثنة وخبيب بن عدي ورجل

الرابع فيما نحن بصدد ذلك أمر الواثق بقطع قيود الشيخ فقطعت فأخذها الشيخ ووضعها في كمه فقال الواثق ما تفعل بها قال أوصي لمن بعدي اذا مت ان يضع القيد بيني وبين كفني حتى اخاصم به هذا الظالم يوم القيامة وأقول له يارب سل عبدك هذا لم قيدني وروع أهلي وولدي واخواني بلا حق اوجب ذلك علي فبكى الحاضرون ثم سأله الواثق ان يجعله في حل فقال الشيخ جعلتك في حل اكراما لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذ كنت رجلا من أهله ورجع الواثق عن ذلك الاعتقاد واطلق الشيخ واكرمه وأحسن اليه والشيخ المذكور هو ابو عبد الرحمن عبد الله بن محمد الازدي شيخ أبي داود والنسائي ومن شعر الواثق رحمه الله في خادمه مهج وكان يهواه

مهج ملك المهج
بسوى اللحظ والدعج
حسن القد بعطفه
ذو دلال وذو غنج
ليس للعين ان بدا
عنه باللحظ منعرج

اسند الصولي عن جعفر ابن علي بن الرشيد قال كنا بين يدي الواثق وقد

آخر فأوثقوهم فقال الرجل الثالث هذا أول الغدر والله لا اتبعكم فقتلوه وانطلقوا بخبيب وابن الدثنة فباعوهما بمكة فأخذ خبيبا بنو الحرث بن عامر بن نوفل وكان خبيب هو الذي قتل الحرث بأحد فأخذوه ليقتلوه بالحرث فبينما خبيب عند بنات الحرث استعار من بعضهن موسى يستحد بها للقتل فدب صبي لها فجلس على فخذ خبيب والموسى في يده فصاحت المرأة فقال خبيب اتخشين ان أقتله ان الغدر ليس من شأننا فكانت المرأة تقول ما رأيت أسيرا خيرا من خبيب لقد رأيته وما بمكة ثمرة وان في يده لقطفا من عنب يأكله ما كان الا رزقا رزقه الله خبيبا فلما خرجوا من الحرم بخبيب ليقتلوه قال ردوني أصلي ركعتين فتركوه فصلاهما فجرت سنة لمن قتل صبرا ثم قال خبيب لولا ان تقولوا جزع لزدت وقال ابياتا تامنها

ولست أبالي حين أقتل مسلما * على اي شق كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الاله وان يشأ * يبارك على أوصال شلو ممزع

اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا ثم صلبوه وأما عاصم بن ثابت فانهم أرادوا رأسه ليبيعوه من سلافة بنت سعد وكانت نذرت أن تشرب الخمر في رأس عاصم لانه قتل ابنيها باحد فجاءت النحل فمنعته فقالوا دعوه حتى يمسي فنأخذه فبعث الله الوادي فاحتمل عاصما وكان عاهد الله ان لا يمس مشركا ولا يمسه مشرك فمنعه الله في مماته كما منع في حياته وأما ابن الدثنة فان صفوان ابن أمية بعث به مع غلامه نسطاس الى التنعيم ليقتله بابيه فقال نسطاس أنشدك الله اتحب ان محمدا الآن عندنا مكانك نضرب عنقه وانك في أهلك قال ما احب ان محمدا الآن مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأنا جالس في اهلي فقال أبو سفيان ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا ثم قتله نسطاس (خبيب بضم الخاء المعجمة وفتح الباء الموحدة بعدها ياء تحتها نقطتان وآخره باء موحدة أيضا والبكير بضم الباء الموحدة تصغير بكر)

(ذكر ارسال عمرو بن أمية لقتل أبي سفيان)

ولما قتل عاصم واصحابه بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري الى مكة مع رجل من الانصار وأمرهما بقتل أبي سفيان بن حرب قال عمرو فخرجت انا ومعي بعير لي وبرجل صاحبي علة فكنت أحمله على بعيري حتى جئنا بطن يأجج فعقلنا بعيرنا في الشعب وقلت لصاحبي انطلق بنا الى أبي سفيان لنقتله فان خشيت شيأ فالحق بالبعير فاركبه والحق برسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر وخل عني فاني عالم بالبلد فدخلنا مكة ومعي خنجر ان عاقني انسان ضربته به فقال لي صاحبي هل لك ان نبدأ فنطوف ونصلي ركعتين فقلت ان أهل مكة يجلسون بافنيتهم وانا أعرف بها فلم يزل حتى أتينا البيت فطفنا وصلينا ثم خرجنا فمررنا بمجلس لهم فعرفني بعضهم فصرخ باعلى صوته هذا عمرو بن أمية فثار أهل مكة الينا وقالوا ما جاء الا لشر وكان فاتكا متشيطنا في الجاهلية فقلت لصاحبي النجاء هذا الذي كنت أحذر اما أبو سفيان فليس اليه سبيل فانج بنفسك فخرجنا حتى صعدنا الجبل فدخلنا غارا فبتنا فيه ليلتنا ننتظر ان يسكن الطلب قال فوالله اني لفيه اذ أقبل عثمان بن مالك التيمي بفرس له فقام على باب الغار فخرجت اليه فضربته بالخنجر فصاح صيحة أسمع اهل مكة فاقبلوا اليه

اصطبح فناوله خادمه مهج وردا ونرجسا فانشد في ذلك بعد يوم لنفسه

حياك بالنرجس والورد
معتدل القامة والقد
فالهبت عيناه نار الهوى
وزاد في اللوعة والوجد
املت بالملك له قربة
فصار ملكي سبب البعد
ورنحته سكرات الهوى
فمال بالوصل الى الصد
ان سئل البذل ثنى عطفه
واسبل الدمع على الخد
غر بما تجنيه الحاظه
لا يعرف الانجاز للوعد
مولى تشكى الظلم من عبده
فأنصفوا المولى من العبد

قال فاجمعوا انه ليس لاحد من الخلفاء مثل هذه الابيات وكان الواثق مؤثرا لكثرة الجماع فقال للطبيب اصنع لي دواء للباه فقال له الطبيب يا أمير المؤمنين لا تهدم بدنك بالجماع واتق الله في نفسك فقال لا بد من ذلك فأمره الطبيب ان يأخذ لحم سبع فيغلي عليه سبع غليات بخل خمر ويتناول منه اذا شرب ثلاثة دراهم ولا يتجاوز هذا القدر فامر بذبح سبع فذبح وطبخ له من لحمه وصار يتنقل منه على شرابه فلم يكن الا قليلا حتى استسقى فاجمع رأي الاطباء على ان لا دواء له الا ان يبزل بطنه

رجعت الى مكاني ووجدوه وبه رمق فقالوا من ضربك قال عمرو بن أمية ثم مات ولم يقدر يخبرهم بمكاني وشغلهم قتل صاحبهم عن طلبي فاحتملوه ومكثنا في الغار يومين حتى سكن الطلب ثم خرجنا الى التنعيم فاذا بخشبة خبيب وحوله حرس فصعدت خشبته واحتملته على ظهري فما مشيت به الا نحو أربعين خطوة حتى نذروا بي فطرحته فاشتدوا في أثري فأخذت الطريق فأعيوا ورجعوا وانطلق صاحبي فركب البعير وأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره وأما خبيب فلم ير بعد ذلك وكأن الارض ابتلعته قال وسرت حتى دخلت غارا بضجنان ومعي قوسي واسهمي فبينا انا فيه اذ دخل علي رجل من بني الديل أعور طويل يسوق غنما فقال من الرجل قلت من بني الديل فاضطجع معي ورفع عقيرته يتغنى ويقول

ولست بمسلم ما دمت حيا * ولست ادين دين المسلمينا

ثم نام فقتلته ثم سرت فاذا رجلان بعثتهما قريش يتجسسان أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فرميت احدهما بسهم فقتلته واستأسرت الآخر فقدمت على النبي صلى الله عليه وسلم وأخبرته الخبر فضحك ودعا لي بخير * وفي هذه السنة تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت خزيمة أم المساكين من بني هلال في شهر رمضان وكانت قبله عند الطفيل بن الحرث فطلقها وولي المشركون الحج في هذه السنة .

(ذكر بئر معونة)

في هذه السنة في صفر قتل جمع من المسلمين ببئر معونة وكان سبب ذلك ان أبا براء بن عازب بن عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الاسنة سيد بني عامر بن صعصعة قدم المدينة واهدى للنبي صلى الله عليه وسلم هدية فلم يقبلها وقال يا أبا براء لا أقبل هدية مشرك ثم عرض عليه الاسلام فلم يبعد عنه ولم يسلم وقال ان أمرك هذا حسن فلو بعثت رجالا من أصحابك الى اهل نجد يدعونهم الى أمرك لرجوت أن يستجيبوا لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخشى عليهم اهل نجد فقال أبو براء انا لهم جار فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين رجلا فيهم المنذر بن عمرو الانصاري والحرث بن الصمة وحرام بن ملحان وعامر بن فهيرة وغيرهم وقيل كانوا أربعين فساروا حتى نزلوا ببئر معونة من أرض بني عامر وحرة بني سليم فلما نزلوها بعثوا حرام بن ملحان بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم الى عامر بن الطفيل فلما أتاه لم ينظر الى الكتاب وعدا على حرام فقتله فلما طعنه قال الله اكبر فزت ورب الكعبة واستصرخ بني عامر فلم يجيبوه وقالوا لن نخفر ابا براء لعقد أجارهم فاستصرخ بني سليم عصية ورعل وذكوان فأجابوه وخرجوا حتى أحاطوا بالمسلمين فقاتلوهم حتى قتلوا عن آخرهم الا كعب بن زيد الانصاري فانهم تركوه وبه رمق فعاش حتى قتل يوم الخندق وكان في سرح القوم عمرو بن أمية ورجل من الانصار فرأيا الطير تحوم على العسكر فقالا ان لها لشأنا فاقبلا ينظران فاذا القوم صرعى واذا الخيل واقفة فقال عمرو نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره الخبر فقال الانصاري لا أرغب بنفسي عن موطن فيه المنذر بن عمرو ثم قاتل القوم حتى قتل فأخذوا عمرو بن أمية أسيرا فلما علم عامر انه من مضر أطلقه وخرج عمرو حتى اذا كان بالقرقرة لقي رجلين من بني عامر فنزلا معه ومعهما عقد من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعلم به عمرو فقتلهما ثم اخبر النبي صلى الله

ثم يترك في تنور قد سجر بحطب زيتون حتى يصير جمرا ثم يجلس فيه ففعل ذلك به ومنعوه الماء ثلاث ساعات فجعل يستغيث ويطلب الماء فلم يسقوه فصار في بدنه نفاطات مثل البطيخ ثم أخرجوه فجعل يقول ردوني الى التنور والا مت فردوه فسكن صياحه ثم انفجرت تلك النفاطات وقطر منها ماء فأخرج من التنور وقد اسود جسده فمات بعد ساعة ولما احتضر جعل يقول

الموت فيه جميع الناس مشترك
لا سوقة منهم يبقى ولا ملك
ما ضر أهل قليل في تفاقرهم
وليس يغني عن الاملاك ما ملكوا

ثم أمر بالبسط فطويت ثم الصق خده بالارض وجعل يقول يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه ولما مات سجي بثوب واشتغل الناس بالبيعة للمتوكل فجاء جرذ من البستان فاستل عينيه وذهب بهما ولم يعلموا حتى غسلوه وهذا من اغرب ما سمع وكانت وفاته في شهر رجب سنة اثنتين وثلاثين ومائتين وهو ابن ست وثلاثين سنة واشهر فكانت مدة خلافته خمس سنين وتسعة أشهر والله اعلم

عليه وسلم الخبر فقال لهلقد دققت قتيلين لأدينهما ثم قال رسول الله هذا عمل أبي براء فشق عليه ذلك وكان فيمن قتل عامر بن فهيرة فكان عامر بن الطفيل يقول من الرجل منهم لما قتل رفع بين السماء والارض قالوا هو عامر بن فهيرة وقال حسان بن ثابت يحرض بني أبي براء على عامر بن الطفيل

بني أم البنين ألم يرعكم * وانتم من ذوائب اهل نجد
تهكم عامر بابي براء * ليخفره وما خطأ كعمد

في ابيات له فقال كعب بن مالك

لقد طارت شعاعا كل وجه * خفارة ما اجار أبو براء

في ابيات أخرى فلما بلغ ربيعة بن أبي براء ذلك حمل على عامر بن الطفيل فطعنه فخر عن فرسه فقال ان مت فدمي لعمي وأنزل الله عز وجل في أهل بئر معونة قرآنا بلغوا قومنا عنا انا قد لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه ثم نسخت (معونة بفتح الميم وضم العين المهملة وبعد الواو نون وحرام بالحاء المهملة والراء وملحان بكسر الميم وبالحاء المهملة)

(ذكر اجلاء بني النضير)

وكان سبب ذلك ان عامر بن الطفيل أرسل الى النبي صلى الله عليه وسلم يطلب دية العامريين للذين قتلهما عمرو بن أمية وقد ذكرنا ذلك فخرج النبي صلى الله عليه وسلم الى بني النضير يستعينهم فيها ومعه جماعة من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلي فقالوا نعم نعينك على ما أحببت ثم خلا بعضهم ببعض وتآمروا على قتله وهو جالس الى جنب جدار فقالوا من يعلو هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيقتله ويريحنا منه فانتدب له عمرو بن جحاش فنهاهم عن ذلك سلام بن مشكم وقال هو يعلم فلم يقبلوا منه وصعد عمرو بن جحاش فاتى الخبر من السماء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما عزموا عليه فقام وقال لاصحابه لاتبرحوا حتى آتيكم وخرج راجعا الى المدينة فلما ابطأ قام أصحابه في طلبه فاخبرهم الخبر وأمر المسلمين بحربهم ونزل بهم فتحصنوا منه في الحصون فقطع النخل وأحرق وارسل اليهم عبد الله بن أبي وجماعة معه ان اثبتوا وتمنعوا فانا لن نسلمكم وان قوتلتم قاتلنا معكم وان خرجتم خرجنا معكم وقذف الله في قلوبهم الرعب فسألوا النبي صلى الله عليه وسلم ان يجليهم ويكف عن دمائهم على ان لهم ما حملت الابل من الاموال الا السلاح فاجابهم الى ذلك فخرجوا الى خيبر ومنهم من سار الى الشام فكان ممن سار الى خيبر كنانة بن الربيع وحيي بن اخطب وكان فيهم يومئذ أم عمرو صاحبة عروة بن الورد التي ابتاعوا منه وكانت غفارية فكانت أموال النضير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحده يضعها حيث شاء فقسمها على المهاجرين الاولين دون الانصار الا ان سهل بن حنيف وأبا دجانة ذكرا فقرا فاعطاهما ولم يسلم من بني النضير الا يامين بن عمير بن كعب وهو ابن عم عمرو بن جحاش وأبو سعد بن وهب واحرزا أموالهما واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم وكانت رايته مع علي بن أبي طالب (سلام بتشديد اللام ومشكم بكسر الميم وسكون الشين المعجمة والكاف)

(غزوة ذات الرقاع)

أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد بني النضير شهري ربيع ثم غزا نجدا يريد بني

(الفصل العاشر في ذكر خلافة المتوكل على الله)

اسمه جعفر بن المعتصم ابن الرشيد بويع له بالخلافة بسر من رأى بعد موت أخيه الواثق بعهد منه في ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين وكان أسمر رقيقا مليح العينين خفيف اللحية ليس بالطويل فيه انهماك على الملاهي والمكاره لكنه أحيا السنة وامات بدعة القول بخلق القرآن وأمه ام ولد خوارزمية اسمها شجاع نقش خاتمه المتوكل على الله ولما ولي الخلافة احيا السنة وكتب الى الآفاق برفع المحنة واظهار السنة وتكلم في مجالسه العلماء وأعزهم وخمدت المعتزلة وكانوا في قوة وكان المتوكل يبغض عليا رضي الله عنه وينقصه ويكثر الوقيعة والاستخفاف به وفي سنة سبع وثلاثين ومائتين أمر بهدم قبر الحسين رضي الله عنه وهدم ما حوله من الدور وان يعمل مزارع ومنع الناس من زيارته وحرث وبقي صحراء فتألم المسلمون لذلك وكتب أهل بغداد شتمه على الحيطان وهجاه الشعراء فمما قيل في ذلك

تالله ان كانت أمية قد اتت
قتل ابن بنت نبيها مظلوما

محارب وبني ثعلبة من غطفان حتى نزل نخلا وهي غزوة الرقاع حيث بذلك لاجل جبل كانت الوقعة فيه سواد وبياض وحمرة فاستخلف على المدينة عثمان بن عفان فلقي المشركين ولم يكن قتال وخاف الناس بعضهم بعضا فنزلت صلاة الخوف وقد اختلف الرواة في صلاة الخوف وهو مستقصى في كتب الفقه وجاء رجل من محارب الى النبي صلى الله عليه وسلم فطلب منه ان ينظر الى سيفه فاعطاه السيف فلما أخذه وهزه قال يا محمد أما تخافني قال لا قال اما تخافني وفي يدي السيف قال لا يمنعني الله منك فرد السيف اليه وأصاب المسلمون امرأة منهم وكان زوجها غائبا فلما أتى اهله أخبر الخبر فحلف لا ينتهي حتى يهريق في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم دما فخرج يتبع اثر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من يحرسنا الليلة فانتدب رجل من المهاجرين ورجل من الانصار فاقاما بفم شعب نزله رسول الله صلى الله عليه وسلم واضطجع المهاجري وحرس الانصاري أول الليل وقام يصلي وجاء زوج المرأة فرأى شخصه فعرف انه ربيئة القوم فرماه بسهم فوضعه فيه فانتزعه وثبت قائما يصلي ثم رماه بسهم آخر فاصابه فنزعه وثبت يصلي ثم رماه بالثالث فوضعه فيه فانتزعه ثم ركع وسجد ثم ايقظ صاحبه واعلمه فوثب فلما رآهما الرجل علم انهما علما به فلما رأى المهاجري ما بالانصاري قال سبحان الله الا ايقظتني أول مارماك قال كنت في سورة اقرؤها فلم احب ان أقطعها فلما تابع علي الرمي اعلمتك وايم الله لولا خوفي ان أضيع ثغرا أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظه لقطع نفسي قبل ان أقطعها وقيل ان هذه الغزوة كانت في المحرم سنة خمس من الهجرة

(ذكر غزوة بدر الثانية)

وسميت أيضا غزوة السويق وفي شعبان منها خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بدر لميعاد أبي سفيان بن حرب حتى نزل بدرا فاقام عليها ثماني ليال ينتظر ابا سفيان وخرج أبو سفيان في أهل مكة الى مر الظهران وقيل الى عسفان ثم رجع ورجعت قريش معه فسماهم أهل مكة جيش السويق يقولون انما خرجتم تشربون السويق واستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة عبد الله بن رواحة * وفيها تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة وفيها امر رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت ان يتعلم كتاب يهود * وفيها في جمادى الاولى مات عبد الله بن عثمان بن عفان وامه رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عمره ست سنين * وفيها ولد الحسين بن علي بن أبي طالب في قول وولي الحج فيها المشركون *(الاحداث في السنة الخامسة من الهجرة)* فيها تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش وهي ابنة عمته كان زوجها مولاه زيد بن حارثة وكان يقال له زيد بن محمد فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريده وعلى الباب ستر من شعر فرفعته الريح فرآها وهي حاسرة فاعجبته وكرهت الى زيد فلم يستطع يقربها فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال أرابك فيها شيء قال لا والله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم امسك عليك زوجك واتق الله ففارقها زيد وحلت وأنزل الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم فقال من يبشر زينب ان الله قد زوجنيها وقرأ عليهم قوله تعالى واذ تقول للذي أنعم الله عليه الآية

فلقد ابان بثوابه بمثله هذا العمرك قبره مهدوما اسفوا على ان لا يكونوا شاركوا في قتله فتتبعوه رميما

(ومن الاعاجيب في ايامه) انه هبت ريح بالعراق شديدة السموم لم يعهد مثلها أحرقت زرع الكوفة والبصرة وبغداد وقتلت المسافرين ودامت خمسين يوما واتصلت بهمذان فاحرقت الزرع والمواشي واتصلت بالموصل وسنجار ومنعت الناس من المعاش في الاسواق ومن المشي في الطرقات وأهلكت خلقا عظيما وجاءت زلزلة مهولة بدمشق سقطت منها دور وهلك تحتها خلق كثير وفي هذه السنة ظهرت نار بعسقلان احرقت البيوت والبيادر ولم تزل تحرق الى ثلث الليل ثم كفت وفي سنة ثمان وثلاثين ومائتين كبست الروم دمياط ونهبوا وأحرقوا وسبوا منها ستمائة امرأة وولوا مسرعين في البحر وفي سنة احدى وأربعين ومائتين ماجت النجوم في السماء وتناثرت الكواكب كالجراد أكثر الليل وفي سنة اثنتين وأربعين ومائتين زلزلت الارض زلزلة عظيمة بتونس

(مطلب تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش)

فكانت زينب تفخر على نسائه وتقول زوجكن أهلوكن وزوجني الله من السماء وفيها كانت
غزوة دومة الجندل في ربيع الاول وسببها انه بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ان بها جمعا من
المشركين فغزاهم فلم يلق كيدا وخلف على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري وغنم المسلمون
ابلا وغنما وجدت لهم وماتت أم سعد بن عبادة وسعد مع النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الغزاة
وفيها وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصن الفزاري (عيينة بضم العين تصغير عين)

(ذكر غزوة الخندق وهي غزوة الاحزاب)

وكانت في شوال وكان سببها ان نفرا من يهود من بني النضير منهم سلام بن أبي الحقيق
وحيي بن أخطب وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وغيرهم حزبوا الاحزاب على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقدموا على قريش بمكة فدعوهم الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا
نكون معكم حتى نستأصله فاجابوهم الى ذلك ثم أتوا على غطفان فدعوهم الى حرب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأخبروهم ان قريشا معهم على ذلك فاجابوهم فخرجت قريش وقائدها
أبو سفيان بن حرب وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن في بني فزارة والحرث بن عوف بن
أبي حارثة المري في مرة ومسعر بن رخيلة الاشجعي في الاشجع فلما سمع بهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم أمر بحفر الخندق واشار به سلمان الفارسي وكان أول مشهد شهده مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو يومئذ حر فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم رغبة في الاجر وحثا
للمسلمين وتسلل عنه جماعة من المنافقين بغير علم رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله في ذلك
قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا الآية وكان الرجل من المسلمين اذا نابته نائبة لحاجة
لابد منها يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقضي حاجته ثم يعود فانزل الله تعالى انما
المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله الآية وقسم الخندق بين المسلمين فاختلف المهاجرون
والانصار في سلمان كل يدعيه انه منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمان منا سلمان من
اهل البيت وجعل لكل عشرة أربعين ذراعا فكان سلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن وعمرو
ابن عوف وستة من الانصار يعملون فخرج عليهم صخرة كسرت المعول فاعلموا النبي صلى الله
عليه وسلم فهبط اليها ومعه سلمان فاخذ المعول وضرب الصخرة ضربة صدعها وبرقت منها
برقة أضاءت ما بين لابتي المدينة فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ثم الثانية
كذلك ثم الثالثة كذلك ثم خرج وقد صدعها فسأله سلمان عما رأى من البرق فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اضاءت الحيرة وقصور كسرى في البرقة الاولى وأخبرني جبريل ان أمتي
ظاهرة عليها واضاء لي في الثانية القصور الحمر من أرض الشام والروم وأخبرني ان أمتي ظاهرة
عليها وأضاء لي في الثالثة قصور صنعاء وأخبرني ان امتي ظاهرة عليها فابشروا فاستبشر المسلمون
وقال المنافقون ألا تعجبون يعدكم الباطل ويخبركم انه ينظر من يثرب الحيرة ومدائن كسرى
وانها تفتح لكم وأنتم لا تستطيعون ان تبرزوا فانزل الله واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم
مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا فاقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الاسيال من رومة بين
الجرف وزغابة في عشرة آلاف من احابيشهم ومن تابعهم من كنانة وتهامة وأقبلت غطفان
ومن تابعهم حتى نزلوا الى جنب أحد وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون فجعلوا

واعمالها والري وخراسان ونيسابور وطبرستان واصبهان وتقطعت جبال وتشققت الارض بقدر ما يدخل الرجل في الشق ورجمت قرية السويداء بناحية مضر من السماء ووزن حجر من الحجارة فكان خمسة عشر رطلا وسار جبل باليمن عليه مزارع لاهله حتى أتى مزارع آخرين ووقع بحلب طائر أبيض دون الرخمة في رمضان فصاح يا معاشر الناس اتقوا الله فصاح أربعين صوتا ثم طار وجاء من الغد ففعل كذلك وكتب البريد وأشهد خمسمائة انسان سمعوه وفي سنة ثلاث وأربعين ومائتين قدم المتوكل الى دمشق فاعجبته وبنى له القصر بداريا وعزم على سكناها فبداله ورجع بعد شهرين أو ثلاثة وفي سنة خمس واربعين ومائتين سمع أهل اخلاط صيحة عظيمة من جو السماء فمات منها خلق كثير ووقع برد بالعراق كبيض الدجاج وخسف ثلاث عشرة قرية بالمغرب وفيها عمت الزلازل الدنيا فاخربت المدن والقلاع والقناطر وسقط من انطاكية جبل في البحر وحصل منه ضجة هائلة فمات خلق كثير وفي هذه السنة غارت عيون

ظهورهم الى سلع فى ثلاثة آلاف تنزل هنالك ورفع الذرارى والنساء فى الآطام وخرج حيى بن أخطب حتى أتى كعب بن أسد سيد قريظة وكان قد وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه فأغلق كعب حصنه ولم يأذن له وقال انك امرؤ مشؤم وقد عاهدت محمدا ولم أر منه الا الوفاء قال حيى يا كعب قد جئتك بعز الدهر وبحر طام جئتك بقريش وقادتها وسادتها وغطفان وقادتها وقد عاهدونى أنهم لا يبرحون حتى يستأصلوا محمدا وأصحابه قال كعب جئتنى بذل الدهر وبجهام قد هراق ماءه يرعد ويبرق وليس فيه شئ ويحك يا حيى دعنى ولم يزل به يفتله فى الذروة والغارب حتى حمله على الغدر بالنبى صلى الله عليه وسلم ففعل ونكث العهد وعاهده حيى ان عادت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمدا ان أدخل معك فى حصنك حتى يصيبنى ما أصابك فعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم ونجم النفاق من بعض المنافقين وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشركون عليه بضعا وعشرين ليلة قريبا من شهر ولم يكن بين القوم حرب الا الرمى فلما اشتد البلاء بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عيينة بن حصن والحرث بن عوف المرى قائدى غطفان فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على ان يرجعوا بمن معهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجابا الى ذلك فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فقالا يا رسول الله شئ تحب ان تصنعه أم شئ أمرك الله به أو شئ تصنعه لنا قال بل رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة فأردت ان أكسر عنكم شوكتهم فقال سعد بن معاذ قد كنا نحن وهم على الشرك ولا يطمعون ان يأكلوا منا ثمرة الا قرى أو بيعا فحين أكرمنا الله بالاسلام نعطيهم أموالنا ما نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم فترك ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ان فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ود أحد بنى عامر بن لؤى وعكرمة بن أبى جهل وهبيرة بن أبى وهب ونوفل بن عبد الله وضرار بن الخطاب الفهرى خرجوا على خيولهم واجتازوا ببنى كنانة وقالوا تجهزوا للحرب وستعلمون من الفرسان وكان عمرو بن عبد ود قد شهد بدرا كافرا وقاتل حتى كثرت الجراح فيه ولم يشهد أحدا وشهد الخندق معلما حتى يعرف مكانه فأقبل هو وأصحابه حتى وقفوا على الخندق ثم تيمموا مكانا ضيقا فاقتحموه فجالت بهم خيولهم فى السبخة بين الخندق وسلع وخرج على بن أبى طالب فى نفر من المسلمين فأخذوا عليهم الثغرة وكان عمرو قد خرج معلما فقال له على يا عمرو انك عاهدت أن لا يدعوك رجل من قريش الى خصلتين الا أخذت احداهما قال أجل قال له على فانى أدعوك الى الله والاسلام قال لا حاجة لى بذلك قال فانى أدعوك الى النزال قال والله ما أحب ان أقتلك قال على ولكنى أحب ان أقتلك فحمى عمرو عند ذلك فنزل عن فرسه وعقره ثم أقبل على على فتجاولا وقتله على وخرجت خيلهم منهزمة وقتل مع عمرو رجلان قتل على أحدهما وأصاب آخر سهم فمات منه بمكة ورمى سعد بن معاذ بسهم قطع أكحله رماه حبان بن قيس ابن العرقة احد بنى عبد مناف من بنى هصيص بن عامر بن لؤى والعرقة امه وانما قيل لها العرقة لطيب ريح عرقها وهى قلابة بنت سعيد بن سعد بن سهم وهى جدة خديجة ام ابيها وهى أم عبد مناف بن الحرث جد أبيه فلما رمى سعدا قال خذها وأنا ابن العرقة فقال النبى صلى الله عليه وسلم عرق الله وجهك

مكة فأرسل المتوكل مائة ألف دينار لاجراء الماء من عرفات اليها وكان المتوكل جوادا ممدوحا يقال ما أعطى خليفة شاعرا مثل ما أعطى المتوكل رحمه الله تعالى وفيه يقول مروان ابن أبى الحسن

فأمسك ندى كفيك عنى ولا تزد
فقد خفت ان أطغى وان أتجبرا

فقال لا أمسك حتى يغرقك جودى وكان أجازه على قصيدة بمائة ألف وعشرين ألفا وخمسين ثوبا ودخل على ابن الجهم عليه يوما وبيده درتان يقلبهما ليس لهما نظير فأنشده قصيدة له فدحا اليه بدرة فقلبها فقال تستنقص بها وهى والله خير من مائة ألف دينار فقال لا ولكن أفكر فى ابيات أعملها آخذ بها الاخرى فقال قل فقال

بسر من رأى امام عدل
تغرف من كفه البحار
يرجى ويخشى لكل خطب
كأنه جنة ونار
الملك فيه وفى بنيه
ما اختلف الليل والنهار
يداه فى الجود ضرتان
عليه كلتاهما تغار
لم تأت منه اليمين شيأ
الا أتت مثلها اليسار

فدحا اليه بالدرة الاخرى

فى النار ولم ينقطع الا كحل من أحد الامات فقال سعد اللهم ان كنت ابقيت من حرب قريش شيأ فابقنى لها فانه لاقوم احب الى ان اقاتلهم من قوم آذوا نبيك وكذبوه اللهم وان كنت وضعت الحرب بيننا فاجعلها الى شهادة ولا تمتنى حتى تقر عينى من بنى قريظة وكانوا حلفاءه ومواليه فى الجاهلية وقيل ان الذى رمى سعدا هو ابو أسامة الجشمى حليف بنى مخزوم فلما قال سعد ما قال انقطع الدم وكانت صفية عمة النبى صلى الله عليه وسلم فى فارع حصن حسان بن ثابت وكان حسان فيه مع النساء لانه كان جبانا قالت فاتانا آت من اليهود فقلت لحسان هذا اليهودى يطوف بنا ولا نأمنه ان يدل على عوراتنا فانزل اليه فاقتله فقال والله ما انا بصاحب هذا قالت فاخذت عمودا ونزلت اليه فقتلته ثم رجعت فقلت لحسان انزل اليه فخذ سلبه فانى يمنعنى منه انه رجل فقال والله مالى بسلبه من حاجة ثم ان نعيم بن مسعود الاشجعى أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انى قد أسلمت ولم يعلم قومى فرنى بما شئت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أنت رجل واحد فخذل عنا ما استطعت فان الحرب خدعة فخرج حتى أتى بنى قريظة وكان نديما لهم فى الجاهلية فقال لهم قد عرفتم ودى اياكم فقالوا لست عندنا بمتهم قال قد ظاهرتم قريشا وغطفان على حرب محمد وليسوا كأنتم البلد بلدكم به أموالكم وابناؤكم ونساؤكم لا تقدرون على ان تحولوا منه وان قريشا وغطفان ان رأوا نهزة وغنيمة أصابوها وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم و بين محمد ولا طاقة لكم به فلا تقاتلوا حتى تأخذوا منهم رهنا من اشرافهم ثقة لكم حتى تناجزوا محمدا قالوا أشرت بالنصح ثم خرج حتى أتى قريشا فقال لابى سفيان ومن معه قد عرفتم ودى اياكم وفراقى محمدا وقد بلغنى أن قريظة ندموا وقد أرسلوا الى محمد هل يرضيك عنا ان نأخذ من قريش وغطفان رجالا من اشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقى منهم فاجابهم ان نعم فان طلبت قريظة منكم رهنا من رجالكم فلا تدفعوا اليهم رجلا واحدا ثم خرج حتى أتى غطفان فقال أنتم اهلى وعشيرتى وقال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم فلما كان ليلة السبت من شوال كان من صنع الله لرسوله أن أرسل ابو سفيان ورؤس غطفان الى قريظة عكرمة بن أبى جهل فى نفر من قريش وغطفان وقالوا لهم انا لسنا بدار مقام قد هلك الخف والحافر فاعدوا للقتال فارسلوا اليهم ان اليوم السبت لا نعمل فيه شيأ ولسنا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا ثقة لنا فانا نخشى ان ترجعوا الى بلادكم وتتركونا والرجل ونحن ببلاده فلما بلغتهم الرسل هذا الكلام قالت قريش وغطفان والله لقد صدق نعيم بن مسعود فارسلوا الى قريظة والله لا ندفع اليكم رجلا واحدا فقالت قريظة عند ذلك ان الذى ذكر نعيم بن مسعود لحق وخذل الله بينهم وبعث الله عليهم ريحا فى ليال شاتية شديدة البرد فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح آنيتهم فلما انتهى الى النبى صلى الله عليه وسلم اختلاف أمرهم دعا حذيفة بن اليمان ليلا فقال انطلق اليهم وانظر مالهم ولا تحدثن شيأ حتى تأتينا قال حذيفة فذهبت فدخلت فيهم والريح وجنود الله تفعل فيهم ما تفعل لا يقر لهم قدر ولا بناء ولا نار فقام أبو سفيان فقال يامعشر قريش ليأخذ كل رجل منكم بيد جليسه قال فاخذت بيد الرجل الذى بجانبى فقلت من أنت قال انا فلان ثم قال أبو سفيان والله لقد هلك الخف والحافر واخلفتنا قريظة ولقينا من هذه الريح ما ترون فارتحلوا فانى

(قال المسعودى) فى أخبار الزمان ان المتوكل كان منهمكا فى اللذات والشراب وكان له أربعة آلاف سرية وقد وطئ الجميع وكان مشغوفا بفتيحة أم ولده المعتز لا يصبر عنها فوقفت له يوما وقد كتبت على خدها بالغالية جعفر فتأملها المتوكل رحمه الله وأنشأ يقول

وكاتبة بالمسك فى الخد جعفرا
بنفسى مخط المسك من حيث اثرا
لئن أودعت سطرا من المسك خدها
لقد أودعت قلبى من الحب أسطرا

واتفق ان الترك انحرفوا عن المتوكل لامور واتفقوا مع المنتصر على قتل أبيه فدخل عليه خمسة وهو فى جوف الليل فى مجلس لهوه فقتلوه هو ووزيره الفتح بن خاقان (ومن العجيب) ما ذكره صاحب كوكب الملك انه قدم الى المتوكل سيف لا يكون مثله فسأله اعيان عسكره فأبى وقال هذا ما يصلح الا لساعد باغر فوهبه باغر فقتل المتوكل بذلك السيف وذلك فى شوال سنة سبع وأربعين ومائتين وعمره أربعون سنة وكانت خلافته اربع عشرة سنة وعشرة اشهر

(الفصل الحادى عشر فى ذكر خلافة المنتصر بالله)

مرتحل ثم قام الى رحله وهو مقتول فجلس عليه ثم ضربه فوثب على ثلاث قوائم ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا احدث شيأ لقتلته قال حذيفة فرجعت الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلي في مرط لبعض نسائه فادخلني بين رجليه وطرح على طرف المرط فلما سلم اخبرته الخبر وسمعت غطفان بما فعلت قريش فعادوا راجعين الى بلادهم فلما عادوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الآن نغزوهم ولا يغزونا فكان كذلك حتى فتح الله مكة

●(ذكر غزوة بني قريظة)●

لما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد الى المدينة ووضع المسلمون السلاح وضرب على سعد ابن معاذ قبة في المسجد ليعوده من قريب فلما كان الظهر أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال أقد وضعت السلاح قال نعم قال جبريل ما وضعت الملائكة السلاح ان الله يأمرك بالمسير الى بني قريظة وانا عامد اليهم فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم مناديا فنادى من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر الا في بني قريظة وقدم عليا اليهم برايته وتلاحق الناس ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم واتاه رجال بعد العشاء الاخيرة فصلوا العصر بها وما عابهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاصر بني قريظة شهرا أو خمسا وعشرين ليلة فلما اشتد عليهم الحصار أرسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابعث الينا أبا لبابة بن عبد المنذر وهو انصاري من الاوس نستشيره فارسله فلما رأوه قام اليه الرجال وبكى النساء والصبيان فرق لهم فقالوا أننزل على حكم رسول الله فقال نعم وأشار بيده الى حلقه انه الذبح قال أبو لبابة فما زالت قدماي حتى عرفت اني خنت الله ورسوله وقلت والله لا أقمت بمكان عصيت الله فيه وانطلق على وجهه حتى ارتبط في المسجد وقال لا ابرح حتى يتوب الله على فتاب الله عليه واطلقه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الاوس يا رسول الله افعل في موالينا مثل ما فعلت في موالي الخزرج يعني بني قينقاع وقد تقدم ذكرهم فقال ألا ترضون ان يحكم فيهم سعد بن معاذ قالوا بلى فاتاه قومه فاحتملوه على حمار ثم أقبلوا معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون يا أبا عمرو احسن الى مواليك فلما كثروا عليه قال قد آن لسعد ان لا تأخذه في الله لومة لائم فعلم كثير منهم انه يقتلهم فلما انتهى سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قوموا الى سيدكم أو قال خيركم فقاموا اليه وأنزلوه وقالوا يا أبا عمرو احسن الى مواليك فقد رد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكم فيهم اليك فقال سعد عليكم عهد الله وميثاقه ان الحكم فيهم الي قالوا نعم فالتفت الى الناحية الاخرى التي فيها النبي صلى الله عليه وسلم وغض بصره عن رسول الله اجلالا وقال وعلى من ههنا العهد أيضا فقالوا نعم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال فاني أحكم ان تقتل المقاتلة وتسبى الذرية والنساء وتقسم الاموال فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة ثم استنزلوا فحبسوا في دار بنت الحرث امرأة من بني النجار ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سوق المدينة فخندق بها خنادق ثم بعث اليهم فضرب أعناقهم فيها وفيهم حيي بن أخطب وكعب بن أسد سيدهم وكانوا ستمائة أو سبعمائة وقيل ما بين سبعمائة وثمانمائة وأتى بحيي بن أخطب وهو مكتوف فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم قال والله ما لمت نفسي في عداوتك

ولكن

امه محمد ابو عبد الله بن المتوكل بويع له بالخلافة في الليلة التي قتل فيها ابوه وكان مربوعا اعين اقنى الانف مليحا مهيبا كامل العقل قليل الظلم وأمه ام ولد رومية اسمها حبشية نقش خاتمه انا من آل محمد الله ربي (ذكر) السيوطي في تاريخ الخلفاء ان المنتصر لما جلس على سرير الملك رأى في بعض البسط دائرة فيها فارس وعليه تاج وحوله كتابة بالفارسية فطلب من يقرأ ذلك ويعربه فاحضر رجلا قرأه فقال انا شيرويه بن كسرى بن هرمز قتلت أبي فلم أمتع بالملك الا ستة أشهر فتغير وجه المنتصر وأمر برفع البساط (قال الثعالبي) في لطائف المعارف ومن العجائب ان اعرق الاكاسرة في الملك شيرويه قتل اباه فلم يعش بعده الا ستة أشهر واعرق الخلفاء في الخلافة المنتصر قتل اباه فلم يتمتع بعده الا ستة اشهر وقيل انه رأى اباه في المنام وهو يقول ويلك يا محمد قتلتني وظلمتني والله لا تمتعت بالخلافة ثم مصيرك الى النار فانتبه مرعوبا ولم يزل يبكي ويندم ولما ولي الخلافة ما ريب الاتراك وبغضهم فخاف

ولكن من يخذل الله يخذل ثم قال للناس انه لا بأس بأمر الله كتاب وقدر وملحمة كتبت على بنى اسرائيل فأجلس وضربت عنقه ولم تقتل منهم الا امرأة واحدة قتلت بحدث أحدثته وقتلت ارفة بنت عارضة منهم وأسلم منهم ثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية واسيد بن عبيد ثم قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم أموالهم فكان للفارس ثلاثة أسهم للفرس سهمان ولفارسه سهم وللراجل ممن ليس له فرس سهم وكانت الخيل ستة وثلاثين فرسا واخرج منها الخمس وكان أول فىء وقع فيه السهمان والخمس واصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه ريحانة بنت عمرو ابن خنافة من بنى قريظة فاراد ان يتزوجها فقالت اتركنى فى ملكك فهو أخف على وعليك فلما انقضى أمر قريظة انفجر جرح سعد بن معاذ واستجاب الله دعاءه وكان فى خيمته التى فى المسجد فحضره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وقالت عائشة سمعت بكاء أبى بكر وعمر عليه وانا فى حجرتى واما النبى صلى الله عليه وسلم فكان لا يبكى على أحد كان اذا اشتد وجده أخذ بلحيته وكان فتح قريظة فى ذى القعدة وصدر ذى الحجة وقتل من المسلمين فى الخندق ستة نفر وفى قريظة ثلاثة نفر ودخلت سنة ست من الهجرة

(ذكر غزوة بنى لحيان)

فى جمادى الاولى منها خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بنى لحيان يطلب باصحاب الرجيع خبيب بن عدى وأصحابه وأظهر انه يريد الشام ليصيب من القوم غرة واغذ السير حتى نزل على غران منازل بنى لحيان وهى بين أمج وعسفان فوجدهم قد حذروا وتمنعوا فى رؤس الجبال فلما اخطأه ما أراد منهم خرج فى مائتى راكب حتى نزل بعسفان تخويفا لاهل مكة وأرسل فارسين من أصحابه حتى بلغا كراع الغميم ثم عاد قافلا (غران بضم الغين المعجمة وفتح الراء وبعد الالف نون وأمج بفتح الهمزة والميم وآخره جيم)

(ذكر غزوة ذى قرد)

ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فلم يقم الا أياما قلائل حتى أغار عيينة بن حصن الفزارى فى خيل غطفان على لقاح النبى صلى الله عليه وسلم وأول من نذر بهم سلمة بن الاكوع الاسلمى هكذا ذكرها أبو جعفر بعد غزوة بنى لحيان عن ابن اسحق والرواية الصحيحة عن سلمة انها كانت بعد مقدمه المدينة منصرفا من الحديبية وبين الوقعتين تفاوت قال سلمة بن الاكوع اقبلنا مع النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة بعد صلح الحديبية فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهره مع رباح غلامه وخرجت معه بفرس طلحة بن عبيد الله فلما أصبحنا اذا عبد الرحمن بن عيينة بن حصن الفزارى قد أغار على ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستاقه أجمع وقتل راعيه قلت يا رباح هذا الفرس فابلغه طلحة وأخبر النبى صلى الله عليه وسلم ان المشركين قد أغاروا على سرحه ثم استقبلت الاكمة فناديت ثلاث أصوات يا صباحاه ثم خرجت فى آثار القوم أرميهم بالنبل وأرتجز وأقول

خذها وانا ابن الاكوع * واليوم يوم الرضع

قال فوالله ما زلت أرميهم وأعقر بهم فاذا خرج الى فارس قعدت فى أصل شجرة فرميته فعقرت به واذا دخلوا فى مضايق الجبل رميتهم بالحجارة من فوقهم فما زلت كذلك حتى ما ترك من

منة امراء الترك وكان المنتصر قد حم فدسوا الى طبيبه ابن طيفور بدنانير كثيرة فاشار بفصده ثم فصده بريشة مسمومة فمات ويقال ان ابن طيفور مرض بعد ذلك ونسى فامر غلامه ففصده بتلك الريشة فمات أيضا ولما احتضر قال يا أماه ذهبت عنى الدنيا والآخرة عاجلت أبى فعوجلت توفى وعمره ست وعشرون سنة فكانت خلافته ستة أشهر

(الفصل الثانى عشر فى ذكر خلافة المستعين بالله)

اسمه أحمد بن المعتصم بالله بويع له بالخلافة ليلة الاثنين لست خلون من شهر ربيع الآخر سنة ثمان واربعين ومائتين وكان مربوعا مليح الوجه ابيض بوجهه اثر جدرى وكان الثغ يجعل السين ثاء وكان كريما مبذر الاموال وامه أم ولد صقلابية اسمها مخارق نقش خاتمه أحمد بن محمد وهو أول من أحدث لبس الاكمام الواسعة فجعل وسعها نحو الثلاثة أشبار وصغر القلانسة وكانت قبله طوالا ثم اشهد على نفسه انه قد خلعها من الخلافة وانه قد احل الناس من بيعته بالشروط وخطب للمعتز بن المتوكل ونقل المستعين الى قصر الحسن بن وهب

ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعيرا الا جعلته وراء ظهرى وخلوا بينى وبينه والقوا أكثر من ثلاثين رمحا وثلاثين بردة يستخفون بها لا يلقون شيأ الا جعلت عليه امارة أى علامة حتى تعرفه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا انتهوا الى مضايق من ثنية أتاهم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر مددا فقعدوا يتضحون لما رآنى قال من هذا قالوا لقينا منه البرح وقد استنقذ كل ما بأيدينا فما برحت مكانى حتى أبصرت فوارس رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخللون الشجر أولهم الاخرم الاسدى واسمه محرز بن نضلة من أسد بن خزيمة وعلى اثره أبو قتادة وعلى اثره المقداد بن الاسود الكندى فأخذت بعنان الاخرم وقلت احذر القوم لا يقتطعوك حتى يلحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال يا سلمة ان كنت تؤمن بالله واليوم الآخر فلا تحل بينى وبين الشهادة قال فخليته فالتقى هو وعبد الرحمن بن عيينة فعقر الاخرم بعبد الرحمن فرسه وطعنه عبد الرحمن فقتله وتحول عبد الرحمن على فرس الاخرم ولحق أبو قتادة فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبد الرحمن فطعنه فانطلقوا هاربين قال سلمة فوالذى كرم وجه محمد صلى الله عليه وسلم لتبعتهم أعدو على رجلى حتى ما أرى ورائى من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ولا غبارهم شيأ وعدلوا قبل غروب الشمس الى غار فيه ماء يقال له ذو قرد ليشربوا منه وهم عطاش فنظروا الى أعدو فى آثارهم فأجليتهم عنه فما ذاقوا منه قطرة قال واشتدوا فى ثنية ذى أبهر فأرشق بعضهم بسهم فيقع فى نغض كتفه فقلت

خذها وأنا ابن الاكوع • واليوم يوم الرضع

واردوا فرسين على ثنية فجئت بهما أقودهما الى النبى صلى الله عليه وسلم ولقينى عمى عامر بسطيحة فيها مذقة من لبن وسطيحة فيها ماء فتوضأت وصليت وشربت ثم جئت الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو على الماء الذى اجليتهم عنه بذى قرد واذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذ تلك الابل التى استنقذت من العدو وكل رمح وكل بردة واذا بلال قد نحر لهم ناقة من الابل وهو يشوى منها فقلت يا رسول الله خلنى أنتخب مائة رجل فلا يبقى منهم عين تطرف فضحك وقال انهم ليقرون بأرض غطفان فجاء رجل من غطفان فقال نحر لهم فلان جزورا فلما كشطوا عنها جلدها رأوا غبارا فقالوا أتيتم فخرجوا هاربين فلما أصبحنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان خير فرساننا اليوم أبو قتادة وخير رجالتنا سلمة بن الاكوع ثم أعطانى رسول الله صلى الله عليه وسلم سهمين سهم الفارس وسهم الراجل ثم أردفنى وراءه على العضباء راجعين الى المدينة فبينما نحن نسير وكان رجل من الانصار لا يسبق شدا فقال ألا من مسابق مرارا فقلت يا رسول الله بابى أنت وامى ائذن لى فلأسابق الرجل قال ان شئت قال فطفرت فعدوت فربطت عليه شرفا أو شرفين استبقى نفسى ثم عدوت فى اثره فربطت عليه شرفا أو شرفين ثم انى رفعت حتى الحقه فاصكه بين كتفيه وقلت سبقتك والله قال أنا أظن فسبقته الى المدينة فلم نمكث بها الا ثلاثا حتى خرجنا الى خيبر وفى هذه الغزوة نودى يا خيل الله اركبى ولم يكن يقال قبلها (قرد بفتح القاف والراء)

•(ذكر غزوة بنى المصطلق من خزاعة)•

ذكرت هذه الغزوة بعد غزوة ذى قرد وكانت فى شعبان من السنة سنة ست وكان بلغ رسول الله

واسطا فاعتقل به تسعة أشهر هو وجماعة ووكل به من يحفظه ثم دس عليه المعتز سعيدا الحاجب فقتله غدرا فى أول شهر رمضان سنة اثنتين وخمسين ومائتين وجىء برأسه الى المعتز وهو يلعب بالشطرنج فقيل له هذا رأس المخلوع فقال دعوه هناك حتى افرغ من اللعب فلما فرغ احضره ونظره ثم امر بدفنه فكانت خلافته سنتين وتسعة اشهر وعمره احدى وثلاثون سنة

•(الفصل الثالث عشر فى ذكر خلافة المعتز بالله)•

اسمه محمد ابو عبد الله بن المتوكل بويع له بالخلافة لما خلع المستعين نفسه وكان بديع الحسن ولم يل الخلافة قبله احد اصغر منه وامه ام ولد رومية اسمها قبيحة نقش خاتمه محمد بن جعفر وهو اول خليفة احدث الركوب بحلية الذهب وكان الخلفاء قبله يركبون بالحلية الخفيفة من الفضة واول سنة تولى مات اشناس الذى كان الواثق استخلفه على السلطنة وولى مكانه على بغا الشرابى والبسه تاج الملك فخرج على المعتز بعد سنة فقتل وجىء اليه برأسه وكان المعتز مغلوبا مع الاتراك فاتفق ان جماعة من كبرائهم

صلى الله عليه وسلم ان بنى المصطلق تجمعوا له وكان قائدهم الحرث بن أبى ضرار أبو جويرية زوج النبى صلى الله عليه وسلم فلما سمع بهم خرج اليهم فلقيهم بماء لهم يقال له المريسيع بناحية قديد فاقتتلوا فانهزم المشركون وقتل من قتل منهم وأصيب رجل من المسلمين من بنى ليث بن بكر اسمه هشام بن صبابة أخو مقيس بن صبابة أصابه رجل من الانصار بسهم من رهط عبادة بن الصامت وهو يرى انه من العدو فقتله خطأ وأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا كثيرة فقسمها فى المسلمين وفيهم جويرية بنت الحرث بن أبى ضرار فوقعت فى السهم لثابت بن قيس بن شماس أو لابن عم له فكاتبته عن نفسها فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستعانته فى كتابتها فقال لها هل لك فى خير من ذلك قالت وما هو يا رسول الله قال أقضى كتابتك وأتزوجك قالت نعم يا رسول الله ففعل وسمع الناس الخبر فقالوا اصهار رسول الله فاعتقوا أكثر من مائة بيت من أهل بنى المصطلق فما كانت امرأة اعظم بركة على قومها منها وبينما الناس على ذلك الماء وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب أجير له من بنى غفار يقال له جهجاه فازدحم هو وسنان الجهنى حليف بنى عوف من الخزرج على الماء فاقتتلا فصرخ الجهنى يا معشر الانصار وصرخ جهجاه يا معشر المهاجرين فغضب عبد الله بن أبى ابن سلول وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم غلام حدث السن فقال أقد فعلوها قد كاثرونا فى بلادنا اما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ثم أقبل على من حضره من قومه فقال هذا ما فعلتم بانفسكم احللتموهم بلادكم وقاسمتموهم باموالكم والله لو أمسكتم عنهم ما بايديكم لتحولوا الى غير بلادكم فسمع ذلك زيد فمشى به الى النبى صلى الله عليه وسلم وذلك عند فراغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوه فاخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله مر به عباد بن بشر فليقتله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف اذا تحدث الناس ان محمدا يقتل أصحابه ولكن أذن بالرحيل فارتحل فى ساعة لم يكن يرتحل فيها ليقطع ما الناس فيه فلقيه أسيد بن حضير فسلم عليه وقال يا رسول الله لقد رحت فى ساعة لم تكن تروح فيها فقال أوما بلغك ما قال عبد الله ابن أبى قال وماذا قال قال زعم ان رجع الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل قال أسيد فانت والله تخرجه ان شئت فانك العزيز وهو الذليل ثم قال يا رسول الله ارفق به فوالله لقد من الله بك وان قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه فانه ليرى انك قد استلبته ملكا وسمع عبد الله بن أبى أن زيدا اعلم النبى صلى الله عليه وسلم قوله فمشى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلف بالله ما قلت ما قال ولا تكلمت به وكان عبد الله فى قومه شريفا فقالوا يا رسول الله عسى ان يكون الغلام قد أخطأ وانزل الله اذا جاءك المنافقون تصديقا لزيد فلما نزلت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم باذن زيد وقال هذا الذى أوفى الله باذنه وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبى ابن سلول ما كان من أمر أبيه فاتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله بلغنى انك تريد قتل أبى فان كنت فاعلا فمرنى به فانا احمل اليك رأسه واخشى ان تأمر غيرى بقتله فلا تدعنى نفسى انظر الى قاتل أبى يمشى فى الناس فاقتله فاقتل مؤمنا بكافر فأدخل النار فقال النبى صلى الله عليه وسلم بل نرفق به ونحسن صحبته ما بقى معنا فكان بعد ذلك اذا أحدث حدثا عاتبه قومه وعنفوه وتوعدوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك عنهم كيف ترى ذلك يا عمر اما والله

اتوه وقالوا يا امير المؤمنين اعطنا ارزاقنا لنقتل لك صالح بن وصيف وكان المعتز يخاف منه فطلب من امه مالا لينفقه فيهم فأبت عليه وشحت نفسها ولم يكن بقى فى بيوت المال شئ فاجتمع الاتراك حينئذ على خلعه ووافقهم صالح بن وصيف فلبسوا السلاح وجاؤا الى دار الخلافة فبعثوا الى المعتز ان اخرج الينا فبعث يقول قد شربت دواء وانا ضعيف فهجم عليه جماعة وجروا برجله وضربوه بالدبابيس واقاموه بالشمس فى يوم صائف وهم يلطمون وجهه ويقولون اخلع نفسك فخلعوه ثم احضروا محمد بن الواثق من بغداد وهو يومئذ بسامرا وكان المعتز قد ابعده الى بغداد فسلم المعتز اليه الخلافة وبايعه ثم ان الملأ اخذوا المعتز بعد خمس ليال من خلعه فادخلوه الحمام ومنعوه الماء حتى عاين التلف ثم اتوه بماء ثلج فشربه فسقط ميتا وذلك فى شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين واختفت امه قبيحة ثم ظهرت فى رمضان واعطت لصالح بن وصيف مالا اعظمها من ذلك الف الف دينار وثلثمائة الف دينار وسقط فيه مكوك لؤلؤ حبه كبار

لو قتلته يوم أمرتني بقتله لارعدت له أنف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته فقال عمر أمر رسول الله أعظم بركة من أمري وفيها قدم مقيس بن صبابة مسلما فى الظاهر فقال يا رسول الله جئت مسلما وجئت أطلب دية أخي وكان قتل خطأ فامر له بدية أخيه هشام بن صبابة وقد تقدم ذكر قتله آنفا فأقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم غير كثير ثم عدا على قاتل أخيه فقتله ثم خرج الى مكة مرتدا فقال

شفى النفس أن قد بات فى القاع مسندا * تضرج ثوبيه دماء الاخادع
وكانت هموم النفس من قبل قتله * تلم فتحميني وطاء المضاجع
حللت به نذري وادركت ثأرتي * وكنت الى الاصنام أول راجع

(مقيس بكسر الميم وسكون القاف وفتح الياء تحتها نقطتان وصبابة بصاد مهملة وبائين موحدتين بينهما ألف وأسيد بهمزة مضمومة وحضير بضم الحاء المهملة وفتح الضاد)

(حديث الافك)

وكان حديث الافك فى غزوة بنى المصطلق لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان ببعض الطريق قال أهل الافك ما قالوا وكان من حديثه ما روى عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد سفرا أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه فلما كانت غزوة بنى المصطلق أقرع بين نسائه فخرج سهمي فخرج بى معه وكان النساء اذ ذاك انما يأكلن العلقة لم يثقلهن اللحم وكنت اذا وصل بعيري جلست فى هودجي ثم يأتي القوم الذين يرحلون بعيري فيحملون الهودج وأنا فيه فيضعونه على ظهر البعير ثم يأخذون برأس البعير ويسيرون قالت فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك وكان قريبا من المدينة بات بمنزل بعض الليل ثم ارتحل هو والناس وكنت قد خرجت لبعض حاجتي وفى عنقي عقد لي من جزع أظفار انسل من عنقي ولا أدري فلما رجعت التمست العقد فلم أجده فرجعت الى المكان الذي كنت فيه ألتمسه فوجدته وجاء القوم الذين يرحلون بعيري فأخذوا الهودج وهم يظنون انى فيه فاحتملوه على عادتهم وانطلقوا ورجعت الى المعسكر وما فيه داع ولا مجيب فتلففت بجلبابي واضطجعت مكاني وعرفت أنهم يرجعون الي اذا افتقدوني قالت فوالله انى لمضطجعة اذ مر بي صفوان بن المعطل السلمي وكان تخلف عن العسكر لحاجته فلم يبت مع الناس فلما رأى سوادي أقبل حتى وقف علي فعرفني وكان رآني قبل أن يضرب الحجاب فلما رآني استرجع وقال ما خلفك قالت فما كلمته ثم قرب البعير وقال اركبي فركبت وأخذ برأس البعير مسرعا لما نزل الناس واطمأنوا طلع الرجل يقود بي فقال أهل الافك ما قالوا وارتج العسكر ولم أعلم بشئ من ذلك ثم قدمنا المدينة فاشتكيت شكوى شديدة وقد انتهى الحديث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى أبوي ولا يذكران لي منه شيئا الا انى أنكرت من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض لطفه فكان اذا دخل علي وأمي تمرضني قال كيف تيكم لا يزيد على ذلك فوجدت فى نفسي مما رأيت من جفائه فاستأذنته فى الانتقال الى أمي لتمرضني فأذن لي وانتقلت ولا أعلم بشئ مما كان حتى نقهت من وجعي بعد بضع وعشرين ليلة قالت وكنا قوما عربا لا نتخذ فى بيوتنا هذه الكنف نعافها ونكرهها انما كان النساء يخرجن كل ليلة فخرجت ليلة لبعض

حاجتي

ونيف ياقوت احمر وغير ذلك وقومت الاسقاط بالف الف دينار فلما راى صالح ذلك قال قبحها الله عرضت ولدها للقتل لاجل خمسين الف دينار وعندها هذا فاخذ الجميع ونفاها الى مكة فبقيت هناك الى ان تولى المعتمد وردها الى سامرا وعاش المعتز سبعا واربعين سنة وكانت خلافته اربع سنين وستة اشهر ونصفا

(الفصل الرابع عشر فى ذكر خلافة المهتدي بالله)

اسمه جعفر ابو عبدالله بن الواثق بن المعتصم بن الرشيد بويع له بالخلافة يوم خلع ابن عمه المعتز وكان اسمر رقيقا مليح الوجه ورعا متعبدا عادلا قويا فى امر الله بطلا شجاعا لكنه لم يجد ناصرا ولا معينا وامه أم ولد اسمها وردة نقش خاتمه المهتدي بالله يثق وهو الخليفة الصالح ولما ولي الخلافة اخرج الملاهي وحرم سماع الغناء والشراب وامر بنفي المغنيات وتغيير المنكرات والزم نفسه الجلوس للناس وازالة المظالم وقال انى أستحي من الله عزوجل من ان لا يكون فى بني العباس مثل عمر بن عبد العزيز فى بني امية ويقال انه كان كثير الصوم

حاجتي وهي ام مسطح ابنة ابي رهم بن المطلب وكانت امها خالة ابي بكر الصديق قالت فوالله
انها لتمشي اذ عثرت في مرطها فقالت تعس مسطح قالت قلت لعمر الله بئسما قلت لرجل من
المهاجرين قد شهد بدرا قالت أوما بلغك الخبر قلت وما الخبر فاخبرتني بالذي كان قالت فوالله
ماقدرت على ان اقضي حاجتي فرجعت فمازلت ابكي حتى ظننت ان البكاء سيصدع كبدي
وقلت لامي تحدث الناس بما تحدثوا ولا تذكرين لي من ذلك شيأ قالت اي بنية خفضي عليك
فوالله قلما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها لها ضرائر الا كثرن وكثر الناس عليها قالت وقد
قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فخطبهم ولا اعلم بذلك ثم قال ايها الناس مابال رجال
يؤذونني في أهلي ويقولون عليهن غير الحق ويقولون ذلك لرجل والله ماعلمت عليه الاخيرا وما
دخل بيتا من بيوتي الا معي وكان كبر ذلك عند عبد الله بن أبي ابن سلول في رجال من الخزرج مع
الذي قال مسطح وحمنة بنت جحش وذلك ان زينب أختها كانت عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاشاعت من ذلك ماشاعت تضارني لاختها فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك
المقالة قال أسيد بن حضير يارسول الله ان يكونوا من الاوس نكفكهم وان يكونوا من اخواننا
الخزرج فمرنا بامرك فقال سعد بن عبادة والله ماقلت هذه المقالة الا وقد عرفت انهم من الخزرج
ولو كانوا من قومك ماقلت هذا فقال أسيد كذبت ولكنك منافق تجادل عن المنافقين وتثاور
الناس حتى كاد يكون بينهم شر ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا علي بن أبي طالب
واسامة بن زيد فاستشارهما فاما اسامة فاثنى خيرا وأما علي فقال ان النساء لكثير وسل الخادم
تصدقك فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة يسألها فقام اليها علي فضربها ضربا شديدا
وهو يقول اصدقي رسول الله فقالت والله ماأعلم الاخيرا وما كنت أعيب عليها الا أنها كانت
تنام عن عجينها فتأتي الداجن فتأكله ثم دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي ابواي
وامرأة من الانصار وانا أبكي وهي تبكي فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ياعائشة انه قد كان
مابلغك من قول الناس فان كنت قارفت سوأ فتوبي الى الله قالت فوالله لقد تقلص دمعي حتى
ماأحس منه شيأ وانتظرت أبواي ان يجيباه فلم يفعلا فقلت الا تجيبانه فقالا والله ماندري بما
نجيبه وما اعلم اهل بيت دخل عليهم مادخل على أبي بكر تلك الايام فلما استعجما بكيت ثم قلت
والله لا أتوب الى الله مما ذكرت أبدا والله لئن اقررت والله يعلم أني منه بريئة لتصدقني ولئن
انكرت لاتصدقوني ثم التمست اسم يعقوب فلم أجده فقلت ولكني أقول كما قال ابو يوسف فصبر
جميل والله المستعان على ماتصفون ولشأني كان أصغر في نفسي ان ينزل الله في قرآنا يتلى ولكني
كنت أرجو ان يرى رؤيا يكذب الله بها عني قالت فوالله مابرح رسول الله صلى الله عليه وسلم
من مجلسه حتى جاءه الوحي فسجي بثوبه فاما انا فوالله مافزعت ولابالبيت قد عرفت اني بريئة
وان الله غير ظالمي وأما ابواي فماسري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننت لتخرجن
انفسهما فرقا ان يحقق الله ماقال الناس قالت ثم سري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه
ليتحدر عنه مثل الجمان فجعل يمسح العرق عن جبينه ويقول ابشري ياعائشة فقد أنزل الله
براءتك فقلت بحمد الله ثم خرج الى الناس فخطبهم وذكر لهم ماانزل الله في من القرآن ثم أمر
بمسطح بن أثاثة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش وكانوا ممن أفصح بالفاحشة فضربوا حدهم

وربما كان فطورة في بعض الليالي على خبز وخل وزيت وكان شديد الاشراف على أمر الدواوين يجلس بنفسه للامور وضرب جماعة من الرؤساء وتالم الامراء من افعاله وتشديده في الامور وكتب الى باكيال أن يقتل موسى ومفلحا احد امراء الاتراك ويمسكهما ويكون هو الامير على الاتراك كلهم فاوقف باكيال موسى على كتابه وقال اني لست افرح بهذا وانما هذا يعمل علينا كلنا فاجمعوا على قتل المهتدي وساروا اليه وقتل من الاتراك في يوم واحد أربعة آلاف ودام القتال الى ان انهزم جيش الخليفة وامسك فعصر على خصيتيه فمات وذلك في رجب سنة ست وخمسين ومائتين فكانت خلافته سنة الا خمسة عشر يوما وقد بلغ من العمر اثنين واربعين سنة ودفن بسر من رأى

(الفصل الخامس عشر في ذكر خلافة المعتمد على الله)

اسمه احمد أبو العباس بويع له بالخلافة يوم قتل ابن عمه المهتدي وكان أسمر ربعة رقيقا مدور الوجه مليح العينين صغير

وحلف أبو بكر لا ينفق على مسطح أبدا فأنزل الله ولا يأتل أولوا الفضل منكم الآية فقال أبو بكر انى أحب ان يغفر الله لى ورجع الى مسطح نفقته ثم ان صفوان بن المعطل اعترض حسان بن ثابت بالسيف فضربه ثم قال

تلق ذباب السيف عنى فاننى • غلام اذا هوجيت لست بشاعر

فوثب ثابت بن قيس بن شماس فجمع يديه الى عنقه وانطلق به الى الحرث بن الخزرج فلقيه عبد الله بن رواحة فقال ما هذا فقال ضرب حسان وما أراه الا قتله فقال عبد الله هل علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشئ مما صنعت قال لا قال لقد اجترأت أطلق الرجل فاطلقه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا حسانا وصفوان بن المعطل فقال صفوان هجانى يا رسول الله وآذانى فضربته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان أحسن يا حسان قال هى لك يا رسول الله فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عوضا منها بيرحاء وهى قصر بنى حديلة (بالحاء المهملة) وأعطاه شيرين أمة قبطية وهى أخت مارية أم ابراهيم ابن رسول الله فولدت له ابنه عبد الرحمن وكان صفوان حصورا لا يأتى النساء ثم قتل بعد ذلك شهيدا (مسطح بكسر الميم وسكون السين المهملة وبالطاء والحاء المهملتين)

•(ذكر عمرة الحديبية)•

فى هذه السنة خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمرا فى ذى القعدة لا يريد حربا ومعه جماعة من المهاجرين والانصار ومن تبعه من الاعراب ألف وأربعمائة وقيل ألف وخمسمائة وقيل ثلثمائة وساق الهدى معه سبعين بدنة ليعلم الناس انه انما جاء زائرا للبيت فلما بلغ عسفان لقيه بسر بن سفيان الكعبى فقال يا رسول الله هذه قريش قد سمعوا بمسيرك فاجتمعوا بذى طوى يحلفون بالله لا تدخلها عليهم أبدا وقد قدموا خالد بن الوليد الى كراع الغميم وقيل ان خالدا كان مع النبى صلى الله عليه وسلم مسلما وانه أرسله فلقى عكرمة بن أبى جهل فهزمه والاول أصح ولما بلغه بسر ما فعلت قريش قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ويح قريش قد أكلتهم الحرب ماذا عليهم لو خلوا بينى وبين سائر الناس فان أصابونى كان الذى أرادوا وان أظهرنى الله دخلوا فى الاسلام وافرين والله لا أزال أجاهدهم على الذى بعثنى الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة ثم خرج على غير الطريق التى هم بها وسلك ذات اليمين حتى سلك ثنية المرار على مهبط الحديبية فبركت به ناقته فقال الناس خلأت فقال ما خلأت ولكن حبسها حابس الفيل لا يدعونى قريش اليوم الى خطة يسألونى فيها صلة الرحم الا أعطيتهم اياها ثم قال للناس انزلوا فقالوا ما بالوادى ماء فأخرج سهما من كنانته فأعطاه رجلا من أصحابه فنزل فى قليب من تلك القلب فغرزه فى جوفه فجاش الماء بالرى حتى ضرب الناس عنه بعطن وكان اسم الذى أخذ السهم ناجية بن عمير سائق بدن النبى صلى الله عليه وسلم فبينما هم كذلك أتاهم بديل بن ورقاء الخزاعى فى نفر من قومه خزاعة وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم من تهامة فقال تركت كعب بن لؤى وعامر بن لؤى أعداد مياه الحديبية وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال النبى صلى الله عليه وسلم انا لم نأت لقتال أحد وانما جئنا معتمرين وان شاءت قريش ماددناهم مدة ويخلوا بينى وبين الناس وان أبوا فوالذى نفسى بيده لأقاتلنهم

اللجة امتزج اليه الشيب ثم مكاعلى اللهو واللذات كان يسكر ويعبث بنديمه ولد سنة تسع وعشرين ومائتين وامه رومية اسمها فتيان نقش خاتمه المعتمد على الله ولما قتل المهتدى كان المعتمد محبوسا بالجوسق فأخرجوه وبايعوه فانهمك فى اللهو واشتغل عن الرعية فكرهه الناس وأحبوا أخاه طلحة

(ومن الحوادث فى أيامه) دخلت الزنج البصرة واعمالها وأخربوها وبذلوا فيها السيف وأحرقوا وأخربوا وسبوا وجرى بينهم وبين عسكره عدة وقعات مات خلق لا يحصون ثم اعقبه هدات وزلازل فمات تحت الردم ألوف من الناس واستمر القتال مع الزنج من حين ولى المعتمد سنة ست وخمسين ومائتين الى سنة سبعين ومائتين فقتل فيها كبير الزنج لعنه الله واسمه بهبوذ وكان ادعى انه أرسل الى الخلق فردوا الرسالة وانه يطلع على المغيبات وذكر الصولى أنه قتل من المسلمين ألف ألف وخمسمائة ألف آدمى وكان له منبر فى مدينته يصعد عليه ويسب عثمان وعليا ومعاوية وطلحة والزبير وعائشة وكان

على أمرى هذا حتى تنفرد سالفتى فانطلق بديل الى قريش فاعلمهم ما قال النبى صلى الله عليه وسلم فقام عروة بن مسعود الثقفى فقال ان هذا الرجل عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ودعونى آتيه فقالوا آتيه فاتاه وكلمه فقال له يا محمد جمعت اوباش الناس ثم جئت بهم لبعض فعل بهم انها قريش خرجت معها العوذ المطافيل قد لبسوا جلود النمر يعاهدون الله انك لا تدخلها عليهم عنوة أبدا وايم الله لكانى بهؤلاء قد انكشفوا عنك غدا فقال أبو بكر امصص بظر اللات أنحن ننكشف عنه قال النبى صلى الله عليه وسلم هذا ابن أبى قحافة فقال أما والله لولا يد لك عندى لكافأتك بها ثم جعل يتناول لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكلمه والمغيرة بن شعبة واقف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحديد فجعل يقرع يده اذا تناولها ويقول لها كف يدك قبل ان لا تصل اليك فقال من هذا قال النبى صلى الله عليه وسلم هذا ابن أخيك المغيرة فقال اى غدر وهل غسلت سوأتك بالامس وكان المغيرة قد قتل ثلاثة عشر رجلا من بنى مالك وهرب فتهايج الحيان بنو مالك رهط المقتولين والاحلاف رهط المغيرة فودى عروة للمقتولين ثلاث عشرة دية وأصلح ذلك الامر وطال الكلام بينهما فقال له النبى صلى الله عليه وسلم نحو مقالته لبديل فقال له عروة يا محمد أرأيت ان استأصلت قومك فهل سمعت بأحد من العرب اجتاح أصله قبلك وجعل يرمق أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فوالله لا يتنخم النبى نخامة الا وقعت فى كف أحدهم فدلك بها وجهه وجلده وان أمرهم ابتدروا أمره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه وما يحدون النظر اليه تعظيما له فرجع عروة الى أصحابه وقال اى قوم قد وفدت على كسرى وقيصر والنجاشى فوالله ما رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدا وحدثهم ما رأى وما قال النبى صلى الله عليه وسلم فقال رجل هذا فلان وهو من كنانة اسمه الحليس بن علقمة وهو سيد الاحابيش دعونى آتيه فلما رآه النبى صلى الله عليه وسلم قال من قوم يعظمون البدن فابعثوا الهدى فى وجهه فلما رأى الهدى رجع الى قريش ولم يصل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا قوم قد رأيت ما لا يحل صده الهدى فى قلائده فقالوا اجلس فانما أنت اعرابى لا علم لك فقال والله ما على هذا حالفنا كم ان تصدوا عن البيت من جاء معظما له والذى نفسى بيده لتخلن بين محمد و بين البيت أو لأنفرن الاحابيش نفرة رجل واحد قال فقالوا مه كف عنا يا حليس حتى نأخذ لانفسنا فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص فقال دعونى آتيه فقالوا افعل فلما اشرف على النبى صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه هذا رجل فاجر فجعل يكلم النبى صلى الله عليه وسلم فبينما هو يكلمه اذ جاء سهيل بن عمرو فلما جاء قال النبى سهل أمركم وقال ابن اسحق ان قريشا انما بعثت سهيلا بعد رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عثمان ابن عفان قال لما رجع عروة بن مسعود الى قريش بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خراش ابن أمية الخزاعى الى قريش على جمل له يقال له الثعلب ليبلغ عنه فعقروا به جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرادوا قتله فمنعته الاحابيش وخلوا سبيله حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر ليرسله فقال ليس بمكة من بنى عدى من يمنعنى وقد علمت قريش عداوتى لها وأخافها على نفسى فأرسل عثمان فهو أعز بها منى فارسله ليبلغ عنه فانطلق فلقيه ابان بن سعيد بن العاص فاجاره فاتى أبا سفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله

ينادى على المرأة العلوية فى عسكره بدرهمين وثلاثة وكان عند الواحد من الزنج العشرة من العلويات يطأهن ويستخدمهن ولما قتل هذا الخبيث دخل برأسه بغداد على رمح وزينت البلاد وضج الناس بالدعاء للخليفة ومدحه الشعراء وكان يوما مشهودا وأمن الناس وتراجعوا الى المدن التى أخذوها وفى هذه السنة وقع غلاء مفرط بالحجاز والعراق وبلغ كر الحنطة ببغداد خمسين دينارا وفى سنة ست وستين ومائتين وصلت عساكر الروم الى ديار بكر فقتلوا وهرب أهل الجزيرة والموصل وفيها وثبت الاعراب على كسوة الكعبة فانتهبوها وفى سنة ثمان وسبعين ومائتين غار نيل مصر ولم يبق منه شئ وغلت الاسعار وفيها ظهرت القرامطة بالكوفة وهم نوع من الملاحدة يدعون انه لا غسل من الجنابة وان الخمر حلال وان الصوم فى السنة يومان يوم النيروز ويوم المهرجان ويزيدون فى أذانهم وان محمد بن الحنفية رسول الله وان الحج والقبلة الى بيت المقدس وأشياء أخر وتعب الناس بهم غاية التعب

صلى الله عليه وسلم فقالوا لعثمان حين فرغ من اداء الرسالة ان شئت ان تطوف بالبيت فطف به
فقال ما كنت لافعل حتى يطوف به النبي صلى الله عليه وسلم فاحتبسته قريش عندها فبلغ النبي
صلى الله عليه وسلم انه قد قتل فقال لا نبرح حتى نناجز القوم ثم دعا الناس الى البيعة فبايعوه
تحت الشجرة وهي سمرة لم يتخلف منهم احد الا الجد بن قيس وكان أول من بايعه رجل من بني أسد
يقال له ابو سنان ثم أتى الخبر ان عثمان لم يقتل ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو أخا بني عامر بن
لؤي الى النبي صلى الله عليه وسلم ليصالحه على ان يرجع عنهم عامه ذلك فاقبل سهيل الى النبي
صلى الله عليه وسلم وأطال معه الكلام وتراجعا ثم جرى بينهم الصلح فدعا رسول الله صلى الله
عليه وسلم علي بن أبي طالب فقال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل لا نعرف هذا
ولكن اكتب باسمك اللهم فكتبها ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل
ابن عمرو فقال سهيل لو نعلم أنك رسول الله لم نقاتلك ولكن اكتب اسمك واسم أبيك فقال لعلي
امح رسول الله فقال لا امحوك أبدا فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس يحسن ان يكتب
فكتب موضع رسول الله محمد بن عبد الله وقال لعلي لتبلين بمثلها اصطلحا على وضع الحرب عن
الناس عشر سنين وانه من أتى منهم رسول الله بغير اذن وليه رده اليهم ومن جاء قريشا ممن مع
رسول الله لم يردوه ومن احب ان يدخل في عهد رسول الله دخل ومن أحب ان يدخل في عهد
قريش دخل فدخلت معه خزاعة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلت بنو بكر في
عهد قريش وان يرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم عامه ذلك فاذا كان عام قابل خرجنا
عنك فدخلتها باصحابك فأقمت بها ثلاثا وسلاح الراكب السيوف في القرب فبينا النبي صلى الله
عليه وسلم يكتب الكتاب اذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في الحديد قد انفلت الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أصحاب النبي لا يشكون في الفتح لرؤيا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلما رأوا الصلح دخلهم من ذلك أمر عظيم حتى كادوا يهلكون فلما رأى سهيل ابنه
أبا جندل أخذه وقال يا محمد قد تمت القضية بيني وبينك قبل ان يأتيك هذا قال صدقت وأخذه
ليرده الى قريش فصاح أبو جندل يا معشر المسلمين أرد الى المشركين ليفتنوني عن ديني فزاد
الناس شرا الى ما بهم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم احتسب فان الله جاعل لك ولمن
معك من المستضعفين فرجا ومخرجا انا قد اعطينا القوم عهودنا على ذلك فلا نغدر بهم قال
فوثب عمر بن الخطاب يمشي مع ابي جندل ويقول له اصبر واحتسب فانما هم المشركون وانما
دم احدهم دم كلب وادنى قائم السيف منه رجاء ان يأخذه فيضرب به اباه قال فضن الرجل
بابيه وشهد جماعة على الصلح من المسلمين فيهم ابو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم وجماعة
من المشركين فلما فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من قضيته قال قوموا فانحروا ثم احلقوا
فما قام أحد حتى قال ذلك مرارا فلما لم يقم احد منهم دخل على أم سلمة فذكر لها ذلك فقالت
يا نبي الله اخرج ولا تكلم أحدا منهم حتى تنحر بدنك وتحلق شعرك ففعل فلما رأوا ذلك قاموا
فنحروا وحلقوا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا للازدحام فما فتح في الاسلام قبله فتح كان أعظم
منه حيث امن الناس كلهم فدخل في الاسلام تينك السنتين مثل ما دخل فيه قبل ذلك واكثر
فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جاءه ابو بصير عتبة بن اسيد بن جارية الثقفي وهو

مسلم

وسيجيء تفصيل ذلك ان شاء الله تعالى مبينا ومات المعتمد في شوال سنة تسع وسبعين ومائتين فجأة وقيل انه سم وقيل بل نام فغم في بساطه وكانت خلافته ثلاثا وعشرين سنة ومات كالمحجور عليه من جهة أخيه ولمن العمر خمسون سنة

(الفصل السادس عشر في ذكر خلافة المعتضد بالله)

اسمه احمد ابو العباس بن طلحة بن المتوكل بن المعتصم ابن الرشيد بويع له بالخلافة يوم موت عمه المعتمد فاستقل بالامر وكان اسمر مهيبا معتدل الشكل ظاهر الجبروت وافر العقل شديد الوطأة من أفراد خلفاء بني العباس كان يقدم على الاسد وحده لشجاعته وكان مفرطا في احكامه ولد في ذي القعدة سنة اثنتين وأربعين ومائتين وأمه ام ولد رومية اسمها صواب نقش خاتمه توكل تكف وكانت ايامه طيبة كثيرة الامن والرخاء وكان قد اسقط المكوس ونشر العدل ورفع الظلم عن الرعية وكان يسمى السفاح الثاني لانه جدد ملك بني العباس وكان قد خلق وكاد يزول وكان في

وسلم وكان ممن حبس بمكة فكتب فيه الازهر بن عبد عوف والاخنس بن شريق وبعثا فيه رجلا من بني عامر بن لؤي ومعه مولى لهم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قد علمت انا قد اعطينا هؤلاء القوم عهدا ولا يصلح الغدر في ديننا فانطلق معهما الى ذي الحليفة فجلسوا وأخذ ابو بصير سيف احدهما فقتله به وخرج المولى سريعا الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بقتل صاحبه ثم أقبل ابو بصير فقال يارسول الله قد وفت ذمتك وانجاني الله منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل امه مسعر حرب لو كان له رجال فلما سمع ذلك عرف انه سيرده اليهم فخرج ابو بصير حتى نزل بناحية ذي المروة على ساحل البحر على طريق قريش الى الشام وبلغ المسلمين الذين كانوا بمكة ذلك فخرجوا الى أبي بصير منهم ابو جندل فاجتمع اليه قريب من سبعين رجلا فضيقوا على قريش يعترضون العير تكون لهم فأرسلت قريش الى النبي صلى الله عليه وسلم يناشده الله والرحم لما أرسل اليهم فمن أتاه فهو آمن فآواهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيها انزلت سورة الفتح وهاجر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم نسوة مؤمنات فيهن أم كلثوم ابنة عقبة بن ابي معيط فجاء أخواها عمارة والوليد يطلبانها فأنزل الله فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار الآية فلم يرسل امرأة مؤمنة الى مكة وأنزل الله ولا تمسكوا بعصم الكوافر فطلق عمر بن الخطاب امرأتين له احداهما قريبة بنت أبي امية والثانية أم كلثوم بنت عمرو بن جرول الخزاعي وهما مشركتان فتزوج أم كلثوم ابو جهم بن حذيفة بن غانم (بسر بضم الباء الموحدة وسكون السين المهملة وآخره راء بصير بالباء الموحدة المفتوحة والصاد المهملة المكسورة والياء الساكنة تحتها نقطتان وآخره راء أيضا وأسيد بفتح الهمزة وكسر السين وجارية بالجيم وآخره راء أيضا والحليس بضم الحاء المهملة وفتح اللام وبعده ياء تحتها نقطتان وآخره سين مهملة)* وفيها كانت عدة من سرايا وغزوات *(منها سرية عكاشة بن محصن)* في أربعين رجلا الى الغمر فنذر بهم القوم فهربوا فبعث الطلائع فوجدوا ماتي بعير فأخذوها الى المدينة وكانت في ربيع الآخر *(ومنها سرية محمد بن مسلمة)* أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم في عشرة فوارس في ربيع الاول الى بني ثعلبة بن سعد فكمن القوم له حتى نام هو واصحابه وظهروا عليهم فقتل اصحابه ونجا هو وحده جريحا *(ومنها سرية أبي عبيدة بن الجراح)* الى ذي القصة في ربيع الآخر في أربعين رجلا فهرب اهله منهم وأصابوا نعما ورجلا اسلم فتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم *(ومنها سرية زيد بن حارثة)* بالجموم فأصاب امرأة من مزينة اسمها حليمة فدلتهم على محلة من محال بني سليم فأصابوا نعما وشاء وأسرى فيهم زوجها فاطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجها معها *(ومنها سرية زيد أيضا الى العيص)* في جمادى الاولى وفيها اخذت الاموال كانت مع أبي العاص بن الربيع واستجار بزينب بنت النبي صلى الله عليه وسلم فأجارته وقد تقدم ذكره في غزوة بدر *(ومنها سرية زيد أيضا الى الطرف)* في جمادى الآخرة الى بني ثعلبة في خمسة عشر رجلا فهربوا منه وأصاب من نعمهم عشرين بعيرا *(ومنها سرية زيد بن حارثة الى حسمى)* في جمادى الآخرة وسببها ان رفاعة بن زيد الجذامي ثم الضبي قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في هدنة الحديبية واهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما واسلم فحسن اسلامه وكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم

اضطراب من وقت قتل المتوكل وفي ذلك يقول ابن الرومي يمدحه

هنيئا بني العباس ان امامكم امام الهدى والباس والجود أحمد

كما بأبي العباس انشئ ملككم كذا بأبي العباس ايضا يجدد

امام يظل الامس يشكو فراقه تأسف ملهوف ويشتاقه الغد

(ومن الحوادث في ايامه) في سنة خمس وثمانين ومائتين ورد كتاب من ديبل أن القمر خسف في شوال وان الدنيا أصبحت مظلمة الى العصر فهبت ريح سوداء فدامت الى ثلث الليل ثم اعقبها زلزلة عظيمة اذهبت عامة المدينة فكانت عدة من تحت الردم مائة الف وخمسين ألفا وفي هذه السنة غارت مياه الري وطبرستان حتى بيع الماء ثلاثة ارطال بدرهم وقحط الناس واكلوا الجيف وفيها هدم المعتضد دار الندوة بمكة وصيرها مسجدا الى جانب المسجد الحرام وفيها ظهرت حمرة عظيمة حتى كان الرجل ينظر الى وجه الرجل فيراه أحمر وكذا الحيطان فتضرع الناس بالدعاء الى الله تعالى وكانت من العصر الى الليل وفيها هبت ريح صفراء

كتابا الى قومه يدعوهم الى الاسلام فاسلموا ثم ساروا الى حرة الرجلاء ثم ان دحية بن خليفة الكلبي أقبل من الشام من عند قيصر حتى اذا كان بارض جذام اغار عليه الهنيد بن عوض وابنه عوض ابن الهنيد الضليعيان وهو بطن من جذام فاخذا كل شيء معه فبلغ ذلك نفرا من بني الضبيب قوم رفاعة ممن كان اسلم فنفروا الى الهنيد وابنه فلقوهم واقتتلوا فظفر بنو الضبيب واستنقذوا كل شيء أخذ من دحية وردوه عليه فخرج دحية حتى قدم على النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره خبره فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم زيد بن حارثة في جيش فاغاروا بالفضافض وجمعوا ما وجدوا من مال وقتلوا الهنيد وابنه فلما سمع بذلك بنو الضبيب رهط رفاعة بن زيد سار بعضهم الى زيد بن حارثة فقالوا انا قوم مسلمون فقال زيد فاقرؤا أم الكتاب فقرأها حسان ابن ملة فقال زيد نادوا في الجيش ان الله حرم علينا ما أخذ من طريق القوم التي جاؤا منها وأراد ان يسلم اليهم سباياهم فاخبره بعض اصحابه منهم بما اوجب ان يحتاط فتوقف في تسليم السبايا فقال هم في حكم الله ونهى الجيش ان يهبطوا واديهم وعاد أولئك الركب الجذاميون الى رفاعة بن زيد وهو بكراع ربة لم يشعر بشيء من أمرهم فقال له بعضهم انك لجالس تحلب المعزى ونساء جذام أسارى قد غرهن كتابك الذي جئت به فسار رفاعة والقوم معه الى المدينة وعرض كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كيف أصنع بالقتلى فقالوا اطلق لنا من كان حيا ومن قتل فهو تحت اقدامنا يعنون تركوا الطلب به فاجابهم الى ذلك وأرسل معهم علي بن أبي طالب الى زيد بن حارثة فرد على القوم مالهم حتى كانوا ينتزعون لبد المرأة تحت الرحل وأطلق الاسارى (ربة بالراء والباء الموحدة والضبيب بضم الضاد المعجمة تصغير ضب وقيل هو بفتح الضاد وكسر الباء وآخره نون نسبة الى ضبينة) * (ومنها سرية زيد أيضا الى وادي القرى) في رجب * (ومنها سرية عبد الرحمن بن عوف الى دومة الجندل) في شعبان فاسلموا فتزوج عبد الرحمن تماضر بنت الاصبغ رئيسهم وهي أم ابي سلمة * (ومنها سرية علي بن أبي طالب الى فدك) في شعبان في مائة رجل وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه ان حيا من بني سعد قد تجمعوا له يريدون أن يمدوا أهل خيبر فسار اليهم علي فاصاب عينا لهم فاخبره انه سار الى أهل خيبر يعرض عليهم نصرهم على ان يجعلوا لهم تمر خيبر * (ومنها سرية زيد بن حارثة الى أم قرفة) في رمضان وكانت عجوزا كبيرة فلقي زيد بني فزارة بوادي القرى فاصيب اصحابه وارتث زيد من بين القتلى فنذر ان لا يمس ماء من جنابة حتى يغزو فزارة فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فلقيهم بوادي القرى فاصاب منهم وقتل وأسر أم قرفة وهي فاطمة بنت ربيعة بن بدر عجوز كبيرة وبنتا لها فربط أم قرفة بين بعيرين فشقاها نصفين وقدم على النبي صلى الله عليه وسلم بابنتها وكانت لسلمة بن الاكوع فاخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم منه هبة وأرسلها الى حزن بن أبي وهب فولدت له عبد الله بن حزن وأما سلمة بن الاكوع فانه جعل أمير هذه السرية أبا بكر فروي عنه انه قال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا أبا بكر فغزونا ناسا من بني فزارة فشننا عليهم الغارة صلاة الصبح فاخذت منهم جماعة وسقتهم الى أبي بكر وفيها امرأة من بني فزارة معها ابنة لها من أحسن العرب فنفلني أبو بكر بنتها فقدمت المدينة فلقيت النبي صلى الله عليه وسلم بالسوق فقال لي يا أبا سلمة لله أبوك هب لي المرأة فقلت والله لقد أعجبتني وما كشفت لها ثوبا

بالبصرة ثم صارت تخضراء ثم صارت سوداء وامتدت في الامصار ووقع عقبها برد وزن البردة مائة وخمسون درهما وقلعت الريح ستمائة نخلة وامطرت قرية احجارا سودا وبيضا وفي سنة ست وثمانين ومائتين ظهر بالبحرين ابو سعيد القرمطي المذكور وقويت شوكته وهو الذي قلع الحجر الاسود ووقع القتال بينه وبين عسكر الخليفة واغار على البصرة ونواحيها وهزم جيش الخليفة مرات وكان المعتضد كثير الجماع فاعتراه من ذلك فساد مزاج توفي لسبع بقين من شهر ربيع الآخر سنة تسعين ومائتين قال المسعودي شكوا في موته فتقدم الطبيب وجس نبضه ففتح عينيه ورفس الطبيب برجله فدحاه اذرعا فمات الطبيب ثم مات المعتضد من ساعته وهو ابن ست وأربعين سنة وكانت خلافته تسع سنين وتسعة اشهر وخلف من الذكور أربعا ومن الاناث احدى عشرة

* (الفصل السابع عشر في ذكر خلافة المكتفي بالله) *

اسمه علي أبو محمد بن المعتضد بويع له بالخلافة بعد موت أبيه وكان وسيما جميلا بديع الحسن دري اللون معتدل

فسكت ثم عاد من الغد فوهبتها له فبعث بها الى مكة ففادى بها اسارى من المسلمين *(ومنها سرية كرز بن جابر الفهرى الى العرنيين الذين قتلوا راعى النبى صلى الله عليه وسلم واستاقوا الابل)* فى شوال فى عشرين فارسا * وفيها تزوج عمر بن الخطاب جميلة بنت ثابت بن افلح أخت عاصم فولدت له عاصما فطلقها وتزوجها بعده يزيد بن حارثة فولدت له عبد الرحمن بن يزيد فهو أخو عاصم لامه (جارية بالجيم وبعد الراء ياء تحتها نقطتان) وفيها اجدب الناس جدبا شديدا فاستسقى رسول الله بالناس فى رمضان

(ذكر مكاتبة رسول الله صلى الله عليه وسلم الملوك)

وفيها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الرسل الى كسرى وقيصر والنجاشى وغيرهم وأرسل حاطب بن أبى بلتعة الى المقوقس بمصر وأرسل شجاع بن وهب الاسدى الى الحرث بن أبى شمر الغسانى وارسل دحية الى قيصر وأرسل سليط بن عمرو العامرى الى هوذة بن على الحنفى وبعث عبد الله بن حذافة الى كسرى وأرسل عمرو بن امية الضمرى الى النجاشى وأرسل العلاء بن الحضرمى الى المنذر بن ساوى أخى عبد القيس وقيل ان ارساله كان سنة ثمان والله أعلم فاما المقوقس فانه قبل كتاب النبى صلى الله عليه وسلم واهدى اليه أربع جوار منهن مارية أم ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم * وأما قيصر وهو هرقل فانه قبل كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعله بين فخذيه وخاصرته وكتب الى رجل برومية كان يقرأ الكتب يخبره شأنه فكتب اليه صاحب رومية انه النبى الذى كنا ننتظره لاشك فيه فاتبعه وصدقه فجمع هرقل بطارقة الروم فى الدسكرة وغلقت أبوابها ثم اطلع عليهم من علية وخافهم على نفسه وقال انهم قد أتانى كتاب هذا الرجل يدعونى الى دينه وانه والله النبى الذى نجده فى كتابنا فهلم فلنتبعه ونصدقه فتسلم لنا دنيانا وآخرتنا فنخروا نخرة رجل واحد ثم ابتدروا الابواب ليخرجوا فقال ردوهم على وخافهم على نفسه وقال انهم انما قلت لكم ما قلت لانظر كيف صلابتكم فى دينكم وقد رأيت منكم ما سرنى فسجدوا له وانطلق وقال لدحية انى لاعلم ان صاحبك نبى مرسل ولكنى أخاف الروم على نفسى ولولا ذلك لاتبعته فاذهب الى ضغاطر الاسقف الاعظم فى الروم واذكر له أمر صاحبك وانظر ما يقول لك فجاء دحية وأخبره بما جاء به من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ضغاطر والله ان صاحبك نبى مرسل نعرفه بصفته ونجده فى كتابنا ثم أخذ عصاه وخرج على الروم وهم فى الكنيسة فقال يا معشر الروم قد جاءنا كتاب من أحمد يدعونا الى الله وانى أشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله قال فوثبوا عليه فقتلوه فرجع دحية الى هرقل وأخبره الخبر قال قد قلت انا نخافهم على أنفسنا وقال قيصر للروم هلموا نعطيه الجزية فابوا فقال نعطيه أرض سورية وهى الشام ونصالحه فأبوا واستدعى هرقل اباسفيان وكان تاجرا الى الشام فى الهدنة فحضر عنده ومعه جماعة من قريش اجلسهم هرقل خلفه وقال انى سائله فان كذب فكذبوه فقال أبو سفيان لولا ان يؤثر عنى الكذب لكذبت فسأله عن النبى قال فصغرت له شأنه فلم يلتفت الى قولى وقال كيف نسبه فيكم قلت هو أوسطنا نسبا قال هل كان من أهل بيته من يقول مثل قوله قلت لا قال فهل له فيكم ملك سلبتموه اياه قلت لا قال فمن اتبعه منكم قلت الضعفاء والمساكين والاحداث قال فهل يحبه من تبعه ويلزمه أو يقليه

الطول أسود الشعر [illegible] حسن العقيدة كثير السفك للدماء وله فى عشرة ربيع الآخر سنة أربع وستين ومائتين وأمه تركية اسمها جيجك وكان يضرب به المثل نقش خاتمه على بن المعتضد قال الصولى ليس فى الخلفاء من اسمه على الا هو وعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه فلما جاءت اليه الخلافة كان غائبا بالرقة فنهض لبغداد ومر بدجلة فى سماريه وكان يوما عظيما وهدم المطامير التى اتخذها ابوه لظلم من غضب عليه وهو حى وصيرها مسجدا وأمر ان يرد الى أرباب الحقوق حقوقها وسار سيرة جميلة فاحبه الناس ودعوا له *(ومن الحوادث فى ايامه)* تزلزلت بغداد زلزلة عظيمة دامت اياما وهبت ريح عظيمة بالبصرة قلعت عامة نخلها وفى سنة إحدى وتسعين ومائتين فتحت انطاكية عنوة وغنم فيها ما لا يحصى من الاموال وفى سنة اثنين وتسعين ومائتين زادت دجلة زيادة لم ير مثلها حتى خربت بغداد وبلغت الزيادة احدى وعشرين ذراعا قال الصولى لما احتضر المكتفى سمعته يقول والله ما اسفى الا على سبعمائة

ويفارقه قلت ماتبعه رجل ففارقه قال فكيف الحرب بينكم وبينه قلت بدال علينا وندال عليه قال هل يغدر قال فلم أجد شيأ أغمز به غير ما قلت لا ونحن منه في مدة لا نأمن غدره قال فما التفت اليها قال أبو سفيان فقال لي هرقل سألتك عن نسبه فزعمت انه من أوسط الناس وكذلك الانبياء وسألتك هل قال أحد من أهل بيته مثل قوله فهو متشبه به فزعمت ان لا وسألتك هل سلبتموه ملكه فجاء بهذا الترد واعليه ملكه فزعمت ان لا وسألتك عن أتباعه فزعمت انهم الضعفاء والمساكين وكذلك اتباع الرسل وسألتك عمن يتبعه يحبه أم يفارقه فزعمت انهم يحبونه ولا يفارقونه وكذلك حلاوة الايمان لا تدخل قلبا فتخرج منه وسألتك هل يغدر فزعمت ان لا ولئن صدقتني ليغلبن على ما تحت قدمي هاتين ولوددت أني عنده فاغسل قدميه انطلق لشأنك قال فخرجت وأنا اضرب احدى يدي بالاخرى وأقول اى عباد الله لقد أمر أمر ابن ابي كبشة أصبح ملوك الروم يهابونه في سلطانهم قال وقدم عليه دحية بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم والسلام على من اتبع الهدى اسلم تسلم وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين وان توليت فان اثم الاكارين عليك * وأما الحرث ابن ابي شمر الغساني فاتاه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع شجاع بن وهب فلما قرأه قال انا سائر اليه فلما بلغ قوله رسول الله صلى الله عليه وسلم قال باد ملكه * واما النجاشي فانه لما جاءه كتاب النبي صلى الله عليه وسلم آمن به واتبعه واسلم على يد جعفر بن ابي طالب وأرسل اليه ابنه في ستين من الحبشة فغرقوا في البحر وأرسل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان وكانت مهاجرة بالحبشة مع زوجها عبيد الله بن جحش فتنصر وتوفي بالحبشة فخطبها النجاشي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجابت وزوجها وأصدقها النجاشي اربعمائة دينار فلما سمع ابو سفيان تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم ام حبيبة قال ذاك الفحل لا يقدع انفه * وأما كسرى فجاءه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عبد الله بن حذافة فخرق الكتاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مزق ملكه وكان كتابه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد ان لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله واني أدعوك بدعاء الله واني رسول الله الى الناس كافة لانذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين فأسلم تسلم وان توليت فان اثم المجوس عليك فلما قرأه شقه قال يكتب الي بهذا وهو عبدي ثم كتب الى باذان وهو باليمن ان ابعث الى هذا الرجل الذي بالحجاز رجلين من عندك جلدين فليأتياني به فبعث باذان بابويه وكان كاتبا حاسبا ورجلا آخر من الفرس يقال له خرخسره وكتب معهما يأمره بالمسير معهما الى كسرى وتقدم الى بابويه ان يأتيه بخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعت قريش بذلك ففرحوا وقالوا أبشروا فقد نصب له كسرى ملك الملوك كفيتم الرجل فخرجا حتى قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حلقا لحاهما وشواربهما فكره النظر اليهما وقال ويلكما من أمركما بهذا قالا ربنا يعنون الملك فقال لكن ربي أمرني ان أعفي لحيتي وأقص شاربي فاعلماه بما قدماله وقالا ان فعلت كتب باذان فيك الى كسرى وان أبيت فهو يهلكك ويهلك قومك فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ارجعا حتى تأتياني غدا وأتى رسول

ألف دينار صرفتها من مال المسلمين في أبنية ما احتجت اليها وكنت مستغنيا عنها أخاف ان يسألني الله عنها وانا استغفر الله منها توفي وهو شاب ببغداد في سنة تسع وتسعين ومائتين وهو ابن أربع والاثنين سنة وخلافته سنة وثمانية أشهر وخلف ثمانية اولاد وثمان بنات

(الفصل الثامن عشر في ذكر خلافة المقتدر بالله)

اسمه جعفر ابو الفضل بن المعتضد بويع له بالخلافة ببغداد يوم وفاة أخيه وهو ابن ثلاث عشرة سنة وأربعين يوما ولم يل الخلافة احد اصغر منه ولد في رمضان سنة اثنين وثمانين ومائتين وأمه رومية اسمها شغب نقش خاتمه جعفر يثق بالله وكان جيد العقل صحيح الرأي لكنه كان مؤثرا للشهوات والشراب مبذرا وكان قد غلبت عليه النساء فأخرج عليهن جميع الجواهر النفيسة التي في الخزينة وأعطى بعض حظاياه الدرة اليتيمة وزنها ثلاث مثاقيل وأعطى زيدان القهرمانة مسبحة جوهر لم ير مثلها وأتلف أموالا كثيرة وكان في داره احد عشر الف غلام خصي قال الذهبي إختل النظام كثيرا في ايام

الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء ان الله قد سلط على كسرى ابنه شيرويه فقتله فدعاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبرهما بقتل كسرى وقال لهما ان ديني وسلطاني سيبلغ ملك كسرى وينتهي منتهى الخف والحافر وأمرهما ان يقولا لباذان أسلم فان أسلم أقره على ماتحت يده وأملكه على قومه ثم اعطى خرخسره منطقة ذهب وفضة اهداها له بعض الملوك وخرجا فقدما على باذان واخبراه الخبر فقال والله ماهذا كلام ملك واني لاراه نبيا ولننظرن فان كان ماقال حقا فانه لنبي مرسل وان لم يكن فنرى فيه رأينا فلم يلبث باذان ان قدم عليه كتاب شيرويه يخبره بقتل كسرى وانه قتله غضبا للفرس لما استحل من قتل اشرافهم ويأمره بأخذ الطاعة له باليمن وبالكف عن النبي صلى الله عليه وسلم فلما اتاه كتاب شيرويه اسلم وأسلم معه ابناء من فارس وكانت حمير تسمى خرخسره صاحب المعجزة والمعجزة بلغة حمير المنطقة واما هوذة بن علي فكان ملك اليمامة فلما أتاه سليط بن عمرو يدعوه الى الاسلام وكان نصرانيا أرسل الى النبي صلى الله عليه وسلم وفدا فيهم مجاعة بن مرارة والرجال بن عنفوة يقول له ان جعل الامر له من بعده أسلم وسار اليه ونصره والاقصد حربه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاولا كرامة اللهم اكفنيه فمات بعد قليل واما مجاعة والرجال فاسلما واقام الرجال عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قرأ سورة البقرة وغيرها وتفقه وعاد الى اليمامة فارتد وشهد ان رسول الله أشرك مسيلمة معه فكانت فتنته أشد من فتنة مسيلمة (مجاعة بضم الميم وتشديد الجيم والرجال بالجيم المشددة وقيل بالحاء المهملة المشددة وعنفوة بضم العين وسكون النون وضم الفاء وفتح الواو) واما المنذر بن ساوى والى البحرين فلما أتاه العلاء بن الحضرمي يدعوه ومن معه بالبحرين الى الاسلام أو الجزية وكانت ولاية البحرين للفرس فاسلم المنذر بن ساوى واسلم جميع العرب بالبحرين فاما أهل البلاد من اليهود والنصارى والمجوس فانهم صالحوا العلاء والمنذر على الجزية من كل حالم دينار ولم يكن بالبحرين قتال انما بعضهم أسلم وبعضهم صالح وولي الحج في هذه السنة المشركون وفي هذه السنة ماتت أم رومان وهي أم عائشة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم *(ودخلت سنة سبع)*

(ذكر غزوة خيبر)

لما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية اقام بالمدينة ذا الحجة وبعض المحرم وسار الى خيبر في الف واربعمائة رجل معهم مائتا فارس وكان مسيره الى خيبر في المحرم سنة سبع واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري فمضى حتى نزل بجيشه بالرجيع ليحول بين أهل خيبر وغطفان لانهم كانوا مظاهرين لهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقصدت غطفان خيبر ليظاهروا يهود ثم خافوا المسلمين ان يخلفوهم في أهليهم واموالهم فرجعوا ودخلوا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يهود فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال في مسيره لعامر بن الاكوع عم سلمة بن عمرو بن الاكوع احد لنا فنزل وحدا بهم يقول

والله لولا الله ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا

فانزلن سكينة علينا * وثبت الاقدام ان لاقينا

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمك الله فقال له عمر هلا امتعتنا به يا رسول الله وكان اذا

المقتدر اهم فرسه حتى غلب أمر المهدي بالغرب وسلم عليه بالامامة ودعي له بالخلافة وبسط في الناس العدل والاحسان وخرجت المغرب من أمر بني العباس واستصباه الوزير ووافقه جماعة فاجتمعوا وركبوا عليه والمقتدر يلعب بالكرة فهرب ودخل واغلقت الابواب فارسل الى عبد الله ابن المعتز فبايعوه بالخلافة ولقبوه بالمرتضى بالله فلم يتم له أمر وانهزم وعاد المقتدر على ما كان عليه ولم يمكث في الخلافة سوى يوم وليلة ولذلك لم يعتد المؤرخون خلافته بين الخلفاء ثم ظهر عليه المقتدر فقتله خنقا ثم أظهر انه مات حتف انفه ثم فرق على الجيوش الاموال الجزيلة وكان يصرف كل سنة في كافة الحج والى أهل الحرمين ثلثمائة الف دينار (ومن الحوادث في أيامه) في سنة ثلثمائة ساخ جبل بالدينور في الارض وخرج من تحته ماء كثير غرق القرى وفيها ولدت بغلة فلوا فسبحان القادر على كل شئ وفي سنة أربع وثلثمائة ظهر حيوان ببغداد يقال له الزبزب ذكروا انهم يرونه بالليل على الاسطحة وانه يأكل الاطفال ويقطع ثدي المرأة فكانوا يحارسونه ويضربون

فاتاها الرجل قتل فلما نازلوا خيبر بارز عامر فعاد عليه سيفه فجرحه جرحا شديدا فمات منه فقال الناس انه قتل نفسه فقال سلمة ابن أخيه للنبي صلى الله عليه وسلم فقال كذبوا بل له أجره مرتين فلما أشرف عليها قال لاصحابه قفوا ثم قال اللهم رب السموات وما اظللن ورب الارضين وما اقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما أذرين نسألك خير هذه القرية وخير أهلها ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها اقدموا بسم الله وكان يقول ذلك لكل قرية يقدمها ونزل على خيبر ليلا ولم يعلم أهلها فخرجوا عند الصباح الى عملهم بمساحيهم فلما رأوه عادوا وقالوا محمد والله محمد والخميس يعنون الجيش فقال النبي صلى الله عليه وسلم الله أكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين ثم انه حصرهم وضيق عليهم وبدأ بالاموال يأخذها مالا مالا ويفتحها حصنا حصنا فكان أول حصن افتتحه حصن ناعم وعنده قتل محمود بن سلمة ألقيت عليه رحى فقتلته ثم القموص حصن بني أبي الحقيق واصاب منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا منهم صفية بنت حيي بن أخطب وكانت عند كنانة بن الربيع ابن أبي الحقيق فاصطفاها رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه وفشت السبايا في المسلمين وأكلوا لحوم الحمر الانسية فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها وكان الزبير بن باطا القرظي قد منّ على ثابت بن قيس بن شماس في الجاهلية يوم بعاث فاطلقه فلما كان الآن أتاه ثابت فقال له اتعرفني قال وهل يجهل مثلي مثلك قال أريد ان اجزيك بيدك عندي قال ان الكريم يجزي الكريم فاتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان للزبير عندي يد أريد ان أجزيه بها فهبه لي فوهبه له فأتاه فقال له ان النبي صلى الله عليه وسلم قد وهب لي دمك فهو لك قال شيخ كبير لا أهل له ولا ولد فاستوهب ثابت أهله وولده من رسول الله صلى الله عليه وسلم فوهبهم له فقال الزبير أهل بيت بالحجاز لا مال لهم فاستوهب ثابت ماله من رسول الله صلى الله عليه وسلم فوهبه له فرد عليه بالجميع فقال الزبير أي ثابت ما فعل الذي كان وجهه مرآة صقيلة يتراءى فيها عذارى الحي كعب بن أسد قال قتل قال فما فعل سيد الحاضر والبادي حيي بن أخطب قال قتل قال فما فعل مقدمتنا اذا شددنا وحاميتنا اذا كررنا عزال بن سموال قال قتل قال فما فعل المجلسان يعني بني كعب بن قريظة وبني عمرو بن قريظة قال ذهبوا قال فاني أسألك يا ثابت بيدي عندك الا ما الحقتني بهم فوالله ما في العيش بعدهم خير فقتله ثم افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم حصن الصعب وهو أكثرها طعاما وودكا ثم قصد حصنهم الوطيح والسلالم وكانا آخر ما افتتح فخرج منه مرحب اليهودي وهو يقول

قد علمت خيبر اني مرحب * شاكي السلاح بطل مجرب
أطعن أحيانا وحينا أضرب * اذا الليوث أقبلت تلتهب
* كان حماي كالحمى لا يقرب *

وسأل المبارزة فخرج اليه محمد بن مسلمة وقال أنا والله الموتور الثائر قتلوا أخي بالامس فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم بمبارزته وقال اللهم اعنه عليه فخرج اليه فتقاتلا طويلا ثم حمل مرحب على محمد بن مسلمة فضربه فاتقاه بالدرقة فوقع سيفه فيها فعضت عليه وأمسكت فضربه محمد بن مسلمة حتى قتله ثم خرج بعده أخوه ياسر وهو يقول

بالطامات ليهرب واستقر عند لبال وفي سنة تسع وثلثمائة قتل منصور الحلاج بافتاء العلماء والفقهاء انه حلال الدم وله اخبار يطول ذكرها أفردها الناس بالتصنيف وفي سنة أربع عشرة وثلثمائة دخلت الروم ملطية بالسيف وفيها نقص ماء دجلة بالموصل وعبرت عليها الدواب وهذا أمر لم يعهد وفي سنة خمس عشرة وثلثمائة دخلت الروم دمياط واخذوا من فيها وضربوا الناقوس في جامعها وفيها ظهرت الديلم على الري والجبال فقتل خلق كثير حتى ذبحت الاطفال وفي هذه السنين قد كثر فساد القرامطة وأخذهم للبلاد وتحكمهم للمسلمين وكثر اتباعهم وهزم جيش الخليفة غير مرة وانقطع الحج خوفا منهم ونزح أهل مكة عنها وفي سنة سبع عشرة وثلثمائة سير المقتدر ركب الحاج مع منصور الديلمي فوصلوا الى مكة سالمين فوافاهم يوم التروية عدو الله أبو طاهر القرمطي فقتل الحجيج في المسجد الحرام قتلا ذريعا وطرح القتلى في بئر زمزم وضرب الحجر الاسود بدبوس فكسره ثم اقتلعه بعد العصر يوم الاثنين لاربع

قد علمت خيبر انى ياسر * شاكى السلاح بطل مغاور

وطلب المبارزة فخرج اليه الزبير بن العوام فقتله الزبير وقيل ان الذى قتل مرحبا وأخذ الحصن على بن أبى طالب وهو الاشهر والاصح قال بريدة الاسلمى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما أخذته الشقيقة فيلبث اليوم واليومين لا يخرج فلما نزل خيبر أخذته فلم يخرج الى الناس فاخذ أبو بكر الراية من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نهض فقاتل قتالا شديدا ثم رجع فاخذها عمر فقاتل قتالا شديدا أشد من القتال الاول ثم رجع فاخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أم والله لاعطينها غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يأخذها عنوة وليس ثم على كان قد تخلف بالمدينة لرمد لحقه فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته هذه تطاولت لها قريش فاصبح فجاء على على بعيرله حتى اناخ قريبا من خباء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أرمد قد عصب عينيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك قال رمدت بعدك فقال له ادن منى فدنا منه فتفل فى عينيه فما شكا وجعا حتى مضى لسبيله ثم أعطاه الراية فنهض بها وعليه حلة حمراء فاتى خيبر فاشرف عليه رجل من يهود فقال من أنت قال انى على بن أبى طالب فقال اليهودى غلبتم يا معشر يهود وخرج مرحب صاحب الحصن وعليه مغفر يمانى قد نقبه مثل البيضة على رأسه وهو يقول

قد علمت خيبر انى مرحب * شاكى السلاح بطل مجرب

فقال على

انا الذى سمتنى أمى حيدره * كليث غابات كريه المنظره

* أكيلهم بالسيف كيل السندره *

فاختلفا ضربتين فبدره على فضربه فقد الحجفة والمغفر ورأسه حتى وقع فى الارض وأخذ المدينة قال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجنا مع على حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيبر فلما دنا من الحصن خرج اليه أهله فقاتلهم فضربه يهودى فطرح ترسه من يده فتناول على بابا كان عند الحصن فترس به عن نفسه فلم يزل فى يده وهو يقاتل حتى فتح الله على يديه ثم القاه من يده فلقد رأيتنى فى نفر سبعة انا ثامنهم نجهد على ان نقلب ذلك الباب فما نقلبه وكان فتحها فى صفر فلما فتحت خيبر جاء بلال بصفية وأخرى معها على قتلى يهود فلما رأتهم التى مع صفية صرخت وصكت وجهها وحثت التراب على رأسها فاصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية وأبعد الاخرى وقال انها شيطانة لاجل فعلها وقال لبلال أنزعت منك الرحمة حتى جئت بهما على قتلاهما وكانت صفية قد رأت فى منامها وهى عروس لكنانة بن أبى الحقيق ان قمرا وقع فى حجرها فعرضت رؤياها على زوجها فقال ما هذا الا أنك تتمنين محمدا ولطم وجهها لطمة اخضرت عينها منها فأتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبها أثر منه وسألها فاخبرته ودفع كنانة بن أبى الحقيق الى محمد بن مسلمة فقتله بأخيه محمود وحاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم حصنى أهل خيبر الوطيح والسلالم فلما ايقنوا بالهلكة سألوه ان يسيرهم ويحقن دماءهم فاجابهم الى ذلك وكان قد حاز الاموال كلها الشق ونطاة والكتيبة وجميع حصونهم فلما سمع بذلك أهل فدك بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه ان يسيرهم ويخلون له

عشرة خلت من ذى الحجة ذلك العام واقام احد عشر يوما ثم أخذوا الحجر الاسود معهم وبقى عندهم أكثر من عشرين سنة ودفع المسلمون لهم فيه خمسين ألف دينار فابوا حتى أعيد فى خلافة المطيع وقيل لما أخذوه هلك تحته أربعون جملا من مكة الى هجر فلما اعيد حمل على قعود هزيل فسمن وأقام أبو طاهر بمكة أحد عشر يوما ثم انصرف الى بلده وفى سنة عشرين وثلثمائة ركب مؤنس على الخليفة وكان معظم جند مؤنس البربر فلما التقى الجمعان رمى بربرى الخليفة بحربة سقط منها الى الارض ثم ذبحه ورفع رأسه على رمح وساب ما عليه وبقى مكشوف العورة حتى ستر بالحشيش ثم حفر له بموضع ودفن يوم الاربعاء لثلاث بقين من شوال السنة المذكورة واما البربرى الذى قتله فساق فرسه نحو دار الخلافة فصاحوا عليه فصادفه حمل شوك فزحمه الى قبان لحام فعلقه كلابه وخرج الفرس من تحته فمات فخطه الناس وأحرقوه بحمل الشوك وقد بلغ الخليفة من العمر سبعا وثلاثين سنة الا سبعة أيام وكانت خلافته خمسا

الاموال ففعل ذلك ولما نزل أهل خيبر سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعاملهم فى الاموال على النصف وان يخرجهم اذا شاء فساقاهم على الاموال على الشرط الذى طلبوا وفعل مثل ذلك أهل فدك وكانت خيبر فيأ للمسلمين وكانت فدك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب ولما استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدت له زينب بنت الحرث امرأة سلام بن مشكم شاة مصلية مسمومة ووضعتها بين يديه فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم منها مضغة فلم يسغها ومعه بشر بن البراء بن معرور فأكل بشر منها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذه الشاة تخبرنى انها مسمومة ثم دعا المرأة فاعترفت فقال ما حملك على ذلك قالت بلغت من قومى مالم يخف عليك فقلت ان كان نبيا فسيخبر وان كان ملكا استرحنا منه فتجاوز عنها ومات بشر من تلك الاكلة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى مات فيه هذا الاوان وجدت انقطاع أبهرى من أكلة خيبر فكان المسلمون يرون انه مات شهيدا مع كرامة النبوة ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر انصرف الى وادى القرى فحاصر أهله ليالى فافتتحه عنوة وفى حصاره قتل مدعم مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أهداه له رفاعة بن زيد الجذامى فقال المسلمون هنيئا له الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا والذى نفس محمد بيده ان شملته الآن لتشتعل عليه نارا وكان غلها من فىء المسلمين يوم خيبر فسمعه رجل فقال أصبت شراكين لنعلين كنت أخذتهما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقد لك مثلهما من النار وترك رسول الله صلى الله عليه وسلم النخل والارض فى أيدى أهل الوادى وعاملهم نحو ما عامل أهل خيبر فبقوا كذلك الى ان ولى عمر الخلافة فأجلاهم وقيل انه لم يجلهم لانها خارجة عن الحجاز وفى هذه السفرة أعنى خيبر نام رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة الصبح حتى طلعت الشمس والقصة مشهورة وشهد معه نساء من نساء المسلمين فرضخ لهن وفى هذه السفرة قال الحجاج بن علاط السلمى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان لى بمكة مالا عند صاحبتى أم شيبة ابنة أبى طلحة وهى أم ابنه معرض بن الحجاج ومال متفرق بمكة فأذن لى يا رسول الله فأذن له فقال انه لابد من ان أقول قال قل فقدم الحجاج مكة فسأله أهل مكة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وما صنع بخيبر ولم يكونوا علموا باسلامه فقال لهم ان يهود هزمته وأصحابه وقتل أصحابه قتلا ذريعا وأسر محمد وقالت يهود لن نقتله حتى نبعث به الى مكة فيقتلوه فصاحوا بمكة بذلك فقال أعينونى فى جمع مالى حتى اقدم خيبر فاصيب من فل محمد وأصحابه قبل التجار فجمعوه كله كأحث شئ فأتاه العباس وسأله عن الخبر فأخبره بعد ان جمع ماله بفتح خيبر وان النبى صلى الله عليه وسلم أخذ صفية بنت حيي لنفسه وانه قدم لجمع ماله وسأله ان يكتم عنه ثلاثا خوف الطلب فكتم العباس الخبر ثلاثا بعد مسيره ثم لبس حلة له وخرج فطاف بالكعبة فلما رأته قريش قالوا يا أبا الفضل هذا والله التجلد قال كلا والله لقد افتتح محمد خيبر وأخذ ابنة ملكهم وأموالهم وأخبرهم بخبر الحجاج فقالوا لو علمنا لكان له ولنا شأن وقسم من أموال خيبر الشق ونطاة بين المسلمين وكانت الكتيبة خمس الله والرسول وسهم ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فطعم أزواج النبى صلى الله عليه وسلم وطعم رجال مشوا بين رسول الله وأهل فدك وقسمت خيبر على أهل الحديبية فاعطى الفرس

وعشرين سنة وقد خلع مرتين وخلف اثنى عشر ولدا ذكرا

• (الفصل التاسع عشر فى ذكر خلافة القاهر بالله) •

اسمه محمد أبو منصور بن المعتضد بويع له بالخلافة بعد موت أخيه ببغداد لليلتين بقيتا من شوال سنة عشرين وثلثمائة وكان أهوج طائشا سفاكا للدماء قبيح السيرة كثير التلون والاستحالة مدمن الخمر وكانت له حربة يأخذها بيده فلا يضعها حتى يقتل انسانا وأمه ام ولد اسمها قبول نقش خاتمها أملى اختم بخير على فلما ولى الخلافة قبض على آل المقتدر وعذبهم وقبض على ابن أخيه المكتفى بالله وأمر به فأقيم فى بيت وسد عليه بالآجر والجص حتى مات غما وقبض على السيدة أم المقتدر وطالبها بما لم تقدر عليه فضربها وعلقها منكسة حتى كان يجرى بولها على وجهها وهى تقول ألست امك فى كتاب الله وخلصتك من ابنى وأنت تعاقبنى بهذه العقوبة ولم يبق عندى مال ثم انها ماتت عقيب ذلك وكان ابن مقلة أحد وزرائه وكان كاتبا جوادا وهو الذى عرب الخط الكوفى الى طريقتنا

سهمين والرجل سهما وأقر النبي صلى الله عليه وسلم أهل خيبر بخيبر وأبو بكر بعده وعمر صدرا من امارته حتى بلغه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في مرضه الذي مات فيه لا يجتمع بجزيرة العرب دينان فاجلى عمر من يهود من لم يكن معه عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم (سلام ابن مشكم بتشديد اللام ومشكم بكسر الميم وسكون الشين المعجمة والحقيق بضم الحاء المهملة وبقافين وأخطب بالخاء المعجمة وآخره باء موحدة ومعرور بالعين المهملة وبعدها را آن مهملتان وعلاط بكسر العين المهملة وطاء مهملة)

(ذكر فدك)

لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر بعث محيصة بن مسعود الى أهل فدك يدعوهم الى الاسلام ورئيسهم يومئذ يوشع بن نون اليهودي فصالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على نصف الارض فقبل منهم ذلك وكان نصف فدك خالصا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب يصرف ما يأتيه منها على ابناء السبيل ولم يزل أهلها بها حتى استخلف عمر بن الخطاب وأجلى يهود الحجاز فبعث أبا الهيثم بن التيهان وسهل بن أبي خيثمة وزيد بن ثابت فقوموا نصف تربتها بقيمة عدل فدفعها الى يهود وأجلاهم الى الشام ولم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي يصنعون صنيع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وفاته فلما ولي معاوية الخلافة أقطعها مروان بن الحكم فوهبها مروان ابنيه عبد الملك وعبد العزيز ثم صارت لعمر بن عبد العزيز وللوليد وسليمان ابني عبد الملك بن مروان فلما ولي الوليد الخلافة وهب نصيبه عمر بن عبد العزيز ثم ولي سليمان الخلافة فوهب نصيبه منها أيضا عمر بن عبد العزيز فلما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة خطب الناس واعلمهم أمر فدك وانه قد ردها الى ما كانت عليه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي فوليها أولاد فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذت منهم فلما كانت سنة عشر ومائتين ردها المأمون اليهم (محيصة بضم الميم وفتح الحاء المهملة وتشديد الياء المثناة من تحت وكسرها وآخره صاد مهملة والتيهان بفتح التاء فوقها نقطتان وتشديد الياء تحتها نقطتان وكسرها) *وفي هذه السنة رد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته زينب على أبي العاص بن الربيع زوجها في المحرم *وفيها قدم حاطب من عند المقوقس بمارية أم ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأختها شيرين وبغلته دلدل وحماره يعفور وكسوة فاسلمت مارية وأختها قبل قدومهما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتخذ مارية لنفسه ووهب شيرين حسان بن ثابت الانصاري فهي أم ابنه عبد الرحمن فهو وابراهيم ابنا خالة وفيها اتخذ منبره وقيل انه عمل سنة ثمان وهو الثبت *وفيها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب في ثلاثين رجلا الى عجز هوازن فهربوا منه ولم يلق كيدا *وفيها كانت سرية بشير بن سعد والد النعمان بن بشير الانصاري الى بني مرة بفدك في شعبان في ثلاثين رجلا أصيب اصحابه وارتث في القتلى ثم رجع الى المدينة *وفيها كانت سرية غالب بن عبد الله الليثي الى أرض بني مرة فاصاب مرداس بن نهيك حليفا لهم من جهينة قتله أسامة ورجل من الانصار قال أسامة لما غشيناه قال أشهد أن لا اله الا الله فلم ننزع عنه حتى قتلناه فلما قدمنا على النبي صلى الله عليه وسلم أخبرناه الخبر فقال

العربية أولا كانت حميرية تداولها أهل اليمن وغيرها الى قبيل الاسلام بمدة ثم نقلت الى الكوفية على يد شخص يسمى مرامر بن مرة وتكوفت ونسبت الى الكوفة فشهرت واستعملها الناس فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم استمر الناس يكتبون على هذا القلم وهو طريقة كتابة المصحف العثماني وفي المائة الثانية استقصى الناس الطريقة العربية لسهولتها وحادوا فيها عن تحرير الكوفي وبعد ذلك ظهر أبو علي محمد ابن مقلة الوزير فنقل الخط الى العربي ولم يترك فيه شيأ يشابه الكوفي فصار في أيامه الخط عربيا فقط وكان الوزير المذكور قد اتفق مع الجند واجتمعوا فجاؤا الى دار الخليفة وهجموا عليه من سائر الابواب فهرب الى سطح حمام واستتر فيه فاتوا اليه وقبضوا عليه وحبسوه وخلعوه من الخلافة وسمروا عينيه بمسمار محمي حتى سالتا على خديه وهو أول خليفة سمرت عيناه وذلك في جمادى الآخرة سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة قال ابن البطريق في تاريخه ان القاهر قد ارتكب أمورا قبيحة لم يسمع بمثلها في

كيف تصنع بلا اله الا الله * وفيها كانت سرية غالب بن عبد الله أيضا فى مائة وثلاثين راكبا الى بنى عبد بن ثعلبة فأغار عليهم واستاق النعم الى المدينة * وفيها كانت سرية بشير بن سعد الى اليمن والجناب فى شوال وكان سببها ان حسيل بن نويرة الاشجعى كان دليل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيبر قدم على النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره ان جمعا من غطفان بالجناب قد أمدهم عيينة بن حصن وأمرهم بالمسير الى المدينة فبعث النبى صلى الله عليه وسلم بشيرا فأصابوا نعما وقتلوا مولى لعيينة ثم لقوا جمع عيينة فهزمهم المسلمون وانهزم عيينة فلقيه الحرث ابن عوف منهزما فقال له قد آن لك ان تقصر عما ترى (حاطب بالحاء المهملة وآخره باء موحدة وبشير بفتح الباء الموحدة وكسر الشين المعجمة وآخره راء * والد النعمان بن بشير عيينة بضم العين وفتح الياء المثناة تحت النقطتان وسكون الياء الثانية وبعدها نون تصغير عين)

* (ذكر عمرة القضاء) *

لما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر أقام بالمدينة جماديين ورجبا وشعبان ورمضان وشوالا يبعث السرايا ثم خرج فى ذى الحجة معتمرا عمرة القضاء وساق معه سبعين بدنة وخرج معه المسلمون ممن كان معه فى عمرته الاولى فلما سمع به أهل مكة خرجوا عنه وتحدثت قريش أن النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى عسر وجهد فاصطفوا له عند دار الندوة فلما دخلها اضطبع رداءه فأخرج عضده اليمنى ثم قال رحم الله امرأ أراهم اليوم قوة ثم استلم الركن وخرج يهرول ويهرول أصحابه وكان بين يديه لما دخل مكة عبد الله بن رواحة آخذا بخطام ناقته وهو يقول

خلوا بنى الكفار عن سبيله * خلوا فكل الخير فى رسوله
يارب انى مؤمن بقيله * أعرف حق الله فى قبوله
نحن قتلناكم على تأويله * كما قتلناكم على تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقيله * ويذهل الخليل عن خليله

وتزوج النبى صلى الله عليه وسلم فى سفره هذا ميمونة بنت الحرث وأقام بمكة ثلاثا فأرسل المشركون اليه مع على بن أبى طالب ليخرج عنهم فقال ما عليهم لو أعرست بين أظهرهم وصنعنا لهم طعاما فحضر ومعنا فقالوا لا حاجة لنا فى طعامك فخرج عنهم وبنى بميمونة بسرف ثم انصرف الى المدينة فأقام بها بقية ذى الحجة والمحرم وصفرا وشهرى ربيع وبعث جيشه الذى أصيب بمؤتة وولى تلك الحجة المشركون * وفيها كانت غزوة ابن أبى العوجاء السلمى الى بنى سليم فلقوه فأصيب هو وأصحابه وقيل بل نجا وأصيب أصحابه * (ودخلت سنة ثمان) * فيها توفيت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله الواقدى * وفيها كانت سرية غالب بن عبد الله الليثى الكلبى الى كلب الليث الى بنى الملوح فلقيه الحرث بن البرصاء الليثى فأخذه أسيرا فقال انما جئت لأسلم فقال له غالب ان كنت صادقا فلن يضرك رباط ليلة وان كنت كاذبا استوثقنا منك ووكل به بعض أصحابه وقال له ان نازعك فخذ رأسه وأمره بالمقام الى ان يعود ثم ساروا حتى أتوا بطن الكديد فنزلوا بعد العصر وأرسلوا جندب بن مكيث الجهنى ربيئة لهم قال فقصدت تلا هناك يطلعنى على الحاضر فانبطحت عليه فخرج لى منهم رجل فرآنى منبطحا فأخذ

فى أخبار الزمان ان القاهر أخذ وعذب بأنواع العذاب بعد ما خلع وسملت عيناه فلم يقر بشئ من المال فأخذه الراضى بالله فقربه وادناه وقال له قد ترى مطالبة الجند بالمال وليس عندى شئ والذى عندك ليس بنافع لك فاعترف به فقال المال مدفون فى البستان وكان قد انشأ فيه أصناف الثمار حملت اليه من البلاد وعمل فيه قصرا وزخرفه وكان الراضى مغرما بالبستان والقصر فقال وفى اى مكان منه المال فقال انا مكفوف لا اهتدى الى مكان فاحفر البستان تجده فحفر الراضى البستان كله حتى قلع الاشجار واساسات القصر فلم يجد شيأ فقال له وأين المال فقال وهل عندى مال وانما كان حسرتى فى جلوسك فى البستان وتنعمك فأردت ان أفجعك فيه فندم الراضى وحبسه ثم اطلقه بعد مدة وأهمله (وحكى) ان رجلا قال صليت بجامع المنصور فى بغداد فاذا انا بانسان أعمى وعليه جبة عنابية قد ذهب وجهها وبقيت البطانة وبعض قطن وهو يقول أيها الناس تصدقوا على بالامس كنت أمير المؤمنين

قوسه وسهمين فرماني بأحدهما فوضعه في جنبي قال فنزعته ولم أتحرك ثم رماني بالثاني فوضعه في رأس منكبي قال فنزعته ولم أتحرك قال أم والله لقد خالطه سهماي ولو كان ربيئة لتحرك قال فامهلناهم حتى راحت مواشيهم واحتلبوا وشننا عليهم الغارة فقتلنا منهم واستقنا منهم النعم ورجعنا سراعا وأتى الصريخ القوم فجاءنا مالا قبل لنا به حتى اذا لم يكن بيننا الابطن الوادي من قديد بعث الله من حيث شاء سحابا ما رأينا قبل ذلك مطرا مثله فجاء الوادي بما لا يقدر أحد يجوزه فلقد رأيتهم ينظرون الينا ما يقدر أحد يتقدم وقدمنا المدينة وكان شعار المسلمين امت امت وكان عدتهم بضعة عشر رجلا * وفيها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم العلاء بن الحضرمي الى البحرين وبها المنذر بن ساوى فصالح المنذر على ان على المجوس الجزية ولا تؤكل ذبائحهم ولا تنكح نساؤهم وقيل ان ارساله كان سنة ست من الهجرة مع الرسل الذين أرسلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الملوك وقد تقدم ذلك * وفيها كانت سرية شجاع بن وهب الى بني عامر في ربيع الاول في أربعة عشر رجلا فاصابوا نعما فكان سهم كل رجل منهم خمسة عشر بعيرا * وفيها كانت سرية كعب بن عمير الغفاري الى ذات الاطلاح في خمسة عشر رجلا فوجدبها جمعا كثيرا فدعاهم الى الاسلام فابوا ان يجيبوا وقتلوا أصحاب كعب ونجا حتى قدم المدينة وذات الاطلاح من ناحية الشام وكانوا قضاعة ورئيسهم رجل يقال له سدوس

(ذكر اسلام خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة)

في هذه السنة في صفر قدم عمرو بن العاص مسلما على النبي صلى الله عليه وسلم وقدم معه خالد ابن الوليد وعثمان بن طلحة العبدري وكان سبب اسلام عمرو انه قال لما انصرفنا من الاحزاب قلت لاصحابي اني أرى أمر محمد يعلو علوا منكرا واني قد رأيت ان نلحق بالنجاشي فان ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي وان ظهر قومنا على محمد فنحن من قد عرفوا قالوا ان هذا الرأي قال فجمعنا له أدما كثيرا وخرجنا الى النجاشي فانا لعنده اذ وصل عمرو بن أمية الضمري رسولا من النبي صلى الله عليه وسلم في أمر جعفر وأصحابه قال فدخلت على النجاشي وطلبت منه أن يسلم الي عمرو بن أمية الضمري لاقتله تقربا الى قريش بمكة فلما سمع كلامي غضب وضرب انفه ضربة ظننت انه قد كسره يعني النجاشي فخفته ثم قلت والله لو ظننت انك تكره هذا ماسألتكه قال اتسألني ان أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الاكبر الذي كان يأتي موسى لتقتله قال قلت أيها الملك اكذلك هو قال ويحك يا عمرو أطعني واتبعه فانه والله على الحق وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون قال فقلت فبايعني له على الاسلام فبسط يده فبايعته ثم خرجت الى أصحابي وكتمتهم اسلامي وخرجت عامدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقيني خالد بن الوليد وذلك قبل الفتح وهو مقبل فقلت أين يا أبا سليمان قال والله لقد استقام الميسم ان الرجل لنبي اذهب والله أسلم فحتى متى فقلت ماجئت الا للاسلام فقدمنا على النبي صلى الله عليه وسلم فتقدم خالد بن الوليد فأسلم ثم دنوت فأسلمت وتقدم عثمان بن طلحة فاسلم

(ذكر غزوة ذات السلاسل)

وفيها أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص الى أرض بلي وعذرة يدعو الناس

وانا اليوم من فقراء المسلمين فسألت عنه فقيل انه القاهر بالله وفي هذه الحكاية أعظم عبرة لمن اعتبر نعوذ بالله من سخطه وزوال نعمه وكانت خلافته سنة ونصفا وعشرة أيام ولما خلع من الخلافة كان عمره خمسا وثلاثين سنة والله اعلم

(الفصل العشرون في ذكر خلافة الراضي بالله)

اسمه محمد أبو العباس بن المقتدر بالله بويع له بالخلافة يوم خلع عمه القاهر بالله وكان قصيرا اسمر نحيفا الكنه كان سمحا جوادا واسع الصدر اديبا شاعرا ولد سنة سبع وتسعين ومائتين وامه رومية اسمها ظلوم نقش خاتمه من بالرضا (وفي أيامه) اختل أمر الخلافة جدا وصارت البلاد بين خارجي قد تغلب عليها او عامل لا يحمل مالا وصاروا مثل ملوك الطوائف وكل من حصل في يده بلد ملكه ومانع عنه فالبصرة وواسط والاهواز في يد عبد الله البريدي واخوته وفارس في يد عماد الدولة بن بويه والموصل وديار بكر وديار ربيعة وديار مضر في ايدي بني حمدان ومصر والشام في يد الاخشيد ابن طغج والمغرب وافريقية في يد المهدي والاندلس في يد بني امية وخراسان وما

الى الاسلام وكانت أمه من بلى فتألفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فسار حتى اذا كان
على ماء بأرض جذام يقال له السلاسل وبه سميت تلك الغزوة ذات السلاسل فلما كان به خاف
فبعث الى النبي صلى الله عليه وسلم يستمده فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة بن
الجراح في المهاجرين الاولين فيهم أبو بكر وعمر وقال لابي عبيدة حين وجهه لا تختلفا فلما قدم
عليه قال عمرو انما جئت مددا الي فقال له أبو عبيدة يا عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لا تختلفا فان عصيتني أطعتك قال فانا أمير عليك قال فدونك فصلى عمرو بالناس * وفيها أرسل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص الى جيفر وعباد ابني الجلندى بعمان فآمنا
وصدقا وأخذ الجزية من المجوس

* (ذكر غزوة الخبط وغيرها) *

وفيها كانت غزوة الخبط وأميرهم ابو عبيدة بن الجراح في ثلثمائة من المهاجرين والانصار
وكانت في رجب وزودهم رسول الله صلى الله عليه وسلم جرابا من تمر فكان أبو عبيدة يقبض لهم
قبضة ثم تمرة تمرة فكان أحدهم يلوكها ويشرب عليها الماء فنفد ما في الجراب فأكلوا الخبط
وجاعوا جوعا شديدا فنحر لهم قيس بن سعد بن عبادة تسع جزائر فأكلوها فنهاه أبو عبيدة
فانتهى ثم ان البحر ألقى اليهم حوتا ميتا فأكلوا منه حتى شبعوا ونصب أبو عبيدة ضلعا من
أضلاعه فمر الراكب تحته فلما قدموا المدينة ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال كلوا
رزقا أخرجه الله لكم وأكل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكروا صنيع قيس بن سعد فقال
ان الجود من شيمة أهل ذلك البيت * وفيها كانت سرية وجهها رسول الله صلى الله عليه وسلم في
شعبان أميرها ابو قتادة ومعه عبد الله بن أبي حدرد الاسلمي وكان سببها ان رفاعة بن قيس
أو قيس بن رفاعة في بطن عظيم من جشم نزل بالغابة يجمع لحرب النبي صلى الله عليه وسلم فبعث
النبي صلى الله عليه وسلم أبا قتادة ومن معه ليأتوا منه بخبر فوصلوا قريبا من الحاضر مع غروب
الشمس فكمن كل واحد منهم في ناحية وكانوا ثلاثة وقيل كانوا ستة عشر رجلا قال عبد الله
ابن أبي حدرد فكان لهم راع ابطأ عليهم فخرج رفاعة بن قيس في طلبه ومعه سلاحه فرميته
بسهم في فؤاده فما تكلم قال فاخذت رأسه ثم شددت في ناحية العسكر وكبرت وكبر صاحباي
فوالله ما كان الا النجاء فأخذوا نساءهم وأبناءهم وما خف عليهم واستقنا الابل الكثيرة
والغنم فجئنا بها رسول الله وبرأسه معي فأعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم من تلك الابل
ثلاثة عشر بعيرا وكنت قد تزوجت وأشدت أهلي وعدل البعير بعشر من الغنم * وفيها أغزى
رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا قتادة أيضا الى إضم ومعه محلم بن جثامة الليثي قبل الفتح فلقيهم
عامر بن الاضبط الاشجعي على بعيره ومعه متاعه فسلم عليهم بتحية الاسلام فأمسكوا عنه وحمل
عليه محلم بن جثامة لشئ كان بينهم فقتله وأخذ بعيره فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه
وسلم أخبروه الخبر فنزل يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا الآية وقيل كانت هذه
السرية حين خرج الى مكة في رمضان

* (ذكر غزوة مؤتة) *

كان ينبغي ان نقدم هذه الغزوة على ما تقدم وانما أخرناها لتتصل الغزوات العظيمة بعضها

بعضها

والاهانى بيد نصر بن احمد السامانى واليمامة وهجر والبحرين فى يد ابى طاهر القرمطى وطبرستان وجرجان فى يد الديلم ولم يبق بيد الراضى غير بغداد والسواد فبطلت دواوين المملكة ونقص قدر الخلافة وضعف ملكها وعم الخراب لذلك ووهت اركان الدولة العباسية ثم ان الراضى أمسك ابن مقلة وقطع يده وعمى بعد قطع عنقه بما وقع منه قال الخطيب للراضى فضائل منها انه آخر خليفة له شعر مدون وآخر خليفة انفرد بتدبير الجيوش والاموال وآخر خليفة جالس الندماء ومن أشعاره

كل صفو الى كدر
كل امر الى حذر
ومصير الشباب للموت فيه والكبر
درر المشيب من
واعظ ينذر البشر
ايها الآمل الذى
تاه فى الجهل والغرر
اين من كان قبلنا
ذهب الشخص والاثر
رب فاغفر خطيئتى
انت يا خير من غفر

توفى الراضى ليلة السبت خامس عشر ربيع الاول سنة تسع وعشرين وثلثمائة بعلة الاستسقاء والصحيح وكان اكبر اسباب علته

يا حبذا الجنة واقترابها * طيبة وباردا شرابها
والروم روم قد دنا عذابها * كافرة بعيدة أنسابها
* علي اذ لاقيتها ضرابها *

فلما اشتد القتال اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها ثم قاتل القوم حتى قتل وكان جعفر أول من عقر فرسه في الاسلام فوجد وابه بضعا وثمانين بين رمية وضربة وطعنة فلما قتل أخذ الراية عبد الله بن رواحة ثم تقدم فتردد بعض التردد ثم قال يخاطب نفسه

أقسمت يا نفس لتنزلنه * طائعة أو لا لتكرهنه
ان أجلب الناس وشدوا الرنه * مالي أراك تكرهين الجنه
قد طالما قد كنت مطمئنه * هل أنت الا نطفة في شنه

وقال أيضا

يا نفس ان لم تقتلي تموتي * هذا حمام الموت قد صليتي
وما تمنيت فقد أعطيتي * ان تفعلي فعلهما هديتي

ثم نزل عن فرسه وأتاه ابن عم له بعرق من لحم فقال له شد بهذا صلبك فقد لقيت ما لقيت فأخذه فانتهس منه نهسة ثم سمع الحطمة في ناحية العسكر فقال لنفسه وأنت في الدنيا ثم ألقاه وأخذ سيفه وتقدم فقاتل حتى قتل واشتد الامر على المسلمين وكلب عليهم العدو وقد كان قطبة بن قتادة قتل قبل ذلك مالك بن رافلة قائد المستعربة ثم ان الخبر جاء من السماء في ساعته الى النبي صلى الله عليه وسلم فصعد المنبر وأمر فنودي الصلاة جامعة فاجتمع الناس فقال ثاب خبر ثلاثا أخبركم عن جيشكم هذا الغازي انهم لقوا العدو فقتل زيد شهيدا فاستغفروا له ثم أخذ الراية جعفر فشد على القوم حتى قتل شهيدا فاستغفروا له ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة وصمت حتى تغيرت وجوه الانصار وظنوا انه قد كان من عبد الله ما يكرهون ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتل القوم حتى قتل شهيدا ثم قال لقد رفعوا الى الجنة على سرر من ذهب فرأيت في سرير ابن رواحة ازورارا عن سريري صاحبيه فقلت عم هذا فقيل لي مضيا وتردد بعض التردد ثم مضى ولما قتل ابن رواحة أخذ الراية ثابت بن أرقم الانصاري وقال يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم فقالوا رضينا بك فقال ما انا بفاعل فاصطلحوا على خالد بن الوليد فأخذ الراية ودافع القوم وانحاز واعده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله خالد بن الوليد فعاد بالناس فمن يومئذ سمي خالد سيف الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بي جعفر البارحة في نفر من الملائكة له جناحان مخضب القوادم بالدم قالت اسماء أتاني النبي صلى الله عليه وسلم وقد فرغت من اشتغالي وغسلت أولاد جعفر ودهنتهم فأخذهم وشمهم ودمعت عيناه فقلت يا رسول الله أبلغك عن جعفر شيء قال نعم أصيب هذا اليوم ثم عاد الى أهله فأمرهم ان يصنعوا لآل جعفر طعاما فهو أول ما عمل في دين الاسلام قالت اسماء بنت عميس فقمت أصيح واجتمع الى النساء فلما رجع الجيش لقيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وأخذ عبد الله بن جعفر فحمله بين يديه فجعل الناس يحثون التراب على الجيش ويقولون يا فرار يا فرار ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار ان شاء الله تعالى

* (ذكر فتح مكة) *

الاسارى ثم ان توزون أخذ امراء الاتراك استولى على بغداد وخلع المتقي وسمل عينيه وسلم الخلافة لابن عمه المستكفي بالله فاخرجه الى الجزيرة بقرب السندية فحبس بها وأقام في السجن خمسا وعشرين سنة الى ان مات فكانت خلافته ثلاث سنين واحد عشر شهرا وخلع من الخلافة وقد بلغ ستا وأربعين سنة ودفن في داره

(الفصل الثاني والعشرون في ذكر خلافة المستكفي بالله)

اسمه عبد الله أبو القاسم بن المكتفي بويع له بالخلافة يوم خلع ابن عمه المتقي بالله وأمه ام ولد رومية اسمها املح الناس نقش خاتمه عبد الله بن المكتفي ولما ولي الخلافة خلع على توزون وفوض اليه تدبير المملكة * (وفي أيامه) * قدم معز الدولة بن بويه بغداد فخلع عليه الخليفة وفوض اليه الأمور وضرب السكة باسمه وأمر أن يخطب له على المنابر وكان قد بلغ معز الدولة ان المستكفي بالله قد دبر على هلاكه فدخل على المستكفي وقبل يده فطرح له كرسيا فجلس عليه ثم تقدم اليه رجلان من الديلم ومدا أيديهما الى

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد غزوة مؤتة جمادى الآخرة ورجبا ثم ان بنى بكر بن عبد مناة عدت على خزاعة وهم على ماء لهم بأسفل مكة يقال له الوتير وكانت خزاعة فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكر فى عهد قريش فى صلح الحديبية وكان سبب ذلك ان رجلا من بنى الحضرمى اسمه مالك بن عباد كان حلفا للاسود بن رزن الديلى ثم البكرى فى الجاهلية خرج تاجرا فلما كان بأرض خزاعة قتلوه وأخذوا ماله فعدت بنو بكر على رجل من خزاعة فقتلوه فعدت خزاعة على بنى الاسود بن رزن وهم سلمى وكلثوم وذؤيب فقتلوهم بعرفة وكانوا من اشراف بنى بكر فبينما خزاعة وبكر على ذلك جاء الاسلام واشتغل الناس به فلما كان صلح الحديبية ودخلت خزاعة فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ودخلت بكر فى عهد قريش فاغتنمت بكر تلك الهدنة وأرادوا أن يصيبوا من خزاعة ثأرهم بقتل بنى الاسود فخرج نوفل بن معاوية الديلى بمن تبعه من بكر حتى بيت خزاعة على ماء الوتير وقيل كان سبب ذلك ان رجلا من خزاعة سمع رجلا من بكر ينشد هجاء النبى صلى الله عليه وسلم فشجه فهاج الشر بينهم وثارت بكر بخزاعة حتى بيتوهم بالوتير وأعانت قريش بنى بكر على خزاعة بسلاح ودواب وقاتل معهم جماعة من قريش مختفين منهم صفوان بن أمية وعكرمة بن أبى جهل وسهيل بن عمرو فانحازت خزاعة الى الحرم وقتل منهم نفر فلما دخلت خزاعة الحرم قالت بكر يا نوفل انا قد دخلنا الحرم الهك الهك فقال لا اله له اليوم يا بنى بكر أصيبوا ثأركم فلعمرى انكم لتسرقون فى الحرم أفلا تصيبون ثاركم فيه فلما انقضت بكر وقريش العهد الذى بينهم وبين النبى صلى الله عليه وسلم خرج عمرو بن سالم الخزاعى ثم الكعبى حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فوقف عليه ثم قال

يا رب انى ناشد محمدا * حلف ابينا وأبيه الاتلدا
فوالدا كنا وكنت ولدا * ثمت أسلمنا فلم ننزع يدا
فانصر رسول الله نصرا اعتدا * وادع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا * أبيض مثل البدر تنمى صعدا
ان سيم خسفا وجهه تربدا * فى فيلق كالبحر يجرى مزبدا
ان قريشا أخلفوك الموعدا * ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وجعلوا لى فى كداء رصدا * وزعموا أن لست أدعو أحدا
وهم أذل واقل عددا * هم بيتونا بالوتير هجدا
* وقتلونا ركعا وسجدا *

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نصرت يا عمرو بن سالم ثم عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم عنان من السماء فقال ان هذه السحابة لتستهل بنصر بنى كعب وكان بين عبد المطلب وخزاعة حلف قديم فلهذا قال عمرو بن سالم حلف أبينا وأبيه الاتلدا ثم خرج بديل بن ورقاء فى نفر من خزاعة حتى قدموا على النبى صلى الله عليه وسلم فنادوه وهو يغتسل فقال يا لبيكم وخرج اليهم فأخبروه الخبر ثم انصرفوا راجعين الى مكة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال كأنكم بأبى سفيان قد جاء ليجدد العهد خوفا ويزيد فى المدة ومضى بديل فلقى أبا سفيان

المستكفى فى نعلين فهما يريدان تقبيل يده فمداها اليهما فجذباه من على السرير وجعلا عمامته فى عنقه ثم سحب واعتقل ثم خلع وسملت عيناه فاجتمع ببغداد ثلاثة خلفاء عميان وانتهبت دار الخلافة حتى لم يبق فيها شئ وذلك لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة اربع وثلاثين وثلثمائة وتوفى فى دار معز الدولة فى سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة وهو ابن ست وأربعين سنة وكانت مدة خلافته سنة وأربعة أشهر والله أعلم

(الفصل الثالث والعشرون فى ذكر خلافة المطيع لله)

اسمه أبو الفضل القاسم بن المقتدر بويع له بالخلافة يوم خلع ابن عمه المستكفى بالله وكان وطى الجانب الى الغاية وأمه ام ولد سقلابية اسمها مشغلة ولد سنة احدى وتسعين ومائتين نقش خاتمه بالله المطيع لله وكان تدبير المملكة الى معز الدولة بن بويه وقرر للخليفة كل يوم نفقة مائة دينار فقط (ومن الحوادث فى أيامه) فى اول سنة من خلافته اشتد الغلاء ببغداد حتى اكلوا الجيف والروث وماتوا

بعث فان بريد النبي صلى الله عليه وسلم ليجدد العهد ويزيد في المدة فلقيه بديل بن ورقاء فقال من أين أقبلت يا بديل قال من خزاعة في الساحل وبطن هذا الوادي قال وما أتيت محمدا قال لا فقال أبو سفيان لاصحابه انظروا بعر ناقته فان جاء المدينة لقد علف النوى فنظروا بعر الناقة فرأوا فيه النوى ثم خرج أبو سفيان حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فدخل على ابنته أم حبيبة زوج النبي فلما أراد أن يجلس على فراش رسول الله طوته عنه فقال أرغبت به عني أم بي عنه فقالت هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت مشرك نجس فلم أحب أن تجلس عليه فقال لقد أصابك بعدي شر فقالت بل هداني الله للاسلام ثم خرج حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فكلمه فلم يرد عليه شيئا ثم أتى أبا بكر فكلمه ليكلم له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما أنا بفاعل ثم أتى عمر فكلمه فقال أنا أشفع لكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لو لم أجد الا الذر لجاهدتكم به ثم خرج حتى أتى عليا وعنده فاطمة والحسن غلام فكلمه في ذلك فقال له والله لقد عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر لا نستطيع أن نكلمه فيه فقال يا فاطمة يا بنت محمد هل لك أن تأمري ابنك هذا ان يجير بين الناس فيكون سيد العرب فقالت ما بلغ ابني ان يجير بين الناس وما يجير على رسول الله أحد فالتفت الى علي فقال له أرى الامور قد اشتدت علي فانصحني قال انت سيد كنانة فقم فأجر بين الناس والحق بأرضك فقام أبو سفيان في المسجد فقال أيها الناس قد أجرت بين الناس ثم ركب وقدم مكة وأخبر قريشا ما جرى له وما أشار به علي عليه فقالوا والله ما زاد على ان يسخر بك ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تجهز وأمر الناس بالجهاز الى مكة وقال اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها فكتب حاطب بن أبي بلتعة كتابا الى قريش يعلمهم الخبر وسيره مع امرأة من مزينة اسمها كنود وقيل مع سارة مولاة لبني المطلب تعلمهم الخبر وسيره معها فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا والزبير فأدركاها وأخذا منها الكتاب وجاآ به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحضر حاطبا وقال له ما حملك على هذا فقال والله اني مؤمن ما بدلت ولا غيرت ولكن لي بين أظهرهم أهل وولد وليس لي عشيرة فصانعتهم عليهم فقال عمر دعني أضرب عنقه فانه قد نافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم وأنزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء الى آخر الآية ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف على المدينة أبا رهم كلثوم بن حصين الغفاري وخرج لعشر مضين من رمضان وفتح مكة لعشر بقين منه فصام حتى بلغ ما بين عسفان وأمج فأفطروا واستوعب معه المهاجرون والانصار فسبعت سليم وألفت مزينة وفي كل القبائل عدد وأدركه عيينة بن حصن الفزاري والاقرع بن حابس ولقيه العباس بن عبد المطلب بالجحفة وقيل بذي الحليفة مهاجرا فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يرسل رحله الى المدينة ويعود معه وقال له أنت آخر المهاجرين وأنا آخر الانبياء ولقيه أيضا مخرمة بن نوفل وأبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وعبد الله أبي بن أمية بنقب العقاب فالتمسا الدخول على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمته أم سلمة فيهما وقالت له ابن عمك وابن عمتك قال لا حاجة لي بهما أما ابن عمي فهتك عرضي وأما ابن عمتي فهو الذي قال بمكة ما قال فلما سمعا ذلك وكان مع أبي

على الطريق واكلت الكلاب لحومهم ونبح العقارب الرغفات ووجدت المسامير مشوية مع المساكين وفي سنة تسع وثلاثين وثلثمائة أعيد الحجر الاسود الى موضعه وفي سنة أربع واربعين وثلثمائة زلزلت مصر زلزلة صعبة هدمت البيوت ودامت ثلاث ساعات وفزع الناس الى الله تعالى بالدعاء وفي سنة ست واربعين وثلثمائة نقص البحر ثمانين ذراعا فظهر فيه جبال وجزائر واشياء لم تعهد وكان بالري ونواحيها زلازل عظيمة وخسف ببلد الطالقان ولم يفلت من أهلها الا نحو ثلاثين رجلا وخسف بخمسمائة وخمسين قرية من قرى الري واتصل الامر الى حلوان فخسف باكثرها وقذفت الارض عظام الموتى وتفجرت منها المياه وتقطع بالري جبل وعلقت قرية بين السماء والارض بمن فيها نصف نهار ثم خسف بها وانخرقت الارض خروقا عظيمة وخرج منها مياه منتنة ودخان عظيم كذا نقله ابن الجوزي في كتاب الشذور في التاريخ وفي سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة يوم عاشوراء الزم معز الدولة الناس بغلق الاسواق ومنع

سفيان ابن له اسمه جعفر قال والله ليأذنن لي أو لآخذن بيد ابني هذا ثم لنذهبن في الارض حتى نموت عطشا وجوعا فرق لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فادخلهما اليه فاسلما وقيل ان عليا قال لابي سفيان بن الحرث ائت رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل وجهه فقل له ما قال اخوة يوسف ليوسف تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين فانه لا يرضى ان يكون احد أحسن منه فعلا ولا قولا ففعل ذلك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين وقربهما فاسلما وأنشده ابو سفيان قوله في اسلامه واعتذارا عما مضى

لعمرك اني يوم أحمل راية * لتغلب خيل اللات خيل محمد
لكالمدلج الحيران اظلم ليله * فهذا أواني حين اهدي وأهتدي
وهاد هداني غير نفسي ونالني * مع الله من طردته كل مطرد

الابيات فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره وقال انت طردتني كل مطرد وقيل ان أبا سفيان لم يرفع رأسه الى النبي صلى الله عليه وسلم حياء منه وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مر الظهران في عشرة آلاف فارس من بني غفار اربعمائة ومن مزينة ألف وثلاثة نفر ومن بني سليم سبعمائة ومن جهينة ألف وأربعمائة وسائرهم من قريش والانصار وحلفائهم وطوائف من العرب من تميم وأسد وقيس فلما نزل مر الظهران قال العباس بن عبد المطلب ياهلاك قريش والله لئن بغتها رسول الله صلى الله عليه وسلم في بلادها فدخل عنوة انه لهلاك قريش الى آخر الدهر فجلس على بغلة النبي صلى الله عليه وسلم وقال أخرج لعلي ارى حطابا أو رجلا يدخل مكة فيخبرهم بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأتونه ويستأمنونه قال فخرجت أطوف في الاراك اذ سمعت صوت ابي سفيان وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء الخزاعي قد خرجوا يتجسسون فقال ابو سفيان ما رأيت نيرانا اكثر من هذه فقال بديل هذه نيران خزاعة فقال أبو سفيان خزاعة اذل من ذلك فقلت يا ابا حنظلة يعني أبا سفيان كان يكنى بذلك فقال أبو الفضل قلت نعم قال لبيك فداك أبي وامي ما وراءك فقلت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسلمين أتاكم في عشرة آلاف قال ما تأمرني قلت تركب معي فاستأمن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله ان ظفر بك ليضربن عنقك فردفني فخرجت اركض به نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلما مررت بنار من نيران المسلمين يقولون عم رسول الله على بغلة رسول الله حتى مررنا بنار عمر بن الخطاب فقال أبو سفيان الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد ثم اشتد نحو النبي صلى الله عليه وسلم وركضت البغلة فسبقت عمر ودخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره وقال دعني أضرب عنقه فقلت يارسول الله اني قد أجرته ثم أخذت برأس رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلت لا يناجيه أحد دوني فلما أكثر فيه عمر قلت مهلا يا عمر ما تصنع هذا الا انه من بني عبد مناف ولو كان من بني عدي ما قلت هذه المقالة فقال مهلا يا عباس فوالله اسلامك يوم أسلمت كان أحب الي من اسلام الخطاب لو أسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد امناه حتى تغدو علي به بالغداة فرجعت به الى منزلي وغدوت به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه قال ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك ان تعلم ان لا اله الا الله قال بأبي بأبي انت وأمي يارسول الله لو كان مع الله غيره لقد أغنى شيئا فقال ويحك الم يأن لك اني رسول

الطباخين من الطبخ ونصبوا القباب في الاسواق وعلقوا عليها المسوح واخرجوا النساء منشرات الشعور يلطمن في الشوارع ويقمن المأتم على الحسين وهذا أول يوم نيح عليه ببغداد واستمرت هذه البدعة سنين وكان من عادة الخلفاء أن يولوا القاضي المقيم ببلدهم القضاء بجميع الاقاليم والبلاد التي تحت ملكهم ثم يستنيب القاضي من تحت أمره من يشاء في كل اقليم وفي كل بلد ولهذا كان يلقب القاضي بقاضي القضاة ولا يلقب به الا من هو بهذه الصفة ومن عداه بالقاضي فقط وأما الآن فصار في البلد الواحد اربعة مشتركون كل منهم يلقب قاضي القضاة ولقد كان قاضي القضاة اذ ذاك أوسع حكما من سلاطين هذا الزمان وفي سنة ثلاث وستين وثلثمائة حصل للمطيع فالج وثقل لسانه فدعاه حاجب عز الدولة سبكتكين الى خلع نفسه وتسليم الامر الى ولده عبد الكريم وقيل اسمه أبو بكر وقيل ابو بكر كنيته فأجاب وسماه الطائع لله ثم توفي بدير العاقول سنة أربع وستين وثلثمائة وكان بين

الله وقال بأبي انت وأمي أما هذه ففي النفس منها شيء قال العباس فقلت له ويحك اشهد شهادة الحق قبل ان تضرب عنقك قال فتشهد وأسلم معه حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس اذهب فاحبس اباسفيان عند خطم الجبل بمضيق الوادي حتى تمر عليه جنود الله فقلت يارسول الله انه يحب الفخر فاجعل له شيأ يكون في قومه فقال من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن قال فخرجت به فحبسته عند خطم الجبل فمرت عليه القبائل فيقول من هؤلاء فاقول أسلم فيقول مالي ولاسلم ويقول من هؤلاء فاقول جهينة فيقول مالي ولجهينة حتى مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتيبته الخضراء مع المهاجرين والانصار لايرى منهم الا الحدق فقال من هؤلاء فقلت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والانصار فقال لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيما فقلت ويحك انها النبوة فقال نعم اذن فقلت ألحق بقومك سريعا فحذرهم فخرج حتى أتى مكة ومعه حكيم بن حزام فصرخ في المسجد يامعشر قريش هذا محمد قد جاءكم بما لاقبل لكم به فقالوا فما قال قال من دخل داري فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن ثم قال يامعشر قريش اسلموا تسلموا فاقبلت امرأته هند فاخذت بلحيته وقالت يا آل غالب اقتلوا هذا الشيخ الاحمق فقال ارسلي لحيتي وأقسم لئن لم تسلمي انت لتضربن عنقك ادخلي بيتك فتركته وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في أثرهما الزبير وأمره ان يدخل ببعض الناس من كداء وكان على الجنبة اليسرى وأمر سعد بن عبادة ان يدخل ببعض الناس من كدى فقال سعد حين وجهه اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الكعبة فسمعها رجل من المهاجرين فاعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لعلي بن أبي طالب ادركه فخذ الراية منه وكن أنت الذي تدخل بها وامر خالد بن الوليد ان يدخل من أسفل مكة من الليط في بعض الناس وكان معه أسلم وغفار ومزينة وجهينة وقبائل من العرب وهو أول يوم أمّر رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد ولما وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ذي طوى وقف على راحلته وهو معتجر بشقة برد حبرة أحمر وقد وضع رأسه تواضعا لله تعالى حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح حتى ان أسفل لحيته لتمس واسطة الرحل ثم تقدم ودخل من أذاخر باعلاها وضربت قبته هناك وكان عكرمة بن ابي جهل وصفوان بن أمية وسهيل بن عمرو قد جمعوا ناسا بالخندمة ليقاتلوا ومعهم الاحابيش وبنو بكر وبنو الحرث بن عبدمناة فلقيهم خالد بن الوليد فقاتلهم فقتل من المسلمين جابر بن جبيل الفهري وحبيش بن خالد وهو الاشعر الكعبي ومسلمة بن الميلاء وقتل من المشركين ثلاثة عشر رجلا ثم انهزم المشركون وكان مع عكرمة حماس بن قيس وكان قد قال لامرأته لا تينك بخادم من أصحاب محمد فلما عاد اليها منهزما قالت له تستهزئ به أين الخادم فقال

انك لوشهدت يوم الخندمه * اذفرّ صفوان وفرّ عكرمه
وأبو يزيد قائم كالموتمه * واستقبلتهم بالسيوف المسلمه
يقطعن كل ساعد وجمجمه * ضربا فلاتسمع الاغمغمه
لهم نهيت خلفنا وهمهمه * لم تنطق في اللوم أدنى كلمه

خلافة ومونة ثم ران وكان عمره ثلاثا وستين سنة وكانت خلافته تسعا وعشرين سنة وأربعة اشهر

(الفصل الرابع والعشرون في ذكر خلافة الطائع لله)

اسمه أبو بكر وقيل عبد الكريم بن المطيع بويع له بالخلافة يوم خلع أبوه نفسه من الخلافة وعمره ثلاث وأربعون سنة وكان مربوعا اشقر كبير الانف في خلقه حدة شديد القوة كريما شجاعا بطلا جوادا مسميا الاان يده قصيرة مع ملوك بني بويه وأمه ام ولد اسمها هزار نقش خاتمه الطائع لله *(وفي أيامه)* قطعت الخطبة من الحرمين الشريفين لبني العباس واقيمت للمعز العبيدي صاحب مصر والغرب واستولى عضد الدولة بن بويه على بغداد وملكها وخلع عليه الطائع الخلع السلطانية وتوجه وطوقه وسوره وعقد له لواءين ولامكان آبائه فلما جلس على سرير الملك قبض على الوزير أبي طاهر من وزراء عز الدولة فقتله وصلبه فرثاه أبو الحسن الانباري بمرثية وهي هذه

علو في الحياة وفي الممات
لحق انت احدى المعجزات

أبو يزيد هذا هو سهيل بن عمرو وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد الى أمرائه ان لا يقتلوا أحدا الا من قاتلهم فلما انهزم المشركون وأراد المسلمون دخول مكة قام فى وجوههم نساء مشركات يلطمن وجوه الخيل بالخمر وقد نشرن شعورهن فرآهن رسول الله صلى الله عليه وسلم والى جنبه أبو بكر فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا ابابكر كيف قال حسان فانشده

تكاد جيادنا مستمطرات * يلطمهن بالخمر النساء

(وكان رسول الله) صلى الله عليه وسلم قد أمر بقتل ثمانية رجال وأربع نسوة * فاما الرجال فمنهم عكرمة بن أبي جهل كان يشبه اباه فى ايذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وعداوته والانفاق على محاربته فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة خافه على نفسه فهرب الى اليمن وأسلمت امرأته ام حكيم بنت الحرث بن هشام فاستأمنت له وخرجت فى طلبه ومعها غلام لها رومى فراودها عن نفسها فاطمعته ولم تمنه حتى أتت حيا من العرب فاستعانتهم عليه فأوثقوه وادركت عكرمة وهو يريد ركوب البحر فقالت جئتك من عند أوصل الناس واحلمهم وأكرمهم وقد امنك فرجع وأخبرته خبر الرومى فقتله قبل أن يسلم فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم سرّ به فأسلم وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يستغفر له فاستغفر ومنهم صفوان بن أمية ابن خلف وكان أيضا شديدا على النبى صلى الله عليه وسلم فهرب خوفا منه الى جدة فقال عمير ابن وهب الجمحى يا رسول الله ان صفوان سيد قومى وقد خرج هاربا منك فامنه قال هو آمن وأعطاه عمامته التى دخل بها مكة ليعرف بها امانه فخرج بها عمير فادركه بجدة فأعلمه بامانه وقال انه أحلم الناس واوصلهم وانه ابن عمك وعزه عزك وشرفه شرفك قال انى أخافه على نفسى قال هو أحلم من ذلك فرجع صفوان وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا يزعم انك امنتنى قال صدق قال اجعلنى بالخيار شهرين قال أنت فيه أربعة أشهر فأقام معه كافرا وشهد معه حنينا والطائف ثم أسلم وحسن اسلامه وتوفى بمكة عند خروج الناس الى البصرة ليوم الجمل ومنهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح من بنى عامر بن لؤى وكان قد أسلم وكتب الوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان اذا أملى عليه عزيز حكيم يكتب عليم حكيم واشباه ذلك ثم ارتد وقال لقريش انى أكتب احرف محمد فى قرآنه حيث شئت ودينكم خير من دينه فلما كان يوم الفتح فر الى عثمان بن عفان وكان أخاه من الرضاعة فغيبه عثمان حتى اطمأن الناس ثم أحضره عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلب له الامان فصمت رسول الله صلى الله عليه وسلم طويلا ثم أمنه فأسلم وعاد فلما انصرف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه لقد صمت ليقتله أحدكم فقالوا هلا أومأت الينا فقال ما كان للنبى ان يقتل بالاشارة ان الانبياء لا يكون لهم خائنة الاعين ومنهم عبد الله بن خطل وكان قد أسلم فأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقا ومعه رجل من الانصار وغلام له رومى قد اسلم فكان الرومى يخدمه ويصنع الطعام فنسى يوما ان يصنع له طعاما فقتله وارتد وكان له قينتان تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتله سعيد بن حريث المخزومى أخو عمرو بن حريث وأبو برزة الأسلمى ومنهم الحويرث بن نقيد بن وهب بن عبد بن قصى وكان يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وينشد الهجاء فيه فلما كان يوم الفتح هرب من بيته فلقيه على بن أبى طالب فقتله ومنهم

كان الناس حولك حين قاموا
وفود نداك ايام الصلات
كانك قائم فيهم خطيبا
وكلهم قيام للصلاة
مددت يديك نحوهم احتفاء
كمدكها اليهم بالهبات
ولما ضاق بطن الارض عن ان
يضم علاك من بعد الممات
أصاروا الجو قبرك واستعاضوا
عن الاكفان ثوب السافيات
لعظمك فى النفوس بقيت ترعى
بحراس وحفاظ ثقات
ولم أر قبل جذعك قط جذعا
تمكن من عناق المكرمات
ومالك تربة فأقول تسقى
لانك نصب هطل الهاطلات
عليك تحية الرحمن تترى
برحمات غوادر ائحات

وفى سنة اثنتين وسبعين وثلثمائة مات عضد الدولة فولى الخليفة مكانه فى السلطنة ابنه صمصام الدولة واقبه شمس الملة وخلع عليه سبع خلع وقلده ما كان بيد أبيه وفى سنة ست وسبعين وثلثمائة قصد شرف الدولة أخاه صمصام الدولة فانتصر عليه وكحل عينيه ومال العسكر الى شرف الدولة وقدم بغداد وركب الخليفة اليه يهنئه بالسلامة وفى سنة تسع وسبعين وثلثمائة مات شرف الدولة وعهد الى أخيه ابى نصر فخلع عليه

مقيس بن صبابة وانما أمر بقتله لانه قتل الانصارى الذى قتل اخاه هشاما خطأ وارتد فلما انهزم أهل مكة يوم الفتح اختفى بمكان هو وجماعة وشربوا الخمر فعلم به نميلة بن عبد الله الكنانى فأتاه فضربه بالسيف حتى قتله ومنهم عبد الله بن الزبعرى السهمى وكان يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ويعظم القول فيه فهرب يوم الفتح هو وهبيرة بن أبى وهب المخزومى زوج أم هانئ بنت أبى طالب الى نجران فأما هبيرة فأقام مشركا حتى هلك وأما ابن الزبعرى فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتذر فقبل عذره فقال حين أسلم

يا رسول المليك ان لسانى * راتق ما فتقت اذ أنا بور
اذ أبارى الشيطان فى سنن الغى ومن مال ميله مثبور
آمن اللحم والعظام بربى * ثم نفسى الشهيد أنت النذير

فى اشعار له كثيرة يعتذر فيها ومنهم وحشى بن حرب قاتل حمزة فهرب يوم الفتح الى الطائف ثم قدم فى وفد أهله على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول أشهد ان لا اله الا الله وأشهد ان محمدا رسول الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم أوحشى قال نعم قال اخبرنى كيف قتلت عمى فاخبره فبكى وقال غيب وجهك عنى وهو أول من جلد فى الخمر وأول من لبس المعصفر المصقول فى الشام وهرب حويطب بن عبد العزى فرآه أبو ذر فى حائط فاخبر النبى صلى الله عليه وسلم بمكانه فقال أوليس قد امنا الناس الا من قد أمرنا بقتله فاخبره بذلك فجاء الى النبى فأسلم قيل انه دخل يوما على مروان بن الحكم وهو على المدينة فقال له مروان يا شيخ تأخر اسلامك فقال لقد هممت به غير مرة فكان يصدنى عنه أبوك * وأما النساء فهن هند بنت عتبة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بقتلها لما مثلت بحمزة ولما كانت تؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فجاءت اليه مع النساء متخفية فأسلمت وكسرت كل صنم فى بيتها وقالت لقد كنا منكم فى غرور واهدت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم جديين واعتذرت من قلة ولادة غنمها فدعا لها بالبركة فى غنمها فكثرت فكانت تهب وتقول هذا من بركة رسول الله صلى الله عليه وسلم فالحمد لله الذى هدانا للاسلام ومنهن سارة وهى مولاة عمرو بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف وهى التى حملت كتاب حاطب بن أبى بلتعة فى قول بعضهم وكانت قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلمة فوصلها فعادت الى مكة مرتدة فأمر بقتلها فقتلها على بن أبى طالب ومنهن قينتا عبد الله بن خطل وكانتا تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بقتلهما فقتلت احداهما واسمها قريبة وفرت الاخرى وتنكرت وجاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلمت وبقيت الى خلافة عمر بن الخطاب فأوطأها رجل فرسه خطأ فماتت وقيل بقيت الى خلافة عثمان فكسر رجل ضلعا من اضلاعها خطأ فماتت فاغرمه عثمان ديتها (ولما دخل رسول الله) صلى الله عليه وسلم مكة كانت عليه عمامة سوداء فوقف على باب الكعبة وقال لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده الا كل دم او مأثرة او مال يدعى فهو تحت قدمى هاتين الا سدانة البيت وسقاية الحج ثم قال يا معشر قريش ما ترون انى فاعل بكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم قال اذهبوا فانتم الطلقاء فعفا عنهم وكان الله قد امكنه منهم وكانوا له فيأ فلذلك سمى أهل مكة الطلقاء وطاف

بالكعبة

الثالثة ولقبه بهاء الدولة وضياء الملة وتقدم اصحاب بهاء الدولة فجذبوا الخليفة من سريره وتكاثر عليه الديلم فلفوه فى كساء ونهبوا دار الخلافة وخلع نفسه الطائع من الخلافة وذلك فى شعبان سنة احدى وثمانين وثلثمائة وأقام محبوسا معتقلا الى أن توفى ليلة عيد الفطر سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة فكانت خلافته سبع عشرة سنة وتسعة اشهر وعاش ثلاثا وسبعين سنة

* (الفصل الخامس والعشرون فى ذكر خلافة القادر بالله) *

اسمه أحمد ابو العباس بن اسحق بن المقتدر بويع له بالخلافة ليلة خلع عمه الطائع وعمره يومئذ اربع وأربعون سنة وكان ابيض كبير اللحية يخضبها وكان دائم التهجد كثير الصدقات وله دين متين ومولده سنة ست وثلاثين وثلثمائة وأمه امة اسمها يمنى تمنى شانعة القادر بالله وليس لمن الخلافة الا اسمها وكان مقهورا على امره توفى فى ذى القعدة سنة اثنتين وعشرين واربعمائة وهو ابن ست وثمانين سنة وكانت خلافته احدى واربعين سنة وشهورا

بالكعبة سبعا ودخلها وصلى فيها ورأى فيها صور الانبياء فأمر بها فمحيت وكان على الكعبة ثلثمائة وستون صنما وكان بيده قضيب فكان يشير به الى الاصنام وهو يقرأ جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا فلا يشير الى صنم منها الا سقط لوجهه وقيل بل أمر بها وخدمت وكسرت ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم للبيعة على الصفا وعمر بن الخطاب تحته واجتمع الناس لبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام فكان يبايعهم على السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا فكانت هذه بيعة الرجال واما بيعة النساء فانه لما فرغ من الرجال بايع النساء فاتاه منهن نساء من نساء قريش منهن أم هانئ بنت أبي طالب وأم حبيبة بنت العاص ابن أمية وكانت عند عمرو بن عبدود العامري وأروى بنت أبي العيص عمة عتاب بن أسيد وأخته عاتكة بنت أبي العيص وكانت عند المطلب بن أبي وداعة السهمي وأمه بنت عفان بن أبي العاص أخت عثمان وكانت عند سعد حليف بني مخزوم وهند بنت عتبة وكانت عند أبي سفيان ويسيرة بنت صفوان بن نوفل بن أسد بن عبد العزى وأم حكيم بنت الحرث بن هشام وكانت عند عكرمة بن أبي جهل وفاختة بنت الوليد بن المغيرة أخت خالد وكانت عند صفوان بن أمية بن خلف وريطة بنت الحجاج وكانت عند عمرو بن العاصي في غيرهن وكانت هند متنكرة لصنيعها بحمزة فهي تخاف ان تؤخذ به وقال لهن تبايعنني على أن لا تشركن بالله شيأ قالت هند انك والله لتأخذ علينا ما لا تأخذه على الرجال فسنؤتيكه قال ولا تسرقن قالت والله ان كنت لاصبت من مال ابى سفيان الهنة والهنة فقال ابو سفيان وكان حاضرا اما ما مضى فانت منه فى حل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اهند قالت أنا هند فاعف عما سلف عفا الله عنك قال ولا تزنين قالت وهل تزني الحرة قال ولا تقتلن أولادكن قالت ربيناهم صغارا وقتلتهم يوم بدر كبارا فانت وهم أعلم فضحك عمر قال ولا تأتين ببهتان تفترينه بين ايديكن وارجلكن قالت والله ان اتيان البهتان لقبيح وما تأمرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق قال ولا تعصينني فى معروف قالت ما جلسنا هذا المجلس ونحن نريد ان نعصيك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بايعهن واستغفر لهن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمس النساء ولا يصافح امرأة ولا تمسه امرأة الا امرأة احلها الله له أو ذات محرم ولما جاء وقت الظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا ان يؤذن على ظهر الكعبة وقريش فوق الجبال فمنهم من يطلب الامان ومنهم من قد أمن فلما اذن وقال اشهد ان محمدا رسول الله قالت جويرية بنت أبي جهل لقد أكرم الله أبي حين لم يشهد نهيق بلال فوق الكعبة وقيل انها قالت لقد رفع الله ذكر محمد واما نحن فسنصلي ولكنا لا نحب من قتل الاحبة وقال خالد بن أسيد اخو عتاب بن أسيد لقد اكرم الله ابي فلم ير هذا اليوم وقال الحرث بن هشام ليتني مت قبل هذا اليوم وقال جماعة نحو هذا القول ثم أسلموا وحسن اسلامهم رضي الله عنهم (واما الاسماء المشكلة فحاطب بن أبي بلتعة بالحاء والطاء المهملتين والباء الموحدة وبلتعة بالباء الموحدة وبعد اللام تاء مثناة من فوقها وعيينة بن حصن بضم العين المهملة وياءين مثناتين من تحت ثم نون تصغير عين وبديل بن ورقاء بضم الباء الموحدة وعتاب بالتاء فوقها نقطتان وآخره باء موحدة وأسيد بضم الهمزة وكسر السين) وقول أم سلمة ابن عمك وابن عمتك فتعني بابن عمه أبا سفيان بن الحرث بن عبد المطلب

(الفصل السادس والعشرون فى ذكر خلافة القائم بأمر الله)

اسمه عبد الله أبو جعفر بن القادر بالله بويع له بالخلافة عند موت ابيه وكان ولي عهده فى حياته وكان جميلا مليح الوجه ورعا دينا زاهدا عالما قوي اليقين بالله ولد فى نصف ذي القعدة سنة احدى وتسعين وثلثمائة وأمه ام ولد ارمنية اسمها بدر الدجى وقيل قطر الندى نقش خاتمه القائم بأمر الله كان كثير الصدقة مؤثرا للعدل والاحسان وقضاء الحوائج لا يرى المنع من شئ طلب منه وكان من خير الخلفاء ولم يزل امره مستقيما الى ان قبض عليه ارسلان التركي البساسيري وسيره الى عانة فحبسه بها فكتب الخليفة قصته ونفذها الى مكة فعلقت فى الكعبة مكتوب فيها الى الله العظيم من المسكين عبده اللهم انك العالم بالسرائر المطلع على الضمائر اللهم انك غني بعلمك واطلاعك على خلقك عن اعلامي هذا عبد قد كفر نعماءك وما شكرها والغى العواقب وما ذكرها اطغاه حلمك حتى تعدى علينا بغيا واساء الينا عتوا وعدوانا اللهم قل الناصر

وابن عمته عبد الله بن أبي أمية وهو أخوها لابيها وكانت امه عاتكة بنت عبد المطلب وقوله قال في حكم ما قال فانه قال يحكى لن نؤمن لك حتى ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وقد غلط هنا بعض العلماء الكبار فقال معنى قول أم سلمة ابن عمتك ان جدته التي أم عبد الله كانت مخزومية وعبد الله بن أبي امية مخزومي فعلى هذا يكون ابن خالته لا ابن عمته والصواب ما ذكرناه (وحبيش بن خالد بضم الحاء المهملة وبالباء الموحدة ثم بالياء المثناة من تحت وآخره شين معجمة ومقيس بن صبابة بكسر الميم وسكون القاف وبالياء المثناة من تحت المفتوحة وآخره سين مهملة وصبابة بضم الصاد المهملة وباءين موحدتين بينهما ألف خطم الجبل روى بالخاء المعجمة وبالحاء المهملة فاما بالمعجمة فهو الانف الخارج من الجبل واما بالحاء المهملة فهو الموضع الذي انثلم منه وقطع فبقي منقطعا وقد روى حطم الخيل بالحاء المهملة والخيل هذه هي التي تركب يعني انه يحبسه في الموضع الضيق الذي يحطم الخيل فيه بعضها بعضا لضيقها)

(ذكر غزوة خالد بن الوليد بني جذيمة)

وفي هذه السنة كانت غزوة خالد بن الوليد بني جذيمة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث السرايا بعد الفتح فيما حول مكة يدعون الناس الى الاسلام ولم يأمرهم بقتال وكان ممن بعث خالد بن الوليد بعثه داعيا ولم يبعثه مقاتلا فنزل على الغميصاء ماء من مياه جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة وكانت جذيمة أصابت في الجاهلية عوف بن عبد عوف أبا عبد الرحمن بن عوف والفاكه بن المغيرة عم خالد كانا أقبلا من اليمن فأخذت ما معهما فلما نزل خالد ذلك الماء أخذ بنو جذيمة السلاح فقال خالد ضعوا السلاح فان الناس قد أسلموا فوضعوا السلاح فامر خالد بهم فكتفوا ثم عرضهم على السيف فقتل منهم من قتل فلما انتهى الخبر الى النبي صلى الله عليه وسلم رفع يديه الى السماء ثم قال اللهم اني ابرأ اليك مما صنع خالد ثم أرسل عليا ومعه مال وأمره ان ينظر في أمرهم فودى لهم الدماء والاموال حتى انه ليدي ميلغة الكلب وبقي معه من المال فضلة فقال لهم علي هل بقي لكم مال أو دم لم يود قالوا لا قال فاني أعطيكم هذه البقية احتياطا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ففعل ثم رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال أصبت وأحسنت وقيل ان خالدا اعتذر وقال ان عبد الله بن حذافة السهمي أمرني بذلك عن رسول الله وكان بين عبد الرحمن بن عوف وخالد كلام في ذلك فقال له عملت بأمر الجاهلية في الاسلام فقال خالد انما ثأرت بابيك فقال عبد الرحمن كذبت قد قتلت أنا قاتل أبي ولكنك انما ثأرت بعمك الفاكه حتى كان بينهم ما شر فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مهلا يا خالد دع عنك أصحابي فوالله لو كان لك أحد ذهبا ثم انفقته في سبيل الله ما أدركت غدوة أحدهم ولا روحته قال عبد الله بن أبي حدرد الاسلمي كنت يومئذ في جند خالد فاثرنا في اثر ظعن مصعدة يسوقها فتية فقال أدركوا اولئك قال فخرجنا في أثرهم حتى أدركناهم مضوا ووقف لنا غلام شاب على الطريق فلما انتهينا اليه جعل يقاتلنا ويقول

ارخين اطراف الذيول وارتعن * مشي حييات كأن لم تفزعن
* ان تمنع اليوم النساء تمنعن *

فقاتلناه طويلا فقتلناه ومضينا حتى لحقنا الظعن فخرج الينا غلام كأنه الاول فجعل يقاتلنا

ويقول

وامير الظالم وانت المطاع العالم المنصف الحاكم بالمنتقم عليه واليك نهرب من يديه فقد تعزز علينا بالمخلوقين ونحن نعتز بك وقد قصدنا اليك وتوكلنا في انصافنا منه عليك ورفعنا ظلامتنا هذه الى حرمك ووثقنا في كشفها بكرمك فاحكم بيننا بالحق وأنت خير الحاكمين فانتصر له ماجرى لملك فطغرلبك ارسلان وقتله ورد الخليفة الى مكانه مكرما ولما رجع الخليفة الى داره لم ينم بعدها الا على سجادة من غير فراش ولم يضع رأسه على مخدة ولزم الصيام والقيام وعفا عن كل من آذاه ولم يسترد شيئا مما نهب من قصره الا بالثمن وقال هذه أشياء احتسبناها عند الله (ومن الحوادث في أيامه) كان ابتداء دولة السلجوقية وانقراض دولة بني بويه وكان الغلاء بمصر الذي ما عهد مثله منذ زمان يوسف الصديق عليه السلام فاقام سبع سنين حتى أكل الناس بعضهم بعضا وقيل انه بيع رغيف بخمسين دينارا وبلغ الاردب مائة دينار وبيع الكلب بخمسة دنانير وفي مرآة الزمان ان امرأة خرجت من القاهرة ومعها مد جوهر فقالت من يأخذه

ويقول

اقسم ما ان خادر ذو لبدة * يروم بين اثلة ووهدة
يفرس شبان الرجال وحده * باصدق الغداة منى نجده

فقاتلناه حتى قتلناه وأدركنا الظعن فاخذناهن فاذا فيهن غلام وضىء الوجه به صفرة كالمنهوك فربطناه بحبل وقدمناه لنقتله فقال انا هل لكم فى خير قلنا ما هو قال تدركون بى الظعن فى أسفل الوادى ثم تقتلونى قلنا نفعل فعارضنا الظعن فلما كان بحيث يسمعن الصوت نادى باعلى صوته اسلمى حبيش فقد فقد العيش فاقبلت اليه جارية بيضاء حسانة وقالت وأنت فاسلم على كثرة الاعداء وشدة البلاء قال سلام عليك دهرا وان بقيت عصرا قالت وأنت سلام عليك عشرا وشفعا تترى وثلاثا وترا فقال

ان يقتلونى يا حبيش فلم يدع * هواك لهم منى سوى غلة الصدر
فأنت التى أخليت لحمى من دمى * وعظمى واسبلت الدموع على نحرى

(فقالت له)

ونحن بكينا من فراقك مرة * واخرى وواسيناك فى العسر واليسر
وأنت فلم تبعد فنعم فتى الهوى * جميل العفاف والمودة فى ستر

(فقال لها)

أريتك ان طالبتكم فوجدتكم * بحلية أو الفيتكم بالخوانق
ألم يك حقا ان ينول عاشق * تكلف ادلاج السرى فى الودائق
فلا ذنب لى قد قلت اذ نحن جيرة * اثيبى بود قبل احدى الصفائق
اثيبى بود قبل ان يشحط النوى * وينأى لامر بالحبيب المفارق
فانى لا يه بالذى أرعينه * ولامنظر مذ غبت عنى برائق
على ان ما نابت العشيرة شاغل * ولا ذكر الا ذكر هيمان وامق

فقدموه فضربوا عنقه هذا الشعر لعبد الله بن علقمة الكنانى وكان من حديثه مع حبيشة بنت حبيش الكنانية انه خرج مع أمه وهو غلام نحو المحتلم لتزور جارة لها وكان لها ابنة اسمها حبيشة بنت حبيش فلما رآها عبد الله هويها ووقعت فى نفسه وأقامت أمه عند جارتها وعاد عبد الله الى أهله ثم عاد ليأخذ أمه بعد يومين فوجد حبيشة قد تزينت لامر كان فى الحى فازداد بها عجبا وانصرفت امه فمشى معها وهو يقول

وماأدرى بلى انى لادرى * أصوب القطر احسن ام حبيش
حبيشة والذى خلق البرايا * وما ان عندنا للصب عيش

فسمعت أمه فتغافلت عنه ثم انه رأى ظبيا على ربوة فقال

ياامنا خبرينى غير كاذبة * وما يريد سؤول الحق بالكذب
اتلك أحسن ام ظبى برابية * لابل حبيشة فى عينى وفى ارب

فزجرته أمه وقالت ما انت وهذا وانا قد زوجتك ابنة عمك فهى من أجمل تلك النساء وانت امرأة عمه فأخبرتها الخبر وقالت زينى ابنتك له ففعلت وادخلتها عليه فاطرق فقالت أمه أيهما الآن أحسن فقال

جذبر فلم يلتفت اليها احد وفى سنة ثمان وخمسين وأربعمائة ولدت بباب الازج ببغداد صغيرة لها رأسان ووجهان ورقبتان على بدن واحد وفيها ظهر كوكب كانه دائرة القمر ليلة تمامه بشعاع عظيم وهال الناس ذلك وأقام عشر ليال ثم تناقص ضوءه وغاب وفى سنة ستين وأربعمائة كانت بالرملة الزلزلة الهائلة التى أخربتها حتى طلع الماء من رؤس الآبار وهلك من أهلها خمسة وعشرون ألفا وابعد البحر عن ساحله مسيرة يوم فنزل الناس الى أرضه يلتقطون السمك فرجع الماء عليهم فاهلكهم وفى سنة احدى وستين وأربعمائة احترق جامع دمشق وزالت محاسنه وتشوه منظره وذهبت سقوفه المذهبة وفى سنة خمس وستين وأربعمائة قتل السلطان الب أرسلان وقام فى الملك ولده ملك شاه ولقب جلال الدولة وفى سنة ست وستين وأربعمائة كان الغرق العظيم ببغداد وزادت دجلة ثلاثين ذراعا ولم يقع مثل ذلك قط وهلكت الاموال والانفس والدواب وركب الناس فى السفن واقيمت الجمعة فى الطيار على ظهر

اذا غبت عن حبيشة مرة * من الدهر لا أملك عزاء ولا صبرا
كأن المشاعر السمر تحته * وقود الغضا والقلب مضطرم الجمرا

وجعل يراسل الجارية وتراسله فعلقته كما علقها وأكثر قول الشعر فيها فمن ذلك

حبيشة جدى وجدك جامع * يشملكم شملى وأهلكم أهلى
وهل أنا ملتف بثوبك مرة * بصحراء بين الالبتين الى النخل

فلما علم أهلها ما خبرها حجبوها عنه فازداد غراما فقالوا لها عديه السرحة فاذا أتاك فقولى له نشدتك الله ان أحببتنى فوالله ما على الارض أبغض الى منك ونحن قريب نسمع ما تقولين فوعدته وجلسوا قريبا فاقبل لموعدها فلما دنا منها دمعت عيناها والتفتت الى جنب أهلها وهم جلوس فعرف انهم قريب وبلغها الحال فقال

فان تك ما قالوا لقد زدتنى جوى * على انه لم يبق ستر ولا سر
ولم يك حى عن نوالك بذلته * فيسلينى عنك التجنب والهجر
وما انس للاشياء لا انس ومقها * ونظرتها حتى يغيبنى القبر

وبعث النبى صلى الله عليه وسلم اثر ذلك خالد بن الوليد فكان منه ما تقدم ذكره وفى هذه السنة تزوج النبى صلى الله عليه وسلم مليكة ابنة داود الليثية وكان أبوها قتل يوم فتح مكة فجاء اليها بعض أزواج النبى صلى الله عليه وسلم فقلن لها الا تستحين تزوجين رجلا قتل أباك فاستعاذت منه ففارقها وفيها هدم خالد بن الوليد العزى ببطن نخلة لخمس ليال بقين من رمضان وكان هذا البيت تعظمه قريش وكنانة ومضر كلها وكان سدنتها بنو شيبان بن سليم حلفاء بنى هاشم فلما سمع صاحبها بمسير خالد بن الوليد اليها علق عليها سيفه وقال

أيا عز شدى شدة لا سوى لها * على خالد ألقى القناع وشمرى

فلما انتهى خالد اليها جعل السادن يقول أعزى بعض غضباتك فخرجت امرأة سوداء حبشية عريانة مولولة فقتلها وكسر الصنم وهدم البيت ثم رجع الى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال تلك العزى لا تعبد أبدا وفيها هدم عمرو بن العاص سواع وكان برهاط لهذيل فلما كسر الصنم أسلم سادنه ولم يجد فى خزانته شيأ وفيها هدم سعد بن زيد الاشهلى مناة بالمشلل

(ذكر غزوة هوازن بحنين)

وكانت فى شوال وسببها انه لما سمعت هوازن بما فتح الله على رسوله من مكة جمعها مالك بن عوف النصرى من بنى نصر بن معاوية بن بكر وكانوا مشفقين من ان يغزوهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد فتح مكة وقالوا لا مانع له من غزونا والرأى ان نغزوه قبل ان يغزونا واجتمع اليه ثقيف يقودها قارب بن الاسود بن مسعود سيد الاحلاف وذو الخمار سبيع بن الحرث وأخوه الاحمر بن الحرث سيد بنى مالك ولم يحضرها من قيس عيلان الا نصر وجشم وسعد بن بكر وناس من بنى هلال ولم يحضرها كعب ولا كلاب وفى جشم دريد بن الصمة شيخ كبير ليس فى شئ الا التيمن برأيه وكان شيخا مجربا فلما أجمع مالك بن عوف المسير الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حط مع الناس أموالهم ونساءهم فلما نزلوا أوطاس جمع الناس وفيهم دريد بن الصمة فقال دريد بأى واد أنتم فقالوا باوطاس قال نعم مجال الخيل لا حزن ضرس ولا سهل دهس مالى أسمع رغاء

البعير

المأمونية وصارت بغداد ملقة واحدة وانهدم مائة ألف دار وأكثر وفى سنة سبع وستين وأربعمائة مات الخليفة وذلك انه افتصد ونام فانحل موضع الفصد وخرج منه دم كثير فاستيقظ وقد انحلت قوته فارسى ثم توفى ليلة الخميس الثالث عشر من شعبان من السنة المذكورة فكانت خلافته خمسا وأربعين سنة وله من العمر سبع وسبعون سنة وله وقايع يضيق هذا الكتاب عن ايرادها

(الفصل السابع والعشرون فى ذكر خلافة المقتدى بأمر الله)

اسمه عبد الله أبو القاسم بن محمد بن القائم بويع له بالخلافة يوم وفاة جده القائم بأمر الله وكان دينا خيرا قوى النفس على الهمة من نجباء بنى العباس وكانت قواعد الخلافة فى أيامه باهرة وافرة الحرمة وأمه ام ولد اسمها ارجوان نقش خاتمه المقتدى بأمر الله (ومن محاسنه) انه نفى المغنيات والخواطى من بغداد وأمر ان لا يدخل احد الحمام الا بمئزر وخرب ابراج الحمام صيانة لحرم الناس (ومن الحوادث فى أيامه) ارسل السلطان

البعير ونهاق الحمير ويعار الشاء وبكاء الصغير قالوا ساق مالك مع الناس ذلك فقال يا مالك ان هذا يوم له ما بعده ما حملك على ما صنعت قال سقتهم مع الناس ليقاتل كل انسان عن حريمه وماله قال دريد راعي ضأن والله هل يرد المنهزم شيء ان كانت لك لم ينفعك الا رجل بسيفه ورمحه وان كانت عليك فضحت في أهلك ومالك وقال ما فعلت كعب وكلاب قالوا لم يشهدها أحد منهم قال غاب الجد والحد لو كان يوم علاء ورفعة لم تغب عنه كعب ولا كلاب ووددت انكم فعلتم ما فعلا ثم قال يا مالك ارفع من معك الى عليا بلادهم ثم الق القوم على متون الخيل فان كانت لك لحق بك من وراءك وان كانت عليك كنت قد أحرزت أهلك ومالك قال مالك والله لا أفعل ذلك انك قد كبرت وكبر عقلك والله لتطيعنني يا معشر هوازن أو لاتكئن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري وكره ان يكون لدريد فيها ذكر فقال دريد هذا يوم لم أشهده ولم يفتني ثم قال مالك أيها الناس اذا رأيتم القوم فاكسروا جفون سيوفكم وشدوا عليهم شدة رجل واحد وبعث مالك عيونه ليأتوه بالخبر فرجعوا اليه وقد تفرقت أوصالهم فقال ما شأنكم قالوا رأينا رجالا بيضا على خيل بلق فوالله ما تماسكنا ان حل بنا ما ترى فلم ينهه ذلك ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر هوازن أجمع المسير اليهم وبلغه ان عند صفوان بن أمية ادراعا وسلاحا فارسل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ مشرك أعرنا سلاحك نلق فيه عدونا فقال له صفوان أغصبا يا محمد فقال بل عارية مضمونة نؤديها اليك قال ليس بهذا بأس فاعطاه مائة درع بما يصلحها من السلاح ثم سار النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ألفان من مسلمة الفتح مع عشرة آلاف من أصحابه فكانوا اثني عشر ألفا فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم كثرة من معه قال لن نغلب اليوم من قلة وذلك قوله تعالى ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيأ وقيل انما قالها رجل من بكر واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على من بمكة عتاب بن أسيد قال جابر فلما استقبلنا وادي حنين انحدرنا في واد أجوف حطوط انما ننحدر فيه انحدارا في عماية الصبح وكان القوم قد سبقونا الى الوادي فكمنوا لنا في شعابه ومضايقه قد تهيؤا وأعدوا فوالله ما راعنا ونحن منحطون الا الكتائب قد شدت علينا شدة رجل واحد فانهزم الناس أجمعون لا يلوي احد على احد وانحاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات اليمين ثم قال أيها الناس هلموا الي انا رسول الله أنا محمد بن عبد الله قاله ثلاثا ثم احتملت الابل بعضها بعضا الا انه قد بقي مع النبي صلى الله عليه وسلم نفر من المهاجرين والانصار وأهل بيته منهم أبو بكر وعمر وعلي والعباس وابنه الفضل وأبو سفيان بن الحرث وربيعة بن الحرث وأيمن بن ام أيمن وأسامة بن زيد قال وكان رجل من هوازن على جمل احمر بيده راية سوداء امام الناس فاذا أدرك رجلا طعنه ثم رفع رايته لمن وراءه فاتبعوه فحمل عليه علي فقتله ولما انهزم الناس تكلم رجال من أهل مكة بما في أنفسهم من الضغن فقال أبو سفيان بن حرب لا تنتهي هزيمتهم دون البحر والازلام معه وقال كلدة بن الحنبل وهو أخو صفوان بن أمية لامه وكان صفوان ابن أمية يومئذ مشركا الآن بطل السحر فقال صفوان اسكت فض الله فاك فوالله لئن يربني رجل من قريش أحب الي من ان يربني رجل من هوازن وقال شيبة بن عثمان اليوم أدرك ثاري من محمد وكان أبوه قتل بأحد قال فادرت به لاقتله فاقبل شيء حتى تغشى فؤادي فلم أطق

ملكشاه السلجوقي الى الخليفة يقول لابد ان تترك لي بغداد وتذهب الى آي بلد شئت فانزعج الخليفة وقال أمهلني ولو شهرا واحدا فقال ولا ساعة واحدة وأرسل الخليفة الى وزير السلطان فطلب المهلة الى عشرة أيام ثم ان المقتدي لبس جبة الصوف وجعل يصوم فاذا أفطر جلس على الرماد وصلى ودعا على السلطان فمات السلطان في اليوم العاشر وسلطن الخليفة ولده محمودا وهو ابن خمس سنين ولقبه ناصر الدنيا والدين ثم مات الخليفة من غد فجأة وقيل ان جاريته شمس النهار سمته وكان عمره ثلاثا وثلاثين سنة وكانت خلافته ست عشرة سنة وأشهرا

(الفصل الثامن والعشرون في ذكر خلافة المستظهر بالله)

اسمه احمد أبو العباس بن المقتدي بويع له بالخلافة عند وفاة أبيه وله ست عشرة سنة وكان لين الجانب كريم الاخلاق سمحا جوادا محبا للعلماء والصلحاء ولد في شوال سنة سبعين وأربعمائة وأمه امة اسمها زهرة نقش خاتمه المستظهر بالله (ومن الحوادث في ايامه) مانقله السيوطي في تاريخه ان في

(ذكر قسمة غنائم حنين)

لما رحل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف سار حتى نزل الجعرانة واتته وفود هوازن بالجعرانة وقد أسلموا فقالوا يا رسول الله انا اصل وعشيرة وقد اصابنا ما لم يخف عليك فامنن علينا من الله عليك وقام زهير أبو صرد من بني سعد بن بكر وهم الذين ارضعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انما في الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك ولو انا أرضعنا الحرث بن ابي شمر الغساني او النعمان بن المنذر لرجونا عطفه وانت خير المكفولين ثم قال

امنن علينا رسول الله في كرم * فانك المرء نرجوه وننتظر
امنن على نسوة قد عاقها قدر * ممزق شملها في دهرها غير

في أبيات فخيرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أبنائهم ونسائهم وبين أموالهم فاختاروا أبناءهم ونساءهم فقال اما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم فاذا انا صليت بالناس فقولوا انا نستشفع برسول الله الى المسلمين وبالمسلمين الى رسول الله في أبنائنا ونسائنا فساعطيكم واسأل فيكم فلما صلى الظهر فعلوا ما أمرهم به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم وقال المهاجرون والانصار ما كان لنا فهو لرسول الله وقال الاقرع ابن حابس ما كان لي ولبني تميم فلا وقال عيينة بن حصن ما كان لي ولفزارة فلا وقال عباس ابن مرداس ما كان لي ولسليم فلا فقالت بنو سليم ما كان لنا فهو لرسول الله فقال وهنتموني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تمسك بحقه من السبي فله بكل انسان ست فرائض من أول شيء نصيبه فردوا على الناس أبناءهم ونساءهم وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مالك بن عوف فقيل انه بالطائف فقال أخبروه انه ان اتاني مسلما رددت عليه أهله وماله وأعطيته مائة بعير فأخبر مالك بذلك فخرج من الطائف سرا ولحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وحسن اسلامه واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه وعلى من أسلم من تلك القبائل التي حول الطائف فاعطاه أهله وماله ومائة بعير وكان يقاتل بمن أسلم معه من ثمالة وفهم وسلمة ثقيفا لا يخرج لهم سرح الا اغار عليه حتى ضيق عليهم ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من رد سبايا هوازن ركب واتبعه الناس يقولون يا رسول الله اقسم علينا فيئنا حتى الجؤه الى شجرة فاختطفت رداءه فقال ردوا علي ردائي أيها الناس فوالله لو كان لي عدد شجر تهامة نعما لقسمتها عليكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا جبانا ولا كذابا ثم رفع وبرة من سنام بعير وقال ليس لي من فيئكم ولا هذه الوبرة الا الخمس والخمس مردود عليكم ثم اعطى المؤلفة قلوبهم وكانوا من اشراف الناس يتألفهم على الاسلام فاعطى أبا سفيان وابنه معاوية وحكيم بن حزام والعلاء بن جارية الثقفي والحرث بن هشام وصفوان بن أمية وسهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى وعيينة ابن حصن والاقرع بن حابس ومالك بن عوف النصري كل واحد منهم مائة بعير وأعطى دون المائة رجالا منهم مخرمة بن نوفل الزهري وعمير بن وهب وهشام بن عمرو وسعيد بن يربوع واعطى العباس بن مرداس أباعر فسخطها وقال

كانت نهابا تلافيتها * بكري على المهر في الاجرع
وايقاظي القوم ان يرقدوا * اذا هجع الناس لم اهجع

وغدر بالخليفة أكثر عسكره فظفر به السلطان مسعود فامره وأسر خواصه وحبسهم بقلعة بقرب همدان فبلغ أهل بغداد ذلك فحثوا على رؤوسهم التراب في الاسواق وبكوا وضجوا وخرجت النساء حاسرات يندبن الخليفة ومنعوا الصلاة والخطبة وكسروا منابر الجوامع قال ابن الجوزي وزلزلت بغداد مرارا كثيرة والناس يستغيثون فارسل السلطان سنجر الى ابن أخيه مسعود يقول ساعة وقوف الولد على هذا الكتاب يدخل على أمير المؤمنين ويقبل الارض بين يديه ويسأل العفو والصفح فقد ظهر عندنا من الآيات السماوية والارضية مالا طاقة لنا بسماع مثلها فضلا عن المشاهدة من العواصف والبروق والزلازل وتشويش العساكر وانقلاب البلدان ولقد خفت على نفسي من جانب الله تعالى وظهور آياته وامتناع الناس من الصلوات في الجوامع ومنع الخطباء مالا طاقة لي به فالله الله تلافى أمرك وتعيد أمير المؤمنين الى مقر عزه وتحمل الغاشية بين يديه كما جرت به عادة السلاطين من قبلنا ففعل السلطان مسعود

فاصبح نهبي ونهب العبيـد بين عيينـة والاقـرع
وقد كنت في الحرب ذا تدرأ * فلم أعط شيأ ولم أمنع
الاأفائــل اعطيتها * عديد قوائمه الاربع
وما كان حصن ولاحابس * يفوقان مرداس في المجمع
وما كنت دون امرئ منهما * ومن تضع اليوم لايرفع

فأعطاه حتى رضي وقال رجل من الصحابة يارسول الله أعطيت عيينة والاقرع وتركت جعيل ابن سراقة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لجعيل خير من طلاع الارض رجالا كلهم مثل عيينة والاقرع ولكني تألفتهما وكلت جعيلا الى اسلامه وقيل ان ذا الخلو يصرة التميمي في هذه القسمة قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لم تعدل اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يعدل اذا لم أعدل فقال عمر بن الخطاب الاتقتله فقال دعوه ستكون له شيعة يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية وقيل ان هذا القول انما كان في مال بعث به علي من اليمن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمه بين جماعة منهم عيينة والاقرع وزيد الخيل قال ابو سعيد الخدري لما أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطى من تلك الغنائم في قريش وقبائل العرب ولم يعط الانصار شيأ وجدوا في أنفسهم حتى قال قائلهم لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه فاخبر سعد بن عبادة رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال له فاين انت من ذلك ياسعد قال ما أنا الامن قومي قال فاجمع قومك لي فجمعهم فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماحديث بلغني عنكم الم آتكم ضلالا فهداكم الله بي وفقراء فأغناكم الله بي وأعداء فألف الله بين قلوبكم بي قالوا بلى والله يارسول الله ولله ولرسوله المن والفضل فقال الاتجيبوني قالوا بماذا نجيبك فقال والله لوشئتم لقلتم فصدقتم اتيتنا مكذبا فصدقناك ومخذولا فنصرناك وطريدا فآويناك وعائلا فواسيناك أوجدتم يامعشر الانصار في أنفسكم في لماعة من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا ووكلتكم الى اسلامكم أفلا ترضون ان يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله الى رحالكم والذي نفسي بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار ولوسلك الناس شعبا وسلكت الانصار شعبا لسلكت شعب الانصار اللهم ارحم الانصار وابناء الانصار وابناء ابناء الانصار قال فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم وقالوا رضينا برسول الله قسما وحظا وتفرقوا ثم اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجعرانة وعاد الى المدينة واستخلف على مكة عتاب بن أسيد وترك معه معاذ بن جبل يفقه الناس وحج عتاب بن أسيد بالناس وحج الناس تلك السنة على ما كانت العرب تحج وعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة في ذي القعدة أو ذي الحجة * وفيها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو ابن العاص الى جيفر وعباد ابني الجلندى من الازد بعمان مصدقا فأخذ الصدقة من أغنيائهم وردها على فقرائهم وأخذ الجزية من المجوس وهم كانوا أهل البلد وكان العرب حولها وقيل سنة سبع * وفيها تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم الكلابية واسمها فاطمة بنت الضحاك بن سفيان فاختارت الدنيا وقيل انها استعاذت منه ففارقها * وفيها ولدت مارية ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم في ذي الحجة فدفعه الى أم بردبنت المنذر الانصارية

جميع ما أمر به وهم قيام في قبة اذ هجم سبعة عشر رجلا من الباطنية على الخليفة وهو في خيمته فقتلوه وقتلوا معه جماعة من أصحابه فما شعر بهم العسكر الا وقد فرغوا من شغلهم فأخذوهم وقتلوهم فلما وصل الخبر الى بغداد اشتد ذلك على الناس وخرجوا حفاة مخرقين الثياب والنساء ناشرات الشعور يلطمن على خدودهن ويقلن المراثي لان المسترشد كان محببا فيهم ومن شعره

أنا الاشقر المدعو بي في الملاحم
ومن يملك الدنيا بغير مزاحم
ستبلغ أرض الروم خيلي وتنتضي
بأقصى بلاد الصين بيض صوارمي

وكان قتله بمراغة يوم الخميس سادس عشر ذي القعدة سنة تسع وعشرين وخمسمائة وعاش أربعا وأربعين سنة فكانت خلافته سبع عشرة سنة وثمانية شهور

(الفصل الثلاثون في ذكر خلافة الراشد بالله)

اسمه منصور وأبو جعفر بن المسترشد بويع له بالخلافة يوم وفاة أبيه بعهد منه وكان شابا أبيض مليحا تام الشكل شديد البطش شجاع النفس حسن السيرة

وزوجها البراء بن أوس الانصارى وكانت قابلتها سلمى مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسلت ابا رافع الى النبى صلى الله عليه وسلم يبشره بابراهيم فوهب له مملوكا وغار نساء النبى صلى الله عليه وسلم وعظم عليهن حين رزقت مارية منه ولدا * وفيها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن عمير الى ذات اطلاح من الشام الى نفر من قضاعة يدعوهم الى الاسلام ومعه خمسة عشر رجلا فوصل اليهم فدعاهم الى الاسلام فلم يجيبوه وكان رئيس قضاعة رجلا يقال له سدوس فقتلوا المسلمين ونجا عمير فتقدم الى المدينة * وفيها بعث أيضا عيينة بن حصن الفزارى الى بنى العنبر من تميم فاغار عليهم وسبى منهم نساء وكان على عائشة عتق رقبة من بنى اسمعيل فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا سبى بنى العنبر يقدم علينا فنعطيك انسانا فتعتقيه

(ثم دخلت سنة تسع)

(ذكر اسلام كعب بن زهير)

قيل خرج كعب بن زهير بن أبى سلمى وابو سلمى ربيعة المزنى ومعه أخوه بجير حتى اتيا ابرق العزاف فقال له بجير اثبت فى غنمنا حتى آتى هذا الرجل يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسمع منه فأقام كعب وسار بجير الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وبلغ ذلك كعبا فقال

الا أبلغا عنى بجيرا رسالة * فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا
سقاك بها المأمون كأسا روية * فانهلك المأمون منها وعلكا
ففارقت اسباب الهدى واتبعته * على اى شئ ويب غيرك دلكا
على خلق لم تلف أما ولا أبا * عليه ولم تدرك عليه أخا لكا
فان انت لم تفعل فلست بآسف * ولا قائل اما عثرت لعا لكا

فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله غضب واهدر دمه فكتب بذلك بجير الى أخيه بعد عود رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف وقال النجاء النجاء وما أدرى ان تنفلت ثم كتب اليه اذا أتاك كتابى هذا فاسلم وأقبل اليه فانه لا يأخذ مع الاسلام بما كان قبله فأسلم كعب وجاء حتى اناخ راحلته بباب المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه قال كعب فعرفته بالصفة فتخطيت الناس اليه فاسلمت وقلت الامان يا رسول الله هذا مقام العائذ بك قال من انت فقلت كعب بن زهير قال الذى يقول ثم التفت الى أبى بكر فقال كيف قال فأنشده أبو بكر الابيات التى أولها * ألا أبلغا عنى بجيرا رسالة * فقال كعب ما هكذا قلت يا رسول الله انما قلت

سقاك أبو بكر بكأس روية * فانهلك المأمون منها وعلكا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مأمون والله فتجهمته الانصار وأغلظت له ولانت له قريش وأحبت اسلامه فأنشده قصيدته التى أولها

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول * متيم عندها لم يفد مكبول

فلما انتهى الى قوله

وقال كل خليل كنت آمله * لا ألهينك انى عنك مشغول
فقلت خلوا سبيلى لا ابا لكم * فكل ما قدر الرحمن مفعول
كل ابن انثى وان طالت سلامته * يوما على آلة حدباء محمول

بنواد اكرما فتمكنها ولدست النين وخمسمائة ولد وبقال انه ولد مسدودا فاحضروا الاطباء وفتح له مخرج بآلة من الذهب فنقع نقش خاتمه الراشد بالله * (ومن الحوادث فى أيامه) * ما ذكره السيوطى فى تاريخه انه ارتفع سحاب امطر بلد الموصل نارا أحرقت من البلد مواضع ودورا كثيرة وظهر ببغداد عقارب طيارة لها شوكان وخاف الناس منها وقد قتلت جماعة من الاطفال وفى ذى الحجة سنة ثلاث وخمسمائة وقع بينه وبين الملك مسعود السلجوقى فقصده الملك بجيوش عظيمة فخرج الراشد من بغداد وتوجه الى السلطان زنكى بن آق سنقر بالموصل فأقام عنده ودخل السلطان مسعود بغداد واستمال الرعية ونهب دار الخلافة وأحضر القضاة والشهود فقدحوا فى الراشد انه صدرت منه سيرة قبيحة من سفك الدماء المحرمة وارتكاب المنكرات وفعل ما لا يجوز فعله وشهدوا عليه بذلك فحكم قاضى قضاة المالكية وهو ابن الكرخى بخلعه فخلعوه لاربع عشرة خلت من ذى القعدة سنة ثلاثين وخمسمائة

نبئت ان رسول الله أوعدنى * والعفو عند رسول الله مأمول

ثم قال

فى فتية من قريش قال قائلهم * ببطن مكة لما أسلموا زولوا
زالوا فما زال انكاس ولا كشف * عند اللقاء ولا ميل معازيل

فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قريش فاومأ اليهم ان اسمعوا حتى قال

يمشون مشى الجمال الزهر يعصمهم * ضرب اذا عرد السود التنابيل
لا يقع الطعن الا فى نحورهم * وما لهم عن حياض الموت تهليل

يعرض بالانصار لغلظتهم التى كانت عليه فانكرت قريش قوله وقالوا لم تمدحنا اذ هجوتهم ولم يقبلوا ذلك منه وعظم على الانصار هجوه فشكوه فقال يمدحهم

من سره كرم الحياة فلا يزل * فى مقنب من صالحى الانصار
ورثوا المكارم كابرا عن كابر * ان الخيار هم بنو الاخيار
الناظرون بأعين محمرة * كالجمر غير كليلة الابصار
الباذلون نفوسهم ودماءهم * يوم الهياج وسطوة الجبار
يتطهرون يرونه نسكا لهم * بدماء من قتلوا من الكفار

فى ابيات فكساه النبى صلى الله عليه وسلم بردة كانت عليه فلما كان زمن معاوية أرسل الى كعب ان بعنا بردة رسول الله فقال ما كنت لاوثر بثوب رسول الله أحدا فلما مات كعب اشتراها معاوية من أولاده بعشرين ألف درهم وهى البردة التى عند الخلفاء الآن وقيل انما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله وقطع لسانه لانه كان تشبب بأم هانئ بنت ابى طالب (أبو سلمى بضم السين والامالة والمأمور بالراء قال بعض العلماء انما كره رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك لان العرب كانت تقول لكل من يتكلم بالشئ من تلقاء نفسه مأمور بالراء يريدون ان الذى يقول تأمره به الجن وان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مأمورا من الله تعالى ولكنه كرهه لعادتهم فلما قال المأمون بالنون رضى به لانه مأمون على الوحى وبجير بالباء الموحدة المضمومة وبالجيم

(ذكر غزوة تبوك)

لما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام بالمدينة بعد عوده من الطائف ما بين ذى الحجة الى رجب ثم أمر الناس بالتجهز لغزو الروم واعلم الناس مقصدهم لبعد الطريق وشدة الحر وقوة العدو وكان قبل ذلك اذا أراد غزوة ورى بغيرها وكان سببها ان النبى صلى الله عليه وسلم بلغه ان هرقل ملك الروم ومن عنده من متنصرة العرب قد عزموا على قصده فتجهز هو والمسلمون وساروا الى الروم وكان الحر شديدا والبلاد مجدبة والناس فى عسرة وكانت الثمار قد طابت فاحب الناس المقام فى ثمارهم فتجهزوا على كره فكان ذلك الجيش يسمى جيش العسرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للجد بن قيس وكان من رؤساء المنافقين هل لك فى جلاد بنى الاصفر فقال والله لقد عرف قومى حبى للنساء وأخشى ان لا اصبر على نساء بنى الاصفر فان رأيت ان تاذن لى ولا تفتنى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أذنت لك فانزل الله تعالى ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى الآية وقال قائل من المنافقين لا تنفروا فى الحر فنزل قوله تعالى

وكان الراشد قد هرب الى اصفهان فحاصرها وعرض هناك فوثب عليه جماعة من الفداوية فقتلوه وله من العمر ثلاثون سنة وكانت خلافته الى ان خلع سنة الا أياما

(الفصل الواحد والثلاثون فى ذكر خلافة المقتفى لامر الله)

اسمه محمد أبو عبد الله بن المستظهر بويع له بالخلافة يوم خلع ابن أخيه وسبب تلقيبه بالمقتفى انه رأى فى منامه قبل ان يستخلف بستة أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول له سيصل هذا الامر اليك فاقتف بى وكان آدم اللون بوجهه أثر جدرى مليح الشيبة عظيم الهيبة سيدا عالما فاضلا دينا حليما شجاعا فصيحا بيده أزمة الامور كان لا يجرى فى مملكته أمر وان صغر الا بتوقيعه ولد فى الثامن والعشرين من ربيع الاول سنة تسع وثمانين وأربعمائة وأمه حبشية اسمها زهرة نقش خاتمه المقتفى لامر الله فلما ولى الخلافة أظهر العدل ومهد بغداد فبعث السلطان مسعود فأخذ جميع ما فى دار الخلافة من دواب وأثاث وذهب وستور ولم يترك فى اصطبل الخلافة سوى أربعة افراس وثمانية

وقالوا الاستغفر واني الحرّ قل نار جهنم أشد حرا ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم تجهز وأمر
بالنفقة في سبيل الله وأنفق أهل الغنى وأنفق ابو بكر جميع ما بقي عنده من ماله وأنفق عثمان
نفقة عظيمة لم ينفق أحد اعظم منها الابل كانت ثلثمائة بعير وألف دينار ثم ان رجالا من المسلمين أتوا
النبي صلى الله عليه وسلم وهم البكاؤن وكانوا سبعة نفر من الانصار وغيرهم وكانوا أهل حاجة
فاستحملوه فقال لا أجد ما أحملكم عليه فتولوا يبكون فلقيهم يامين بن عمير بن كعب النضري
فسألهم ما يبكيهم فأعلموه فأعطى أبا ليلى عبد الرحمن بن كعب وعبد الله بن مغفل المزني
بعيرا فكانا يعتقبانه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء المعذرون من الاعراب فاعتذروا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يعذرهم الله وكان عدة من المسلمين تخلفوا من غير شك منهم
كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية وابو خيثمة فلما سار رسول الله صلى الله
عليه وسلم تخلف عنه عبد الله بن أبي المنافق فيمن تبعه من أهل النفاق واستخلف رسول الله صلى
الله عليه وسلم على المدينة سباع بن عرفطة وعلى أهله علي بن ابي طالب فارجف به المنافقون
وقالوا ما خلفه الا استثقالا له فلما سمع علي ذلك أخذ سلاحه ولحق برسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخبره ما قال المنافقون فقال كذبوا وانما خلفتك لما ورائي فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك
اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبي بعدي فرجع فسار رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثم ان أبا خيثمة أقام اياما فجاء يوما الى أهله وكانت له امرأتان وقد رشت كل
امرأة منهما عريشها وبردت له ماء وصنعت طعاما فلما رآه قال يكون رسول الله صلى الله عليه
وسلم في الحر والريح وأبو خيثمة في الظل البارد والماء البارد مقيم ما هذا بالنصف والله ما ادخل
عريشا منهما حتى ألحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فهيأ زاده وخرج الى ناضحه فركبه
وطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فادركه بتبوك فقال الناس يا رسول الله هذا راكب مقبل
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن أبا خيثمة فقالوا هو والله أبو خيثمة وأتى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاخبره بخبره فدعا له وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مر بالحجر وهو
بطريقه وهو منزل ثمود قال لاصحابه لا تشربوا من هذا الماء شيأ ولا تتوضؤا منه وما كان من
عجين فالقوه واعلفوه الابل ولا تأكلوا منه شيأ ولا يخرج الليلة أحد الا مع صاحب له ففعل
ذلك الناس ولم يخرج أحد الا رجلين من بني ساعدة خرج احدهما لحاجته فاصابه جنون
وأما الذي طلب بعيره فاحتملته الريح الى جبلي طيء فاخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ألم انهكم ان لا يخرج أحد الا مع صاحب له فأما الذي خنق فدعا له فشفي وأما الذي حملته
الريح فاهدته طيء الى رسول الله بعد عوده الى المدينة وأصبح الناس بالحجر ولا ماء معهم
فشكوا ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فدعا الله فأرسل سحابة فامطرت حتى روى الناس
وكان بعض المنافقين يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جاء المطر قال له بعض المسلمين هل
بعد هذا شيء قال سحابة مارة وضلت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطريق فقال لاصحابه
وفيهم عمارة بن حزم وهو عقبي بدري ان رجلا قال ان محمدا يخبركم انه نبي يخبركم خبر السماء وهو لا يدري
أين ناقته واني والله لا أعلم الا ما علمني الله عز وجل وهي في الوادي في شعب كذا قد حبستها
شجرة بزمامها فانطلقوا فأتوه بها فرجع عمارة الى أصحابه فخبرهم بما قال رسول الله صلى الله عليه

يقال برسم المأتم لم يترك له
الا العقار للخاص فيقال
انهم بايعوهم بهذا الشرط
(ومن الحوادث في أيامه)
ما ذكره السيوطي في
تاريخه ان الفرنج حاصروا
دمشق في سنة ثلاث
وأربعين وخمسمائة فوصل
اليها نور الدين محمود بن
زنكي وهو صاحب حلب
يومئذ وأخوه غازي صاحب
الموصل فنصر المسلمون
وهزم الفرنج وأخذ
ما استولوا عليه من بلاد
المسلمين وفي سنة أربع
وأربعين وخمسمائة جاء
باليمن مطر كله دم وصارت
الأرض كلها مرشوشة بالدم
وبقي أثره في ثياب الناس
وفيها أخذت العرب ركب
العراق وتمزق الحاج
وهلكوا وطلى بعض النساء
اجسامهن بالطين سترا
للعورة وأخذوا من أخت
السلطان مسعود شيأ
بمائة ألف دينار وفي سنة
سبع وأربعين وخمسمائة
مات السلطان مسعود على
سريره وفي سنة تسع
وأربعين وخمسمائة قتل
بمصر صاحبها الظاهر بالله
العبيدي وأقاموا ابنه
عيسى صبيا صغيرا وولي
أمر المصريين فكتب المقتفي
عهدا لنور الدين محمود بن
زنكي بولاية مصر وأمره

وسلم عن الناقة تعجبا مما رأى وكان زيد بن لصيت القينقاعي منافقا وهو في رحل عمارة قد
قال هذه المقالة فأخبر عمارة بان زيدا قد قالها فقام عمارة يطأ عنقه وهو يقول في رحلي داهية
ولا أدري اخرج عني يا عدو الله فزعم بعض الناس ان زيدا تاب وحسن اسلامه وقيل لم يزل
متهما حتى هلك ووقف بأبي ذر جمله فتخلف عليه فقيل يارسول الله تخلف أبو ذر فقال ذروه
فان يك فيه خير فسيلحقه الله بكم فكان يقولها لكل من تخلف عنه فوقف أبو ذر على جمله فلما
أبطأ عليه أخذ رحله عنه وحمله على ظهره وتبع النبي صلى الله عليه وسلم ماشيا فنظر الناس
فقالوا يارسول الله هذا رجل على الطريق وحده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن أبا ذر
فلما تأمله الناس قالوا هو أبو ذر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله أبا ذر يمشي وحده
ويموت وحده ويبعث وحده ويشهده عصابة من المؤمنين فلما نفى عثمان أبا ذر الى الربذة
فأصابه بها أجله ولم يكن معه الا امرأته وغلامه فأوصاهما ان يغسلاه ويكفناه ثم يضعاه على
الطريق فأول ركب يمر بهما يستعينان بهم على دفنه ففعلا ذلك فاجتاز بهما عبد الله بن
مسعود في رهط من أهل العراق فأعلمته امرأة أبي ذر بموته فبكى ابن مسعود وقال صدق
رسول الله صلى الله عليه وسلم تمشي وحدك وتموت وحدك وتبعث وحدك ثم واره وانتهى
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك فأتى يوحنا بن روبة صاحب أيلة فصالحه على الجزية
وكتب له كتابا فبلغت جزيتهم ثلثمائة دينار ثم زاد فيها الخلفاء من بني أمية فلما كان عمر بن عبد
العزيز لم يأخذ منهم غير ثلثمائة وصالح أهل أذرح على مائة دينار في كل رجب وصالح أهل
جرباء على الجزية وصالح أهل مقنا على ربع ثمارهم وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد
ابن الوليد الى أكيدر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل وكان نصرانيا من كندة فقال لخالد
انك تجده يصيد البقر فخرج خالد بن الوليد حتى اذا كان من حصنه على منظر العين وأكيدر
على سطح داره فباتت البقر تحك بقرونها باب الحصن فقالت امرأته هل رأيت مثل هذا قط
قال لا والله ثم نزل وركب فرسه ومعه نفر من أهل بيته ثم خرج يطلب البقر فتلقتهم خيل رسول
الله صلى الله عليه وسلم وأخذته وقتلوا أخاه حسانا وأخذ خالد من أكيدر قباء ديباج مخوص
بالذهب فأرسله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل المسلمون يلمسونه ويتعجبون منه فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم أتعجبون من هذا المناديل سعد بن عبادة في الجنة أحسن من هذا
وقدم خالد بأكيدر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فحقن دمه وصالحه على الجزية وخلى سبيله
وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبوك بضع عشرة ليلة ولم يجاوزها ولم يقدم عليه الروم
والعرب المتنصرة فعاد الى المدينة وكان في الطريق ماء يخرج من وشل لا يروي الا الراكب
والراكبين بواد يقال له وادي المشقق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبقنا فلا يستقين
منه شيأ حتى نأتيه فسبقه نفر من المنافقين فاستقوا ما فيه فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
أخبر بفعلهم فلعنهم ودعا عليهم ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه فوضع يده تحته
ويصب اليها يسيرا من الماء فدعا فيه ونضحه في الوشل فانخرق الماء انخراقا شديدا فشرب الناس
واستقوا وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قارب المدينة فأتاه خبر مسجد الضرار فأرسل
مالك بن الدخشم فحرقه وهدمه وأنزل الله فيه والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا

بالمسير اليها وكان مشغولا
بحرب الفرنج وكان تملك
دمشق وعظمت ممالكه
ذكر ابن الجزري في شذور
الذهب في حوادث سنة
احدى وثلاثين وخمسمائة
ان أهل بغداد صاموا
رمضان ثلاثين يوما ولم يروا
الهلال ليلة احدى وثلاثين
مع كون السماء صاحية
في أول الشهر وفي آخره
وفيها ظهر بالشام سحاب
اسود أظلمت له الدنيا ثم
سحاب أحمر كأنه نار أضاءت
له الآفاق ثم جاءت ريح
عاصفة فألقت اشجارا
كثيرة ثم وقع مطر وسقط برد
كبار وفي سنة ثلاث
وثلاثين وخمسمائة كان
بالجزيرة زلزلة عظيمة
مقدار عشرة فراسخ في
مثلها فأهلكت خلائق
ثم خسف وصار مكان البلد
ماء اسود وفيها زلزلت حلب
في ليلة واحدة احدى
وثمانين مرة وفيها نودي
للصلاة على رجل صالح
فاجتمع الناس بمدرسة
الشيخ عبد القادر ثم اتفق
ان الرجل عطس فأفاق
وحضر جنازة رجل آخر
فصلى معهم عليه * وفيها كان
بخراسان غلاء شديد حتى
أكلوا الحشرات وذبح
انسان رجلا علويا فطبخه
وباعه في السوق فحين ظهر

بين المؤمنين الا آيات وكان الذين بنوه اثنى عشر رجلا وكان قد أخرج من دار خذام بن خالد من بنى عمرو بن عوف وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد تخلف عنه رهط من المنافقين فأتوه يحلفون له ويعتذرون فصفح عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعذرهم الله ورسوله وتخلف أولئك النفر الثلاثة وهم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع تخلفوا من غير شك ولا نفاق فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامهم فاعتزلهم الناس فبقوا كذلك خمسين ليلة ثم أنزل الله توبتهم وعلى الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم الا آيات الى قوله صادقين وكان قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رمضان (يامين النضرى بالنون والضاد المعجمة وعبد الله بن مغفل بالعين المعجمة والفاء المشددة المفتوحة وزيد بن لصيت باللام المضمومة والصاد المهملة وآخره تاء مثناة من فوقها وخذام بن خالد بالخاء المكسورة والذال المعجمتين وأكيدر بالهمزة المضمومة والكاف المفتوحة والدال المهملة المكسورة وآخره راء مهملة)

(ذكر قدوم عروة بن مسعود الثقفى على رسول الله صلى الله عليه وسلم)

وفيها قدم عروة بن مسعود الثقفى على النبى صلى الله عليه وسلم مسلما وقيل بل أدركه فى الطريق مرجعه من الطائف وسأله ان يرجع الى قومه بالاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم قاتلوك فقال انا أحب اليهم من أبكارهم ورجا ان يوافقوه لمنزلته فيهم فلما رجع الى الطائف صعد الى علية له وأشرف منها عليهم وأظهر الاسلام ودعاهم اليه فرموه بالنبل فأصابه سهم فقتله فقيل له ماترى فى دمك فقال كرامة أكرمنى الله بها وشهادة ساقها الى ليس فىّ الا ما فى الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله فادفنونى معهم فلما مات دفنوه معهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ان مثله فى قومه كمثل صاحب يس فى قومه

(ذكر قدوم وفد ثقيف)

وفى هذه السنة فى رمضان قدم وفد ثقيف على رسول الله صلى الله عليه وسلم وسبب ذلك انهم رأوا ان من يحيط بهم من العرب قد نصبوا لهم القتال وشنوا الغارات عليهم وكان أشدهم فى ذلك مالك بن عوف النصرى فلا يخرج منهم مال الا نهب ولا انسان الا أخذ فلما رأوا عجزهم اجتمعوا وأرسلوا عبد ياليل بن عمرو بن عمير والحكم بن عمرو بن وهب وشرحبيل بن غيلان وهؤلاء من الاحلاف وأرسلوا من بنى مالك عثمان بن أبى العاص وأوس بن عوف ونمير بن خرشة فخرجوا حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزلهم فى قبة فى المسجد فكان خالد بن سعيد بن العاص يمشى بينهم وبين النبى صلى الله عليه وسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسل اليهم ما يأكلونه مع خالد وكانوا لا يأكلون طعاما حتى يأكل خالد منه حتى أسلموا وكان فيما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدع الطاغية وهى اللات لا يهدمها ثلاث سنين فأبى عليهم وكان قصدهم بذلك ان يسلموا من سفهائهم ونسائهم فنزلوا الى شهر فلم يجبهم وسألوه ان يعفيهم من الصلاة فقال لا خير فى دين لا صلاة فيه فأجابوا وأسلموا وأمر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن أبى العاص وكان أصغرهم لما رأى من حرصه على الاسلام والتفقه فى الدين ثم رجعوا الى بلادهم وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم

عليه قبل ذلك وفيها كانت بالشام زلازل عظيمة بعثت فى شيزر وحماة والمعرة وطرابلس وانطاكية وحلب فلم يسلم بشيزر سوى امرأة وخادم وهلك بحمص عالم عظيم انهدم فى هذه الزلزلة مكتب بحماة على الصبيان فهلكوا عن آخرهم فلم يجئ احد يسأل عن ولده منهم وتهدم اسوار اكثر مدن الشام ولم يسلم من أهل كفرطاب أحد وقيل ان انقسم نصفين وهلك من مدائن الفرنج شئ كثير وفيها جدد الخليفة المقتفى باب الكعبة واتخذ لنفسه تابوتا من العقيق لدفنه *(وفى أيامه)* عادت بغداد والعراق الى يد الخلفاء ولم يبق لها منازع لان الحكم كان للمتغلبين من الملوك وليس للخليفة معهم الا اسم الخلافة ومن سلاطين دولته السلطان سنجر صاحب خراسان والسلطان نور الدين محمود بن زنكى صاحب الشام ومصر وتوفى المقتفى فى شهر ربيع الاول سنة خمس وخمسين وخمسمائة بعلة الخوانيق وهو ابن ست وستين سنة وكان خلافته ثلاثا وعشرين سنة

(الفصل الثانى والثلاثون فى

المغيرة بن شعبة وأبا سفيان بن حرب ليهدما الطاغية فتقدم المغيرة فهدمها وقام قومه من بنى شعيب دونه خوفا ان يرمى بسهم وخرج نساء ثقيف حسرا يبكين عليها وأخذ حليها ومالها وكان أبو مليح بن عروة بن مسعود وقارب بن الاسود بن مسعود قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قتل عروة والاسود فأمرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقضيا منه دين عروة والاسود ابنى مسعود ففعلا وكان الاسود مات كافرا فسأل ابنه قارب بن الاسود رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقضى دين أبيه فقال انه كافر فقال يصل مسلم ذا قرابته يعنى انه أسلم فيصل اباه وان كان مشركا

(ذكر غزوة طيء واسلام عدى بن حاتم)

فى هذه السنة فى شهر ربيع الآخر أرسل النبى صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب فى سرية طيء وأمره ان يهدم صنمهم القلس فساروا اليهم وأغاروا عليهم فغنم وسبى وكسر الصنم وكان متقلدا سيفين يقال لاحدهما مخذم وللآخر رسوب فأخذهما على وحملهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الحرث بن أبى شمر أهدى السيفين للصنم فعلقا عليه واسر بنتا لحاتم الطائى وجاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فأطلقها وأما اسلام عدى بن حاتم فقال عدى جاءت خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذوا أختى وناسا فأتوا بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت أختى يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فامنن على من الله عليك فقال ومن وافدك قالت عدى بن حاتم قال الذى فر من الله ورسوله فمن عليها والى جانبه رجل قائم وهو على بن أبى طالب قال سليه حملانا فسألته فأمر لها به وكساها وأعطاها نفقة قال عدى وكنت ملك طيء آخذ منهم المرباع وانا نصرانى فلما قدمت خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم هربت الى الشام من الاسلام وقلت أكون عند أهل دينى فبينما انا بالشام اذ جاءت أختى وأخذت تلومنى على تركها وهربى بأهلى دونها ثم قالت لى أرى ان تلحق بمحمد سريعا فان كان نبيا كان للسابق فضله وان كان ملكا كنت فى عز وانت انت قال فقدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه وعرفته نفسى فانطلق بى الى بيته فلقيته امرأة ضعيفة فاستوقفته فوقف لها طويلا تكلمه فى حاجتها فقلت ما هذا بملك ثم دخلت بيته فأجلسنى على وسادة وجلس على الارض فقلت فى نفسى ما هذا ملك فقال لى يا عدى انك تأخذ المرباع وهو لا يحل فى دينك ولعلك انما يمنعك من الاسلام ما ترى من حاجتنا وكثرة عدونا والله ليفيضن المال فيهم حتى لا يوجد من يأخذه والله لتسمعن بالمرأة تسير من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف الا الله والله لتسمعن بالقصور البيض من بابل وقد فتحت قال فأسلمت فقد رأيت القصور البيض وقد فتحت ورأيت المرأة تخرج الى البيت لا تخاف الا الله والله لتكونن الثالثة ليفيضن المال حتى لا يقبله أحد

(ذكر قدوم الوفود على رسول الله صلى الله عليه وسلم)

لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وأسلمت ثقيف وفرغ من تبوك ضربت اليه وفود العرب من كل وجه وانما كانت العرب تنتظر باسلامها قريشا اذ كانوا امام الناس وأهل الحرم وصريح ولد اسمعيل بن ابراهيم عليه السلام لا تنكر العرب ذلك وكانت قريش هى

اسمه يوسف أبو المظفر بن المقتفى بويع له بالخلافة بعد موت أبيه قال ابن خلكان رأى المستنجد فى منامه فى حياة والده ان ملكا نزل من السماء فكتب له فى كفه أربع خاآت فطلب معبرا وقص عليه ما رآه فقال تلى الخلافة سنة خمس وخمسين وخمسمائة فكان كذلك وكان موصوفا بالفهم الثاقب والرأى الصائب والذكاء الغالب ولد سنة عشر وخمسمائة وأمه ام ولد كرجية اسمها طاوس نقش خاتمه المستنجد بالله ذكر الشيخ محيى الدين بن العربى فى مسامراته انه ولد فى زمن هذا الخليفة برسية فى دولة السلطان أبى عبد الله محمد بن سعد بن مردنيس بالاندلس قال كنت أسمع الخطيب يوم الجمعة يخطب باسم المستنجد بالله وكان للمستنجد نظم بديع ونثر بليغ ومعرفة بعمل آلات الفلك والاسطرلاب وغيره ومن شعره

عيرتنى بالشيب وهو وقار
ليتها عيرت بما هو عار
ان يكن شابت الذوائب منى
فالليالى تزينها الاقمار

وكان موصوفا بالعدل والرفق أطلق المكوس

التى نصبت العرب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافه فلما افتتحت مكة وأسلمت قريش عرفت العرب أنها لا طاقة لها بحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عداوته فدخلوا فى الدين أفواجا كما قال الله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا وقدمت وفودهم فى هذه السنة فقدم وفد بنى أسد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا أتيناك قبل ان ترسل الينا فأنزل الله تعالى يمنون عليك ان أسلموا الآية * وفيها قدم وفد بلى فى شهر ربيع الاول * وفيها قدم وفد الداريين وهم عشرة نفر * وفيها قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بنى تميم مع حاجب بن زرارة بن عدس وفيهم الاقرع بن حابس والزبرقان بن بدر وعمرو بن الاهتم وقيس بن عاصم والحتات ومعتمر بن زيد فى وفد عظيم ومعهم عيينة بن حصن الفزارى فلما دخلوا المسجد نادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اخرج الينا يا محمد فآذى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج اليهم فقالوا جئنا نفاخرك فاذن لشاعرنا وخطيبنا فأذن لهم فقام عطارد فقال الحمد لله الذى له علينا الفضل الذى جعلنا ملوكا ووهب لنا أموالا عظاما نفعل فيها المعروف وجعلنا أعز اهل المشرق واكثرهم عددا فمن يفاخرنا فليعدد مثل عددنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس أجب الرجل فقام ثابت فقال الحمد لله الذى له السموات والارض خلقه فقضى فيهن أمره ووسع كرسيه علمه ولم يكن شئ قط الا من فضله ثم كان من قدرته ان جعلنا ملوكا واصطفى من خير خلقه رسولا أكرمهم نسبا وأصدقهم حديثا وأفضلهم حسبا انزل عليه كتابه وائتمنه على خلقه فكان خيرة الله تعالى من العالمين ثم دعا الناس الى الايمان فآمن به المهاجرون من قومه وذوى رحمه أكرم الناس نسبا وأحسن الناس وجوها وخير الناس فعالا ثم كان أول الخلق استجابة لله حين دعاه نحن فنحن انصار الله ووزراء رسوله نقاتل الناس حتى يؤمنوا فمن آمن بالله ورسوله منع ماله ودمه ومن كفر جاهدناه فى الله أبدا وكان قتله علينا يسيرا والسلام عليكم فقالوا يا رسول الله ائذن لشاعرنا فاذن له فقام الزبرقان بن بدر فقال

نحن الكرام فلا حى يعادلنا * منا الملوك وفينا تنصب البيع

وكم قسرنا من الاحياء كلهم * عند النهاب وفضل العز يتبع

ونحن يطعم عند القحط مطعمنا * من الشواء اذا لم يؤنس القزع

بما ترى الناس تأتينا سراتهم * من كل أرض هويا ثم نصطنع

فننحر الكوم عبطا فى أرومتنا * للنازلين اذا ما أنزلوا شبعوا

فلا ترانا الى حى نفاخرهم * الا استقادوا وكان الرأس يقتطع

اما أبينا ولم يأب لنا أحد * انا كذلك عند الفخر نرتفع

فمن يفاخرنا فى ذاك يعرفنا * فيرجع القول والاخبار تستمع

قال وكان حسان بن ثابت غائبا فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليجيب شاعرهم قال حسان فلما سمعت قوله قلت على نحوه

ان الذوائب من فهر واخوتهم * قد بينوا سنة للناس تتبع

قوم اذا حاربوا ضروا عدوهم * أو حاولوا النفع فى اشياعهم نفعوا

كلها بحيث لم يترك بالعراق مكسا وكان شديدا على المفسدين حبس رجلا كان يسعى بالناس مدة فحضر رجل وبذل فيه عشرة آلاف دينار فقال انا اعطيك عشرة آلاف دينار ودلنى على رجل آخر مثله لاحبسه واكف شره توفى الخليفة ثامن ربيع الآخر سنة ست وستين وخمسمائة حبس فى حمام وهو ابن ثمان واربعين سنة فكانت خلافته احدى عشرة سنة واياما

(الفصل الثالث والثلاثون فى ذكر خلافة المستضئ بامر الله)

اسمه حسن ابو محمد بن المستنجد بويع له بالخلافة يوم مات ابوه وكان جوادا كريما وثر الخير كثير الصدقات جزيل المبرات ولد سنة ست وثلاثين وخمسمائة وامه ام ولد ارمنية اسمها غضة نقش خاتمه المستضئ بامر الله قال ابن الجوزى لما استخلف المستضئ خلع على ارباب الدولة الفا وثلثمائة خلعة ونادى برفع المكوس ورد المظالم واظهر من العدل والكرم ما لم نره فى اعمارنا وفرق مالا عظيما على الشرفاء والعلماء والفقراء وكان دائم البذل للمال ذا حلم واناة ورأفة

يرضى بها كل من كانت سريرته * تقوى الاله وكل البر يصطنع
سجية تلك منهم غير محدثة * ان الخلائق فاعلم شرها البدع
ان كان في الناس سباقون بعدهم * فكل سبق لادنى سبقهم تبع
لا يرقع الناس ما اوهت اكفهم * عند الدفاع ولا يوهون ما رقعوا
ان سابقوا الناس يوما فاز سبقهم * أو وازنوا أهل مجد بالندى متعوا
أعفة ذكرت في الوحي عفتهم * لا يطمعون ولا يزرى بهم طمع
لا يبخلون على جار بفضلهم * ولا يمسهم من مطمع طبع
اذا نصبنا لحي لم ندب لهم * كما يدب الى الوحشية الذرع
كأنهم في الوغى والموت مكتنع * أسد بحلية في ارساغها فدع
اكرم بقوم رسول الله شيعتهم * اذا تفرقت الاهواء والشيع
فانهم أفضل الاحياء كلهم * ان جد بالناس جد القول او شمعوا

فلما فرغ حسان قال الاقرع بن حابس ان هذا الرجل لمؤتى له خطيبهم اخطب من خطيبنا وشاعرهم أشعر من شاعرنا ثم اسلموا وأجازهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم أنزل الله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون الآيات (الحتات بالحاء المعجمة وتاءين كل واحدة منهما معجمة باثنتين من فوق وعيينة بضم العين المهملة وياءين كل واحدة منهما مثناة من تحت ونون) وفيها قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب ملوك حمير مقرين بالاسلام مع رسولهم الحرث بن عبد كلال والنعمان قيل ذي رعين وهمدان فارسل اليه زرعة ذو يزن مالك بن مرة الرهاوي باسلامهم وكتب اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرهم بما عليهم في الاسلام وينهاهم عما حرم عليهم وفيها قدم وفد بهراء على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلوا على المقداد بن عمرو وفيها قدم وفد بني البكاء وفيها قدم وفد بني فزارة فيهم خارجة بن حصن وفيها قدم وفد ثعلبة بن منقذ وفيها قدم وفد سعد بن بكر وكان وافدهم ضمام بن ثعلبة فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شرائع الاسلام وأسلم فلما رجع الى قومه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن صدق ليدخلن الجنة فلما قدم على قومه اجتمعوا اليه فكان أول ما تكلم به أن قال بئست اللات والعزى فقالوا اتق البرص والجذام والجنون فقال ويحكم انهما لا يضران ولا ينفعان وان الله قد بعث رسولا وأنزل عليه كتابا وقد استنقذكم به مما كنتم فيه واظهر اسلامه فما أمسى ذلك اليوم في حاضره رجل مشرك ولا امرأة مشركة فما سمع بوافد قوم كان افضل من ضمام بن ثعلبة

(ذكر حج أبي بكر رضي الله عنه)

وفيها حج أبو بكر بالناس ومعه عشرون بدنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولنفسه خمس بدنات وكان في ثلثمائة رجل فلما كان بذي الحليفة أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم في اثره عليا وأمره بقراءة سورة براءة على المشركين فعاد أبو بكر وقال يا رسول الله أنزل في شيء قال لا ولكن لا يبلغ عني الا أنا أو رجل مني ألا ترضى يا أبا بكر أنك كنت معي في الغار وصاحبي على الحوض قال بلى فسار أبو بكر اميرا على الموسم فاقام الناس الحج وحجت العرب الكفار على عادتهم

لكنه احتجب عن اكثر الناس فلم يركب الا مع عمالكه ولم يدخل عليه غير قيماز من الامراء (وفي ايامه) عادت الخطبة بمصر لبني العباس بعد انقطاعها منها مائتين وخمس عشرة سنة وفي خلافته انقرضت دولة بني عبيد بمصر وضربت السكة باسمه *(ومن الحوادث في ايامه)* انه وقع برد بالسواد كالنارنج واكبر وزنت واحدة فكانت سبعة ارطال بالبغدادي هدم الدور وقتل جماعة وكثيرا من المواشي وزادت دجلة زيادة عظيمة بحيث غرقت بغداد وصليت الجمعة خارج السور وزاد الفرات أيضا وأهلكت قرى ومزارع ومن العجائب ان هذا الماء على هذه الصفة ودجيل قد هلكت مزارعه بالعطش *وفي سنة اربع وسبعين وخمسمائة هبت ببغداد ريح شديدة نصف الليل وظهرت اعمدة مثل النار في اطراف السماء واستغاث الناس وبقي الامر على ذلك الى السحر وفيها امر السلطان صلاح الدين الايوبي ببناء السور الاعظم المحيط بمصر والقاهرة وجعل على بنائه الامير بهاء الدين قراقوش قال ابن الاثير كان دور السور تسعة

في الجاهلية وعلي يؤذن ببراءة فنادى يوم الاضحى لايحجن بعد العام مشرك ولايطوفن بالبيت عريان ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فأجله الى مدته ورجع المشركون فلام بعضهم بعضا وقالوا ماتصنعون وقد أسلمت قريش فاسلموا وفي هذه السنة فرضت الصدقات وفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها عماله وفيها في شعبان توفيت أم كلثوم بنت النبي صلى الله عليه وسلم وهي زوج عثمان بن عفان وغسلتها أسماء بنت عميس وصفية بنت عبد المطلب وقيل غسلتها نسوة من الانصار منهن عطية وصلى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل في حفرتها أبو طلحة وفيها مات عبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين وكان ابتداء مرضه في شوال فلما توفي جاء ابنه عبد الله الى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله قميصه فاعطاه فكفنه فيه وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه فقام عمر في صدره وقال يارسول الله اتصلي عليه وقد قال يوم كذا كذا وكذا يعدد أيامه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم ثم قال اخر عني عمر قد خيرت فاخترت قد قيل لي استغفر لهم أو لاتستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ولو علمت ان لو زدت على السبعين غفر لهم لزدت ثم صلى عليه وقام على قبره حتى فرغ منه فانزل الله تعالى ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره الآية وفيها نعى النبي صلى الله عليه وسلم النجاشي للمسلمين وكان موته في رجب سنة تسع وصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيها توفي أبو عامر الراهب عند النجاشي

(ذكر الاحداث في سنة عشر)

(ذكر وفد نجران مع العاقب والسيد)

وفيها أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد الى بني الحرث بن كعب بنجران وأمره ان يدعوهم الى الاسلام ثلاثا فان أجابوا أقام فيهم وعلمهم شرائع الاسلام وان لم يفعلوا قاتلهم فخرج اليهم ودعاهم الى الاسلام فاجابوا وأسلموا فاقام فيهم وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمه اسلامهم وعاد خالد ومعه وفدهم فيهم قيس بن الحصين بن يزيد بن قنان ذي الغصة ويزيد بن عبد المدان وغيرهما فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عادوا عنه في بقية شوال أو في ذي الحجة وأرسل اليهم عمرو بن حزم يعلمهم شرائع الاسلام ويأخذ صدقاتهم وكتب معه كتابا وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمرو بن حزم على نجران واما نصارى نجران فانهم أرسلوا العاقب والسيد في نفر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرادوا مباهلته فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه علي وفاطمة والحسن والحسين فلما رأوهم قالوا هذه وجوه لو اقسمت على الله ان يزيل الجبال لازالها ولم يباهلوه وصالحوه على الفي حلة ثمن كل حلة أربعون درهما وعلى ان يضيفوا رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل لهم ذمة الله تعالى وعهده أن لا يفتنوا عن دينهم ولا يعشروا وشرط عليهم أن لا يأكلوا الربا ولا يتعاملوا به فلما استخلف أبو بكر عاملهم بذلك فلما استخلف عمر أجلى أهل الكتاب عن الحجاز وأجلى أهل نجران فخرج بعضهم الى الشام وبعضهم الى نجرانية الكوفة واشترى منهم عقارهم وأموالهم وقيل انهم كانوا قد كثروا وبلغوا أربعين ألفا فتحاسدوا بينهم فاتوا عمر بن الخطاب وقالوا أجلنا وكان عمر بن الخطاب قد خافهم على المسلمين فاغتنمها فاجلاهم فندموا بعد ذلك ثم استقالوه فأبى

فيقوا

وعشرين التذراع وثلثمائة ذراع بالهاشمي وفيها أمر بانشاء قلعة بالجبل المقطم وهي التي صارت دار السلطنة ولم تتم الا في أيام السلطان الملك الكامل وهو أول من سكنها وفيها بنى السلطان صلاح الدين تربة الامام الشافعي رحمه الله وتوفي المستضيء في سنة خمس وسبعين وخمسمائة وكانت خلافته تسع سنين ونصفا عاش تسعا وعشرين سنة

(الفصل الرابع والثلاثون في ذكر خلافة الناصر لدين الله)

اسمه أحمد ابو العباس بن المستضيء بويع له بالخلافة يوم وفاة أبيه وعمره ثلاث وعشرون سنة وكان أبيض ترك الوجه اقنى الانف مليحا خفيف العارضين أشقر اللحية رقيق المحاسن فيه شهامة واقدام وله عقل ودهاء وفطنة ولد يوم الاثنين عاشر رجب سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة وأمه تركية اسمها زمرد نقش خاتمه الناصر لدين الله فلما ولي الخلافة بسط العدل وأمر باراقة الخمور وكسر الملاهي وازالة المكوس فعمرت البلاد وكثرت الارزاق وقصدت الناس بغداد وتبركوا به وكان في

فبقوا كذلك الى خلافة عثمان ولما ولى على أتوه وقالوا ننشدك الله خطك بيمينك فقال ان عمر كان رشيد الامر وانا اكره خلافه وكان عثمان قد اسقط عنهم مائتى حلة وكان صاحب النجرانية بالكوفة يبعث الى من بالشأم والنواحى من أهل نجران يجبونهم الحلل فلما ولى معاوية ويزيد ابن معاوية شكوا اليه تفرقهم وموت من مات منهم واسلام من أسلم منهم وكانوا قد قلوا واروه كتاب عثمان فوضع عنهم مائتى حلة تكملة أربعمائة حلة فلما ولى الحجاج العراق وخرج عليه عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث اتهم الدهاقين بموالاته واتهمهم معهم فردهم الى ألف وثلثمائة حلة واخذهم بحلل وشى فلما ولى عمر بن عبد العزيز شكوا اليه فناءهم ونقصهم والحاح العرب عليهم بالغارة وظلم الحجاج فامر بهم فأحصوا فوجدوا على العشر من عدتهم الاولى فقال أرى هذا الصلح جزية وليس على ارضهم شئ وجزية المسلم والميت ساقطة فالزمهم مائتى حلة فلما ولى يوسف بن عمر الثقفى ردهم الى امرهم الاول عصبية للحجاج فلما استخلف السفاح عمدوا الى طريقه يوم ظهوره من الكوفة فالقوا فيها الريحان ونثروا عليه فاعجبه ذلك من فعلهم ثم رفعوا اليه أمرهم وتقربوا اليه باخواله بنى الحرث بن كعب فكلمه فيهم عبد الله بن الحرث فردهم الى مائتى حلة فلما ولى الرشيد شكوا اليه العمال فامر ان يعفوا من العمال وان يكون مؤداهم بيت المال * وفيها اقدم وفد سلامان فى شوال وهم سبعة نفر رأسهم حبيب السلامانى وفيها اقدم وفد غسان فى رمضان ووفد عامر فى شهر رمضان أيضا وفيها اقدم وفد الازد ورأسهم صرد بن عبد الله فى بضعة عشر رجلا فاسلم وأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه وأمره ان يجاهد المشركين فسار الى مدينة جرش وفيها قبائل من اليمن فيهم خثعم فحاصرهم قريبا من شهر فامتنعوا منه فرجع حتى كان بجبل يقال له كشر فظن أهل جرش انه منهزم فخرجوا فى طلبه فادركوه فعطف عليهم فقاتلهم قتالا شديدا وقد كان أهل جرش بعثوا رجلين منهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظران حاله فبينماهما عنده اذ قال بأى بلاد الله شكر فقالا ببلادنا جبل يقال له كشر فقال انه ليس بكشر ولكنه شكر وان بدن الله لتنحر عنده الآن فقال لهما أبو بكر أو عثمان ويحكما انه ينعى لكما قومكما فاسألاه ان يدعو الله ان يرفع عنهم فسألاه فقال اللهم ارفع عنهم فخرجا من عنده الى قومهما فوجداهم قد أصيبوا ذلك اليوم فى تلك الساعة التى ذكر فيها النبى صلى الله عليه وسلم حالهم وخرج وفد جرش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلموا * وفيها اقدم وفد مراد مع فروة بن مسيك المرادى على رسول الله صلى الله عليه وسلم مفارقا لملوك كندة وقد كان قبيل الاسلام بين مراد وهمدان وقعة ظفرت فيها همدان واكثروا القتل فى مراد وكان يقال لذلك اليوم يوم الردم وكان رئيس همدان الاجدع بن مالك والد مسروق وفى ذلك يقول فروة

فان نغلب فغلابون قدما * وان نهزم فغير مهزمينا
وما ان طبنا جبن ولكن * منايانا ودولة آخرينا
كذاك الدهر دولته سجال * تكر صروفه حينا وحينا
فبينا ما يسر به ويرضى * ولو لبست غضارته سنينا
اذا انقلبت به كرات دهر * فالفى للالى غبطوا طحينا

والاسواق بنفسه وهو أطول بنى العباس خلافة وكان له عيون عند كل سلطان يأتونه بالاخبار ولذلك كان يعتقد فيه بعض الناس ان له كشفا واطلاعا على المغيبات ولم يزل فى مدة حياته فى عز وجلالة وقمع الاعداء ولا خرج عليه خارجى الا قمعه ولا مخالف الا دفعه وكانت له حيل لطيفة ومكايد غامضة وخدع لا يفطن لها أحد يوقع الصداقة بين ملوك متعادين وهم لا يشعرون ويوقع العداوة بين ملوك متفقين وهم لا يفطنون قيل ان الناصر كان مخدوما من الجن وكان الملوك والاكابر بمصر والشام اذا جرى ذكره فى خلواتهم خفضوا اصواتهم هيبة واجلالا له كانت أيامه غرة فى وجه الدهر ودرة فى تاج الفخر وكان يتشيع ويميل الى مذهب الامامية بخلاف آبائه حتى ان ابن الجوزى سئل بحضرته من أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أفضلهم بعده من كانت بنته تحته ولم يقدر ان يصرح بتفضيل أبى بكر رضى الله عنه *(ومن الحوادث فى أيامه)* انه اجتمعت

ومن يغبط بريب الدهر منهم * يجد ريب الزمان لهم خؤونا
فلو خلد الملوك اذن خلدنا * ولو بقي الكرام اذن بقينا
فأفنى ذلكم سروات قوم * كما أفنى القرون الاولينا

ولما توجه فروة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مفارقا لقومه قال

لما رأيت ملوك كندة أعرضت * كالرجل خان الرجل عرق نسائها
يممت راحلتي أؤم محمدا * أرجو فضائلها وحسن ثرائها

فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له يا فروة هل ساءك ما أصاب قومك يوم الردم فقال يا رسول الله من ذا يصيب قومه مثل ما أصاب قومي ولم يسؤه ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ذلك لا يزيد قومك في الاسلام الا خيرا فاستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على مراد وزبيد ومذحج كلها وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص فكان على الصدقات الى ان توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم * وفيها أرسل فروة بن عمرو الجذامي ثم النفاثي رسولا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلامه وأهدى له بغلة بيضاء وكان فروة عاملا للروم على من يليهم من العرب وكان منزله معان في أرض الشام فلما بلغ الروم اسلامه طلبوه حتى أسروه فحبسوه فقال في حبسه ذلك

طرقت سليمى موهنا أصحابي * والروم بين الباب والقربان
صد الخيال وساءه ما قد رأى * وهممت ان أغفي وقد أبكاني
لا تكحلن العين بعدي اثمدا * سلمى ولا تدنن للانسان

فلما اجتمعت الروم لصلبه على ماء لهم يقال له عفرى بفلسطين قال

الا هل أتى سلمى بان خليلها * على ماء عفرى فوق احدى الرواحل
على ناقة لم يلقح الفحل أمها * مشذبة أطرافها بالمناجل

وهذا من أبيات المعاني فلما قدموه ليصلبوه قال

بلغ سراة المسلمين بانني * سلم لربي أعظمي ومقامي

ثم ضربوا عنقه وصلبوه * وفيها اقدم وفد زبيد على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عمرو بن معديكرب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استعمل على زبيد ومراد فروة بن مسيك في هذه السنة قبل قدوم عمرو فلما عاد عمرو من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام في قومه بني زبيد وعليهم فروة فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتد عمرو * وفيها اقدم وفد عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم الجارود بن عمرو وكان نصرانيا فاسلم وأسلم من معه وكان الجارود حسن الاسلام نهى قومه عن الردة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم لما ارتدوا مع الغرور وهو المنذر بن النعمان وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث العلاء ابن الحضرمي قبل الفتح الى المنذر بن ساوى العبدي فاسلم وحسن اسلامه ثم هلك بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل ردة أهل البحرين والعلاء أمير رسول الله على البحرين وفيها اقدم وفد بني حنيفة وفيهم مسيلمة وكان منزله في دار ابنة الحرث امرأة من الانصار واجتمع مسيلمة برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عاد الى اليمامة وتنبأ وتكذب وادعى انه شريك رسول

الله

الكواكب السنة في الميزان فحكم المنجمون بخراب العالم في جميع البلاد بطوفان الريح فشرع الناس في حفر مغارات في التخوم وتوثيقها وستمنا فسها على الريح ونقلوا اليها الماء والزاد واتقلوا اليها وانتظروا الليلة التي وعدوا فيها بريح كريح عاد وهي الليلة التاسعة من جمادى الآخرة فلم يأت فيها شئ ولا هب فيها نسيم بحيث أوقدت الشموع فلم يتحرك فيها ريح تطفئها فعملت الشعراء في ذلك ومما قيل قول أبي الغنائم محمد بن المعلم

قل لابي الفضل قول معترف
مضى جماد وجاءنا رجب
وما جرت زعزع كما حكموا
ولا بدا كوكب له ذنب
كلا ولا أظلمت ذكاء ولا
أبدت أذى في قرانها الشهب
يقضي عليها من ليس يعلم ما
يقضي عليه هذا هو العجب
قد بان كذب المنجمين وفي
أي مقال قالوا وما كذبوا

وفي سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة اتفق ان أول يوم من السنة كان أول أيام الاسبوع وأول السنة الشمسية وأول سني العربية والشمس والقمر في برج واحد وكان ذلك من الاتفاقات العجيبة وفيها

الله فى النبوة فاتبعه بنو حنيفة وفيها اقدم وفد كندة مع الاشعث بن قيس وكانوا ستين راكبا فقال الاشعث نحن بنو آكل المرار وأنت ابن آكل المرار فقال النبى صلى الله عليه وسلم نحن بنو النضر بن كنانة لانقفو أمنا ولا ننتفى من أبينا وفيها اقدم وفد محارب وفيها اقدم وفد الرهاويين وهم بطن من مذحج (ورهاء بفتح الراء قاله عبد الغنى بن سعيد) وفيها اقدم وفد عبس وفيها اقدم وفد صدف واقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع وفيها اقدم وفد خولان وكانوا عشرة وفيها اقدم وفد بنى عامر بن صعصعة فيهم عامر بن الطفيل واربد بن قيس وجبار بن سلمى (بضم السين وبالامالة) ابن مالك بن جعفر وكان عامر يريد الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له قومه ان الناس قد أسلموا فاسلم فقال لا أتبع عقب هذا الفتى ثم قال لاربد اذا قدمنا عليه فانى شاغله عنك فاعله بالسيف من خلفه فلما قدموا جعل يكلم النبى صلى الله عليه وسلم يشغله ليقتله به اربد فلم يفعل اربد شيأ فقال عامر للنبى صلى الله عليه وسلم لاملأنها عليك خيلا ورجالا فلما ولى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اكفنى عامرا فلما خرجوا قال عامر لاربد لم لا قتلته قال كلما هممت بقتله دخلت بينى وبينه حتى ما أرى غيرك أفاضربك بالسيف ورجعوا فلما كانوا ببعض الطريق أرسل الله على عامر بن الطفيل الطاعون فقتله وانه لفى بيت امرأة سلولية فمات وجعل يقول يابنى عامر أغدة كغدة البعير وموت فى بيت سلولية وارسل الله على اربد صاعقة فاحرقته وكان اربد بن قيس اخا لبيد بن ربيعة لامه * وفيها قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد طيئ فيهم زيد الخيل وهو سيدهم فاسلموا وحسن اسلامهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذكر لى رجل من العرب ثم جاءنى الارأيته دون مايقال فيه الاما كان من زيد الخيل ثم سماه زيد الخير واقطع له فيد وارضين معها فلما رجع اصابته الحمى بقرية من نجد فمات بها وفيها كتب مسيلمة الكذاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر أنه شريكه فى النبوة وأرسل الكتاب مع رسولين فسألهما رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فصدقاه فقال لهما لولا ان الرسل لاتقتل لقتلتكما وكان كتاب مسيلمة من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله امابعد فانى قد أشركت معك فى الامر وان لنا نصف الارض ولقريش نصفها ولكن قريشا قوم يعتدون فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب امابعد فالسلام على من اتبع الهدى فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وقيل ان دعوى مسيلمة وغيره النبوة كانت بعد حجة الوداع ومرضته التى مات فيها فلما سمع الناس بمرضه وثب الاسود العنسى باليمن ومسيلمة باليمامة وطليحة فى بنى أسد

(ذكر ارسال على الى اليمن واسلام همدان)

فى هذه السنة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا الى اليمن وقد كان أرسل قبله خالد بن الوليد اليهم يدعوهم الى الاسلام فلم يجيبوه فارسل عليا وأمره ان يقفل خالدا ومن معه من أصحابه ففعل وقرأ على كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهل اليمن فاسلمت همدان كلها فى يوم واحد فكتب بذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام على همدان يقوله ثلاثا ثم تتابع أهل اليمن على الاسلام وكتب بذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسجد شكرا

فتح السلطان صلاح الدين بيت المقدس وكثير من البلاد الشامية التى كانت بيد الافرنج جزاه الله عن الاسلام خيرا *(ومن الغرائب)* ان ابن برجان ذكر فى تفسير الم غلبت الروم ان بيت المقدس يبقى فى يد الروم الى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ثم يغلبون وتفتح وتصير دار اسلام الى آخر الوقت أخذا من حساب الآية فكان كذلك وقد مات ابن برجان قبل ذلك بدهر وفيها هبت ريح سوداء بمكة عمت الدنيا ووقع على الناس رمل أحمر ووقع على الركن اليمانى قطعة وفى سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة انقض كوكب عظيم سمع لانقضاضه صوت هائل واهتزت الدور والاماكن فاستغاث الناس وظنوا ذلك من امارات القيامة وفى سنة ست وتسعين وخمسمائة توقف النيل بمصر بحيث كسر ولم يكمل ثلاثة عشر ذراعا فكان الغلاء المفرط بحيث اكلوا الجيف والآدميين وفشا أكل بنى آدم واشتهر وروى من ذلك العجب العجاب وتعدوا الى حفر القبور واكل الموتى وقد تمزق اهل مصر كل ممزق وكثر الموت من الجوع بحيث كان الماشى لايقع

الله تعالى

●(ذكر بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم أمراءه على الصدقات)●

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أمراءه وعماله على الصدقات فبعث المهاجر بن أبي امية بن المغيرة الى صنعا فخرج عليه العنسي وهو بها وبعث زياد بن لبيد الانصاري الى حضرموت على صدقاتهم وبعث عدي بن حاتم الطائي على صدقات طي وأسد وبعث مالك بن نويرة على صدقات حنظلة وجعل الزبرقان بن بدر وقيس بن عاصم على صدقات سعد بن زيد مناة بن تميم وبعث العلاء بن الحضرمي الى البحرين وبعث علي بن أبي طالب الى نجران ليجمع صدقاتهم وجزيتهم ويعود ففعل وعاد ولقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة في حجة الوداع واستخلف على الجيش الذين معه رجلا من أصحابه وسبقهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فلقيه بمكة فعمد الرجل الى الجيش فكساهم كل رجل حلة من البز الذي مع علي فلما دنا الجيش خرج علي ليتلقاهم فرأى عليهم الحلل فنزعها عنهم فشكاه الجيش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام النبي صلى الله عليه وسلم خطيبا فقال أيها الناس لا تشكوا عليا فهو لاخشن في ذات الله وفي سبيل الله

●(ذكر حجة الوداع)●

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحج لخمس بقين من ذي القعدة لا يذكر الناس الا الحج فلما كان بسرف أمر الناس ان يحلوا بعمرة الا من ساق الهدي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ساق الهدي وناس معه وكان علي بن أبي طالب قد لقيه محرما فقال له النبي صلى الله عليه وسلم حل كما حل أصحابك فقال اني قد أهللت بما أهل به رسول الله فبقي على احرامه ونحر رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدي عنه وعن علي وحج بالناس فاراهم مناسكهم وعلمهم سنن حجهم وخطب خطبته التي بين فيها للناس ما بين وكان الذي يبلغ عنه بعرفة ربيعة بن أمية بن خلف لكثرة الناس فقال بعد حمد الله أيها الناس اسمعوا قولي فلعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدا أيها الناس ان دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا وكل ربا موضوع لكم رؤس أموالكم وان ربا العباس بن عبد المطلب موضوع كله وكل دم كان في الجاهلية موضوع وأول دم أضع دم ابن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب وكان مسترضعا في بني ليث فقتلته هذيل أيها الناس ان الشيطان قد يئس ان يعبد بأرضكم هذه أبدا ولكنه يطاع فيما سوى ذلك وقد رضي بما تحقرون من أعمالكم أيها الناس انما النسيء زيادة في الكفر وان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا أيها الناس استوصوا بالنساء خيرا وهي خطبة طويلة وقال حين وقف بعرفة هذا الموقف للجبل الذي هو عليه وكل عرفة موقف وقال بالمزدلفة هذا الموقف وكل مزدلفة موقف ولما نحر بمنى قال هذا المنحر وكل منى منحر فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحج وكانت حجة الوداع وحجة البلاغ وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحج بعدها وارى الناس مناسكهم وعلمهم حجهم

●(ذكر عدد غزواته صلى الله عليه وسلم وسراياه)●

وكان

قيمة وبصره الاعلى ميت أو من خوف السياق وهلك اهل القرى فاطبة بحيث ان المسافر يمر بالقرية فلا يرى فيها نافخ نار ويجد البيوت مفتحة وأهلها موتى وقد حكى الذهبي في ذلك حكايات يقشعر الجلد من سماعها قال وصارت الطرق مزروعة بالموتى وبيعت الاحرار والاولاد واستمر ذلك سنين وفي سنة سبع وتسعين وخمسمائة جاءت زلزلة كبرى بمصر والشام والجزيرة فاخربت اماكن كثيرة وقلاعا وخسفت قرية من اعمال بصرى وفي سنة تسع وتسعين وخمسمائة في سلخ المحرم ماجت النجوم وتطايرت تطاير الجراد ودام ذلك الى الفجر وانزعج الخلق ولجؤا الى الله تعالى ولم يظهر مثل ذلك الا عند ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي سنة ستمائة هجم الفرنج الى النيل من رشيد ودخلوا البلد فوة فنهبوها واستباحوها ورجعوا وفي سنة احدى وستمائة تغلبت الفرنج على القسطنطينية واخرجوا الروم منها وكانت بيد الروم من قبل الاسلام واستمرت بيد الفرنج الى سنة ستين وستمائة فاستعادها منهم الروم قال شمس الدين الجزري كان الماء الذي

وكان آخر غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه غزوة تبوك وجميع غزواته بنفسه
تسع عشرة غزوة قال الواقدي هكذا يرويه أهل العراق عن زيد بن أرقم وهو خطأ لان زيدا
غزا مؤتة مع عبد الله بن رواحة وهو رديفه على رحله ولم يغز مع النبي صلى الله عليه وسلم غير
ثلاث غزوات أو أربع وقيل غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم ستا وعشرين غزوة وقيل سبعا
وعشرين فمن قال ستا وعشرين جعل غزوة خيبر ووادي القرى واحدة لانه لم يرجع من خيبر
الى منزله ومن فرق بينهما جعل غزواته سبعا وعشرين جعل خيبر غزوة ووادي القرى غزوة
وأول غزوة غزاها ودان وهي الابواء ثم بواط بناحية رضوى ثم العشيرة ثم بدر الاولى لطلب
كرز بن جابر ثم بدر التي قتل فيها قريشا ثم غزوة بني سليم ثم غزوة السويق ثم غزوة غطفان
وهي غزوة ذي امر ثم غزوة بحران بالحجاز ثم غزوة أحد ثم غزوة حمراء الاسد ثم غزوة بني النضير
ثم غزوة ذات الرقاع ثم غزوة بدر الآخرة ثم غزوة دومة الجندل ثم غزوة الخندق ثم غزوة
بني قريظة ثم غزوة بني لحيان من هذيل ثم غزوة ذي قرد ثم غزوة بني المصطلق ثم غزوة
الحديبية ثم غزوة خيبر ثم عمرة القضاء ثم غزوة فتح مكة ثم غزوة حنين ثم غزوة الطائف ثم
غزوة تبوك قاتل منها في تسع غزوات بدر واحد والخندق وقريظة والمصطلق وخيبر
والفتح وحنين والطائف واختلف في عدد سراياه فقيل كانت خمسا وثلاثين ما بين سرية
وبعث وقيل ثمانيا وأربعين وفي هذه السنة قدم جرير بن عبد الله البجلي في رمضان مسلما
فبعثه الى ذي الخلصة فهدمها وكان من حجر أبيض بتبالة وهو صنم بجيلة وخثعم وازد السراة
فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر هدمه سجد شكرا لله تعالى وفيها أسلم باذان باليمن
وبعث باسلامه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

(ذكر عدد حج النبي صلى الله عليه وسلم وعمره)

قال جابر حج النبي صلى الله عليه وسلم حجتين حجة قبل ان يهاجر وحجة بعد ما هاجر معها عمرة وقال
عمر اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث عمر وقالت عائشة أربع عمر وروي مثل ذلك عن
ابن عمر

(ذكر صفة النبي صلى الله عليه وسلم وأسمائه وخاتم النبوة)

قال علي بن أبي طالب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بالطويل ولا بالقصير ضخم الرأس
واللحية شثن الكفين والقدمين ضخم الكراديس مشربا وجهه حمرة طويل المسربة
اذا مشى تكفأ تكفأ كأنما ينحط من صبب لم أر قبله ولا بعده مثله وكان ادعج العينين سبط
الشعر سهل الخدين ذا وفرة كأن عنقه ابريق فضة واذا التفت التفت جميعا كأن العرق
في وجهه اللؤلؤ الرطب لطيب عرقه وريحه * قال أبو عبيدة وغيره شثن الكفين والقدمين يعني
انهما الى الغلظ أقرب وقوله ضخم الكراديس يعني الواح الاكتاف والمسربة الشعر ما بين
السرة واللبة والصبب الانحدار والدعج في العين السواد والسبط من الشعر ضد الجعد
وكان بين كتفيه صلى الله عليه وسلم خاتم النبوة وهي بضعة ناشزة حولها شعر (واما أسماؤه) فانه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا محمد وأنا أحمد والمقفي والحاشر ونبي الرحمة ونبي
التوبة ونبي الملحمة والعاقب والماحي الذي يمحو الله به الكفر والحاشر الذي يحشر

يشرب به الناصر تأتي به
الدواب من فوق بغداد
بسبعة فراسخ ويغلي سبع
غلوات كل يوم غلوة ثم يحبس
في الاوعية سبعة أيام ثم
يشرب منه وبعد هذا امامات
حتى سقي المرقد مرات وشق
ذكره وأخرج منه الحصى
ومات منه يوم الاحد سلخ
رمضان سنة اثنتين وعشرين
وستمائة وهو ابن سبعين سنة
وحمل على اعناق الرجال الى
البدرية ودفن فيها فكانت
خلافته سبعا وأربعين سنة

*(الفصل الخامس والثلاثون
في ذكر خلافة الظاهر بأمر
الله)*

اسمه محمد أبو نصر بن الناصر
بويع له بالخلافة عند موت
أبيه وهو ابن اثنتين وخمسين
سنة وكان جميلا حسن
الهيئة محسنا الرعية أبطل
المكوس وأزال المظالم ولد
سنة احدى وسبعين
وخمسمائة وأمه أم ولد اسمها
اسماء نقش خاتمه الظاهر بأمر
الله قال ابن الاثير في الكامل
لما ولي الظاهر أظهر من
العدل والاحسان ما أعاد
به سنة العمرين فلو قيل ما
ولي الخلافة بعد عمر بن
عبد العزيز مثله لكان
القائل صادقا فانه أعاد
الاموال المغصوبة والاملاك
المأخوذة في أيام أبيه وأمر
بجباية الخراج على الرسم

الناس على قدمه والعاقب آخر الانبياء (واما شعره وشيبه) فقال أنس لم يشنه الله بالشيب وقيل كان في قدم لحيته عشرون شعرة بيضاء ولم يخضب قال جابر بن سمرة وكان في مفرق رأسه شعرات بيض اذا ادهنه غطاهن الدهن واخرجت أم سلمة شعره مخضوبا بالحناء والكتم وقال أبو رمثة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخضب وكان شعره يبلغ كتفيه أو منكبيه وقالت أم هانئ كان له ضفائر أربع

(ذكر شجاعته صلى الله عليه وسلم وجوده)

قال أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشجع الناس وأسمح الناس وأحسن الناس ووقع في المدينة فزع فركب فرسا عريا وسبق الناس اليه فجعل يقول أيها الناس لم تراعوا لم تراعوا وقال علي بن ابي طالب كنا اذا اشتد البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فكان اقربنا الى العدو وكفى بهذا شجاعة ان مثل علي الذي هو هو في شجاعته يقول هذا وقد تقدم في غزواته ما يستدل به على تمكنه من الشجاعة وأنه لم يقاربه فيها احد

(ذكر عدد ازواج النبي صلى الله عليه وسلم وسراريه واولاده)

قال ابن الكلبي ان النبي صلى الله عليه وسلم تزوج خمس عشرة امرأة ودخل بثلاث عشرة وجمع بين احدى عشرة وتوفي عن تسع وأول امرأة تزوجها خديجة بنت خويلد وكان تزوجها قبله عتيق بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ومات عنها وتزوجها بعد عتيق أبو هالة بن زرارة بن نباش بن عدي التميمي فولدت له هند بن أبي هالة ثم مات عنها ثم تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم فولدت له ثمانية القاسم والطيب والطاهر وعبد الله وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة فاما الذكور فماتوا وهم صغار واما الاناث فبلغن ونكحن وولدن ولم يتزوج على خديجة في حياتها احدا وكان موتها قبل الهجرة بثلاث سنين ولم يولد له ولد من غيرها الا ابراهيم فلما توفيت خديجة نكح بعدها سودة بنت زمعة وقيل عائشة فاما عائشة فكانت يوم تزوجها صغيرة بنت ست سنين واما سودة فكانت امرأة ثيبا وكانت قبله عند السكران بن عمرو بن عبد شمس اخي سهيل بن عمرو وكان من مهاجرة الحبشة فتنصر ومات فخلف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة وكان الذي خطبها عليه خولة بنت حكيم زوجة عثمان بن مظعون فدخل بسودة بمكة وزوجها منه أبوها زمعة بن قيس فلما تزوجها كان أخوها عبد بن زمعة غائبا فلما قدم جعل يحثي التراب على رأسه فلما أسلم قال اني لسفيه حيث فعلت ذلك وندم على ما كان منه واما عائشة فدخل بها بالمدينة وهي ابنة تسع سنين ومات عنها وهي ابنة ثمان عشرة سنة ولم يتزوج بكرا غيرها وماتت سنة ثمان وخمسين ثم تزوج بعدها حفصة بنت عمر بن الخطاب وكانت قبله عند خنيس بن حذافة السهمي (خنيس بالخاء المعجمة والنون والسين المهملة) وكان بدريا ولم يشهد من بني سهم بدرا غيره ولم تلد له شيئا وماتت بالمدينة في خلافة عثمان ثم تزوج بعدها أم سلمة ابنة أبي أمية زاد الركب المخزومية وكانت قبله عند أبي سلمة بن عبد الاسد المخزومي شهد بدرا وأصابته جراحة يوم أحد فمات منها وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الاحزاب وماتت سنة تسع وخمسين وقيل بعد قتل الحسين رضي الله عنه ثم تزوج زينب بنت خزيمة من بني عامر بن صعصعة ويقال لها أم

المساكين

القديم في جميع العراق وباسقاط جميع ما جدده ابوه وكان ذلك شيأ كثيرا لا يحصى واطلق المسجونين وارسل الى القاضي عشرة الاف دينار ليوفي بها عمن أعسر وفرق ليلة عيد النحر على العلماء والصلحاء مائة ألف دينار فقيل له هذا الذي تخرجه من الاموال لا تسمح نفس به ولا ببعضه فقال أنا رجل فتحت الدكان بعد العصر فاتركوني أفعل الخير فكم بقيت أعيش توفي رحمه الله في ثالث عشر رجب سنة ثلاث وعشرين وستمائة قيل ان حاجبه قتله فكانت خلافته تسعة أشهر وأياما

(الفصل السادس والثلاثون في ذكر خلافة المستنصر بالله)

اسمه منصور وأبو جعفر بن الظاهر بويع له بالخلافة بعد موت أبيه وكان أشقر ضخما قصيرا وخطه الشيب وخضب بالحناء ثم تركه أزج الحاجبين أدعج العينين سهل الخدين أقنى الانف رحب الصدر ولد في صفر سنة ثمان وثمانين وخمسمائة وأمه جارية تركية اسمها زهرة نقش خاتمه المستنصر بالله قال ابن الصابي لما ولي الخلافة نشر العدل في الرعايا وبذل الانصاف في القضايا وقرب أهل العلم والدين وبنى

المساكين وتوفيت فى حياته ولم يمت فى حياته غيرها وغير خديجة بنت خويلد وكانت زينب قبله عند الطفيل بن الحرث بن المطلب * ثم تزوج عام المريسيع جويرية ابنة الحرث بن أبى ضرار الخزاعية من بنى المصطلق وكانت قبله عند مسافع بن صفوان المصطلقى لم تلد له شيأ * ثم تزوج أم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب وكانت عند عبيد الله بن جحش وكان من مهاجرة الحبشة فتنصر ومات بها فارسل النبى صلى الله عليه وسلم الى النجاشى فخطبها عليه وتزوجها وهى بالحبشة وزوجها منه خالد بن سعيد بن العاص وقيل بل خطبها الى عثمان بن عفان فزوجها منه وبعث فيها الى النجاشى فساق منه المهر أربعمائة دينار وارسلها اليه وتوفيت فى خلافة اخيها معاوية ولم تلد له شيأ * ثم تزوج زينب بنت جحش وكانت قبله عند زيد بن حارثة مولاه فلم تلد له شيأ فزوجها الله اياه وبعث فى ذلك جبريل وكانت تفخر على نساء النبى صلى الله عليه وسلم وتقول أنا اكرمهن وليا وسفيرا وهى أول أزواجه توفيت بعده فى خلافة عمر * ثم تزوج عام خيبر صفية بنت حيى بن أخطب وكانت قبله تحت سلام بن مشكم فتوفى عنها وخلف عليها كنانة بن الربيع بن أبى الحقيق فقتله محمد بن مسلمة صبرا بأمر النبى صلى الله عليه وسلم ثم أعتقها النبى صلى الله عليه وسلم وتزوجها سنة ست وماتت سنة ست وثلاثين * ثم تزوج ميمونة ابنة الحرث الهلالية وكانت قبله عند مسعود بن عمرو بن عمير الثقفى ولم تلد له شيأ ثم خلف عليها أبو رهم بن عبد العزى بعد مسعود ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده وهى خالة ابن عباس وخالد بن الوليد وتزوجها فى عمرة القضاء بسرف * ثم تزوج امرأة من بنى كلاب يقال لها شاه بنت رفاعة وقيل هى سنى ابنة أسماء بن الصلت وقيل ابنة الصلت بن حبيب توفيت قبل ان يدخل بها * ثم تزوج الشنباء ابنة عمرو الغفارية وقيل الكنانية فمات ابراهيم ابنه قبل ان يدخل بها فقالت لو كان نبيا ما مات ابنه فطلقها * ثم تزوج عربة ابنة جابر الكلابية خطبها عليه أبو أسيد (بضم الهمزة) الساعدى فلما قدمت على النبى صلى الله عليه وسلم استعاذت بالله منه ففارقها * ثم تزوج أسماء ابنة النعمان ابن الاسود بن شراحيل الكندى فلما دخل بها وجد بها بياضا فمتعها وردها الى أهلها وقيل بل استعاذت منه أيضا فردها * والعالية ابنة ظبيان فجمعها ثم فارقها * وقتيلة بنت قيس أخت الاشعث فتوفى عنها قبل ان يدخل بها فارتدت * وفاطمة ابنة سرع وقال ابن الكلبى عربة هى أم شريك قال وقيل انه تزوج خولة ابنة الهذيل بن هبيرة وليلى ابنة الخطيم الانصارية عرضت نفسها عليه فتزوجها فاخبرت قومها فقالوا أنت غيور وله نساء فاستقيليه فاستقالته فأقالها ففارقها * وأما من خطب النبى صلى الله عليه وسلم من النساء ولم ينكحها فمنهن أم هانئ بنت أبى طالب خطبها ولم يتزوجها * ومنهن ضباعة بنت عامر من بنى قشير * ومنهن صفية بنت بشامة أخت الاعور العنبرى * ومنهن أم حبيبة ابنة عمه العباس فوجد العباس أخاه من الرضاعة فتركها * ومنهن جمرة ابنة الحرث بن أبى حارثة خطبها فقال أبوها بها سوء ولم يكن بها فرجع اليها فوجدها قد برصت * وأما سراريه فهى مارية ابنة شمعون القبطية وولدت له ابراهيم وريحانة ابنة زيد القرظية وقيل هى من بنى النضير

(ذكر موالى رسول الله صلى الله عليه وسلم)

فمنهم زيد بن حارثة وابنه أسامة بن زيد * وثوبان ويكنى أبا عبد الله أصله من السراة وسكن حمص بعد

المساجد والاربطة وعمر الطريق وجمع الجيوش لنصرة الاسلام وحفظ الثغور وافتتح الحصون واجتمعت القلوب على محبته والالسن على مدحه وبنى على دجلة من الجانب الشرقى مدرسة ما بنى على وجه الارض أحسن منها ولا أكثر وقوفا وهى بأربعة مدرسين على المذاهب الاربعة وعمل فيها بيمارستانا ورتب فيها مطبخا للفقهاء ومزملة للماء البارد واستخدم عساكر عظيمة وكان ذا همة عالية وشجاعة واقدام عظيم قصدت التتار البلاد فلقيهم فهزم التتار هزيمة عظيمة توفى رحمه الله يوم الجمعة عاشر جمادى الآخرة سنة أربعين وستمائة وله من العمر اثنتان وخمسون سنة فكانت خلافته سبع عشرة سنة

(الفصل السابع والثلاثون فى ذكر دولة المستعصم بالله)

اسمه عبد الله أبو أحمد بن المستنصر بويع له بالخلافة يوم موت ابيه وهو آخر الخلفاء العباسية بالعراق وكان كريما حليما سليم الباطن قليل الرأى مبغضا للبدعة متمسكا بالسنة ولد سنة تسع وستمائة وأمه ام ولد اسمها هاجر نقش خاتمه

موت النبي صلى الله عليه وسلم ومات سنة سبع وخمسين وقيل سكن الرملة ولا عقب له * وشقران وكان من الحبشة وقيل من الفرس واسمه صالح فقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثه من أبيه وقيل كان لعبد الرحمن بن عوف فوهبه للنبي صلى الله عليه وسلم وأعقب * وأبو رافع واسمه ابراهيم وقيل أسلم فقيل كان للعباس فوهبه للنبي صلى الله عليه وسلم فأعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كان لأبي أحيحة بن سعيد بن العاص فأعتق ثلاثة من بنيه أنصباءهم منه وشهدوا معهم بدرا وهم كفار وقتلوا يومئذ ووهب خالد بن سعيد نصيبه منه للنبي صلى الله عليه وسلم فأعتقه وابنه البهي واسمه رافع وأخوه عبيد الله بن أبي رافع كان يكتب لعلي بن أبي طالب * وسلمان الفارسي وكنيته أبو عبد الله من أهل أصبهان وقيل من أهل رامهرمز أصابه سبيا بعض من كلب وبيع من يهودي بوادي القرى فكاتب اليهودي وأعانه النبي صلى الله عليه وسلم حتى عتق * وسفينة كان لأم سلمة فأعتقته وشرطت عليه خدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل اسمه مهران وقيل رباح وقيل كان من عجم الفرس وابنه يكنى أبا مسروح وهو من مولدي السراة وكان يأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد معه بدرا وأحدا والمشاهد كلها وقيل كان من الفرس * وأبو كبشة واسمه سليم قيل كان من موالي مكة وقيل كان من مولدي أرض دوس اشتراه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعتقه وشهد بدرا والمشاهد كلها وتوفي يوم استخلف عمر بن الخطاب سنة ثلاث عشرة * ورويفع أبو مويهبة كان من مولدي مزينة فاشتراه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعتقه * ورباح الأسود كان يأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم * وفضالة نزل الشام * ومدعم قتل بوادي القرى وأبو ضميرة قيل كان من الفرس من ولد بشتاسب الملك فأصابه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض وقائعه فأعتقه وهو جد أبي حسين * ويسار وكان نوبيا أصابه في بعض غزواته فأعتقه وهو الذي قتله العرنيون الذين أغاروا على لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم * ومهران مولاه حدث عن النبي صلى الله عليه وسلم * وكان له خصي يقال له مابور أهداه له المقوقس مع مارية * وسيرين قيل انه الذي قذفت مارية به فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ليقتله فرآه خصيا فتركه وخرج اليه من الطائف وهو محاصرهم أربعة أعبد فأعتقهم منهم أبو بكرة

(ذكر من كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم)

ذكر ان عثمان بن عفان كان يكتب له أحيانا وعلي بن أبي طالب أحيانا وخالد بن سعيد وأبان ابن سعيد والعلاء بن الحضرمي وأول من كتب له أبي بن كعب وكتب له زيد بن ثابت وكتب له عبد الله بن سعد بن أبي سرح ثم ارتد ورجع الى الاسلام يوم الفتح وكتب له معاوية بن أبي سفيان وحنظلة الأسيدي (بضم الهمزة وتشديد الياء كذلك يقوله المحدثون وهو منسوب الى أسيد ابن عمرو بن تميم بالتشديد اجماعا)

(ذكر أسماء خيله صلى الله عليه وسلم)

قيل أول فرس ملكه صلى الله عليه وسلم فرس اشتراه بالمدينة من أعرابي من فزارة بعشرة أواق وسماه السكب وأول غزوة غزاها عليه أحد * وفرس لأبي بردة بن أبي نيار اسمه ملاوح وكان له فرس يدعى المرتجز وهو الفرس الذي شهد به خزيمة بن ثابت وكان صاحبه من بني مرة * وكان

الخلافة ركن الى وزيره مؤيد الدين العلقمي الرافضي من سوء تدبيره واشتغل بلعب الحمام وما لا يليق ولعب الوزير بالخليفة كيفما أراد وباطن التتار وناصحهم وأطمعهم في المجيء الى العراق وأخذ بغداد وقطع الدولة العباسية ليقيم خليفة من آل علي وصار اذا جاءه خبر من التتار كتمه عن الخليفة ويطالع التتار بأخبار الخليفة ثم ان الوزير كاتب التتار وأطمعهم في البلاد وسهل عليهم ذلك وطلب أن يكون نائبهم فوعدوه بذلك وتأهبوا لقصد بغداد والخليفة تائه في لذاته وكان خليا من الرأي والتدبير وأشار عليه الوزير بقطع أكثر الجند وان مصانعة التتار واكرامهم يحصل بها المقصود ففعل ذلك * قال ابن الأثير في الكامل حادثة التتار من الحوادث العظمى والمصائب الكبرى التي عقمت الدهور عن مثلها عمت الخلائق فلو قال قائل ان العالم منذ خلقه الله تعالى الى الآن لم يبتلوا بمثلها لكان صادقا فهذه الحادثة التي استطار شررها وعم ضررها فهم قوم لا يحصون عددا

له ثلاثة افراس لزاز والظرب واللحيف فاما لزاز فاهداه له المقوقس وأما اللحيف فاهداه له ربيعة بن أبي البراء وأما الظرب فأهداه له فروة بن عمرو الجذامي * وكان له فرس يقال له الورد أهداه له تميم الداري فوهبه النبي صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب فحمل عليه في سبيل الله فوجده يباع وقيل كان له فرس اسمه اليعسوب * تفسير هذه الاسماء السكب الكثير الجري كانما يصب جريه صبا واللحيف سمي به لطول ذنبه كانه يلحف الارض بذنبه اي يغطيها ولزاز سمي به لشدة تلززه والظرب سمي به لشدة خلقه سمي بالجبل الصغير والمرتجز سمي به لحسن صهيله واليعسوب سمي به لانه أجود خيله لان اليعسوب الرئيس

(ذكر بغاله وحميره وابله صلى الله عليه وسلم)

كانت له دلدل وهي أول بغلة رؤيت في الاسلام أهداها له المقوقس ومعها حمار اسمه عفير وبقيت البغلة الى زمن معاوية * واهدى له فروة بن عمرو بغلة يقال لها فضة فوهبها لابي بكر وحماره يعفور نفق بعد منصرفه من حجة الوداع * وأما ابله فكانت له القصواء وهي التي أخذها من أبي بكر بأربعمائة درهم وهاجر عليها وكانت من نعم بني الحريش وبقيت مدة وهي العضباء والجدعاء أيضا قال ابن المسيب كان في طرف اذنها جدع وقيل لم يكن بها جدع * وأما اللقاح فكان له عشرون لقحة بالغابة وهي التي اغار عليها القوم يأتي اليه أهله كل ليلة وكان له لقاح غزر منهن الحناء والسمراء والعريس والسعدية والبغوم واليسيرة والرياء ومهرة والشقراء * وأما منائحه فكانت له سبع منائح من الغنم عجرة وزمزم وسقيا وبركة وورشة واطلال واطراف * وسبعة اعنز ترعاهن أيمن ابن أم ايمن تفسير هذه الاسماء عفير تصغير ترخيم الاعفر وهو الابيض بياضا غير خالص ومنه أيضا اسم حماره يعفور كاخضر ويخضور البغام صوت الابل ومنه البغوم والباقي لا يحتاج الى شرح

(ذكر أسماء سلاحه صلى الله عليه وسلم)

كان له ذو الفقار غنمه يوم بدر وكان لمنبه بن الحجاج وقيل لغيره وغنم من بني قينقاع ثلاثة اسياف سيفا قلعيا وسيفا يدعى بتارا وسيفا يدعى الحتف وكان له المخذم ورسوب وقدم معه المدينة سيفان شهد باحدهما بدرا يسمى العضب * وكان له ثلاثة ارماح وثلاثة قسي قوس اسمه الروحاء وقوس يدعى البيضاء وقوس نبع يدعى الصفراء * وكان له درع يقال لها الصعدية وكان له درع يقال لها فضة غنمها من بني قينقاع وكان له درع تسمى ذات الفضول كانت عليه يوم أحد هي وفضة وكان له ترس فيه تمثال رأس كبش فكرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصبح وقد أذهبه الله عز وجل * تفسير هذه الاسماء سمي السيف ذو الفقار لحفر فيه والسيف المخذم القاطع والرسوب الذي يمضي في الضربة ويثبت فيها

(ذكر احداث سنة احدى عشرة)

في المحرم من هذه السنة بعث النبي صلى الله عليه وسلم بعثا الى الشام وأميرهم اسامة بن زيد مولاه وأمره ان يوطئ الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين فتكلم المنافقون في امارته وقالوا أمر غلاما على جلة المهاجرين والانصار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تطعنوا في امارته فقد طعنتم في امارة أبيه من قبل وانه لخليق للامارة وكان أبوه خليقا لها

ولا يحتاجون الى عدة ومدد يأتيهم فان معهم الاغنام والبقر والخيل يأكلون لحومها لا غير وأما خيلهم فانها تحفر الارض بحوافرها وتأكل عروق النبات ولا تعرف الشعير وأما دياناتهم فانهم يسجدون للشمس عند طلوعها ولا يحرمون شيأ ويأكلون جميع الدواب وبني آدم ولا يعرفون نكاحا بل المرأة يأتيها غير واحد ولما دخلت سنة ست وخمسين وستمائة وصل التتار الى بغداد ومقدمهم هلاكو فخرج اليهم عسكر الخليفة فهزموهم ودخلوا بغداد يوم عاشوراء فاشار الوزير خذله الله على الخليفة بمصانعتهم وقال اخرج اليهم وأنا أصلح بينك وبينهم وبلغني أن ملك التتار قد رغب في ان يزوج ابنته بابنك الامير أبي بكر ويبقيك في منصب الخلافة كما كان أجدادك مع السلاطين السلجوقية وينصرف عنك بجيوشه فليجب مولانا الى هذا فان فيه حقن دماء المسلمين ويمكن بعد ذلك أن تفعل ما تريد والرأي عندي ان تخرج اليهم فتعجب وتزين وأخذ بردة النبي صلى الله عليه وسلم على كتفيه والقضيب بيده فخرج

وأوعب مع اسامة المهاجرون الاولون منهم أبو بكر وعمر فبينما الناس على ذلك ابتدأ برسول الله صلى الله عليه وسلم مرضه

(ذكر مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم ووفاته)

ابتدأ برسول الله صلى الله عليه وسلم مرضه أواخر صفر في بيت زينب بنت جحش وكان يدور على نسائه حتى اشتد مرضه في بيت ميمونة فجمع نساءه فاستأذنهن ان يمرض في بيت عائشة ووصلت اخبار بظهور الاسود العنسي باليمن ومسيلمة باليمامة وطليحة في بني أسد وعسكر بسميراء وسيجيء ذكر اخبارهم ان شاء الله تعالى فتأخر مسير اسامة لمرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهور الاسود العنسي ومسيلمة فخرج النبي صلى الله عليه وسلم عاصبا راسه من الصداع فقال اني رأيت في عضدي سوارين من ذهب فنفختهما فطارا فأولتهما بكذاب اليمامة وكذاب صنعاء وأمر بانفاذ جيش اسامة وقال لعن الله الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وخرج اسامة فضرب بالجرف العسكر وتمهل الناس وثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشغله شدة مرضه عن انفاذ أمر الله فأرسل الى نفر من الانصار في أمر الاسود فاصيب الاسود في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بيوم فأرسل الى جماعة من الناس يحثهم على جهاد من عندهم من المرتدين، وقال أبو مويهبة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أيقظني رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة وقال اني قد أمرت ان أستغفر لاهل البقيع فانطلقت معه فسلم عليهم ثم قال ليهنكم ما أصبحتم فيه قد أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم ثم قال قد أوتيت مفاتيح خزائن الارض والخلد بها ثم الجنة وخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي فاخترت لقاء ربي ثم استغفر لاهل البقيع ثم انصرف فبدئ بمرضه الذي قبض فيه قالت عائشة فلما رجع من البقيع وجدني وأنا أجد صداعا وأنا أقول وارأساه قال بل أنا والله يا عائشة وارأساه ثم قال ما ضرك لو مت قبلي فقمت عليك وكفنتك وصليت عليك ودفنتك فقلت كأني بك والله لو فعلت ذلك فرجعت الى بيتي فعرست ببعض نسائك فتبسم وتتام به وجعه وتمرض في بيتي فخرج منه يوما بين رجلين احدهما الفضل ابن العباس والآخر علي قال الفضل فاخرجته حتى جلس على المنبر فحمد الله وكان أول ما تكلم به النبي صلى الله عليه وسلم أن صلى على أصحاب أحد فاكثر واستغفر لهم ثم قال أيها الناس ٣ان قد دنا مني حقوق من بين أظهركم فمن كنت جلدت له ظهرا فهذا ظهري فليستقد منه ومن كنت شتمت له عرضا فهذا عرضي فليستقد منه ومن أخذت له مالا فهذا مالي فليأخذ منه ولا يخش الشحناء من قبلي فانها ليست من شأني الا وان أحبكم الي من أخذ مني حقا ان كان له أو حللني فلقيت ربي وانا طيب النفس ثم نزل فصلى الظهر ثم رجع الى المنبر فعاد لمقالته الاولى فادعى عليه رجل بثلاثة دراهم فأعطاه عوضها ثم قال أيها الناس من كان عنده شيء فليؤده ولا يقل فضوح الدنيا الا وان فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة ثم صلى على أصحاب أحد واستغفر لهم ثم قال ان عبدا خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده فبكى أبو بكر وقال فديناك بأنفسنا وآبائنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبقين في المسجد باب الا باب أبي بكر فاني لا أعلم أحدا أفضل في الصحبة عندي منه ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام ثم اوصى بالانصار فقال يا معشر المهاجرين اصبحتم

(٣قوله ان قد دنا الخ تركيب غير ظاهر فليحرر لفظ الحديث)

تريدون

مستقبلا اليه في جمع من العلماء والاعيان فلما اجتمع بكبير التتار نزله في خيمة وحده ثم خرج الوزير واستدعى العلماء والفقهاء ليحضروا العقد فكلما حضرت طائفة ضربت اعناقهم وصار كذلك يخرج طائفة بعد طائفة فتضرب اعناقهم حتى قتل جميع من هنالك ثم مد الجسر وبذل السيف في بغداد واستمر القتل فيها نحو اربعين يوما فبلغ القتلى اكثر من الفي الف وثمانمائة الف نسمة ولم يسلم الا من اختفى في بئر او قناة وأما الخليفة فأمر ان يجوع الى ان بلغ منه الجوع مبلغا عظيما فسأل أن يطعم شيئا فأرسل هلاكو له طبقا فيه ذهب وطبقا فيه فضة وطبقا فيه جوهر وقيل له كل هذا فقال هذا ما يؤكل فقال اذا كنت تعلم انه ما يؤكل لم ادخرته كنت صانعتنا ببعضه او استخدمت به جيشا لقيتنا به ثم امر به فأخذ البردة والقضيب فوضعهما في طبق نحاس فاحرقهما وذر رمادهما في دجلة كما مر واخذ الخليفة وولده فوضعهما في جوالقين وامر برفسهما وقيل ضربا بالمرازب وبمداق الجص الى أن ماتا وكان ذلك في

تزيدون وأصبحت الانصار لاتزيد والانصار عيبتى التى أويت اليها فأكرموا كريمهم وتجاوزوا عن مسيئهم قال ابن مسعود نعى الينا نبينا وحبيبنا نفسه قبل موته بشهر فلما دنا الفراق جمعنا فى بيت عائشة فنظر الينا فشدد ودمعت عيناه وقال مرحبا بكم حياكم الله رحمكم الله آواكم الله حفظكم الله رفعكم الله وفقكم الله سلمكم الله قبلكم الله أوصيكم بتقوى الله وأوصى الله بكم واستخلفه عليكم وأوديكم اليه انى لكم منه نذير وبشير أن لاتعلوا على الله فى عباده وبلاده فانه قال لى ولكم تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لايريدون علوا فى الارض ولافسادا والعاقبة للمتقين قلنا فمتى أجلك قال دنا الفراق والمنقلب الى الله وسدرة المنتهى والرفيق الاعلى وجنة المأوى فقلنا من يغسلك قال اهلى قلنا فيم نكفنك قال فى ثيابى أو فى بياض قلنا فمن يصلى عليك قال مهلا غفر الله لكم وجزاكم عن نبيكم خيرا فبكينا وبكى ثم قال ضعونى على سريرى على شفير قبرى ثم اخرجوا عنى ساعة ليصلى على جبريل واسرافيل وميكائيل وملك الموت مع الملائكة ثم ادخلوا على فوجا فوجا فصلوا على ولاتؤذونى بتزكية ولارنة أقرؤا أنفسكم منى السلام ومن غاب من اصحابى فاقرؤه منى السلام وتابعكم على دينى فاقرؤه السلام قال ابن عباس يوم الخميس ومايوم الخميس ثم جرت دموعه على خديه اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم مرضه ووجعه فقال ائتونى بدواة وبيضاء أكتب لكم كتابا لاتضلون بعدى أبدا فتنازعوا ولاينبغى عند نبى تنازع فقالوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يهجر فجعلوا يعيدون عليه فقال دعونى فما انا فيه خير مما تدعونى اليه فأوصى ان يخرج المشركون من جزيرة العرب وان يجاز الوفد بنحو مما كان يجيزهم وسكت عن الثالثة عمدا أو قال نسيتها وخرج على بن أبى طالب من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه فقال الناس كيف أصبح رسول الله فقال أصبح بحمد الله بارئا فأخذ بيده العباس فقال انت بعد ثلاث عبد العصا وان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيتوفى فى مرضه هذا وانى لاعرف الموت فى وجوه بنى عبد المطلب فاذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسأله فيمن يكون هذا الامر فان كان فينا علمناه وان كان فى غيرنا أمره فأوصى بنا فقال على لئن سألناها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعناها لايعطيناها الناس أبدا والله لاأسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فما اشتد الضحى حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عائشة قالت اسماء بنت عميس ماوجعه الا ذات الجنب فلودوه ففعلوا فلما أفاق قال لم فعلتم هذا قالوا ظننا ان بك ذات الجنب قال لم يكن الله ليسلطها على ثم قال لايبقى أحد فى البيت الالد وانا انظر الا العباس وكان حاضرا ففعلوا قال اسامة لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم هبطت انا ومن معى فدخلنا عليه وقد صمت فلا يتكلم فجعل يرفع يده الى السماء ثم يضعها على فعلمت انه يدعولى قالت عائشة وكنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كثيرا ان الله لم يقبض نبيا حتى يخيره قالت فلما احتضر كان آخر كلمة سمعتها منه وهو يقول بل الرفيق الاعلى قالت قلت اذا والله لايختارنا وعلمت انه مخير ولما اشتد مرضه آذنه بلال بالصلاة فقال مروا أبابكر فليصل بالناس قالت عائشة فقلت انه رجل رقيق وانه متى يقم مقامك لايطيق ذلك فقال مروا أبابكر فليصل بالناس فقلت مثل ذلك فغضب وقال انكن صواحبات يوسف مروا أبابكر فليصل بالناس فتقدم أبو بكر فلما دخل فى الصلاة وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم خفة

نهار الاربعاء رابع عشر صفر سنة تسع وخمسين وستمائة وعفى قبرهما وكان عمر الخليفة خمسين سنة وأربعة أشهر ومدة خلافته خمس عشرة سنة وثمانية اشهر وأياما وقتل بقية اولاده واسرت بناته ومن بيت الخلافة والاكابر مايقارب ألف بكر فكانت خاتمة الدولة العباسية بالعراق وزال ملكهم فى هذه السنة فجملة أيامهم بالعراق ذكر خمسمائة سنة واربع وعشرون سنة

خلت المنابر والاسرة منهم فعليهم حتى الممات سلام

قال الذهبى وماأظن ان الخليفة دفن وكانت بلية عظيمة لم يصب الاسلام بمثلها ولم يتم للوزير ماأراد وذاق من التتار غاية الذل والهوان فان هلاكو استدعاه الى بين يديه وعنفه على سوء مافعله مع استاذه ثم قتله اشر قتلة وعملت الشعراء مراثى منها قول سبط التعاويذى

بادت وأهلوها معا فبيوتهم ببقاء مولانا الوزير خراب

وفى هذا المعنى يقول الشيخ شمس الدين الواعظ الكوفى

ياعصبة الاسلام نوحى والطمى حزنا على ماحل بالمستعصم
دست الوزارة كان عند ابن العلقمى ... دست الوزارة كان عذبا سائغا

فخرج بين رجلين فلما دنا من أبي بكر تأخر أبو بكر فأشار اليه ان قم مقامك فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الى جنب أبي بكر جالسا فكان ابو بكر يصلي بصلاة النبي والناس يصلون بصلاة أبي بكر وصلى أبو بكر بالناس سبع عشرة صلاة وقيل ثلاثة أيام ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج في اليوم الذي توفي فيه الى الناس في صلاة الصبح فكاد الناس يفتتنون في صلاتهم فرحا برسول الله صلى الله عليه وسلم وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحا لما رأى من هيئتهم في الصلاة ثم رجع وانصرف الناس وهم يظنون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أفاق من وجعه ورجع أبو بكر الى منزله بالسنح قالت عائشة رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يموت وعنده قدح فيه ماء يدخل يده في القدح ثم يمسح وجهه بالماء ثم يقول اللهم أعني على سكرات الموت قال ثم دخل بعض آل أبي بكر وفي يده سواك فنظر اليه فأخذته فلينته ثم ناولته اياه فاستن به ثم وضعه ثم ثقل في حجري قالت فذهبت أنظر في وجهه واذا بصره قد شخص وهو يقول بل الرفيق الاعلى فقبض قالت توفي وهو بين سحري ونحري في سفهي وحداثة سني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض في حجري فوضعت رأسه على وسادة وقمت ألتدم مع النساء وأضرب وجهي ولما اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه ونزل به الموت جعل يأخذ الماء بيده ويجعله على وجهه ويقول واكرباه فتقول فاطمة واكربي لكربك يا أبتي فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا كرب على أبيك بعد اليوم فلما رأى شدة جزعها استدناها وسارها فبكت ثم سارها الثانية فضحكت فلما توفي رسول الله سألتها عائشة عن ذلك قالت اخبرني انه ميت فبكيت ثم اخبرني اني أول أهله لحوقا به فضحكت وروى عنها انها قالت ثم سارني الثانية واخبرني اني سيدة نساء أهل الجنة فضحكت وكان موته يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الاول ودفن من الغد نصف النهار وقيل مات نصف النهار يوم الاثنين لليلتين بقيتا من ربيع الاول ولما توفي كان أبو بكر بمنزله بالسنح وعمر حاضر فلما توفي قام عمر فقال ان رجالا من المنافقين يزعمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي وانه والله ما مات ولكنه ذهب الى ربه كما ذهب موسى بن عمران والله ليرجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا انه مات وأقبل أبو بكر وعمر يكلم الناس فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مسجى في ناحية البيت فكشف عن وجهه ثم قبله وقال بأبي انت وأمي طبت حيا وميتا أما الموتة التي كتب الله عليك فقد متها ثم رد الثوب على وجهه ثم خرج وعمر يكلم الناس فأمره بالسكوت فأبى فأقبل أبو بكر على الناس فلما سمع الناس كلامه أقبلوا عليه وتركوا عمر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ثم تلا هذه الآية وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيأ وسيجزي الله الشاكرين قال فوالله لكأن الناس ما سمعوها الا منه قال عمر فوالله ما هو الا ان سمعتها فعقرت حتى وقعت على الارض ما تحملني رجلاي وقد علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصل خبره الى مكة وعامله عليها عتاب بن أسيد بن أبي العاص بن أمية استخفى عتاب وارتجت مكة وكاد أهلها يرتدون فقام سهيل بن عمرو على باب الكعبة

وصاح

باب الفترات قصار للإبن العلقمي وللشيخ تقي الدين بن ابي اليسر قصيدة مشهورة في بغداد وهي هذه

لسائل الدمع عن بغداد اخبار
فما وقوفك والاحباب قد ساروا
يا زائرين الى الزوراء لا تفدوا
فما بذاك الحمى والدار ديار
تاج الخلافة والربع الذي شرفت
به المعالم قد عفاه اقفار

(ومن الحوادث في أيامه) ما ذكره ابن الجوزي في شذور الذهب في سنة احدى وأربعين وستمائة جاءت بدمشق الزيادة الكبرى التي ما سمع مثلها فوصلت الى حائط جامع التوبة بالعقيبة وفيها أخذت التتار بلاد الروم وقررت على ملكها في السنة اربعمائة ألف دينار ثم أخذوا قيصرية وسيواس بالسيف وفي سنة اثنتين وخمسين وستمائة ظهرت نار في أرض عدن وكان يطير شررها في الليل الى البحر ويصعد منها دخان عظيم في النهار وفي سنة اربع وخمسين وستمائة ظهرت النار بالمدينة المنورة ليلة الاربعاء ثالث جمادى الآخرة وظهر بالمدينة دوي عظيم ثم زلزلة عظيمة

وصاح بهم فاجتمعوا اليه فقال يا أهل مكة لا تكونوا آخر من أسلم وأول من ارتد والله ليتمن الله هذا الامر كما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقد رأيته قائما مقامي هذا وحده وهو يقول قولوا معي لا اله الا الله تدين لكم العرب وتؤدي اليكم العجم الجزية والله لتنفقن كنوز كسرى وقيصر في سبيل الله فمن بين مستهزئ ومصدق فكان ما رأيتم والله ليكونن الباقي فامتنع الناس من الردة وهذا المقام الذي قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أسر سهيل بن عمرو في بدر لعمر بن الخطاب وقد ذكرناه

(حديث السقيفة وخلافة ابي بكر رضي الله عنه وأرضاه)

لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمع الانصار في سقيفة بني ساعدة ليبايعوا سعد بن عبادة فبلغ ذلك أبا بكر فأتاهم ومعه عمر وابو عبيدة بن الجراح فقال ما هذا فقالوا منا أمير ومنكم امير فقال ابو بكر منا الامراء ومنكم الوزراء ثم قال ابو بكر قد رضيت لكم احد هذين الرجلين عمر وابا عبيدة امين هذه الامة فقال عمر ايكم يطيب نفسا ان يخلف قدمين قدمهما النبي صلى الله عليه وسلم فبايعه عمر وبايعه الناس فقالت الانصار او بعض الانصار لا نبايع الا عليا قال وتخلف علي وبنو هاشم والزبير وطلحة عن البيعة وقال الزبير لا اغمد سيفا حتى يبايع علي فقال عمر خذوا سيفه واضربوا به الحجر ثم أتاهم عمر فأخذهم للبيعة وقيل لما سمع علي بيعة أبي بكر خرج في قميص ما عليه ازار ولا رداء عجلا حتى بايعه ثم استدعى ازاره ورداءه فتجلله والصحيح ان أمير المؤمنين ما بايع الا بعد ستة أشهر والله أعلم وقيل لما اجتمع الناس على بيعة ابي بكر أقبل ابو سفيان وهو يقول اني لارى عجاجة لا يطفئها الا الدم يا آل عبد مناف فيم أبو بكر من أموركم أين المستضعفان أين الاذلان علي والعباس ما بال هذا الامر في أقل حي من قريش ثم قال لعلي ابسط يدك أبايعك فوالله لئن شئت لاملأنها عليه خيلا ورجلا فأبى علي عليه السلام عليه فتمثل بشعر المتلمس

ولن يقيم على خسف يراد به ＊ الا الاذلان عير الحي والوتد

هذا على الخسف مربوط برمته ＊ وذا يشج فلا يبكي له أحد

فزجره علي وقال والله انك ما أردت بهذا الا الفتنة وانك والله طالما بغيت للاسلام شرا لا حاجة لنا في نصيحتك وقال ابن عباس كنت اقرئ عبد الرحمن بن عوف القرآن فحج عمر وحججنا معه فقال لي عبد الرحمن شهدت أمير المؤمنين اليوم بمنى وقال له رجل سمعت فلانا يقول لو مات عمر لبايعت فلانا فقال عمر اني لقائم العشية في الناس أحذرهم هؤلاء الرهط الذين يريدون ان يغتصبوا الناس أمرهم قال فقلت يا أمير المؤمنين ان الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم وهم الذين يغلبون على مجلسك وأخاف ان تقول مقالة لا يعوها ولا يحفظوها ويطيروا بها ولكن امهل حتى تقدم المدينة وتخلص بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقول ما قلت فيعوا مقالتك فقال والله لاقومن بها أول مقام أقومه بالمدينة قال فلما قدمت المدينة هجرت يوم الجمعة لحديث عبد الرحمن فلما جلس عمر على المنبر حمد الله واثنى عليه ثم قال بعد ان ذكر الرجم وما نسخ من القرآن فيه انه بلغني ان قائلا منكم يقول لو مات أمير المؤمنين بايعت فلانا فلا يغرن امرأ ان يقول ان بيعة ابي بكر كانت فتنة فقد كانت كذلك ولكن الله وقى شرها

فكانت ساعة بعد ساعة الى خامس الشهر فظهرت نار عظيمة في الحرة قريبا من قريظة قال اهل المدينة كانا نبصرها من دورنا من داخل المدينة كانها عندنا وسالت أودية منها الى وادي شظا كسيل الماء وطلعنا نبصرها فاذا الجبال تسيل نارا وسارت هكذا وهكذا نيران كانها الجبال وطار منها شرر كالقصر الى ان أبصر ضوءها من مكة ومن الفلاة جميعها واجتمع الناس كلهم الى القبر الشريف مستغفرين تائبين واستمرت هكذا أكثر من شهر قال الذهبي امر هذه النار متواتر وهي مما اخبر به المصطفى صلى الله عليه وسلم حيث قال لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها اعناق الابل ببصرى وقد حكى غير واحد ممن كان ببصرى في الليل انه رأى اعناق الابل في ضوئها ثم دخلت سنة سبع وخمسين وستمائة والدنيا بلا خليفة واستمر الحال على هذا المنوال الى رجب سنة تسع وخمسين وستمائة فاقيمت الخلافة بمصر كما سنذكره وكانت مدة انقطاع الخلافة ثلاث سنين ونصفا

*(القسم الثاني من الخلفاء

وليس منكم من تقطع اليه الاعناق مثل ابي بكر وانه كان خير نا حين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وان عليا والزبير ومن معهما تخلفوا عنا في بيت فاطمة وتخلف عنا الانصار واجتمع المهاجرون الى ابي بكر فقلت له انطلق بنا الى اخواننا من الانصار فانطلقنا نحوهم فلقينا رجلان صالحان من الانصار احدهما عويم بن ساعدة والثاني معن بن عدي فقالا لنا ارجعوا اقضوا امركم بينكم قال فاتينا الانصار وهم مجتمعون في سقيفة بني ساعدة وبين اظهرهم رجل مزمل قلت من هذا قالوا سعد بن عبادة وجع فقام رجل منهم فحمد الله واثنى عليه وقال اما بعد فنحن الانصار وكتيبة الاسلام وانتم يا معشر قريش رهط بيننا وقد دفت الينا دافة من قومكم فاذاهم يريدون ان يغصبونا الامر فلما سكت وكنت قد زورت في نفسي مقالة اقولها بين يدي ابي بكر فلما اردت ان اتكلم قال ابو بكر على رسلك فقام فحمد الله وما ترك شيأ كنت زورت في نفسي الا جاء به او باحسن منه وقال يا معشر الانصار انكم لا تذكرون فضلا الا وانتم له اهل وان العرب لا تعرف هذا الامر الا لقريش هم اوسط العرب دارا ونسبا وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين واخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح واني والله ما كرهت من كلامه كلمة غيرها ان كنت أقدم فتضرب عنقي فيما لا يقربني الى اثم أحب الي من ان أؤمر على قوم فيهم أبو بكر فلما قضى ابو بكر كلامه قام منهم رجل فقال أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب منا أمير ومنكم أمير وارتفعت الاصوات واللغط فلما خفت الاختلاف قلت لابي بكر ابسط يدك ابايعك فبسط يده فبايعته وبايعه الناس ثم نزونا على سعد بن عبادة فقال قائلهم قتلتم سعدا فقلت قتل الله سعدا وانا والله ما وجدنا أمرا هو أقوى من بيعة ابي بكر خشيت ان فارقت القوم ولم تكن بيعة ان يحدثوا بعدنا بيعة فاما ان نتابعهم على ما لا نرضى به واما ان نخالفهم فيكون فسادا وقال أبو عمرة الانصاري لما قبض النبي صلى الله عليه وسلم اجتمعت الانصار في سقيفة بني ساعدة وأخرجوا سعد بن عبادة ليولوه الامر وكان مريضا فقال بعد ان حمد الله يا معشر الانصار لكم سابقة وفضيلة ليست لاحد من العرب ان محمدا صلى الله عليه وسلم لبث في قومه بضع عشرة سنة يدعوهم فما آمن به الا القليل ما كانوا يقدرون على منعه ولا على اعزاز دينه ولا على دفع ضيم حتى اذا أراد الله بكم الفضيلة ساق اليكم الكرامة ورزقكم الايمان به وبرسوله والمنع له ولاصحابه والاعزاز له ولدينه والجهاد لاعدائه فكنتم أشد الناس على عدوه حتى استقامت العرب لامر الله طوعا وكرها وأعطى البعيد المقادة صاغرا فدانت لرسوله باسيافكم العرب وتوفاه الله وهو عنكم راض قرير العين استبدوا بهذا الامر دون الناس فانه لكم دونهم فاجابوه باجمعهم ان قد وفقت وأصبت الرأي ونحن نوليك هذا الامر فانك مقنع ورضا للمؤمنين ثم انهم ترادوا الكلام وأبى المهاجرون من قريش وقالوا نحن المهاجرون وأصحابه الاولون وعشيرته وأولياؤه فقالت طائفة منهم فانا نقول منا أمير ومنكم أمير ولن نرضى بدون هذا أبدا فقال سعد هذا أول الوهن وسمع عمر الخبر فأتى منزل النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر فيه فارسل اليه ان اخرج الي فارسل اليه اني مشتغل فقال عمر قد حدث أمر لا بد لك من حضوره فخرج اليه فاعلمه الخبر فمضيا مسرعين نحوهم ومعهما أبو عبيدة قال عمر فأتيناهم وقد كنت زورت كلاما أقوله لهم فلما دنوت أقول أسكتني أبو بكر وتكلم بكل

العباسية التي اقيمت بمصر بعد قتل المستعصم)* فكان عدد خلفائهم خمسة عشر نفرا ومدة خلافتهم مائتي سنة وخمسا وخمسين سنة ونصف سنة وهو يشتمل على فصول

(الفصل الاول في ذكر خلافة المستنصر بالله)

اسمه أحمد ابو القاسم بن الظاهر بأمر الله كان غائبا عند قتل المستعصم فسلم وقدم مصر وأثبت نسبه ثم بويع له بالخلافة فاول من بايعه السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقداري ثم قاضي القضاة تاج الدين ابن بنت الاعز ثم كل واحد على مراتبهم وكان بطلا شجاعا مهيبا وكان اسود لان أمه حبشية نقش خاتمه المستنصر بالله فلما ولي الخلافة نقش اسمه في السكة وخطب له وفرح الناس وخطب يوم الجمعة بنفسه وذكر فيها شرف بني العباس ورتب السلطان له اتابكا وحاجبا وكاتبا وعين له جميع ما يحتاج اليه ثم ان المستنصر هذا عزم على التوجه الى العراق فخرج معه السلطان يشيعه الى ان دخلوا دمشق ثم جهز السلطان الخليفة وعين معه جماعة لملك بغداد

ماأردت ان أقول فحمدالله وقال ان الله قد بعث فينا رسولا شهيدا على أمته ليعبدوه ويوحدوه وهم يعبدون من دونه آلهة شتى من حجر وخشب فعظم على العرب ان يتركوا دين آبائهم فخص الله المهاجرين الاولين من قومه بتصديقه والمواساة له والصبر معه على شدة أذى قومهم وتكذيبهم اياه وكل الناس لهم مخالف زارٍ عليهم فلم يستوحشوا لقلة عددهم وشنف الناس لهم فهم أول من عبد الله فى هذه الارض وآمن بالله وبالرسول وهم أولياؤه وعشيرته وأحق الناس بهذا الامر من بعده لا ينازعهم الا ظالم وأنتم يامعشر الانصار من لا ينكر فضلهم فى الدين ولا سابقتهم فى الاسلام رضيكم الله انصارا لدينه ورسوله وجعل اليكم هجرته فليس بعد المهاجرين الاولين عندنا بمنزلتكم فنحن الامراء وأنتم الوزراء لا تفتاتون بمشورة ولا تقضى دونكم الامور فقام حباب بن المنذر بن الجموح فقال يامعشر الانصار املكوا عليكم أمركم فان الناس فى ظلكم ولن يجترئ مجترئ على خلافكم ولا يصدروا الا عن رأيكم أنتم أهل العز وأولو العدد والمنعة وذووا البأس وانما ينظر الناس ماتصنعون ولا تختلفوا فيفسد عليكم أمركم أبى هؤلاء الا ما سمعتم فنا أمير ومنكم أمير فقال عمر هيهات لايجتمع اثنان والله لاترضى العرب أن تؤمركم ونبينا من غيركم ولا تمتنع العرب ان تولى أمرها من كانت النبوة فيهم ولنا بذلك الحجة الظاهرة من ينازعنا سلطان محمد ونحن أولياؤه وعشيرته فقال الحباب ابن المنذر يامعشر الانصار املكوا على أيديكم ولا تسمعوا مقالة هذا واصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الامر فان أبوا عليكم فاجلوهم عن هذه البلاد وتولوا عليهم هذه الامور فأنتم والله أحق بهذا الامر منهم فانه باسيافكم دان الناس لهذا الدين انا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب انا ابو شبل فى عرينة الاسد والله لئن شئتم لنعيدنها جذعة فقال عمر اذا يقتلك الله فقال بل اياك يقتل فقال أبو عبيدة يامعشر الانصار انكم أول من نصر فلا تكونوا أول من بدل وغير فقام بشير بن سعد أبو النعمان بن بشير فقال يامعشر الانصار انا والله وان كنا أولى فضيلة فى جهاد المشركين وسابقة فى الدين ماأردنا به الا رضا ربنا وطاعة نبينا والكدح لانفسنا فما ينبغى ان نستطيل على الناس بذلك ولا نبتغى به الدنيا الا ان محمدا صلى الله عليه وسلم من قريش وقومه أولى به وايم الله لايرانى الله أنازعهم هذا الامر فاتقوا الله ولا تخالفوهم فقال أبو بكر هذا عمر وأبو عبيدة فان شئتم فبايعوا فقالا والله لانتولى هذا الامر عليك وأنت أفضل المهاجرين وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصلاة وهى أفضل دين المسلمين ابسط يدك نبايعك فلما ذهبا يبايعانه سبقهما بشير بن سعد فبايعه فناداه الحباب بن المنذر عققت عقاقا أنفست على ابن عمك الامارة فقال لا والله ولكنى كرهت ان انازع القوم حقهم ولما رأت الاوس ماصنع بشير وماتطلب الخزرج من تأمير سعد قال بعضهم لبعض وفيهم أسيد بن حضير وكان نقيبا والله لئن وليتها الخزرج مرة لازالت لهم عليكم بذلك الفضيلة ولا جعلوا لكم فيها نصيبا أبدا فقوموا فبايعوا أبا بكر فبايعوه فانكسر على سعد والخزرج مااجمعوا عليه وأقبل الناس يبايعون أبا بكر من كل جانب ثم تحول سعد بن عبادة الى داره فبقى اياما وأرسل اليه ليبايع فان الناس قد بايعوا فقال لا والله حتى أرميكم بما فى كنانتى واخضب سنان رمحى وأضرب بسيفى وأقاتلكم بأهل بيتى ومن اطاعنى ولو اجتمع معكم الجن والانس مابايعتكم حتى

ففتح المدينة ثم هيت فلما قرب من أرض العراق استقبله جماعة من التتار فتصادفوا فقتل من المسلمين جماعة وعدم الخليفة فلم يعلم له اثر وذلك فى الثالث من المحرم سنة ستين وستمائة فكانت خلافته دون ستة اشهر

(الفصل الثانى فى ذكر خلافة الحاكم بأمر الله)

اسمه أحمد ابو العباس بن على كان اختفى وقت أخذ بغداد فكان قدم حلب فبايعه خلق كثير فلما قصد المستنصر بغداد فى الوقعة المذكورة كاتب الحاكم الملك الظاهر بيبرس فيه فطلبه فقدم الى القاهرة ومعه ولده وجماعة فى سادس عشر صفر عام ستين وستمائة فاكرمه الملك الظاهر بيبرس وبايعه بالخلافة وامتدت أيامه *(ومن الحوادث فى زمان خلافته)* ماذكره ابن الجزرى فى شذور الذهب ان فى شوال سنة تسع وستين وستمائة جاء بدمشق ايام التوت سيل عظيم لم يسمع بمثله والشمس طالعة حتى أغلقوا ابواب المدينة وطغى الماء فاخذ البيوت والدواب والاموال وارتفع عند باب الفرج عن عادته ثمانية أذرع ودخل الماء من مرامى السور ومن

أعرض على ربي فقال عمر لا ندعه حتى يبايع فقال بشير بن سعد انه قد لج وأبى ولا يبايعكم حتى يقتل وليس بمقتول حتى يقتل معه أهله وطائفة من عشيرته ولا يضركم تركه وانما هو رجل واحد فتركوه وجاءت أسلم فبايعت فقوي أبو بكر بهم وبايع الناس بعد وقيل كان عمرو بن حريث قال لسعيد بن زيد متى بويع ابو بكر قال يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم كرهوا ان يبقوا بعض يوم وليسوا في جماعة قال الزهري بقي علي وبنو هاشم والزبير ستة اشهر لم يبايعوا ابا بكر حتى ماتت فاطمة رضي الله عنها فبايعوه فلما كان الغد من بيعة أبي بكر جلس على المنبر وبايعه الناس بيعة عامة ثم تكلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس قد وليت عليكم ولست بخيركم فان أحسنت فأعينوني وان أسأت فقوموني الصدق أمانة والكذب خيانة والضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ له حقه والقوي ضعيف عندي حتى آخذ منه الحق ان شاء الله تعالى لا يدع أحد منكم الجهاد فانه لا يدعه قوم الا ضربهم الله بالذل أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم قوموا الى صلاتكم يرحمكم الله (أسيد بن حضير بضم الهمزة وبالحاء المهملة المضمومة وبالضاد المعجمة وآخره راء)

•(ذكر تجهيز النبي صلى الله عليه وسلم ودفنه)•

فلما بويع أبو بكر أقبل الناس على جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفن يوم الثلاثاء وقيل بقي ثلاثة أيام لم يدفن والاول أصح وكان الذي تولى غسله علي والعباس والفضل وقثم ابنا العباس وأسامة بن زيد وشقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحضرهم أوس بن خولي الانصاري وكان بدريا وكان العباس وابناه يقلبونه وأسامة وشقران يصبون الماء وعلي يغسله وعليه قميصه وهو يقول بأبي أنت وأمي ما أطيبك حيا وميتا ولم ير من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يرى من ميت واختلفوا في غسله في ثيابه أو مجردا فألقى الله عليهم النوم ثم كلمهم مكلم لا يدرى من هو ان غسلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه ثيابه ففعلوا ذلك وكفن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثة أثواب ثوبين صحاريين وبرد حبرة أدرج فيها ادراجا واختلفوا في موضع دفنه فقال أبو بكر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما قبض نبي الا دفن حيث قبض فرفع فراشه ودفن موضعه وحفر له أبو طلحة الانصاري لحدا ودخل الناس يصلون عليه أرسالا الرجال ثم النساء ثم الصبيان ثم العبيد ودفن ليلة الاربعاء وكان الذي نزل قبره علي ابن أبي طالب والفضل وقثم ابنا العباس وشقران وقال أوس بن خولي الانصاري لعلي أنشدك الله وحظنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمره بالنزول فنزل وكان المغيرة بن شعبة يدعي انه أحدث الناس عهدا برسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول ألقيت خاتمي في قبره عمدا فنزلت لآخذها وسأل ناس من أهل العراق عليا عن ذلك فقال كذب المغيرة أحدثنا عهدا به قثم بن العباس واختلفوا في عمره يوم مات فقال ابن عباس وعائشة ومعاوية وابن المسيب كان عمره ثلاثا وستين سنة وقال ابن عباس أيضا ودغفل بن حنظلة كان عمره خمسا وستين سنة وقال عروة بن الزبير كان عمره ستين سنة

•(ذكر انفاذ جيش أسامة بن زيد)•

قد ذكرنا استعمال النبي صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد على جيش وأمره بالتوجه الى الشام

بلب القرابيس فاتحت شيا كثيرا ولت ذات الخلوال المتمال وكتاب سامة مفتية قال الذهبي في دول الاسلام وفي سنة تسع وتسعين وستمائة قصد غازان بن ارغون بن ابغا بن هلاكو كبير التتار دمشق فالتقى بجيش عظيم وخرج السلطان فكان المصاف بوادي الخزندار على ثلاثة فراسخ من حمص فكانت ملحمة عظيمة قتل فيها اكثر من عشرة آلاف من التتار ولاحت امارات النصر للمسلمين ثم انكسرت ميمنة المسلمين ودخل التتار دمشق وشرعوا في المصادرة والعسف ونهبوا الصالحية وسبوا أهلها واحرقوا جامع العقيبة وعدة اماكن وحاصروا القلعة وعملوا المجانيق والتخريب فاحرق أهل القلعة دار السعادة ودار الحديث والعادلية وما بينهما من الدور حتى النورية وخربت حوالي القلعة كلها وهرب أهلها وبقي باب البريد اصطبلا فيه الزبل نحو ذراع وكان كبير التتار نازلا بالمرجة بجيشه وهم في نهب دمشق وبات الخلق في بلاء الله بها عليم ثم ان الله تعالى لطف بعباده وألقى في قلب غازان فأمر الامراء بالكف عن

وكان قد ضرب البعث على أهل المدينة ومن حولها وفيهم عمر بن الخطاب فتوفى النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسر الجيش وارتدت العرب اما عامة واما خاصة من كل قبيلة وظهر النفاق واشرأبت يهود والنصرانية وبقي المسلمون كالغنم في الليلة المطيرة لفقد نبيهم وقلتهم وكثرة عدوهم فقال الناس لابي بكر ان هؤلاء يعنون جيش اسامة جند المسلمين والعرب على ماترى فقد انتقضت بك فلا ينبغي ان تفرق جماعة المسلمين عنك فقال أبو بكر والذي نفسي بيده لو ظننت ان السباع تختطفني لانفذت جيش اسامة كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم فخاطب الناس وأمرهم بالتجهز للغزو وان يخرج كل من هو من جيش أسامة الى معسكره بالجرف فخرجوا كما أمرهم وحبس أبو بكر من بقي من تلك القبائل التي كانت لهم الهجرة في ديارهم فصاروا مسالح حول قبائلهم وهم قليل فلما خرج الجيش الى معسكرهم بالجرف وتكاملوا أرسل اسامة عمر بن الخطاب وكان معه في جيشه الى أبي بكر يستأذنه ان يرجع بالناس وقال ان معي وجوه الناس وجلتهم ولا آمن على خليفة رسول الله وحرم رسول الله والمسلمين ان يتخطفهم المشركون وقال من مع أسامة من الانصار لعمر بن الخطاب ان ابا بكر خليفة رسول الله ألا فامض فابلغه عنا واطلب اليه ان يولى أمرنا اقدم سنا من اسامة فخرج عمر بأمر اسامة الى ابي بكر فاخبره بما قال اسامة فقال لو خطفتني الكلاب والذئاب لانفذته كما امر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أرد قضاء قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو لم يبق في القرى غيري لانفذته قال عمر فان الانصار تطلب رجلا اقدم سنا من اسامة فوثب ابو بكر وكان جالسا وأخذ بلحية عمر وقال ثكلتك أمك يا ابن الخطاب استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم وتامرني ان اعزله ثم خرج ابو بكر حتى أتاهم واشخصهم وشيعهم وهو ماش واسامة راكب فقال له اسامة ياخليفة رسول الله لتركبن او لانزلن فقال والله لانزلت ولا اركب وما علي ان اغبر قدمي ساعة في سبيل الله فان للغازي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تكتب له وسبعمائة درجة ترفع له وسبعمائة سيئة تمحى عنه فلما أراد ان يرجع قال لاسامة ان رأيت ان تعينني بعمر فافعل فاذن له ثم وصاهم فقال لا تخونوا ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة ولا تعقروا نخلا وتحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا وسوف تمرون باقوام قد فرغوا انفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا انفسهم له وسوف تقدمون على قوم قد فحصوا اوساط رؤسهم وتركوا حولها مثل العصائب فاخفقوهم بالسيف خفقا اندفعوا باسم الله واوصى اسامة ان يفعل ما امر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فسار واوقع بقبائل من ناس قضاعة التي ارتدت وغنم وعاد وكانت غيبته اربعين يوما وقيل سبعين يوما وكان انفاذ جيش اسامة اعظم الامور نفعا للمسلمين فان العرب قالوا لو لم يكن بهم قوة لما ارسلوا هذا الجيش فكفوا عن كثير مما كانوا يريدون ان يفعلوه

(ذكر اخبار الاسود العنسي باليمن)

واسمه عيهلة بن كعب بن عوف العنسي بالنون وعنس بطن من مذحج وكان يلقب ذا الخمار لانه كان معتما متخمرا ابدا وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد جمع لباذان حين اسلم واسلم اهل اليمن عمل اليمن جميعه وأمره على جميع مخاليفه فلم يزل عاملا عليه حتى مات فلما مات باذان فرق

دمشق وصمم على ذلك بعد أربعة اشهر واسر وامن الصالحية نحو أربعة آلاف نسمة وقتلوا ايضا نحو الثمانمائة اكثرهم في التعذيب على المال ورحل الباقون ضعفاء في جوع وعري وبرد مفرط فانا لله وانا اليه راجعون ثم ترحلت التتار من دمشق بالسبي والمكاسب وعجزوا عن اخذ القلعة سلمها الله تعالى بعزم متوليها الامير علم الدين ارجواش وفي شعبان سنة سبعمائة البست النصارى واليهود بمصر والشام العمائم الزرق والصفر واستمر الحال الى ان أمر السلطان الاعظم المرحوم مراد خان بن سليم في سنة تسعمائة واثنين وثمانين بعدم لبس العمائم ووعدوا بان يدفعوا في كل عام لبيت المال مالا جزيلا فلم يرض ولم يرجع عن قوله وفي ربيع الاول سنة احدى وسبعمائة ثبت عند قاضي ماردين ونقل ثبوته الى قاضي حماه بانه وقع هنالك برد على صور حيات وعقارب وطيور ورجال وسباع وسائر الحيوانات من الوحوش والطيور وتوفي الخليفة ليلة الجمعة ثامن عشر جمادى الاولى سنة احدى وسبعمائة ودفن عند السيدة نفيسة في قبة

رسول الله صلى الله عليه وسلم امراءه فى اليمن فاستعمل عمرو بن حزم على نجران وخالد بن سعيد ابن العاص على ما بين نجران وزبيد وعامر بن شهر على همدان وعلى صنعاء شهر بن باذان وعلى عك والاشعريين الطاهر بن أبى هالة وعلى مأرب ابا موسى وعلى الجند يعلى بن أمية وكان معاذ معلما يتنقل فى عمالة كل عامل باليمن وحضرموت واستعمل على اعمال حضرموت زياد بن لبيد الانصارى وعلى السكاسك والسكون عكاشة بن ثور وعلى بنى معاوية بن كندة عبد الله او المهاجر فاشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يذهب حتى وجهه ابو بكر فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهؤلاء عماله على اليمن وحضرموت وكان اول من اعترض الاسود الكاذب شهر وفيروز وداذويه وكان الاسود العنسى لما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع وتمرض من السفر غير مرض موته بلغه ذلك فادعى النبوة وكان مشعبذا يريهم الاعاجيب فاتبعته مذحج وكانت ردة الاسود اول ردة فى الاسلام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وغزا نجران فأخرج عنها عمرو بن حزم وخالد بن سعيد ووثب قيس بن عبد يغوث بن مكشوح على فروة بن مسيك وهو على مراد فاجلاه ونزل منزله وسار الاسود عن نجران الى صنعاء وخرج اليه شهر بن باذان فلقيه فقتل شهر لخمس وعشرين ليلة من خروج الاسود وخرج معاذ هاربا حتى لحق بأبى موسى وهو بمأرب فلحقا بحضرموت ولحق بفروة من تم على اسلامه من مذحج واستتب للاسود ملك اليمن ولحق امراء اليمن الى الطاهر بن أبى هالة الا عمرا وخالدا فانهما رجعا الى المدينة والطاهر بجبال عك وجبال صنعاء وغلب الاسود على ما بين مفازة حضرموت الى الطائف الى البحرين والاحساء الى عدن واستطار أمره كالحريق وكان معه سبعمائة فارس يوم لقى شهرا سوى الركبان واستغلظ أمره وكان خليفته فى مذحج عمرو بن معديكرب وكان خليفته على جنده قيس بن عبد يغوث وأمر الابناء الى فيروز وداذويه وكان الاسود تزوج امرأة شهر بن باذان بعد قتله وهى ابنة عم فيروز وخاف من بحضرموت من المسلمين ان يبعث اليهم جيشا او يظهر بها كذاب مثل الاسود فتزوج معاذ الى السكون نعطفوا عليه وجاء اليهم والى من باليمن من المسلمين كتاب النبى صلى الله عليه وسلم يأمرهم بقتال الاسود فقام معاذ فى ذلك وقويت نفوس المسلمين وكان الذى قدم بكتاب النبى صلى الله عليه وسلم وبر بن يحنس الازدى قال جشيش الديلمى فجاءتنا كتب النبى صلى الله عليه وسلم يأمرنا بنيله اما مصادمة او غيلة يعنى الاسود والى فيروز وداذويه وان نكاتب من عنده دين فعملنا فى ذلك فرأينا امرا كثيفا وكان قد تغير لقيس بن عبد يغوث فقلنا ان قيسا يخاف على دمه فهو لاول دعوة فدعوناه وابلغناه عن النبى صلى الله عليه وسلم فكأنما نزلنا عليه من السماء فأجابنا وكاتبنا الناس فاخبره الشيطان شيئا من ذلك فدعا قيسا فاخبره ان شيطانه يأمره بقتله لميله الى عدوه فحلف قيس لانت اعظم فى نفسى من ان أحدث نفسى بذلك ثم اتانا فقال يا جشيش ويا فيروز ويا داذويه فاخبرنا بقول الاسود فبينا نحن معه يحدثنا اذا ارسل الينا الاسود فتهددنا فاعتذرنا اليه ونجونا منه ولم نكد وهو مرتاب بنا ونحن نحذره فبينا نحن على ذلك اذ جاءتنا كتب عامر بن شهر وذى زود وذى مران وذى الكلاع وذى ظليم يبذلون لنا النصر فكاتبناهم وأمرناهم ان لا يفعلوا شيئا حتى نبرم امرنا وانما اهتاجوا لذلك حين كاتبهم النبى صلى الله عليه

بيته وكانت خلافته نيفا وأربعين سنة وهو أول خليفة دفن بمصر من العباسيين

(الفصل الثالث فى ذكر خلافة المستكفى بالله)

اسمه سليمان ابو الربيع بن الحاكم بأمر الله بويع له بالخلافة بعهد من ابيه فى جمادى الاولى سنة احدى وسبعمائة وعمره سبع عشرة سنة وكان فاضلا جوادا حسن الخط جدا شجاعا وكان يجالس العلماء والادباء ولد فى نصف المحرم سنة اربع وثمانين وستمائة وامه أمة اسمها زمن دقمش شاعة المستكفى بالله خطب له على المنابر بالبلاد المصرية والشامية * (ومن الحوادث فى أيامه) * تكلم الوزير فى اعادة أهل الذمة الى لبس العمائم البيض على جارى عادتهم وانهم قد التزموا للديوان بسبعمائة ألف دينار كل سنة زيادة على الجالية فلم يقبله وفى سنة سبع عشرة وسبعمائة زاد النيل زيادة كثيرة لم يسمع بمثلها وغرق منها بلاد كثيرة واناس كثيرون وكان ضرره أكثر من نفعه وفى سنة ست وعشرين وسبعمائة أجريت عين عرفة الى مكة المشرفة وانتفع الناس بها انتفاعا عاما

وسلم وكتب اليه الى اهل نجران فاجابوه وبلغ ذلك الاسود واحس بالهلاك قال فدخلت على آزاد وهى امرأته التى تزوجها بعد قتل زوجها شهر بن باذان فدعوتها الى ما نحن عليه وذكرتها قتل زوجها شهر واهلاك عشيرتها وفضيحة النساء فاجابت وقالت والله ما خلق الله شخصا أبغض الى منه ما يقوم لله على حق ولا ينتهى عن محرم فأعلمونى امركم اخبركم بوجه الامر قال فخرجت وأخبرت فيروز وداذويه وقيسا قال واذ قد جاء رجل فدعا قيسا الى الاسود فدخل فى عشرة من مذحج وهمدان فلم يقدر على قتله معهم وقال له ألم اخبرك الحق وتخبرنى الكذب انه يعنى شيطانه يقول لى ان لا تقطع من قيس يده يقطع رقبتك فقال قيس انه ليس من الحق ان أهلك وانت رسول الله فمرنى بما احببت او اقتلنى فموتة اهون من موتات فرق له وتركه وخرج قيس فمرّ بنا وقال اعملوا عملكم ولم يقعد عندنا فخرج علينا الاسود فى جمع فقمنا له وبالباب مائة ما بين بقرة وبعير فنحرها ثم خلاها ثم قال أحق ما بلغنى عنك يا فيروز لقد هممت ان انحرك فقال اخترتنا لصهرك وفضلتنا فلو لم تكن نبيا لما بعنا نصيبنا منك بشئ فكيف وقد اجتمع لنا بك أمر الدنيا والآخرة فقال له اقسم هذه فقسمها ولحق به وهو يسمع سعاية رجل بفيروز وهو يقول له انا قاتله غدا وأصحابه ثم التفت فاذا فيروز فاخبره بقسمتها ودخل الاسود ورجع فيروز فاخبرنا الخبر فأرسلنا الى قيس فجاءنا فاجتمعنا على ان اعود الى المرأة فأخبرها بعزيمتنا ونأخذ رأيها فاتيتها فاخبرتها فقالت هو متحرز وليس من القصر شئ الا والحرس محيطون به غير هذا البيت فان ظهره الى مكان كذا وكذا فاذا أمسيتم فانقبوا عليه فانكم من دون الحرس وليس دون قتله شئ وتجدون فيه سراجا وسلاحا فتلقانى الاسود خارجا من بعض منازله فقال ما أدخلك على ووجأ رأسى حتى سقطت وكان شديدا فصاحت المرأة فادهشته وقالت جاءنى ابن عمى زائرا ففعلت به هذا فتركنى فاتيت أصحابى فقلت النجاء الهرب وأخبرتهم الخبر فانا على ذلك حيارى اذ جاءنا رسولها يقول لا تدعن ما فارقتك عليه فلم ازل به حتى اطمأن فقلنا لفيروز ائتها فتثبت منها ففعل فلما أخبرته قال ننقب على بيوت مبطنة فدخل فاقتلع البطانة وجلس عندها كالزائر فدخل عليها الاسود فاخذته غيرة فأخبرته برضاع وقرابة منها محرم فاخرجه فلما أمسينا عملنا فى امرنا واعلمنا اشياعنا وعجلنا عن مراسلة الهمدانيين والحميريين فنقبنا البيت ودخلنا وفيه سراج تحت جفنة واتقينا بفيروز كان أشدنا فقلنا انظر ماذا ترى فخرج ونحن بينه وبين الحرس فلما دنا من باب البيت سمع غطيطا شديدا والمرأة قاعدة فلما قام على باب البيت أجلسه الشيطان وتكلم على لسانه وقال مالى ولك يا فيروز فخشى ان رجع ان يهلك وتهلك المرأة فعاجله وخالطه وهو مثل الجمل فاخذ رأسه فقتله ودق عنقه ووضع ركبته فى ظهره فدقه ثم قام ليخرج فاخذت المرأة بثوبه وهى ترى انه لم يقتله فقال قد قتلته واراحتك منه وخرج فاخبرنا فدخلنا معه نخار كما يخور الثور فقطعت رأسه بالشفرة وابتدر الحرس المقصورة يقولون ما هذا فقالت المرأة النبى يوحى اليه فخمدوا وقعدنا نأتمر بيننا فيروز وداذويه وقيس كيف نخبر اشياعنا فاجتمعنا على النداء فلما طلع الفجر نادينا بشعارنا الذى بيننا وبين اصحابنا ففزع المسلمون والكافرون ثم نادينا بالاذان فقلت اشهد ان محمدا رسول الله وان عبهلة كذاب والقينا اليهم رأسه واحاط بنا اصحابه وحرسه وشنوا الغارة

وتعرف بعين باذان اجراها الامير جوبان من بلاد بعيدة واتفق ان فى هذه السنة يبست آبار مكة وقل ماؤها وقل ماء زمزم ايضا ولولا أن منّ الله لعباده وأجرى هذه القناة لنزح عن مكة أهلها وفى سنة ثمان وعشرين وسبعمائة عمرت سقوف المسجد الحرام بمكة والابواب وعمر ظاهره مما يلى باب بنى شيبة وفى سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة عمل السلطان للكعبة بابا من أبنوس عليه صفائح من فضة زنتها خمسة وثلاثون ألفا وثلثمائة درهم وقلع الباب العتيق فاخذه بنو شيبة اصنافا بحمه وكان عليه اسم صاحب اليمن وفى سنة ست وثلاثين وسبعمائة وقع بين الخليفة والسلطان خلف فقبض على الخليفة واعتقله بالبرج ومنع الناس من الاجتماع معه ثم نفاه الى قوص هو واولاده واهله ورتب لهم ما يكفيهم وهم قريب من مائة نفس فانا لله وانا اليه راجعون واستمر الخليفة بقوص الى ان مات بها فى شعبان سنة أربعين وسبعمائة ودفن بها وله من العمر بضع وخمسون سنة وكانت خلافته نيفا وثلاثين سنة

*(الفصل الرابع فى ذكر

واخذوا اصيبا كثيرة وانتهبوا فنادينا اهل صنعاء من عنده منهم فامسكه وفعلوا المثل بأصحابه فقدوا سبعين رجلا فراسلونا وراسلناهم على ان يتركوا لنا ما في أيديهم ونترك ما في أيدينا ففعلنا ولم يظفروا منا بشيء وترددوا فيما بين صنعاء ونجران وتراجع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الى أعمالهم وكان يصلي بنا معاذ بن جبل وكتبنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبره وذلك في حياته وأتاه الخبر من ليلته وقدمت رسلنا وقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجابنا أبو بكر قال ابن عمر أتى الخبر من السماء الى النبي صلى الله عليه وسلم في الليلة التي قتل فيها فقال قتل العنسي قتله رجل مبارك من أهل بيت مباركين قيل من قتله قال قتله فيروز وقيل كان أول امر العنسي الى آخره ثلاثة أشهر وقيل قريب من أربعة أشهر وكان قدوم البشير بقتله في آخر ربيع الاول بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم فكان اول بشارة أتت ابا بكر وهو بالمدينة قال فيروز لما قتلنا الاسود عاد امرنا كما كان وارسلنا الى معاذ بن جبل فصلى بنا ونحن راجون مؤملون لم يبق شيء نكرهه الا تلك الخيول من أصحاب الاسود فاتى موت النبي صلى الله عليه وسلم فانتقضت الامور واضطربت الارض (العنسي بالعين والنون) وفي هذه السنة ماتت فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم لثلاث خلون من رمضان وهي ابنة تسع وعشرين سنة أو نحوها وقيل توفيت بعد النبي صلى الله عليه وسلم بثلاثة أشهر وقيل بستة أشهر وغسلها علي واسماء بنت عميس وصلى عليها العباس بن عبد المطلب ودخل قبرها العباس وعلي والفضل بن العباس * وفيها توفي عبد الله بن ابي بكر الصديق وكان أصابه سهم بالطائف وهو مع النبي صلى الله عليه وسلم رماه به ابو محجن ثم انتقض عليه فمات في شوال * وفي هذا العام الذي بويع فيه ابو بكر ملك يزدجرد بلاد فارس * وفيه أعني سنة احدى عشرة اشترى عمر بن الخطاب مولاه أسلم بمكة من ناس من الاشعريين

(ذكر اخبار الردة)

قال عبد الله بن مسعود لقد قمنا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما كدنا نهلك فيه لولا ان الله من علينا بأبي بكر أجمعنا على ان لا نقاتل على ابنة مخاض وابنة لبون وان نأكل قرى عربية ونعبد الله حتى يأتينا اليقين فعزم الله لابي بكر على قتالهم فوالله ما رضي منهم الا بالخطة المخزية أو الحرب المجلية فاما الخطة المخزية فأن يقروا بان من قتل منهم في النار ومن قتل منا في الجنة وان يدوا قتلانا ونغنم ما أخذنا منهم وان ما أخذوا منا مردود علينا واما الحرب المجلية فان يخرجوا من ديارهم واما اخبار الردة فانه لما مات النبي صلى الله عليه وسلم وسير ابو بكر جيش أسامة ارتدت العرب وتضرمت الارض نارا وارتدت كل قبيلة عامة أو خاصة الا قريشا وثقيفا واستغلظ أمر مسيلمة وطليحة واجتمع على طليحة عوام طيئ واسد وارتدت غطفان تبعا لعيينة بن حصن فانه قال نبي من الحليفين يعني اسدا وغطفان أحب الينا من نبي من قريش وقد مات محمد وطليحة حي فاتبعه وتبعته غطفان وقدمت رسل النبي صلى الله عليه وسلم من اليمامة واسد وغيرهما وقد مات فدفعوا كتبهم لابي بكر واخبروه الخبر عن مسيلمة وطليحة فقال لا تبرحوا حتى تجيء رسل امرائكم وغيرهم بأدهى مما وصفتم فكان كذلك وقدمت كتب امراء النبي صلى الله عليه وسلم من كل مكان بانتقاض العرب عامة او خاصة وتسلطهم على

اسمه ابراهيم بن المستكفي بالله فلما مات المستكفي بقوص عهد الى ابنه أحمد بالخلافة فلم يلتفت السلطان الى ذلك وبايع ابراهيم المذكور واستقر في الخلافة الى ان حضرت السلطان الوفاة فندم على ما صدر منه وعزل ابراهيم هذا وبايع ولي العهد أحمد الآتي ذكره وقال ابن فضل الله العمري في مسالك الابصار في اخبار ملوك الامصار ان ابراهيم الواثق نشأ في تهتك ولاذات الا بعدم تنسك وعاشر السفلة والاراذل وكان عليه من عرضه ما هو باذل وزين له سوء عمله فرآه حسنا وعمي عليه فلم ير شيأ الا حسنا وغوي باللعب بالحمام وكباش النطاح وديوك النقار وأشياء من هذا ومثله مما يسقط المروءة ويسلب الوقار وكانت مدة استيلائه سنة واياما

(الفصل الخامس في ذكر خلافة الحاكم بأمر الله)

اسمه أحمد ابو العباس بن المستكفي كان ابوه لما مات بقوص عهد اليه بالخلافة فخلع السلطان على ابراهيم المقدم ذكره وبايعه وعند وفاته عزل ابراهيم وبايع ولي العهد أحمد هذا قال

المسلمين فحاربهم ابو بكر بما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحاربهم بالرسل فرد رسلهم بأمره وأتبع رسلهم رسلا وانتظر بمصادمتهم قدوم أسامة فكان عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم على قضاعة وكلب امرؤ القيس بن الاصبغ الكلبي وعلى القين عمرو بن الحكم وعلى سعد هذيم معاوية الوالبي فارتد وديعة الكلبي فيمن تبعه وبقي امرؤ القيس على دينه وارتد زميل بن قطبة القيني وبقي عمرو وارتد معاوية فيمن اتبعه من سعد هذيم فكتب ابو بكر الى امرئ القيس وهو جد سكينة بنت الحسين فسار لوديعة الى عمرو فأقام لزميل والى معاوية العذري وتوسطت خيل أسامة بلاد قضاعة فشن الغارة فيهم فغنموا وعادوا سالمين

(ذكر خبر طليحة الاسدى)

وكان طليحة بن خويلد الأسدى من بنى أسد بن خزيمة قد تنبأ في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجه اليه النبي صلى الله عليه وسلم ضرار بن الازور عاملا على بني اسد وأمرهم بالقيام على من ارتد فضعف أمر طليحة حتى لم يبق الا اخذه فضربه بسيف فلم يصنع فيه شيأ فظهر بين الناس ان السلاح لا يعمل فيه فكثر جمعه ومات النبي صلى الله عليه وسلم وهم على ذلك فكان طليحة يقول ان جبريل يأتيني ويسجع للناس الاكاذيب وكان يأمرهم بترك السجود في الصلاة ويقول ان الله لا يصنع بتعفير وجوهكم وتقبح أدباركم شيأ اذكروا الله اعبدوه قياما الى غير ذلك وتبعه كثير من العرب عصبية فلهذا كان أكثر اتباعه من أسد وغطفان وطيئ فسارت فزارة وغطفان الى جنوب طيبة وأقامت طيئ على حدود أراضيهم واسد بسميراء واجتمعت عبس وثعلبة بن سعد ومرة بالابرق من الربذة واجتمع اليهم ناس من بني كنانة فلم تحملهم البلاد فافترقوا فرقتين اقامت فرقة بالابرق وسارت فرقة الى ذى القصة وأمدهم طليحة باخيه حبال فكان عليهم وعلى من معهم من الدئل وليث ومدلج وأرسلوا الى المدينة يبذلون الصلاة ويمنعون الزكاة فقال أبو بكر والله لو منعوني عقالا لجاهدتهم عليه وكان عقل الصدقة على أهل الصدقة وردهم فرجع وفدهم فاخبروهم بقلة من في المدينة وأطمعوهم فيها وجعل أبو بكر بعد مسير الوفد على أنقاب المدينة عليا وطلحة والزبير وابن مسعود والزم أهل المدينة بحضور المسجد خوف الغارة من العدو لقربهم فما لبثوا الا ثلاثا حتى طرقوا المدينة غارة مع الليل وخلفوا بعضهم بذى حسى ليكونوا لهم ردأ فوافوا الليل الا الانقاب وعليها المقاتلة فمنعوهم وأرسلوا الى ابى بكر بالخبر فخرج الى أهل المسجد على النواضح فردوا العدو واتبعوهم حتى بلغوا ذا حسى فخرج عليهم الردء بأنحاء قد نفخوها وفيها الحبال ثم دهدهوها على الارض فنفرت ابل المسلمين وهم عليها ورجعت بهم الى المدينة ولم يصرع مسلم وظن الكفار بالمسلمين الوهن وبعثوا الى اهل ذى القصة بالخبر فقدموا عليهم وبات أبو بكر يعبى الناس وخرج على تعبية يمشي وعلى ميمنته النعمان بن مقرن وعلى ميسرته عبد الله بن مقرن وعلى اهل الساقة سويد بن مقرن فما طلع الفجر الا وهم والعدو على صعيد واحد فما شعروا بالمسلمين حتى وضعوا فيهم السيوف فما ذر قرن الشمس حتى ولوهم الادبار وغلبوهم على عامة ظهرهم وقتل رجال واتبعهم ابو بكر حتى نزل بذى القصة وكان اول الفتح ووضع بها النعمان بن مقرن فى عدد ورجع الى المدينة فذل له المشركون فوثب بنو عبس وذبيان على من فيهم من المسلمين فقتلوهم وخلف

ابن فضل الله العمرى في مسالك الابصار وهو امام عصرنا وغمام مصرنا فاحيا رسوم الخلافة ورسم بما لم يستطع أحد خلافه وسلك مناهج آبائه وقد طمست وأحياها بمباهج ابنائه وقد درست واستمر فى الخلافة الى ان توفى فى سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة

(الفصل السادس فى ذكر خلافة المعتضد بالله)

اسمه ابو بكر ابو الفتح بن المستكفي بويع له بالخلافة بعد موت أخيه بعهد منه وامه أم ولد اسمها جوهرة نقش خاتمه المعتضد بالله وكان عارفا واسع الفكرة خيرا متواضعا محبا لاهل العلم *(ومن الحوادث فى ايامه)* ما ذكره ابن الجزرى فى شذور الذهبات فى جمادى الآخرة سنة سبع وخمسين وسبعمائة وقع حريق بدمشق ظاهر باب الفرج لم يعهد مثله بحيث كانت عدة الدكاكين المحرقة سبعمائة سوى البيوت توفى الخليفة فى رابع جمادى الاولى سنة ثلاث وستين وسبعمائة فكانت خلافته عشر سنين

(الفصل السابع فى ذكر خلافة المتوكل على الله)

ابو بكر ليستلن في المشركين بمن قتلوا من المسلمين وزيادة وازداد المسلمون قوة وثباتا وطرقت المدينة صدقات نفر كانوا على صدقة الناس بهم صفوان والزبرقان بن بدر وعدي بن حاتم وذلك لتمام ستين يوما من مخرج اسامة وقدم اسامة بعد ذلك بايام وقيل كانت غزوته وعوده في اربعين يوما فلما قدم اسامة استخلفه ابو بكر على المدينة وجنده معه ليستريحوا ويريحوا ظهرهم ثم خرج فيمن كان معه فناشده المسلمون ليقيم فابى وقال لا واسيتكم بنفسي وسار الى ذي حسى وذي القصة حتى نزل بالابرق فقاتل من به فهزم الله المشركين واخذ الحطيئة أسيرا فطارت عبس وبنو بكر واقام ابو بكر بالابرق اياما وغلب على بني ذبيان وبلادهم وحماه لدواب المسلمين وصدقاتهم ولما انهزمت عبس وذبيان رجعوا الى طليحة وهو ببزاخة وكان رحل من سميراء اليها فاقام عليها وعاد ابو بكر الى المدينة فلما استراح أسامة وجنده وكان قد جاءهم صدقات كثيرة تفضل عليهم قطع ابو بكر البعوث وعقد الالوية فعقد احد عشر لواء عقد لواء لخالد بن الوليد وأمره بطليحة بن خويلد فاذا فرغ سار الى مالك بن نويرة بالبطاح ان أقام له وعقد لعكرمة بن أبي جهل وأمره بمسيلمة وعقد للمهاجر بن أبي امية وأمره بجنود العنسي ومعونة الابناء على قيس بن مكشوح ثم يمضي الى كندة بحضرموت وعقد لخالد بن سعيد وبعثه الى مشارف الشام وعقد لعمرو بن العاص وارسله الى قضاعة وعقد لحذيفة بن محصن الغلفاني وامره باهل دبا وعقد لعرفجة بن هرثمة وامره بمهرة وامرهما ان يجتمعا وكل واحد منهما على صاحبه في عمله وبعث شرحبيل بن حسنة في اثر عكرمة بن ابي جهل وقال اذا فرغ من اليمامة فالحق بقضاعة وانت على خيلك تقاتل اهل الردة وعقد لمعن بن حاجز وامره ببني سليم ومن معهم من هوازن وعقد لسويد بن مقرن وأمره بتهامة باليمن وعقد للعلاء بن الحضرمي وأمره بالبحرين فنفصلت الامراء من ذي القصة ولحق بكل أمير جنده وعهد الى كل أمير وكتب الى جميع المرتدين نسخة واحدة يأمرهم بمراجعة الاسلام ويحذرهم وسير الكتب اليهم مع رسله ولما انهزمت عبس وذبيان ورجعوا الى طليحة ببزاخة أرسل الى جديلة والغوث من طيئ يأمرهم باللحاق به فتعجل اليه بعضهم وأمروا قومهم باللحاق بهم فقدموا على طليحة وكان أبو بكر بعث عدي بن حاتم قبل خالد الى طيئ وأتبعه خالدا وأمره أن يبدأ بطيئ ومنهم يسير الى بزاخة ثم يثلث بالبطاح ولا يبرح اذا فرغ من قوم حتى يأذن له وأظهر ابو بكر للناس انه خارج الى خيبر بجيش حتى يلاقي خالدا يرهب العدو بذلك وقدم عدي على طيئ فدعاهم وخوفهم فأجابوه وقالوا له استقبل الجيش فأخره عنا حتى نستخرج من عند طليحة منا لئلا يقتلهم فاستقبل عدي خالدا وأخبره بالخبر فتأخر خالد وأرسلت طيئ الى اخوانهم عند طليحة فلحقوا بهم فعادت طيئ الى خالد باسلامهم ورحل خالد يريد جديلة فاستعفاه عدي عنهم ولحق بهم عدي يدعوهم الى الاسلام فأجابوه فعاد الى خالد باسلامهم ولحق بالمسلمين ألف راكب منهم وكان خير مولود في أرض طيئ وأعظمه بركة عليهم وأرسل خالد بن الوليد عكاشة بن محصن وثابت بن أقرم الانصاري طليعة فلقيهما حبال أخو طليحة فقتلاه فبلغ خبره طليحة فخرج هو وأخوه سلمة فقتل طليحة عكاشة وقتل أخوه ثابتا ورجعا وأقبل خالد بالناس فرأوا عكاشة وثابتا قتيلين فجزع لذلك المسلمون وانصرف بهم خالد نحو طيئ فقالت له طيئ نحن نكفيك قيسا فان بني أسد

اسمه محمد أبو عبد الله بن المعتضد بويع له بالخلافة بعد موت أبيه بعهد منه وهو والد خلفاء العصر وامتدت أيامه وأعقب أولادا كثيرة يقال انه جاءه مائة ولد ما بين مولود وسقط وولي الخلافة منهم خمسة والموجود من العباسيين كلهم من ذريته وخلع مرتين وحبس في المرة الاولى خلع المتوكل هذا وبويع عمر بن ابراهيم الواثق بالله في سنة خمس وثمانين وسبعمائة فاستمر في الخلافة نحو ثلاث سنين وثلاثة اشهر ثم أعيد للمتوكل في المرة الثانية وخلع المتوكل أيضا وبويع زكريا بن ابراهيم المعتصم بالله ثم خلع منها وأعيد المتوكل *(ومن الحوادث في أيامه) ما ذكره صاحب الضوء اللامع في القرن التاسع انه ظهر في جمادى الاولى سنة اثنين وسبعين وسبعمائة بعد العشاء في السماء حمرة عظيمة كأنها الجمر وصارت في خلالها النجوم كالعمد البيض حتى سدت الافق ودامت الى الفجر وخفي بسببه ضوء القمر فتباكى الناس عند ذلك وضجوا بالدعاء وكان ذلك في دمشق وحمص وحماه وحلب والقدس

بحلفائنا

حلفاؤنا فقال قاتلوا أى الطائفتين شئتم فقال عدى بن حاتم لو نزل هذا على الذين هم أسرتى الادنى فالادنى لجاهدتهم عليه والله لا أمتنع عن جهاد بنى أسد لحلفهم فقال له خالد ان جهاد الفريقين جهاد لا تخالف رأى أصحابك وامض بهم الى القوم الذين هم لقتالهم انشط ثم تعبى لقتالهم ثم سار حتى التقيا على بزاخة وبنو عامر قريبا يتربصون على من تكون الدائرة قال فاقتتل الناس على بزاخة وكان عيينة بن حصين مع طليحة فى سبعمائة من بنى فزارة فقاتلوا قتالا شديدا وطليحة متلفف فى كسائه يتنبأ لهم فلما اشتدت الحرب كر عيينة على طليحة وقال له هل جاءك جبريل بعد قال لا فرجع فقاتل ثم كر على طليحة فقال له لا ابالك اجاءك جبريل قال لا فقال عيينة حتى متى قد والله بلغ منا ثم رجع فقاتل قتالا شديدا ثم كر على طليحة فقال هل جاءك جبريل قال نعم قال فماذا قال لك قال قال لى ان لك رحى كرحاه وحديثا لا تنساه فقال عيينة قد علم الله انه سيكون حديث لا تنساه انصرفوا يا بنى فزارة فانه كذاب فانصرفوا وانهزم الناس وكان طليحة قد أعد فرسه وراحلته لامرأته النوار فلما غشوه ركب فرسه وحمل امرأته ثم نجا بها وقال يا معشر فزارة من استطاع ان يفعل هكذا وينجو بامرأته فليفعل ثم انهزم فلحق بالشام ثم نزل على كلب فاسلم حين بلغه ان أسدا وغطفان قد أسلموا ولم يزل مقيما فى كلب حتى مات أبو بكر وكان خرج معتمرا ومر بجنبات المدينة فقيل لابى بكر هذا طليحة فقال ما اصنع به قد أسلم ثم أتى عمر فبايعه حين استخلف فقال له انت قاتل عكاشة وثابت والله لا أحبك ابدا فقال يا أمير المؤمنين ما يهمك من رجلين اكرمهما الله بيدى ولم يهنى بايديهما فبايعه عمر وقال له ما بقى من كهانتك فقال نفخة او نفختان ثم رجع الى قومه فاقام عندهم حتى خرج الى العراق ولما انهزم الناس عن طليحة أسر عيينة بن حصن فقدم به على أبى بكر فكان صبيان المدينة يقولون له وهو مكتوف يا عدو الله أكفرت بعد ايمانك فيقول والله ما آمنت بالله طرفة عين فتجاوز عنه ابو بكر وحقن دمه وأخذ من اصحاب طليحة رجل كان عالما به فسأله خالد عما كان يقول فقال ان مما اتى به والحمام واليمام والصرد الصوّام قد صمن قبلكم باعوام ليبلغن ملكنا العراق والشام قال ولم يؤخذ منهم سبى لانهم كانوا قد أحرزوا حريمهم فلما انهزموا أقروا بالاسلام خشية على عيالاتهم فامنهم (حبال بكسر الحاء المهملة وفتح الباء الموحدة وبعد الالف لام وذو القصة بفتح القاف والصاد المهملة وذو حسى بضم الحاء المهملة والسين المهملة المفتوحة ودبا بفتح الدال المهملة وبالباء الموحدة وبزاخة بضم الباء الموحدة وبالزاى والخاء المعجمة)

(ذكر ردة بنى عامر وهوازن وسليم)

وكانت بنو عامر تقدم الى الردة رجلا وتؤخر اخرى وتنظر ما تصنع اسد وغطفان فلما احيط بهم وبنو عامر على قادتهم وسادتهم كان قرة بن هبيرة فى كعب ومن لافها وعلقمة بن علاثة فى كلاب ومن لافها وكان أسلم ثم ارتد فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم ولحق بالشام بعد فتح الطائف فلما توفى النبى صلى الله عليه وسلم أقبل مسرعا حتى عسكر فى بنى كعب فبلغ ذلك ابا بكر فبعث اليه سرية عليها القعقاع بن عمرو وقيل بل قعقاع بن شور وقال له لتغير على علقمة لعلك تقتله او تستاسره فخرج حتى اغار على الماء الذى عليه علقمة وكان لا يبرح الا مستعدا فسابقهم على فرسه فسبقهم وأسلم اهله وولده واخذهم القعقاع وقدم بهم على ابى بكر فجحدوا ان يكونوا على

وفى سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة احدثت العلامة الخضراء على عمائم الشرفاء ليتميزوا بها بأمر السلطان الملك الاشرف منصور بن محمد بن قلاوون وهذا أول ما احدثت وقال فى ذلك ابو عبد الله بن جابر الاعمى
جعلوا لابناء الرسول علامة
ان العلامة شأن من لم يشهر
نور النبوة فى كريم وجوههم
يغنى الشريف عن الطراز الاخضر
وفى هذه السنة كان ابتداء خروج الطاغية تيمورلنك الذى اخرب البلاد واباد العباد واستمر يعثو فى الارض بالفساد وقيل لبعضهم فى اى سنة كان ابتداء خروج تيمورلنك قال فى سنة عذاب يعنى بحساب الجمل ثلاثا وسبعين وسبعمائة وفيها كسفت الشمس والقمر جميعا وطلع القمر كاسفا فى شعبان ليلة أربع عشرة وخسفت الشمس يوم الثامن والعشرين منه وفى سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة ورد كتاب من حلب يتضمن ان اماما قام يصلى وان شخصا عبث به فى صلاته فلم يقطع الامام الصلاة حتى فرغ وحين سلم انقلب وجه العابث وجه خنزير وهرب الى غابة هنالك فعجب الناس من هذا الامر

حال علقمة ولم يبلغ ابا بكر عنهم انهم فارقوا ادارهم وقالوا له ماذينا فيما صنع علقمة فارسلهم ثم اسلم فقبل ذلك منه واقبلت بنو عامر بعد هزيمة اهل بزاخة يقولون ندخل فيما خرجنا منه ونؤمن بالله ورسوله وأتوا خالدا فبايعهم على ما بايع اهل بزاخة وأعطوه وبايديهم على الاسلام وكانت بيعته عليكم عهدالله وميثاقه لتؤمنن بالله ورسوله ولتقيمن الصلاة ولتؤتن الزكاة وتبايعون على ذلك ابناءكم ونساءكم فيقولون نعم ولم يقبل من احد من أسد وغطفان وطيء وسليم وعامر الا ان يأتوه بالذين حرقوا ومثلوا وعدوا على الاسلام في حال ردتهم فأتوه بهم فقبل منهم وحرقهم ورضخهم بالحجارة ورمى بهم من الجبال ونكسهم في الآبار وأرسل الى ابي بكر يعلمه ما فعل وأرسل اليه قرة بن هبيرة ونفرا معه موثقين وزهيرا أيضا واما ام زمل فاجتمع فلال غطفان وطيء وسليم وهوازن وغيرها الى ام زمل سلمى بنت مالك بن حذيفة بن بدر وكانت أمها ام قرفة بنت ربيعة بن بدر وكانت ام زمل قد سبيت أيام أمها ام قرفة وقد تقدمت الغزوة فوقعت لعائشة فأعتقتها ورجعت الى قومها وارتدت واجتمع اليها الفل فامرتهم بالقتال وكثف جمعها وعظمت شوكتها فلما بلغ خالدا أمرها سار اليها فاقتتلوا قتالا شديدا أول يوم وهي واقفة على جمل كان لامها وهي في مثل عزها فاجتمع على الجمل فوارس فعقروه وقتلوها وقتل حول جملها مائة رجل وبعث بالفتح الى أبي بكر •(واما خبر الفجاءة السلمي)• واسمه اياس بن عبد ياليل فانه جاء الى أبي بكر فقال له أعني بالسلاح أقاتل به اهل الردة فاعطاه سلاحا وأمره إمرة فخالف الى المسلمين وخرج حتى نزل بالجواء وبعث نجبة بن أبي الميثاء من بني الشريد وأمره بالمسلمين فشن الغارة على كل مسلم في سليم وعامر وهوازن فبلغ ذلك أبا بكر فارسل الى طريفة بن حاجز فامره ان يجمع له ويسير اليه وبعث اليه عبدالله بن قيس الحاشي عونا فنهضا اليه وطلباه فلاذ منهما ثم لقياه على الجواء فاقتتلوا وقتل نجبة وهرب الفجاءة فلحقه طريفة فاسره ثم بعث به الى ابي بكر فلما قدم أمر ابو بكر ان توقد له نار في مصلى المدينة ثم رمى به فيها مقموطا •(واما خبر ابي شجرة بن عبد العزى السلمي)• وهو ابن الخنساء فانه كان قد ارتد فيمن ارتد من سليم وثبت بعضهم على الاسلام مع معن بن حاجز وكان اميرا لابي بكر فلما سار خالد الى طليحة كتب الى معن ان يلحقه فيمن معه على الاسلام من بني سليم فسار واستخلف على عمله اخاه طريفة بن حاجز فقال ابو شجرة حين ارتد

صحا القلب عن هوى وأقصرا • وطاوع فيها العاذلين فابصرا
الا ايها المدلي بكثرة قومه • وحظك منهم ان تضام وتقهرا
سل الناس عنا كل يوم كريهة • اذا ما التقينا دارعين وحسرا
ألسنا نعاطي ذا الطماح لجامه • ونطعن في الهيجا اذا الموت أقفرا
فرويت رمحي من كتيبة خالد • واني لارجو بعدها ان أعمرا

ثم ان ابا شجرة اسلم فلما كان زمن عمر قدم المدينة فرأى عمر وهو يقسم في المساكين فقال أعطني فاني ذو حاجة فقال ومن انت فقال انا ابو شجرة بن عبد العزى السلمي قال اى عدو الله لا والله ألست الذي تقول

فرويت رمحي من كتيبة خالد • واني لارجو بعدها ان اعمرا

وكتب بذلك محضر ثم توفي المتوكل في جمادى الآخرة سنة ثمان وخمسين وثمانمائة بالقاهرة وكانت مدة خلافته نحوا من أربعين سنة عاصرها من شاء وحبس

•(الفصل الخامس في ذكر خلافة المستعين بالله)•

اسمه ابو الفضل العباس ابن المتوكل بويع له بالخلافة يوم موت أبيه بعهد منه وكان السلطان يومئذ الملك الناصر فرج فخرج لقتال شيخ وهزم وقتل فبويع الخليفة بالسلطنة مضافة للخلافة وذلك في محرم سنة خمس عشرة وثمانمائة لم يقبل ذلك الا بعد شدة وتصميم وتوثق بالايمان من الامراء وتصرف بالولاية والعزل وضربت السكة باسمه ولم يغير لقبه فلما كان في شعبان سئل شيخ الخليفة ان يفوض اليه السلطنة على العادة فاجاب بشرط ان ينزل من القلعة ويسكن في بيته فلم يوافقه شيخ على ذلك وتغلب على السلطنة وتلقب بالمؤيد وخلع المستعين وبايع بالخلافة اخاه داود ونقل المستعين من دار الخلافة الى دار اخرى ومنع الناس من الاجتماع به وسير المستعين الى الاسكندرية فسكن بها الى ان مات شهيدا بالطاعون

وجعل يعلوه بالدرة فى رأسه حتى سبقه عدوا الى ناقته فركبها ولحق بقومه وقال

ضن علينا ابو حفص بنائله * وكل مختبط يوماله ورق

فى ابيات

(ذكر قدوم عمرو بن العاص من عمان)

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أرسل عمرو بن العاص الى جيفر عند منصرفه من حجة الوداع فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمرو بعمان فأقبل حتى انتهى الى البحرين فوجد المنذر بن ساوى فى الموت ثم خرج عنه الى بلاد بنى عامر فنزل بقرة بن هبيرة وقرة يقدم رجلا ويؤخر اخرى ومعه عسكر من بنى عامر فذبح له واكرم مثواه فلما أراد الرحلة خلا به قرة وقال يا هذا ان العرب لا تطيب لكم نفسا بالإتاوة فان اعفيتموها من اخذ اموالها فستسمع لكم وتطيع وان أبيتم فلا تجتمع عليكم فقال له عمرو أكفرت يا قرة اتخوفنا بالعرب فوالله لاوطئن عليك الخيل فى خفش امك واسنتاش بيت ينفرد فيه النفساء وقدم على المسلمين بالمدينة فاخبرهم فاطافوا به يسألونه فاخبرهم ان العساكر معسكرة من دبا الى المدينة فتفرقوا وتحلقوا حلقا وأقبل عمر يريد التسليم على عمرو فمر على حلقة فيها على وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن وسعد فلما دنا عمر منهم سكتوا فقال فيم انتم فلم يجيبوه فقال لهم انكم تقولون ما اخوفنا على قريش من العرب قالوا صدقت قال فلا تخافوهم انا والله منكم على العرب أخوف منى من العرب عليكم والله لو تدخلون معاشر قريش جحرا لدخلته العرب فى آثاركم فاتقوا الله فيهم ومضى عمر فلما قدم بقرة بن هبيرة على ابى بكر أسيرا استشهد بعمرو على اسلامه فاحضر أبو بكر عمرا فسأله فاخبره بقول قرة الى ان وصل الى ذكر الزكاة فقال قرة مه لا يا عمرو فقال كلا والله لاخبرنه بجميعه فعفا عنه أبو بكر وقبل اسلامه

(ذكر بنى تميم وسجاح)

واما بنو تميم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم فرق فيهم عماله فكان الزبرقان منهم وسهل بن منجاب وقيس بن عاصم وصفوان بن صفوان وسبرة بن عمرو ووكيع بن مالك ومالك بن نويرة فلما وقع الخبر بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم سار صفوان بن صفوان الى أبى بكر بصدقات بنى عمرو واقام قيس بن عاصم ينظر ما الزبرقان صانع ليخالفه فقال حين ابطأ عليه الزبرقان فى عمله واويلتاه من ابن العكلية والله ما أدرى ما اصنع لئن انا بعثت بالصدقة الى أبى بكر وبايعته ليتجزن مامعه فى بنى سعد فيسودنى فيهم ولئن نجزتها فى بنى سعد ليأتين ابا بكر فليسودنى عنده فقسمها على المقاعس والبطون ووافى الزبرقان فاتبع صفوان بن صفوان بصدقات الرباب وهى ضبة بن أد بن طابخة وعدى وتيم وعكل وثور بنو عبد مناة بن أد وبصدقات عوف والابناء وهذه بطون من تميم ثم ندم قيس فلما أظله العلاء بن الحضرمى أخرج الصدقة فتلقاه بها ثم خرج معه وتشاغلت تميم بعضها ببعض وكان ثمامة بن أثال الحنفى يأتيه امداد تميم فلما حدث هذا الحديث اضر ذلك بثمامة وكان مقاتلا لمسيلمة الكذاب حتى قدم عليه عكرمة بن أبى جهل فبينما الناس ببلاد تميم مسلمهم بازاء من أراد الردة وارتاب اذ جاءتهم سجاح بنت الحرث بن سويد ابن عقفان التميمية قد اقبلت من الجزيرة وادعت النبوة وكانت ورهطها فى اخوالها من

فى جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة وكانت مدة خلافته الى ان خلع ست عشرة سنة

(الفصل التاسع فى ذكر خلافة المعتضد بالله)

اسمه داود أبو الفتح بن المتوكل بويع له بالخلافة بعد خلع أخيه وكان جوادا سمعا الى الغاية نبيلا ذكيا فطنا يجالس العلماء والفضلاء ويستفيد منهم ويشاركهم وأمه ام ولد تركية اسمها كزل نقش خاتمه المعتضد بالله (ومن الحوادث فى ايامه) ظهر شخص بمصر يدعى انه يصعد الى السماء ويشاهد البارى جل ذكره ويكلمه واعتقده جمع من العوام فعقد له مجلس واستتيب فلم يتب فعلق المالكى الحكم بقتله على شهادة اثنين بانه حاضر العقل فشهد جماعة من اهل الطب انه مختل العقل فقيد فى المارستان توفى المعتضد يوم الاحد رابع شهر ربيع الاول سنة خمس واربعين وثمانمائة بعد مرض طويل وقد قارب السبعين

(الفصل العاشر فى ذكر خلافة المستكفى بالله)

اسمه سليمان أبو الربيع بن المتوكل بويع له بالخلافة بعد موت أخيه المعتضد بعهد منه وكان من صلحاء

تغلب تقود أمما من ربيعة معها الهذيل بن عمران في بني تغلب وكان نصرانيا فترك دينه وتبعها وعقبة بن هلال في النمر وزياد بن فلان في اياد والسليل بن قيس في شيبان فأتاهم أمر أعظم مما هم فيه لاختلافهم وكانت سجاح تريد غزو أبي بكر فأرسلت الى مالك بن نويرة تطلب الموادعة فأجابها وردها عن غزوها وحملها على احياء من بني تميم فأجابته وقالت انا امرأة من بني يربوع فان كان ملك فهو لكم وهرب منها عطارد بن حاجب وسادة بني مالك وحنظلة الى بني العنبر وكرهوا ما صنع وكيع وكان قد وادعها وهرب منها اشباههم من بني يربوع وكرهوا ما صنع مالك بن نويرة واجتمع مالك ووكيع وسجاح فسجعت لهم سجاح وقالت أعدوا الركاب واستعدوا للنهاب ثم اغيروا على الرباب فليس دونهم حجاب فساروا اليهم فلقيهم ضبة وعبد مناة فقتل بينهم قتلى كثيرة وأسر بعضهم من بعض ثم تصالحوا وقال قيس بن عاصم شعرا اظهر فيه ندمه على تخلفه عن أبي بكر بصدقته ثم سارت سجاح في جنود الجزيرة حتى بلغت النباج فأغار عليهم أوس بن خزيمة الهجيمي في بني عمرو فأسر الهذيل وعقبة ثم اتفقوا على ان يطلق أسرى سجاح ولا يطأ أرض أوس ومن معه ثم خرجت سجاح في الجنود وقصدت اليمامة وقالت عليكم باليمامة ودفوا دفيف الحمامة فانها غزوة صرامة لا يلحقكم بعدها ملامة فقصدت بني حنيفة فبلغ ذلك مسيلمة فخاف ان هو شغل بها ان يغلب ثمامة وشرحبيل بن حسنة والقبائل التي حولهم على حجر وهي اليمامة فاهدى لها ثم أرسل اليها يستأمنها على نفسه حتى يأتيها فأمنته فجاءها في أربعين من بني حنيفة فقال مسيلمة لنا نصف الارض وكان لقريش نصفها لو عدلت وقد رد الله عليك النصف الذي ردت قريش وكان مما شرع لهم ان من أصاب ولدا واحدا ذكرا لا يأتي النساء حتى يموت ذلك الولد فيطلب الولد حتى يصيب ابنا ثم يمسك وقيل بل تحصن منها فقالت له انزل فقال لها ابعدي أصحابك ففعلت وقد ضرب لها قبة وجمرها لتذكر بطيب الريح الجماع واجتمع بها فقالت له ما أوحى اليك ربك فقال ألم تر الى ربك كيف فعل بالحبلى اخرج منها نسمة تسعى بين صفاق وحشى قالت وماذا ايضا قال ان الله خلق للنساء افراجا وجعل الرجال لهن ازواجا فنولج فيهن ايلاجا ثم نخرجها اذا نشاء اخراجا فينتجن لنا سخالا انتاجا قالت اشهد انك نبي قال هل لك ان اتزوجك وآكل بقومي وقومك العرب قالت نعم قال

الا قومي الى النيك ٭ فقد هيي لك المضجع
فان شئت ففي البيت ٭ وان شئت ففي المخدع
وان شئت سلقناك ٭ وان شئت على اربع
وان شئت بثلثيه ٭ وان شئت به اجمع

قالت بل به اجمع فانه اجمع للشمل قال بذلك أوحي الي فأقامت عنده ثلاثا ثم انصرفت الى قومها فقالوا لها ما عندك قالت كان على الحق فتبعته وتزوجته قالوا هل أصدقك شيأ قالت لا قالوا فارجعي فاطلبي الصداق فرجعت فلما رآها أغلق باب الحصن وقال مالك قالت أصدقني قال من مؤذنك قالت شبث بن ربعي الرياحي فدعاه وقال له ناد في أصحابك ان مسيلمة رسول الله قد وضع عنكم صلاتين مما جاءكم به محمد صلاة الفجر وصلاة العشاء الآخرة فانصرفت ومعها أصحابها منهم عطارد بن حاجب وعمرو بن الاهتم وغيلان بن خرشة وشبث بن ربعي فقال عطارد بن حاجب

الخلفاء وخلفاء الصلحاء عابدا ناسكا كثير التعبد والصلاة والتلاوة وحسن السيرة واستمر في الخلافة الى ان مات في ثاني المحرم سنة خمس وخمسين وثمانمائة بعد ان مرض عدة أيام وله ثلاث وستون سنة ودفن بالمشهد النفيسي عند آبائه فكانت خلافته عشر سنين

٭(الفصل الحادي عشر في ذكر خلافة القائم بأمر الله)

اسمه حمزة أبو البقاء بن المتوكل بويع له بالخلافة بعد أخيه ولم يكن عهد اليه ولا الى غيره وكان شهما صارما أقام أبهة الخلافة ثم وقع بينه وبين الاشرف اينال بسبب ركوب الجند عليه فخلعه من الخلافة في جمادى الاولى سنة تسع وخمسين وثمانمائة وسيره الى الاسكندرية فاعتقله بها الى ان مات بها سنة ثلاث وستين وثمانمائة وله من العمر نحو سبعين سنة وكانت مدة خلافته اثنين واربعين يوما

٭(الفصل الثاني عشر في ذكر خلافة المستنجد بالله)٭

اسمه يوسف أبو المحاسن بن المتوكل بويع له بالخلافة بعد خلع أخيه وكان عارفا عفيفا دينا لم يول صاحب وظيفة دينية الا اصلح الموجودين ولم يول احدا بمال قط (ومن

امست نبيتنا أنثى نطوف بها * واصبحت انبياء الناس ذكرانا

وصالحها مسيلمة على غلات اليمامة سنة تأخذ النصف وتترك عنده من يأخذ النصف فأخذت النصف وانصرفت الى الجزيرة وخلفت الهذيل وعقة وزيادا لاخذ النصف الباقي فلم يفاجئهم الادنو خالد اليهم فارفضوا فلم تزل سجاح في تغلب حتى نقلهم معاوية عام الجماعة وجاءت معهم وحسن اسلامهم واسلامها وانتقلت الى البصرة وماتت بها وصلى عليها سمرة بن جندب وهو على البصرة لمعاوية قبل قدوم عبيد الله بن زياد من خراسان وولايته البصرة وقيل انها لما قتل مسيلمة سارت الى اخوالها تغلب بالجزيرة فماتت عندهم ولم يسمع لها بذكر

(ذكر مالك بن نويرة)

لما رجعت سجاح الى الجزيرة ارعوى مالك بن نويرة وندم وتحير في أمره وعرف وكيع وسماعة قبح ما أتيا فراجعا رجوعا حسنا ولم يتجبرا وأخرجا الصدقات فاستقبلا بها خالدا وسار خالد بعد ان فرغ من فزارة وغطفان وأسد وطيء يريد البطاح وبها مالك بن نويرة قد تردد عليه امره وتخلفت الانصار عن خالد وقالوا ما هذا بعهد الخليفة الينا ان نحن فرغنا من بزاخة ان نقيم حتى يكتب الينا فقال خالد قد عهد الى ان أمضي وانا الامير ولو لم يأت كتاب بما رأيته فرصة وكنت ان أعلمته فاتتني لم اعلمه وكذلك لو ابتلينا بأمر ليس فيه منه عهد لم ندع ان نرى أفضل ما يحضرنا ثم نعمل به فانا قاصد الى مالك ومن معي ولست أكرههم ومضى خالد وندمت الانصار وقالوا ان أصاب القوم خيرا حرمتموه وان أصيبوا ليجتنبنكم الناس فلحقوه ثم سار حتى قدم البطاح فلم يجد بها احدا وكان مالك بن نويرة قد فرقهم ونهاهم عن الاجتماع وقال يا بني يربوع انا دعينا الى هذا الامر فابطأنا عنه فلم نفلح وقد نظرت فيه فرأيت الامر يتأتى لهم بغير سياسة واذا الامر لا يسوسه الناس فاياكم ومناوأة قوم صنع لهم فتفرقوا وادخلوا في هذا الامر فتفرقوا على ذلك ولما قدم خالد البطاح بث السرايا وأمرهم بداعية الاسلام وان يأتوه بكل من لم يجب وان امتنع ان يقتلوه وكان قد أوصاهم أبو بكر ان يأذنوا اذا نزلوا منزلا فان أذن القوم فكفوا عنهم وان لم يؤذنوا فاقتلوا وانهبوا وان أجابوكم الى داعية الاسلام فسائلوهم عن الزكاة فان أقروا فاقبلوا منهم وان أبوا فقاتلوهم قال فجاءته الخيل بمالك بن نويرة في نفر من بني ثعلبة بن يربوع فاختلفت السرية فيهم وكان فيهم أبو قتادة فكان فيمن شهد انهم قد أذنوا واقاموا وصلوا فلما اختلفوا أمر بهم فحبسوا في ليلة باردة لا يقوم لها شيء فامر خالد مناديا فنادى دافئوا اسراكم وهي في لغة كنانة القتل فظن القوم انه أراد القتل ولم يرد الا الدفء فقتلوهم فقتل ضرار بن الازور مالكا وسمع خالد الواعية فخرج وقد فرغوا منهم فقال اذا أراد الله أمرا اصابه وتزوج خالد ام تميم امرأة مالك فقال عمر لابي بكر ان سيف خالد فيه رهق وأكثر عليه في ذلك فقال يا عمر تأول فاخطأ فارفع لسانك عن خالد فاني لا أشيم سيفا سله الله على الكافرين وودى مالكا وكتب الى خالد ان يقدم عليه ففعل ودخل المسجد وعليه قباء وقد غرز في عمامته أسهما فقام اليه عمر فنزعها وحطمها وقال له قتلت امرأ مسلما ثم نزوت على امرأته والله لارجمنك باحجارك وخالد لا يكلمه يظن ان رأى ابي بكر مثله ودخل على أبي بكر فاخبره الخبر واعتذر اليه فعذره وتجاوز عنه وعنفه في التزويج الذي كانت عليه العرب من كراهة أيام الحرب فخرج خالد وعمر جالس

الحوادث في ايامه) ما وقع في اواخر ربيع الاول سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة امطرت السماء وقت العصر ببغداد حصى ابيض زنة الحصاة ما بين رطل واكثر واقل مع برق ورعد وظلمة بحيث التجأ كثير من حاضري المساجد وغيرهم بالضجيج والبكاء حتى انجلى ذلك. واستمر المستنجد في الخلافة الى ان مات يوم السبت رابع عشر المحرم سنة اربع وثمانين وثمانمائة بعد مرضه نحو عامين بالفالج وصلى عليه بالقلعة ثم انزل فدفن بجوار المشهد النفيسي وقد بلغ من العمر التسعين او جاوزها وكانت خلافته تسعا وثلاثين سنة

*(الفصل الثالث عشر في ذكر خلافة المتوكل على الله)

اسمه عبد العزيز ابو العز بن يعقوب بويع له بالخلافة بعد موت عمه المستنجد في نهار الاثنين سادس عشر المحرم سنة أربع وثمانين وثمانمائة وكان محببا للخاصة والعامة بخصاله الجميلة ومناقبه الحميدة ولد سنة تسع عشرة وثمانمائة وأمه بنت جندي اسمها حاج ملك نقش خاتمه المتوكل على الله وله اشتغال بالعلم (ومن الحوادث في ايامه) ما ذكره السيوطي في تاريخه

فقال دلوا إلي يا ابن أم سلمة فعرف عمر أن أبا بكر قد رضي عنه فلم يكلمه وقيل إن المسلمين لما غشوا مالكا وأصحابه ليلا أخذوا السلاح فقالوا نحن المسلمون فقال أصحاب مالك ونحن المسلمون قالوا لهم ضعوا السلاح فوضعوه ثم صلوا وكان يعتذر في قتله انه قال ما إخال صاحبكم الا قال كذا وكذا فقال له أوما تعده لك صاحبا ثم ضرب عنقه وقدم متمم بن نويرة على أبي بكر يطلب بدم أخيه ويسأله أن يرد عليهم سبيهم فأمر أبو بكر برد السبي وودى مالكا من بيت المال ولما قدم على عمر قال له ما بلغ منك الوجد على أخيك قال بكيته حولا حتى أسعدت عيني الذاهبة عيني الصحيحة وما رأيت نارا قط الا كدت انقطع أسفا عليه لانه كان يوقد ناره الى الصبح مخافة أن يأتيه ضيف ولا يعرف مكانه قال فصفه لي قال كان يركب الفرس الحرون ويقود الجمل الثقال وهو بين المزادتين النضوحتين في الليلة القرة وعليه شملة فلوت معتقلا رمحا خطلا فيسري ليلته ثم يصبح وكأن وجهه فلقة قمر قال أنشدني بعض ما قلت فيه فأنشده مرثيته التي يقول فيها

وكنا كندماني جذيمة حقبة * من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فلما تفرقنا كأني ومالكا * لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

فقال عمر لو كنت أقول الشعر لرثيت أخي زيدا فقال متمم ولا سواء يا أمير المؤمنين لو كان أخي صرع مصرع أخيك لما بكيته فقال عمر ما عزاني أحد بأحسن مما عزيتني به وفي هذه الوقعة قتل الوليد وأبو عبيدة ابنا عمارة بن الوليد وهما ابنا أخي خالد لهما صحبة

(ذكر مسيلمة وأهل اليمامة)

قد ذكرنا فيما تقدم مجيء مسيلمة الى النبي صلى الله عليه وسلم فلما مات النبي صلى الله عليه وسلم وبعث أبو بكر السرايا الى المرتدين أرسل عكرمة بن أبي جهل في عسكر الى مسيلمة وأتبعه شرحبيل بن حسنة فعجل عكرمة ليذهب بصوتها فواقعهم فنكبوه وأقام شرحبيل بالطريق حين أدركه الخبر وكتب عكرمة الى أبي بكر بالخبر فكتب اليه أبو بكر لا أرينك ولا تراني لا ترجعن فتوهن الناس امض الى حذيفة وعرفجة فقاتل أهل عمان ومهرة ثم تسير أنت وجندك تستبرؤن الناس حتى تلقى مهاجر بن أبي أمية باليمن وحضرموت فكتب الى شرحبيل بالمقام الى أن يأتي خالد فاذا فرغوا من مسيلمة تلحق بعمرو بن العاص تعينه على قضاعة فلما رجع خالد من البطاح الى أبي بكر واعتذر اليه قبل عذره ورضي عنه ووجهه الى مسيلمة وأوعب معه المهاجرين والانصار وعلى الانصار ثابت بن قيس بن شماس وعلى المهاجرين أبو حذيفة وزيد بن الخطاب وأقام خالد بالبطاح ينتظر وصول البعث اليه فلما وصلوا اليه سار الى اليمامة وبنو حنيفة يومئذ كثيرون كانت عدتهم أربعين ألف مقاتل وعجل شرحبيل بن حسنة وبادر خالدا بقتال مسيلمة فنكب فلامه خالد وأمد أبو بكر خالدا بسليط ليكون ردأ له لئلا يؤتى من خلفه وكان أبو بكر يقول لا أستعمل أهل بدر أدعهم حتى يلقوا الله بصالح أعمالهم فان الله يدفع بهم وبالصالحين أكثر مما ينتصر بهم وكان عمر يرى استعمالهم على الجند وغيره وكان مع مسيلمة نهار الرجال بن عنفوة وكان قد هاجر الى النبي صلى الله عليه وسلم وقرأ القرآن وفقه في الدين وبعثه معلما لأهل اليمامة وليشغب على مسيلمة فكان أعظم فتنة على بني حنيفة من مسيلمة شهد أن

ان السلطان الملك الأشرف قايتباي سافر الى الحجاز وبهم الحج بعد أن زار قبر المصطفى صلى الله عليه وسلم وفرق فيها ستة آلاف دينار ثم قدم مكة وفرق فيها خمسة آلاف دينار وفي سنة ست وثمانين وثمانمائة زلزلت الارض يوم الاحد بعد العصر سابع عشر المحرم زلزلة صعبة ماجت منها الارض والجبال والابنية موجا ودامت لحظة ثم سكنت وسقط فيها شرافة من المدرسة الصالحية على قاضي القضاة الحنفي شرف الدين فمات وفي ليلة ثالث عشر رمضان سنة ست وثمانين وثمانمائة نزلت صاعقة أصاب بعضها هلال المنارة الرئيسة بالحرم النبوي على مشرفها أفضل الصلاة وأتم السلام فسقط شرقي المسجد له لهيب كالنار وانشق رأس المنارة وأصاب ما نزل من الصاعقة سقف المسجد فاجتمع الخلق وعجزوا عن اطفائها وكادت تدركهم فهربوا وتركوا ما كان معهم من آلات الاطفاء واستولت على جميع سقف المسجد وما فيه من خزائن الكتب والربعات والمصاحف وذلك كله مقدار عشر درج وكان يسقط شررها بيوت الجيران

محمدا صلى الله عليه وسلم يقول ان مسيلمة قد اشرك معه فصدقوه واستجابوا له وكان مسيلمة ينتهي
الى امره وكان يؤذن له عبد الله بن النواحة والذي يقيم له حجير بن عمير فكان حجير يقول اشهد
ان مسيلمة يزعم انه رسول الله فقال له مسيلمة افصح حجير فليس في المجمجمة خير وهو اول من
قالها وكان مما جاء به وذكر انه وحي يا ضفدع بنت ضفدع نقي ما تنقين اعلاك في الماء واسفلك في
الطين لا الشارب تمنعين ولا الماء تكدرين وقال ايضا والمبذرات زرعا والحاصدات حصدا
والذاريات قمحا والطاحنات طحنا والخابزات خبزا والثاردات ثردا واللاقمات لقما اهالة
وسمنا لقد فضلتم على اهل الوبر وما سبقكم اهل المدر ريفكم فامنعوه والمعتي فآووه والباغي
فناوئوه واتته امرأة فقالت ان نخلنا لسحيق وان ابارنا لجرز فادع الله لمائنا ونخلنا كما دعا محمد
صلى الله عليه وسلم لاهل هزمان فسأل نهارا عن ذلك فذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا لهم
واخذ من ماء آبارهم فتمضمض منه ومجه في الآبار ففاضت ماء وانجبت كل نخلة واطلعت
فسيلا قصيرا مكمما ففعل مسيلمة ذلك فغار ماء الآبار ويبس النخل وانما ظهر ذلك بعد
مهلكه وقال له نهار امرر يدك على اولاد بني حنيفة مثل محمد ففعل وامر يده على رؤسهم وحنكهم
فقرع كل صبي مسح رأسه ولثغ كل صبي حنكه وانما استبان ذلك بعد مهلكه وقيل جاءه
طلحة النمري فسأله عن حاله فاخبره انه يأتيه رجل في ظلمة فقال اشهد انك الكاذب وان محمدا
صادق ولكن كذاب ربيعة أحب الينا من صادق مضر فقتل معه يوم عقرباء كافرا ولما بلغ
مسيلمة دنو خالد ضرب عسكره بعقرباء وخرج اليه الناس وخرج مجاعة بن مرارة في سرية يطلب
ثأرا لهم في بني عامر فاخذه المسلمون وأصحابه فقتلهم خالد واستبقاه لشرفه في بني حنيفة وكانوا
ما بين أربعين الى ستين وترك مسيلمة الاموال وراء ظهره فقال شرحبيل بن مسيلمة يا بني حنيفة
قاتلوا فان اليوم يوم الغيرة فان انهزمتم تستردف النساء سبيات وينكحن غير خطيبات
فقاتلوا عن احسابكم وامنعوا نساءكم فاقتتلوا بعقرباء وكانت راية المهاجرين مع سالم مولى
أبي حذيفة وكانت قبله مع عبد الله بن حفص بن غانم فقتل فقالوا نخشى عليك من نفسك
فقال بئس حامل القرآن انا اذا وكانت راية الانصار مع ثابت بن قيس بن شماس وكانت العرب
على راياتهم والتقى الناس وكان أول من لقي المسلمين نهار الرجال بن عنفوة فقتل قتله زيد بن
الخطاب واشتد القتال ولم يلق المسلمون حربا مثلها قط وانهزم المسلمون وخلص بنو حنيفة الى
مجاعة والى خالد فزال خالد عن الفسطاط ودخلوا الى مجاعة وهو عنده امرأة خالد وكان سلمه اليها
فارادوا قتلها فنهاهم مجاعة عن قتلها وقال انا لها جار فتركوها وقال لهم عليكم بالرجال فقطعوا
الفسطاط ثم ان المسلمين تداعوا فقال ثابت بن قيس بئس ما عودتم انفسكم يا معشر المسلمين اللهم
اني ابرأ اليك مما يصنع هؤلاء يعني اهل اليمامة واعتذر اليك مما يصنع هؤلاء يعني المسلمين
ثم قاتل حتى قتل وقال زيد بن الخطاب لا تحوز بعد الرجال والله لا اتكلم اليوم حتى نهزمهم
او أقتل فاكلمه بحجتي غضوا أبصاركم وعضوا على أضراسكم أيها الناس واضربوا في عدوكم
وامضوا اقدما وقال أبو حذيفة يا اهل القرآن زينوا القرآن بالفعال وحمل خالد في الناس حتى
ردوهم الى ابعد مما كانوا واشتد القتال وتذامرت بنو حنيفة وقاتلت قتالا شديدا وكانت
الحرب يومئذ تارة للمسلمين وتارة للكافرين وقتل سالم وابو حذيفة وزيد بن الخطاب وغيرهم من

ذالايضرها وقال بعضهم
لم يحترق حرم النبي لريبة
يخشى عليه ومابه من عار
لكنما ايدي الروافض لامست
تلك الرسوم فطهرت بالنار
وذكر السخاوي في الضوء
اللامع ان في سنة سبع وثمانين
وثمانمائة حصل الشروع
في عمارة المسجد النبوي
ارسل السلطان الملك
الاشرف قايتباي الامير
سنقر الجمالي ثم اردفه
بالخواجا شمس الدين بن
الزمن فعمره على اتم المراد
فهو الآن باق وفي هذه السنة
في اثناء ذي القعدة جاء سيل
بمكة لم يعهد مثله دخل
المسجد الحرام بحيث جاوز
حلقتي باب الكعبة
وخربت اكثر بيوت مكة
ومات فيه خلق كثير وفي
سنة تسع وثمانين وثمانمائة
كمل عمارة الحرم النبوي
وفيها كان اجراء عين عرفة
وفي سنة سبع وتسعين
وثمانمائة كان الطاعون
العجيب حتى قيل ان ربع
العالم ماتوا في تلك السنة
في مدة يسيرة وفي سنة ثمان
وتسعين وثمانمائة قبيل
ظهر يوم الاربعاء ثامن
عشر صفر وقعت صاعقة
بالمسجد النبوي اصابت
المنارة الرئيسية بحيث
تفطرت خوذة هلالها
وسقط جانب دورها السفلي

اولى البصائر فلما رأى خالد ما الناس فيه قال امتازوا أيها الناس لنعلم بلاء كل حي ولنعلم من أين نؤتى فامتازوا وكان أهل البوادي قد جنبوا المهاجرين والانصار وجنبهم المهاجرون والانصار فلما امتازوا قال بعضهم لبعض اليوم يستحي من الفرار فما رؤي يوم كان أعظم نكاية من ذلك اليوم ولم يدر أي الفريقين كان أعظم نكاية غير ان القتل كان في المهاجرين والانصار وأهل القرى أكثر منهم في اهل البوادي وثبت مسيلمة فدارت رحاهم عليه فعرف خالد انها لا تركد الا بقتل مسيلمة ولم تحفل بنو حنيفة بمن قتل منهم ثم برز خالد ودعا الى البراز ونادى بشعارهم وكان شعارهم يا محمداه فلم يبرز اليه أحد الا قتله ودارت رحى المسلمين ودعا خالد مسيلمة فاجابه فعرض عليه أشياء مما يشتهي مسيلمة فكان اذا هم بجوابه أعرض بوجهه ليستشير شيطانه فينهاه ان يقبل فاعرض بوجهه مرة وركبه خالد وأرهقه فادبر وزال أصحابه وصاح خالد في الناس فركبوهم فكانت هزيمتهم وقالوا لمسيلمة أين ما كنت تعدنا فقال قاتلوا عن احسابكم ونادى المحكم يا بني حنيفة الحديقة الحديقة فدخلوها وأغلقوا عليهم بابها وكان البراء بن مالك وهو أخو أنس بن مالك اذا حضر الحرب أخذته رعدة حتى يقعد عليه الرجال ثم يبول فاذا بال ثار كما يثور الاسد فاصابه ذلك فلما بال وثب وقال الي أيها الناس انا البراء بن مالك الي الي وقاتل قتالا شديدا فلما دخلت بنو حنيفة الحديقة قال البراء يا معشر المسلمين القوني عليهم في الحديقة فقالوا لا نفعل فقال والله لتطرحنني عليهم بها فاحتمل حتى اشرف على الجدار فاقتحمها عليهم وقاتل على الباب وفتحه للمسلمين ودخلوها عليهم فاقتتلوا اشد قتال وكثر القتلى في الفريقين لاسيما في بني حنيفة فلم يزالوا كذلك حتى قتل مسيلمة واشترك في قتله وحشي مولى جبير بن مطعم ورجل من الانصار اما وحشي فدفع عليه حربته وضربه الانصاري بسيفه قال ابن عمر فصرخ رجل قتله العبد الاسود فولت بنو حنيفة عند قتله منهزمة واخذهم السيف من كل جانب وأخبر خالد بقتل مسيلمة فخرج بمجاعة يرسف في الحديد ليدله على مسيلمة فجعل يكشف له القتلى حتى مر بمحكم اليمامة وكان وسيما فقال هذا صاحبكم فقال مجاعة لا هذا والله خير منه واكرم هذا محكم اليمامة ثم دخل الحديقة فاذا رويجل أصيفر اخينس فقال مجاعة هذا صاحبكم قد فرغتم منه وقال خالد هذا الذي فعل بكم ما فعل وكان الذي قتل محكم اليمامة عبد الرحمن بن ابي بكر رماه بسهم في نحره وهو يخطب ويحرض الناس فقتله وقال مجاعة لخالد ما جاءك الا سرعان الناس وان الحصون مملوأة فهلم الى الصلح على ما ورائي فصالحه على كل شيء دون النفوس وقال أنطلق اليهم فاشاورهم فانطلق اليهم وليس في الحصون الا النساء والصبيان ومشيخة فانية ورجال ضعفى فالبسهم الحديد وامر النساء ان ينشرن شعورهن ويشرفن على الحصون حتى يرجع اليهم فرجع الى خالد فقال قد ابوا ان يجيزوا ما صنعت فرأى خالد الحصون مملوأة وقد نهكت المسلمين الحرب وطال اللقاء واحبوا ان يرجعوا على الظفر ولم يدروا ما هو كائن وقد قتل من المهاجرين والانصار من المدينة ثلثمائة وستون ومن المهاجرين من غير المدينة ثلثمائة رجل وقتل ثابت بن قيس قطع رجل من المشركين رجله فاخذها ثابت وضربه بها فقتله وقتل من بني حنيفة بعقربا سبعة آلاف وبالحديقة مثلها وفي الطلب نحو منها وصالحه خالد على الذهب والفضة والسلاح ونصف السبي وقيل ربعه فلما فتحت الحصون لم يكن فيها

ثم ثبتت سريعا وفي سنة تسعمائة خرج في منزل المسا على الركب الشامي عرب بني لام فنهبوا وقتلوا الحاج وما سلم الا النادر واخذوا المحمل وفي سنة احدى وتسعمائة خرج الركب الشامي وقد صالحوا العرب فردوا المحمل فلما رجعوا الى دمشق دخلوا ومعهم المحملان توفي المتوكل في سلخ محرم سنة ثلاث وتسعمائة وكانت خلافته تسع عشرة سنة

*(الفصل الرابع عشر في ذكر خلافة المستمسك بالله)

اسمه يعقوب ابو الصبر بن عبد العزيز بويع له بالخلافة بعد موت ابيه في صفر سنة ثلاث وتسعمائة وهو خير بني العباس الموجودين دينا وفضلا مكث في الخلافة مدة طويلة وفي اعلام الاعلام انه كبر سنه وضعف نظره الى ان توفي بمصر لعشر بقين من ربيع الثاني سنة سبع وعشرين وتسعمائة

*(الفصل الخامس عشر في ذكر خلافة المتوكل على الله)

اسمه محمد بن يعقوب المستمسك بويع له بالخلافة بعد وفاة ابيه وهو آخر الخلفاء العباسية وبه انقرضت الخلافة في الدنيا

الا النساء والصبيان والضعفاء فقال خالد لمجاعة ويحك خدعتني فقال هم قومي ولم أستطع الا ما صنعت ووصل كتاب أبي بكر الى خالد ان يقتل كل محتلم وكان قد صالحهم فوفى لهم ولم يغدر ولما رجع الناس قال عمر لابنه عبد الله وكان معهم ألا هلكت قبل زيد هلك زيد وأنت حي ألا واريت وجهك عني فقال عبد الله سأل الله الشهادة فأعطيها وجهدت ان تساق الي فلم أعطها وفي هذه السنة بعد وقعة اليمامة امر ابو بكر بجمع القرآن لما رأى من كثرة من قتل من الصحابة لئلا يذهب القرآن وسيرد مبينا سنة ثلاثين * وممن قتل باليمامة شهيدا من الصحابة عباد بن بشر الانصاري شهد بدرا وغيرها وقتل عباد بن الحرث الانصاري وكان شهد أحدا وقتل بها عمير بن أوس بن عتيك الانصاري وكان شهد أحدا * وفيها قتل عامر بن ثابت بن سلمة الانصاري وفيها قتل عمارة بن حزم الانصاري أخو عمرو وكان بدريا وفيها قتل علي بن عبد الله بن الحرث من بني عامر بن لؤي وكان له صحبة وقتل بها عائذ بن ماعص الانصاري وقيل قتل يوم بئر معونة وقتل فيها فروة بن النعمان وقيل ابن الحرث بن النعمان الانصاري وكان قد شهد أحدا وما بعدها وفيها قتل قيس بن الحرث بن عدي الانصاري عم البراء بن عازب وقيل بل قتل باحد وقتل بها اسعد بن جماز الانصاري وكان قد شهد أحدا وقتل بها ابو دجانة الانصاري وهو بدري وقيل بل عاش بعد ذلك وشهد صفين مع علي عليه السلام والله أعلم وقتل باليمامة سلمة بن مسعود بن سنان الانصاري وقتل فيها السائب بن عثمان بن مظعون الجمحي وهو من مهاجرة الحبشة وشهد بدرا وقتل أيضا السائب بن العوام أخو الزبير لابويه وقتل بها الطفيل بن عمرو الدوسي شهد خيبر وقتل بها زرارة بن قيس الانصاري له صحبة وقتل فيها مالك بن عمرو السلمي حليف بني عبد شمس وهو بدري وقتل مالك ابن أمية السلمي وهو بدري ومالك بن عوس بن عتيك الانصاري وهو ممن شهد أحدا وقتل بها معن بن عدي بن الجد البلوي حليف الانصار شهد العقبة وبدرا وغيرها ومسعود بن سنان الاسود حليف بني غانم وشهد أحدا وفيها قتل النعمان بن عصر بن الربيع البلوي وهو بدري (وقيل هو بكسر العين وسكون الصاد وقيل بفتحهما) * وفيها قتل صفوان ومالك ابنا عمرو السلمي وهما بدريان وضرار بن الازور الاسدي وهو الذي قتل مالك بن نويرة بأمر خالد وفيها قتل عبد الله بن الحرث بن قيس بن عدي السهمي وقيل قتل عبد الله بالطائف هو وأخوه السائب وفيها قتل عبد الله بن مخرمة ابن عبد العزى العامري عامر قيس وشهد بدرا وغيرها وفيها قتل عبد الله بن عبد الله بن ابي ابن سلول وهو بدري وعبد الله بن عتيك الانصاري وهو قاتل ابن أبي الحقيق وهو بدري وفيها قتل شجاع بن ابي وهب الاسدي أسد خزيمة شهد بدرا وهريم بن عبد الله المطلبي القرشي وأخوه جنادة والوليد بن عبد شمس بن المغيرة المخزومي ابن عم خالد وقتل ورقة بن اياس بن عمرو الانصاري وهو بدري ويزيد بن أوس حليف بني عبد الدار أسلم يوم الفتح وأبو حبة بن غزية الانصاري شهد أحدا وأبو عقيل البلوي حليف الانصار وهو بدري وأبو قيس بن الحرث بن قيس ابن عدي السهمي من مهاجرة الحبشة شهد أحدا ويزيد بن ثابت أخو زيد بن ثابت (الرجال بن عنفوة بالراء المفتوحة وبالجيم المشددة وقيل بالحاء المهملة والاول أكثر ومجاعة بتشديد الجيم ومحكم اليمامة بالحاء المهملة والكاف المشددة وسعد بن جماز بالجيم والميم المشددة

عن بني العباس ولما استولى المرحوم السلطان سليم خان من بني عثمان على الديار المصرية سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة قبض على المتوكل هذا وضاعن والده لكبر سنه وعاد به الى الروم وحبسه في السبع قلال بمدينة قسطنطينية الموسومة بيدي قله ولم يزل محبوسا الى ان قرب السلطان المذكور من الوفاة سنة ست وعشرين وتسعمائة فاطلقه وعين له كل يوم ستين درهما عثمانيا فسار المتوكل الى مدينة مصر وسكن بها الى ان توفي لاثنتي عشرة ليلة مضت من شعبان سنة خمس وأربعين وتسعمائة وخلف ولديه عمر وعثمان ولهما اليوم وظيفة دارة من الخزانة العامرة العثمانية وهؤلاء الخلفاء كلهم من نسل أبي جعفر المنصور لان السفاح لم يخلف من يقوم بالامور والله أعلم

(الباب السابع في ذكر دولة العبيديين الذين تسموا بالفاطميين)

وكان ابتداء دولتهم بالمغرب سنة سبع وتسعين ومائتين وانقراضهم سنة سبع وستين وخمسمائة فكانت مدة ملكهم مائتين وسبعين سنة وعددهم أربعة عشر

(وآخره زاي)

(ذكر ردة أهل البحرين)

لما قدم الجارود بن المعلى العبدي على النبي صلى الله عليه وسلم وتفقه ردّه الى قومه عبد القيس فكان فيهم فلما مات النبي صلى الله عليه وسلم وكان المنذر بن ساوى العبدي مريضا فمات بعد النبي صلى الله عليه وسلم بقليل فلما مات المنذر بن ساوى ارتد بعده أهل البحرين فأما بكر فتمت على ردتها وأما عبد القيس فانهم جمعهم الجارود وكان بلغه انهم قالوا لو كان محمد نبيا لم يمت فلما اجتمعوا اليه قال لهم اتعلمون انه كان لله أنبياء فيما مضى قالوا نعم قال فما فعلوا قالوا ماتوا قال فان محمدا صلى الله عليه وسلم قد مات كما ماتوا وانا اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فاسلموا وثبتوا على اسلامهم وحصروا أصحاب المنذر بعده حتى استنقذهم العلاء بن الحضرمي واجتمعت ربيعة بالبحرين على الردة الا الجارود ومن تبعه وقالوا نرد الملك في المنذر ابن النعمان بن المنذر وكان يسمى الغرور فلما أسلم كان يقول أنا المغرور ولست بالغرور وخرج الحطم بن ضبيعة أخو بني قيس بن ثعلبة في بكر بن وائل فاجتمع اليه من غير المرتدين ممن لم يزل مشركا حتى نزل القطيف وهجر واستغوى الخط ومن بها من الزط والسيابجة وبعث بعثا الى دارين وبعث الى جواثا فحصر المسلمين فاشتد الحصر على من بها فقال عبد الله بن حذف وقد قتلهم الجوع

ألا أبلغ ابا بكر رسولا * وفتيان المدينة اجمعينا
فهل لكم الى قوم كرام * قعود في جواثا محصرينا
كأن دماءهم في كل فج * شعاع الشمس تغشى الناظرينا
توكلنا على الرحمن انا * وجدنا النصر للمتوكلينا

وكان سبب استنقاذ العلاء بن الحضرمي اياهم ان أبا بكر كان قد بعثه على قتال اهل الردة بالبحرين فلما كان بحيال اليمامة لحق به ثمامة بن أثال الحنفي في مسلمة بني حنيفة ولحق به ابنا قيس بن عاصم المنقري وأعطاه بدل ما كان قسم من الصدقة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم وانضم اليه عمرو والابناء وسعد بن تميم والرباب أيضا لحقته في مثل عدته فسلك بهم الدهناء حتى كانوا في بحبوحتها نزل وأمر الناس بالنزول في الليل فنفرت ابلهم بأحمالها فما بقي عندهم بعير ولا زاد ولا ماء فلحقهم من الغم ما لا يعلمه الا الله ووصى بعضهم بعضا فدعاهم العلاء فاجتمعوا اليه فقال ما هذا الذي غلب عليكم من الغم فقالوا كيف نلام ونحن ان بلغنا غدا لم تحم الشمس حتى نهلك فقال لن تراعوا أنتم المسلمون وفي سبيل الله وأنصار الله فأبشروا فوالله لن تخذلوا فلما صلوا الصبح دعا العلاء ودعوا معه فلمع لهم الماء فمشوا اليه وشربوا واغتسلوا فما تعالى النهار حتى أقبلت الابل تجمع من كل وجه فأناخت اليهم فسقوها وكان أبو هريرة فيهم فلما ساروا عن ذلك المكان قال لمجاب بن راشد كيف علمك بموضع الماء قال عارف به فقال له كن معي حتى تقيمني عليه قال فرجعت به الى ذلك المكان فلم نجد الا غدير الماء فقلت له والله لولا الغدير لاخبرتك ان هذا هو المكان وما رأيت بهذا المكان ماء قبل اليوم واذا اداوة مملوءة ماء فقال أبو هريرة هذا والله المكان وما رأيت ولهذا رجعت بك وملأت اداوتي ثم وضعتها على شفير

ثم امنهم ثلاثة بالمغرب واحد عشر بمصر والشام وأول من ملك منهم بالمغرب (أبو محمد عبيد الله المهدي) وادعى انه علوي ولم يعرفه أحد من اهل العلم بالنسب وسماهم جهلة الناس فاطميين ثم وضع حينئذ لنفسه نسبا وهو عبيد الله المهدي بن الحسن بن محمد ابن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ابن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه وأما اهل العلم بالانساب فينكرون ذلك ويقولون ان اسمه سعيد ولقبه عبد الله وللناس في ذلك أقوال كثيرة عدلنا عنها ويقال ان المهدي المذكور لما دخل سجلماسة بالمغرب ونما خبره الى اليسع ملكها وهو آخر ملوك بني مدرار قيل له ان هذا هو الذي يدعو ابا عبد الله الشيعي اليه فأخذه اليسع واعتقله فلما سمع به أبو عبد الله الشيعي حشد حشدا كثيرا من كتامة وغيرها وقصد سجلماسة وأخذها فوجد المهدي مقتولا وعنده رجل يهودي أو سامري كان يخدمه فخاف أبو عبد الله ان ينتقض عليه الامر فيما دبره ان عرفت العساكر

الغدير وقالت ان كان مناما من المن عرفته وان كان عيانا عرفته فاذا من من المن فحمد الله ثم ساروا فنزلوا بهجر وأرسل العلاء الى الجارود يأمره ان ينزل بعبد القيس على الحطم مما يليه وسار هو فيمن معه حتى نزل عليه مما يلي هجر فاجتمع المشركون كلهم الى الحطم الا أهل دارين واجتمع المسلمون الى العلاء وخندق المسلمون على أنفسهم والمشركون وكانوا يتراوحون القتال ويرجعون الى خندقهم فكانوا كذلك شهرا فبيناهم كذلك سمع المسلمون ضوضاء هزيمة أو قتال فقال العلاء من يأتينا بخبر القوم فقال عبد الله بن حذف انا فخرج حتى دنا من خندقهم فاخذوه وكانت أمه عجلية فجعل ينادي يا ابجراه فجاء ابجر بن بجير فعرفه فقال ما شأنك فقال علام أقتل وحولي عساكر من عجل وتيم اللات وغيرها فخلصه فقال له والله اني لاظنك بئس ابن أخت أتيت الليلة أخوالك فقال دعني من هذا واطعمني فقد مت جوعا فقرب له طعاما فأكل ثم قال زودني واحملني يقول هذا الرجل قد غلب عليه السكر فحمله على بعير وزوده وجوزه فدخل عسكر المسلمين فأخبرهم ان القوم سكارى فخرج المسلمون عليهم فوضعوا فيهم السيف كيف شاؤا وهرب الكفار فمن بين متردد وناج ومقتول ومأسور واستولى المسلمون على العسكر ولم يفلت رجل الا بما عليه فاما أبجر فافلت وأما الحطم فقتل قتله قيس بن عاصم بعد ان قطع عفيف بن المنذر التميمي رجله وطلبهم المسلمون فأسر عفيف المنذر بن النعمان بن المنذر الغرور فاسلم وأصبح العلاء فقسم الانفال ونفل رجالا من اهل البلاء ثيابا فاعطى ثمامة بن أثال الحنفي خميصة ذات اعلام كانت للحطم يباهي بها فلما رجع ثمامة بعد فتح دارين رآها بنو قيس بن ثعلبة فقالوا له أنت قتلت الحطم فقال لم أقتله ولكني اشتريتها من المغنم فوثبوا عليه فقتلوه وقصد عظم الفلال الى دارين فركبوا اليها السفن ولحق الباقون ببلاد قومهم فكتب العلاء الى من ثبت على اسلامه من بكر بن وائل منهم عتيبة بن النهاس والمثنى بن حارثة وغيرهما يأمرهم بالقعود للمنهزمين والمرتدين بكل طريق ففعلوا وجاءت رسلهم الى العلاء بذلك فأمر ان يؤتى من وراء ظهره فندب حينئذ الناس الى دارين وقال لهم قد أراكم الله من آياته في البر لتعتبروا بها في البحر فانهضوا الى عدوكم واستعرضوا البحر وارتحل وارتحلوا حتى اقتحم البحر على الخيل والابل والحمير وغير ذلك وفيهم الراجل ودعا ودعوا وكان من دعائهم يا أرحم الراحمين يا كريم يا حليم يا أحد يا صمد يا حي يا محيي الموتى يا حي يا قيوم لا اله الا أنت يا ربنا فاجتاز واذلك الخليج باذن الله يمشون على مثل رملة فوقها ماء يغمر اخفاف الابل وبين الساحل ودارين يوم وليلة بسفن البحر فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا فظفر المسلمون وانهزم المشركون وأكثر المسلمون القتل فيهم فما تركوا بها مخبرا وغنموا وسبوا فلما فرغوا رجعوا حتى عبروا وضرب الاسلام فيها بجرانه وكتب العلاء الى أبي بكر يعرفه هزيمة المرتدين وقتل الحطم وكان مع المسلمين راهب من أهل هجر فاسلم فقيل له ما حملك على الاسلام قال ثلاثة أشياء خشيت ان يمسخني الله بعدها فيض في الرمال وتمهيد أثباج البحر ودعاء سمعته في عسكرهم في الهواء سحرا اللهم أنت الرحمن الرحيم لا اله غيرك والبديع فليس قبلك شيء والدائم غير الغافل الحي الذي لا يموت وخالق ما يرى وما لا يرى وكل يوم أنت في شأن علمت كل شيء بغير تعلم فعلمت أن القوم لم يعانوا بالملائكة الا وهم على حق فكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يسمعون

بقتل المهدي فاخرج ذلك الخديم الى العساكر وقال لهم هذا هو المهدي وأخباره مشهورة والمهدي أول من قام بهذا الامر وادعى الخلافة وان أبا عبد الله الشيعي هو الذي كان سبب قيام دولته وبنى المهدية بافريقية وبنى سور مدينة تونس وأحكم عمارته وكانت وفاته منتصف ربيع الاول عام اثنتين وعشرين وثلثمائة بالمهدية فكانت مدة ملكه ستا وعشرين سنة وشهورا وقام بالامر بعده *(أبو القاسم القائم بأمر الله محمد نزار)* بن المهدي تولى المملكة في ربيع الاول سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة وتوفي بالمهدية تحت حصار مخلد البربري في سنة أربع وثلاثين وثلثمائة فكانت مدة ملكه اثنتي عشرة سنة ومات وعمره نيف وخمسون سنة وقام بالامر بعد وفاته ولده *(أبو الطاهر المنصور بالله اسمعيل)* بن محمد نزار ولد بالقيروان سنة اثنتين وثلثمائة وكان في غاية من الفصاحة والبلاغة يرتجل الشعر والخطب وما يقصد من الكلام المسجوع لوقته تولى المملكة وهو محصور فقاتل البربري الذي حاصر

هذا منه بعد (عتيبة بعد العين تاء معجمة باثنتين من فوقها وياء تحتها نقطتان ثم باء موحدة وحارثة بحاء مهملة وثاء مثلثة)

(ذكر ردة أهل عمان ومهرة)

قد اختلف في تاريخ حرب المسلمين هؤلاء المرتدين فقال ابن اسحق كان فتح اليمامة واليمن والبحرين وبعث الجنود الى الشام سنة اثنتي عشرة وقال أبو معشر ويزيد بن عياض وجماعة وأبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر ان فتوح الردة كلها لخالد وغيره سنة احدى عشرة الا أمر ربيعة بن بجير فانه كان سنة ثلاث عشرة وقصته انه بلغ خالد بن الوليد ان ربيعة بالمصيخ والحصيد في جمع من المرتدين فقاتله وغنم وسبى وأصاب ابنة لربيعة فبعثها الى أبي بكر فصارت الى علي ابن أبي طالب وأما عمان فانه نبغ بها ذو التاج لقيط بن مالك الازدي وكان يسمى في الجاهلية الجلندي وادعى بمثل ما ادعى من تنبأ وغلب على عمان مرتدا والتجأ جيفر وعباد الى الجبال وبعث جيفر الى أبي بكر يخبره ويستمده عليه وبعث أبو بكر حذيفة بن محصن الغلفاني من حمير وعرفجة البارقي من الازد حذيفة الى عمان وعرفجة الى مهرة وكل منهما أمير على صاحبه في وجهه فاذا قربا من عمان يكاتبان جيفرا فسارا الى عمان وأرسل ابو بكر الى عكرمة بن أبي جهل وكان بعثه الى اليمامة فأصيب فأرسل اليه ان يلحق بحذيفة وعرفجة بمن معه يساعدهما على أهل عمان ومهرة فاذا فرغوا منهم سار الى اليمن فلحقهما عكرمة قبل عمان فلما وصلوا رجاما وهي قريب من عمان كاتبوا جيفرا وعبادا وجمع لقيط جموعه وعسكر بدبا وخرج جيفر وعباد وعسكرا بصحار وارسلا الى حذيفة وعكرمة وعرفجة فقدموا عليهما وكاتبوا رؤساء مع لقيط وارفضوا عنه ثم التقوا على دبا فاقتتلوا قتالا شديدا واستعلى لقيط ورأى المسلمون الخلل ورأى المشركون الظفر فبيناهم كذلك جاءت المسلمين موادهم العظمى من بني ناجية وعليهم الخريت بن راشد ومن عبد القيس وعليهم سيحان بن صوحان وغيرهم فقوى الله المسلمين فولى المشركون الادبار فقتل منهم في المعركة عشرة آلاف وركبوهم حتى أثخنوا فيهم وسبوا الذراري وقسموا الاموال وبعثوا بالخمس الى أبي بكر مع عرفجة وأقام حذيفة بعمان يسكن الناس وأما مهرة فان عكرمة بن أبي جهل سار اليهم لما فرغ من عمان ومعه من استنصر من ناجية وعبد القيس وراسب وسعد فاقتحم عليهم بلادهم فوافق بها جمعين من مهرة احدهما مع شخريت رجل منهم والثاني مع المصبح أحد بني محارب ومعظم الناس معه وكانا مختلفين فكاتب عكرمة شخريتا فأجابه وأسلم وكاتب المصبح يدعوه فلم يجب فقاتله قتالا شديدا فانهزم المرتدون وقتل رئيسهم وركبهم المسلمون فقتلوا من شاؤا منهم وأصابوا ما شاؤا من الغنائم وبعث الاخماس الى أبي بكر مع شخريت وازداد عكرمة وجنده قوة بالظهر والمتاع وأقام عكرمة حتى اجتمع الناس على الذي يحب وبايعوا على الاسلام (دبا بفتح الباء الموحدة المخففة وفتح الدال المهملة والخريت بكسر الخاء المعجمة وتشديد الراء المهملة المكسورة ثم ياء مثناة من تحتها وآخره تاء وسيحان بفتح السين المهملة وبالياء المثناة من تحت وبالحاء المهملة وآخره نون)

(ذكر خبر ردة اليمن)

والدة فكسره ثم ملك جميع مدن القيروان وبنى مدينة وسماها المنصورة واستوطنها توفي سنة احدى وأربعين وثلثمائة ومدة ملكه سبع سنين وثمانية ايام وأقام الامر بعده ولده (ابو تميم المعز لدين الله معد) بن اسمعيل وهو أول من أقيمت له الدعوة بمصر وكان شهما شجاعا ماضيا اتسعت مملكته وكثرت عساكره فلما اختل أمر الديار المصرية بعد موت كافور الاخشيدي ومواليه لاشتغال خلفاء بني العباس بالديلم عن الديار المصرية لفتن قامت عندهم ببغداد قصد المعز أخذ مصر وخاف ان يغزو بنفسه وعساكره فيفوته المغرب ولا يحصل له مصر فجهز قائدا من قواده يسمى جوهرا الصقلي وكان يعرف بقائد القواد ومعه مائة ألف رجل الى الديار المصرية وأمره اذا ملكها يبني بلدا يقرب منها لتكون سكنا للمعز فلما وصل القائد الى مصر وتسلمها من غير قتال بعد امور جرت له اختصرناها اختط سور القاهرة وبنى بالليل واختط القصر في وسط المدينة بترتيب [illegible] وهو الآن دار الضرب ورتب للقاهرة حارات

لماتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى مكة وأرضها عتاب بن أسيد وعلى عك والاشعريين الطاهر بن أبي هالة وعلى الطائف عثمان بن أبي العاص ومالك بن عوف النصرى عثمان على المدن ومالك على أهل الوبر وبصنعاء فيروز وداذويه يسانده وقيس بن مكشوح وعلى الجند يعلى بن أمية وعلى مأرب أبو موسى وكان منهم مع الاسود الكذاب ما ذكرناه فلما أهلك الله الاسود العنسى بقى طائفة من أصحابه يترددون بين صنعاء ونجران لا تأوى الى أحد ومات النبي صلى الله عليه وسلم على اثر ذلك فارتد الناس فكتب عتاب بن أسيد الى أبي بكر يعرفه خبر من ارتد في عمله وبعث عتاب أخاه خالدا الى أهل تهامة وبها جماعة من مدلج وخزاعة وأبناء كنانة وأما كنانة عليهم جندب بن سلمى فالتقوا بالابارق فقتلهم خالد وفرقهم وأفلت جندب وعاد وبعث عثمان بن أبي العاص بعثا الى شنوأة وبها جماعة من الازد وبجيلة وخثعم وعليهم حميضة ابن النعمان واستعمل عثمان على السرية عثمان بن أبي ربيعة فالتقوا بشنوأة فانهزم الكفار وتفرقوا وهرب حميضة فى البلاد وأما الاخابث من العك فكانوا أول منتقض بتهامة بعد النبي صلى الله عليه وسلم عك والاشعريون تجمعوا وأقاموا على الاعلاب فسار اليهم الطاهر بن أبي هالة ومعه مسروق وقومه من عك ممن لم يرتد فالتقوا على الاعلاب فانهزمت عك ومن معهم وقتلوا قتلا ذريعا وكان ذلك فتحا عظيما وورد كتاب أبي بكر على الطاهر يأمره بقتالهم وسماهم الاخابث وسمى طريقهم طريق الاخابث فبقى الاسم عليهم الى الآن وأما أهل نجران فلما بلغهم موت النبي صلى الله عليه وسلم أرسلوا وفدا ليجددوا عهدهم مع ابى بكر فكتب بذلك كتابا وأما بجيلة فان أبا بكر رد جرير بن عبد الله وأمره ان يستنفر من قومه من ثبت على الاسلام ويقاتل بهم من ارتد عن الاسلام وان يأتى خثعم فيقاتل من خرج غضبا للذى الخلصة فخرج جرير وفعل ما أمره فلم يقم له أحد الا نفر يسير فقتلهم وتتبعهم (حميضة بالحاء المهملة المضمومة والضاد المعجمة)

(ذكر خبر ردة اليمن ثانية)

وكان ممن ارتد ثانية قيس بن عبد يغوث بن مكشوح وذلك انه لما بلغه موت النبي صلى الله عليه وسلم عمل فى قتل فيروز وجشيش وكتب أبو بكر الى عمير ذى مران والى سعيد ذى زود والى ذى الكلاع والى حوشب ذى ظليم والى شهر ذى نياف يأمرهم بالتمسك بدينهم والقيام بأمر الله ويأمرهم باعانة الابناء على من ناواهم والسمع لفيروز وكان فيروز وداذويه وقيس قبل ذلك متساندين فلما سمع قيس بذلك كتب الى ذى الكلاع وأصحابه يدعوهم الى قتل الابناء واخراج أهلهم من اليمن فلم يجيبوه ولم ينصروا الابناء فاستعد لهم قيس وكاتب أصحاب الاسود المترددين فى البلاد سرا يدعوهم ليجتمعوا معه فجاؤا اليه فسمع بهم أهل صنعاء فقصد قيس فيروز وداذويه فاستشارهما فى أمره خديعة منه ليلبس عليهما فاطمأنا اليه ثم ان قيسا صنع من الغد طعاما ودعا داذويه وفيروز وجشيش فخرج داذويه فدخل عليه فقتله وجاء اليه فيروز فلما دنا منه سمع امرأتين تتحدثان فقالت احداهما هذا مقتول كما قتل داذويه فخرج فطلبه أصحاب قيس فخرج يركض ولقيه جشيش فرجع معه فتوجها نحو جبل خولان وهم اخوال فيروز فصعدا الجبل ورجعت خيول قيس فأخبروه فثار بصنعاء وما حولها وأتته خيول

امراء تلك العساكر القادمين صحبته من بلاد الغرب كحارة زويلة وحارة المصامدة وعمر الجامع الازهر وسمى هذه المدينة بالمنصورة وذلك فى سنة احدى وستين وثلثمائة ثم أرسل عرف استاذه بذلك فحضر بعساكره من بلاد الغرب الى ان دخل القاهرة من غير ضرر وجلس على سرير الملك من غير منازع وذلك فى شهر ذى القعدة عام اثنين وستين وثلثمائة وسبب تسمية هذه المدينة بالقاهرة انه لما حفر الاساس جعل احجار الاساس لجماعة وجعل لهم حبالا ممدة الاساس وجعل فى الحبال اجراسا وأمر حملة الاحجار برميها فى الاساس اذا سمعوا صوت الاجراس وقعد يرصد استحقاق الرمى ليحرك لهم الجرس ليرموا الحجارة فحط غراب على تلك الحبال فحركت الحبال بالاجراس فصوتت فسمع حملة الاحجار فظنوا ان المعز أشار اليهم فرموا فى ذلك الطالع فرأى المعز ان الطالع نجم يسمى القاهر يقال انه المريخ فشق عليه وقال ان الطالع القاهر فسميت بالقاهرة لانه لا يملكها الا قاهر وأقام المعز بالقاهرة سنتين ونصفا الى ان توفى فى ربيع الآخر

الاسود واجتمع الى فيروز جماعة من الناس وكتب الى أبي بكر يخبره واجتمع الى قيس عوام قبائل من كتب أبو بكر الى رؤسائهم واعتزل الرؤساء وعمد قيس الى الابناء ففرقهم ثلاث فرق من أقام اقر عياله والذين ساروا مع فيروز فرق عيالهم فرقتين فوجه احداهما الى عدن ليحملوا في البحر وحمل الاخرى في البر وقال لهم جميعهم الحقوا بأرضكم فلما علم فيروز ذلك جد في حربه وتجرد لها وأرسل الى بني عقيل بن ربيعة بن عامر يستمدهم والى عك يستمدهم فركبت عقيل فلقوا خيل قيس بن عامر ومعهم عيالات الابناء الذين كان قد سيرهم قيس فاستنقذوهم وقتلوا خيل قيس وسارت عك فاستنقذوا طائفة أخرى من عيالات الابناء وقتلوا منهم من أصحاب قيس وامدت عقيل وعك فيروز بالرجال فلما أتته أمدادهم خرج بهم وبمن اجتمع عنده فلقوا قيسا دون صنعاء فاقتتلوا قتالا شديدا وانهزم قيس وأصحابه وتذبذب أصحاب العنسي وقيس معهم فيما بين صنعاء ونجران قبل وكان فروة بن مسيك قدم على النبي صلى الله عليه وسلم مسلما فاستعمله النبي صلى الله عليه وسلم على صدقات مراد ومن نازلهم ونزل دارهم وكان عمرو بن معديكرب الزبيدي قد فارق قومه سعد العشيرة وانحاز اليهم وأسلم معهم فلما ارتد العنسي ومعه مذحج ارتد عمرو فيمن ارتد وكان عمرو مع خالد بن سعيد بن العاص فلما ارتد سار اليه خالد فلقيه فضربه خالد على عاتقه فهرب منه وأخذ خالد سيفه الصمصامة وفرسه فلما ارتد عمرو جعله العنسي بازاء فروة فامتنع كل واحد منهما من البراح لمكان صاحبه فبينما هم كذلك قدم عكرمة بن أبي جهل أبين من مهرة وقد تقدم ذكر قتال مهرة ومعه بشر كثير من مهرة وغيرهم فاستبرأ النخع وحمير وقدم أيضا المهاجر بن أبي أمية في جمع من مكة والطائف وبجيلة مع جرير الى نجران فانضم اليه فروة بن مسيك المرادي فأقبل عمرو بن معديكرب مستخفيا حتى دخل على المهاجر من غير أمان فأوثقه المهاجر وأخذ قيسا أيضا فأوثقه وسيرهما الى أبي بكر فقال يا قيس قتلت عباد الله واتخذت المرتدين وليجة من دون المؤمنين فانتفى قيس من أن يكون قارف من أمر داذويه شيئا وكان قتله سرا فتجافى له عن دمه وقال لعمرو أما تستحي أنك كل يوم مهزوم أو مأسور لو نصرت هذا الدين لرفعك الله فقال لا جرم لأقبلن ولا أعود ورجعا الى عشائرهما فسار المهاجر من نجران والتقت الخيول على أصحاب العنسي فاستأمنوا فلم يؤمنهم وقتلهم بكل سبيل ثم سار الى صنعاء فدخلها وكتب الى أبي بكر بذلك

(ذكر ردة حضرموت وكندة)

لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعماله على بلاد حضرموت زياد بن لبيد الانصاري على حضرموت وعكاشة بن أبي أمية على السكاسك والسكون والمهاجر بن أبي أمية على كندة استعمله النبي صلى الله عليه وسلم ولم يخرج اليها حتى توفي النبي صلى الله عليه وسلم فبعثه أبو بكر الى قتال من باليمن ثم المسير بعد الى عمله وكان قد تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبوك فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عاتب عليه فبينما أم سلمة تغسل رأس النبي صلى الله عليه وسلم قالت كيف ينفعني عيش وأنت عاتب على أخي فرأت منه رقة فأومأت الى خادمها فدعته فلم يزل بالنبي صلى الله عليه وسلم يذكر عذره حتى رضي عنه واستعمله على كندة فتوفي النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسر الى عمله ثم سار بعده وكان سبب ردة كندة واجابتهم الاسود

ه خمس وستين وثلثمائة كانت مدة مملكته بالغرب والقاهرة ثلاثا وعشرين سنة ونصفا فلما توفي كانت الولاية بعده لولده *(أبي المنصور العزيز بالله نزار)* ابن معد وكان كريما شجاعا حسن العفو عند القدرة قريبا من الناس مغرما بالصيد وكان أديبا فاضلا ذكيا كذا ذكره الثعالبي في يتيمة الدهر توفي سنة ست وثمانين وثلثمائة ومدة مملكته احدى وعشرون سنة وتولى بعده ولده *(أبو علي الحاكم بأمر الله منصور)* بن نزار وكان شيطانا مريدا خبيث الاعتقاد سفاكا للدماء قتل خلقا كثيرا بغير ذنب وادعى الالوهية وأمر بسب الصحابة قال الذهبي في تاريخ الاسلام ان الحاكم ادعى علم الغيب في وقت فكان يقول فلان قال في بيته كذا وكذا وفعل كذا وكذا وأكل كذا وكذا وكان ذلك باتفاق اعتمده مع العجائز اللواتي يدخلن بيوت الامراء وغيرهم ويعرفنه بذلك فرفعت اليه رقعة في أثناء ذلك فيها

بالجور والظلم قد رضينا
وليس بالكفر والحماقه
ان كنت أوتيت علم غيب
بين لنا كاتب البطاقه

الكذاب حتى لعن النبي صلى الله عليه وسلم الملوك الاربعة منهم أنهم لما أملوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يوضع بعض صدقة حضرموت في كندة وبعض صدقة كندة في حضرموت وبعض صدقة حضرموت في السكون وبعض صدقة السكون في حضرموت فقال بعض بني وليعة من كندة لحضرموت ليس لنا ظهر فان رأيتم ان تبعثوا الينا بذلك على ظهر قالوا فانا ننظر فان لم يكن لكم ظهر فعلنا فلما نولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت بنو وليعة أبلغونا كما وعدتم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان لكم ظهرا فاحتملوا فقالوا لزياد أنت معهم علينا فابى الحضرميون ولج الكنديون ورجعوا الى دارهم وترددوا في أمرهم وامسك عنهم زياد انتظارا للمهاجر وكان المهاجر لما تأخر بالمدينة قد استخلف زيادا على عمله وسار المهاجر من صنعاء الى عمله وعكرمة بن ابي جهل ايضا فنزل احدهما على الاسود والآخر على وائل وكان زياد بن لبيد قد ولى صدقات بني عمرو بن معاوية من كندة بنفسه فقدم عليهم فكان أول من انتهى اليه منهم شيطان بن حجر فاخذ منهم بكرة ووسمها فاذا الناقة للعداء بن حجر أخي شيطان وكان أخوه قد أوهم حين أخرجها وكان اسمها شذرة وظنها غيرها فقال العداء هذه ناقتي فقال شيطان صدق فاطلقها وخذ غيرها فاتهمه زياد بالكفر ومباعدة الاسلام فمنعها عنها وقال صارت في حق الله فلجا في أخذها فقال لهما الا تكونن شذرة عليكم كالبسوس فنادى العداء يا آل عمرو أضام واضطهد ان الذليل من أكل في داره ونادى حارثة بن سراقة ابن معديكرب فاقبل الى زياد وهو واقف فقال أطلق بكرة الرجل وخذ غيرها فقال زياد ما الى ذلك سبيل فقال حارثة ذاك اذا كنت يهوديا وأطلق عقالها وبعثها وقام دونها فأمر زياد شبابا من حضرموت والسكون فمنعوه وكتفوه وكتفوا اصحابه وأخذوا البكرة وتصايحت كندة وغضبت بنو معاوية لحارثة وأظهروا امرهم وغضبت حضرموت والسكون لزياد وتوافى عسكران عظيمان من هؤلاء ولم يحدث بنو معاوية شيئا لمكان أسراهم ولم يجد اصحاب زياد سبيلا يتعلقون به عليهم وأمرهم زياد بوضع السلاح فلم يفعلوا وطلبوا أسراهم فلم يطلقهم فنهد اليهم ليلا فقتل منهم وتفرقوا فلما تفرقوا أطلق حارثة ومن معه فلما رجع الاسرى الى أصحابهم حرضوهم على زياد ومن معه واجتمع منهم عسكر كثير ونادوا بمنع الصدقة فأرسل الحصين بن نمير وسكن بعضهم عن بعض فأقاموا بعد ذلك يسيرا ثم ان بني عمرو بن معاوية من كندة نزلوا المحاجر وهي أحماء حموها فنزل جمد محجرا ومخوص محجرا ومشرح محجرا وأبضعة محجرا وأختهم العمردة محجرا وهم الملوك الاربعة رؤساء عمرو الذين لعنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ذكر واقبل ونزلت بنو الحرث بن معاوية محاجرها فنزل الاشعث بن قيس محجرا والسمط بن الاسود محجرا واطبقت بنو معاوية كلها على منع الصدقة الا شرحبيل بن السمط وابنه فانهما قالا لبني معاوية انه لقبيح بالاحرار التنقل ان الكرام ليلزمون الشبهة فيتكرمون أن ينتقلوا الى اوضح منها مخافة العار فكيف الانتقال من الامر الحسن الجميل والحق الى الباطل والقبيح اللهم انا لا نمالئ قومنا على ذلك وانتقل ونزل مع زياد ومعهما امرؤ القيس ابن عابس وقالا له بيت القوم فان اقواما من السكاسك والسكون قد انضموا اليهم وكذلك شذاذ من حضرموت فان لم تفعل خشينا ان تتفرق الناس عنا اليهم فأجابهم الى تبييت القوم

شيء قرأها سكت عن الكلام في المغيبات وكان هو واسلافه بمصر يدعون الشرف ويقولون نحن اولاد فاطمة وابونا علي بن ابي طالب كرم الله وجهه وكان الحاكم في كل سبعة ايام يقول ذلك على المنبر وكانت الرقاع ترفع اليه وهو على المنبر في اشغال الناس فرفعت اليه رقعة مكتوب فيها

انا سمعنا نسبا منكرا
يتلى على المنبر في الجامع
ان كنت فيما قلته صادقا
فانسب لنا نفسك كالطائع
أو كان حقا كل ما تدعي
فاذكر أبا بعد الاب السابع
أولا دع الانساب مستورة
وادخل بنا في النسب الواسع
فان انساب بني هاشم
يقصر عنها طمع الطامع

فرماها من يده ولم ينتسب فيما بعد وكانت له أمور متضادة لانه كان عنده شجاعة واقدام وجبن واحجام ومحبة للعلم وانتقام من العلماء وميل الى الصلاح وقتل الصلحاء وأقام سنين يوقد عليه الشمع ليلا ونهارا ثم يجلس في الظلام مدة وقتل من العلماء ما لا يحصى وأمر بسب الصحابة وكتب ذلك على أبواب المساجد والشوارع ثم محاه بعد مدة ومنع صلاة التراويح

فاجتمعوا وطرقوهم فى محاجرهم فوجدوهم جلوسا حول نيرانهم فأكبوا على بنى عمرو بن معاوية وفيهم العدد والشوكة من خمسة أوجه فأصابوا مشرحا ومخوصا وجمدا وأبضعة واختهم العمردة وادركتهم لعنة النبى صلى الله عليه وسلم وقتلوا فأكثروا وهرب من اطاق الهرب وعاد زياد بن لبيد بالاموال والسبى واجتازوا بالاشعث فثار فى قومه واستنقذهم وجمع الجموع وكتب زياد الى المهاجر يستحثه فلقيه الكتاب بالطريق فاستخلف على الجند عكرمة بن أبى جهل وتعجل فى سرعان الناس وقدم على زياد وسار الى كندة فالتقوا بمحجر الزبرقان فاقتتلوا فانهزمت كندة وقتلت وخرجوا هرابا فالتجؤا الى النجير وقد رموه وأصلحوه وسار المهاجر فنزل عليهم واجتمعت كندة فى النجير فتحصنوا به فحصرهم المسلمون وقدم اليهم عكرمة فاشتد الحصر على كندة وتفرقت السرايا فى طلبهم فقتلوا منهم وخرج من بالنجير من كندة وغيرهم فقاتلوا المسلمين فكثر فيهم القتل فرجعوا الى حصنهم وخشعت نفوسهم وخافوا القتل وخاف الرؤساء على نفوسهم فخرج الاشعث ومعه تسعة نفر فطلبوا من زياد أن يؤمنهم وأهليهم على ان يفتحوا له الباب فأجابهم الى ذلك وقال اكتبوا ما شئتم ثم هلموا الكتاب حتى أختمه ففعلوا ونسى الاشعث ان يكتب نفسه لان جحدما وثب عليه بسكين فقال تكتبنى أو اقتلك فكتبه ونسى نفسه ففتحوا الباب فدخل المسلمون فلم يدعوا مقاتلا الا قتلوه وضربوا أعناقهم صبرا وأخذوا الاموال والسبى فلما فرغوا منهم دعا الاشعث أولئك النفر والكتاب معهم فعرضهم فأجاز من فى الكتاب فاذا الاشعث ليس منهم فقال المهاجر الحمد لله الذى خطأك فاك يا أشعث يا عدو الله قد كنت أشتهى ان يخزيك الله وشده كتافا فقيل له أخره وسيره الى أبى بكر فهو أعلم بالحكم فيه فسيره الى ابى بكر مع السبى وقيل ان الحصار لما اشتد على من بالنجير نزل الاشعث الى المهاجر وزياد والمسلمين فسألهم الامان على دمه وماله حتى يقدموا به على أبى بكر فيرى فيه رأيه على أن يفتح لهم النجير ويسلم اليهم من فيه وغدر بأصحابه فقبلوا ذلك منه ففتح لهم الحصن فاستنزلوا من فيه من الملوك فقتلوهم وأوثقوا الاشعث وأرسلوا مع السبى الى أبى بكر فكان المسلمون يلعنونه ويلعنه سبايا قومه وسماه نساء قومه عرف النار وهو اسم الغادر عندهم فلما قدم المدينة قال له أبو بكر ما ترانى أصنع بك قال لا أعلم قال فانى أقتلك قال فأنا الذى راوضت القوم فى عشرة فما يحل دمى قال اما وجب الصلح بعد ختم الصحيفة على من فيها واما كنت قبل ذلك مراوضا فلما خشى القتل قال أو تحتسب فى خيرا فتطلق اسارى وتقيلنى عثرتى وتفعل بى مثل ما فعلت بامثالى وترد على زوجتى وقد كان خطب أم فروة اخت ابى بكر لما قدم على النبى صلى الله عليه وسلم اخرها الى ان يقدم الثانية فمات النبى صلى الله عليه وسلم وارتد فان فعلت ذلك تجدنى خير أهل بلادى لدين الله فحقن دمه ورد عليه أهله وأقام بالمدينة حتى فتح العراق وقسم الغنائم بين الناس وقيل ان عكرمة قدم بعد الفتح فقال زياد والمهاجر لمن معهما ان اخوانكم قدموا مددا لكم فأشركوهم فى الغنيمة ففعلوا وأشركوهم ولما ولى عمر بن الخطاب قال انه لقبيح بالعرب أن يملك بعضهم بعضا وقد وسع الله عز وجل وفتح الاعاجم واستشار فى فداء سبايا العرب فى الجاهلية والاسلام الا امرأة ولدت لسيدها وجعل فداء كل انسان ستة ابعرة او سبعة الا حنيفة و كندة فانه خفف عليهم لقتل رجالهم فتتبع النساء بكل مكان فقدوهن وفيه انصرف معاذ بن جبل من

عشر سنين ثم اباحها وهدم قمامة النصارى بيت المقدس وبنى مكانها مسجدا ثم اعادها كما كانت وبنى المدارس وجعل فيها العلماء والمشايخ ثم قتلهم وهدمها وكانت افعاله كلها من هذا القبيل وكان يعمل الحسبة بنفسه فيدور فى الاسواق على حمار له فمن وجده قد غش فى معيشته أمر عبدا اسود معه يقال له مسعود أن يفعل به الفاحشة العظمى وهذا أمر منكر لم يسبق اليه عثره الله تعالى وانه منع النساء من الخروج الى الطرقات ليلا ونهارا مدة سبع سنين وسبعة أشهر وأمر بغلق الاسواق نهارا وفتحها ليلا فامتثلوا ذلك دهرا طويلا حتى اجتاز مرة بشيخ يعمل النجارة بعد العصر فوقف عليه وقال ألم انهكم عن هذا فقال يا سيدى اما كان الناس يسهرون لما كانوا يتعيشون بالنهار فهذا من جملة السهر فتبسم وتركه وعاد الناس الى أمرهم الاول ونهى عن اكل الملوخية والجرجير وعلل تحريم الملوخية بميل معاوية اليها وعلل تحريم الجرجير بكونه منسوبا الى عائشة ونهى عن بيع الرطب ثم

اليمن * وفيها استقضى ابو بكر عمر بن الخطاب وكان يقضى بين الناس خلافته كلها وحج بالناس فى هذه السنة عتاب بن اسيد وقيل عبد الرحمن بن عوف (النجير بضم النون وفتح الجيم وسكون الياء تحتها نقطتان وآخره راء حصن باليمن منيع)

(ثم دخلت سنة اثنتى عشرة)

(ذكر مسير خالد بن الوليد الى العراق وصلح الحيرة)

فى هذه السنة فى المحرم منها أرسل أبو بكر الى خالد بن الوليد وهو باليمامة يأمره بالمسير الى العراق وقيل بل قدم المدينة من اليمامة فسيره أبو بكر الى العراق فسار حتى نزل ببانقيا وباروسما واليس وصالحه أهلها وكان الذى صالحه عليها ابن صلوبا على عشرة آلاف دينار سوى حرزة كسرى وكانت على كل رأس أربعة دراهم وأخذ منهم الجزية ثم سار حتى نزل الحيرة فخرج اليه اشرافها مع اياس بن قبيصة الطائى وكان أميرا عليها بعد النعمان بن المنذر فدعاهم خالد الى الاسلام أو الجزية أو المحاربة فاختاروا الجزية فصالحهم على تسعين ألف درهم فكانت أول جزية أخذت من الفرس فى الاسلام هى والقريات التى صالح عليها وقيل انما أمره ابو بكر ان يبدأ بالابلة وكتب الى عياض بن غنم ان يقصد العراق ويبدأ بالمصيخ ويدخل العراق من اعلاه ويسير حتى يلقى خالدا وكان المثنى بن حارثة الشيبانى قد استأذن أبا بكر ان يغزو بالعراق فاذن له فكان يغزوهم قبل قدوم خالد وأمر ابو بكر خالدا وعياضا ان يستنفرا من قاتل أهل الردة وان لا يغزون معهما مرتد ففعلا وكتبا اليه يستمدانه فامد خالدا بالقعقاع بن عمرو التميمى فقيل له اتمده برجل واحد فقال لا يهزم جيش فيهم مثل هذا وأمد عياضا بعبد بن غوث الحميرى وكتب أبو بكر الى المثنى وحرملة ومعذور وسلمى ان يلحقوا بخالد بالابلة فقدم خالد ومعه عشرة آلاف مقاتل وكان مع المثنى وأصحابه ثمانية آلاف ولما قدم خالد فرق جنده ثلاث فرق ولم يحملهم على طريق واحد على مقدمته المثنى وبعده عدى بن حاتم وجاء خالد بعدهما ووعدهما الحفير ليصادموا عدوهم وكان ذلك الفرج أعظم فروج فارس وأشدها شوكة فكان صاحبه اسوارا اسمه هرمز فكان يحارب العرب فى البر والهند فى البحر فلما سمع هرمز بهم كتب الى اردشير الملك بالخبر وتعجل هو الى الكواظم فى سرعان أصحابه فسمع انهم تواعدوا الحفير فسبقهم اليه ونزل به وجعل على مقدمته قباذ وانوشجان وكانا من أولاد اردشير الاكبر واقترنوا فى السلاسل لئلا يفروا فسمع بهم خالد فمال بالناس الى كاظمة فسبقه هرمز اليها وكان سيئ المجاورة للعرب فكلهم عليه حنق وكانوا يضربونه مثلا فيقولون اكفر من هرمز وقدم خالد فنزل على غير ماء فقال له أصحابه فى ذلك ما تفعل فقال لهم لعمرى ليصيرن الماء لاصبر الفريقين فحطوا أثقالهم وتقدم خالد الى الفرس فلاقاهم وأرسل الله سحابة فأغدرت وراء صف المسلمين فقويت قلوبهم وخرج هرمز ودعا خالدا الى البراز وأوطأ أصحابه على الغدر بخالد فبرز اليه خالد ومشى نحوه راجلا ونزل هرمز أيضا وتضاربا فاحتضنه خالد وحمل أصحاب هرمز فما شغله ذلك عن قتله وحمل القعقاع بن عمرو فازاحهم وانهزم أهل فارس وركبهم المسلمون وسميت الوقعة ذات السلاسل ونجا قباذ وأنوشجان وأخذ خالد سلب هرمز وكانت قلنسوته بمائة ألف لانه كان قد تم شرفه فى الفرس وكانت هذه عادتهم

جمع منه شيأ كثيرا واحرقه ونهى عن بيع العنب وأنفذ أناسا الى الجيزة ومعاملاتها حتى قطعوا كرومها وداسوها بالبقر وأمر بجمع جرار العسل وحملت الى شاطئ النيل فكسرت وقلبت فى النيل ونهى عن بيع الزبيب وجمع منه شيأ كثيرا وأحرقه ونهى عن بيع السمك الذى لا قشر له وظفر بمن باعه فقتله وأمر النصارى ان يحملوا فى أعناقهم الصلبان وان يكون طول الصليب ذراعا وزنته خمسة ارطال وأمر اليهود ان يحملوا اقرامى الخشب فى زنة الصلبان وان يلبسوا العمائم السود وان لا يكتروا من مسلم بهيمة ثم أفرد لهم حمامات وامرهم ان يدخلوا اليها والصلبان فى اعناقهم وأمرهم فى وقت بالدخول فى الاسلام كرها ثم أذن لهم بالعود الى اديانهم فارتد منهم ستة آلاف نفر وخرب كنائسهم ثم أعادها قال ابن الجزرى ادعى الحاكم المذكور الربوبية وكان قوم من الجهال اذا رأوه يقولون يا واحد يا أحد يا محيي يا مميت وصنف له بعض الباطنية كتابا ذكر فيه ان روح آدم انتقلت الى على وان روح على انتقلت الى الحاكم

اذا تم شرف الانسان تكون قلنسوته بمائة ألف وبعث خالد بالفتح والاخماس الى أبي بكر وسار حتى نزل موضع الجسر الاعظم بالبصرة وبعث المثنى بن حارثة فى آثارهم وأرسل معقل بن مقرن الى الابلة ففتحها لجمع الاموال بها والسبي وهذا القول خلاف مايعرفه أهل النقل لان فتح الابلة كان على يد عتبة بن غزوان أيام عمر بن الخطاب سنة أربع عشرة وحاصر المثنى بن حارثة حصن المرأة ففتحه وأسلمت ولم يعرض خالد وأصحابه الى الفلاحين لان أبابكر أمرهم بذلك

(ذكر وقعة الثنى)

لما وصل كتاب هرمز الى اردشير بخبر خالد أمده بقارن بن قريانس فلما انتهى الى المذار لقيته المهزومون فاجتمعوا ورجعوا ومعهم قباذ وانوشجان ونزلوا الثنى وهو النهر وسار اليهم خالد فلقيهم واقتتلوا فبرز قارن فقتله معقل بن الاعشى بن النباش وقتل عاصم انوشجان وقتل عدى ابن حاتم قباذ وكان شرف قارن قد انتهى ولم يقاتل المسلمون بعده أحدا انتهى شرفه وقتل من الفرس مقتلة عظيمة يبلغون ثلاثين ألفا سوى من غرق ومنعت المياه المسلمين من طلبهم وقسم الفىء وأنفذ الاخماس الى المدينة وأعطى الاسلاب من سلبها وكانت الغنيمة عظيمة وسبى عيالات المقاتلة وأخذ الجزية من الفلاحين وصاروا ذمة وكان فى السبى ابو الحسن البصرى وكان نصرانيا وأمر على الجند سعيد بن النعمان وعلى الجزية سويد بن مقرن المزنى وأمره بنزول الحفير وأقام يتجسس الاخبار

(ذكر وقعة الولجة)

ولما فرغ خالد من الثنى وأتى الخبر اردشير بعث الاندرزغر وكان فارسيا من مولدى السواد وأرسل بهمن جاذويه فى أثره فى جيش وحشر الى الاندرزغر من بين الحيرة وكسكر ومن عرب الضاحية والدهاقين وعسكروا بالولجة وسمع بهم خالد فسار اليهم من الثنى فلقيهم بالولجة وكمن له فقاتلهم قتالا شديدا أشد من الاول حتى ظن الفريقان ان الصبر قد أفرغ واستبطأ خالد كمينه فخرجوا من ناحيتين فانهزمت الاعاجم وأخذ خالد من بين ايديهم والكمين من خلفهم وقتل منهم خلقا كثيرا ومضى الاندرزغر منهزما فمات عطشا وأصاب خالد ابنا للجابر بن بجير وابنا لعبد الاسود من بكر بن وائل وكانت وقعة الولجة فى صفر وبذل الامان للفلاحين فعادوا وصاروا ذمة وسبى ذرارى المقاتلة ومن أعانهم

(ذكر وقعة اليس وهو على الفرات)

لما أصاب خالد يوم الولجة ما أصاب من نصارى بكر بن وائل الذين اعانوا الفرس غضب لهم نصارى قومهم فكاتبوا الفرس واجتمعوا على اليس وعليهم عبد الاسود العجلى وكان مسلمو بنى عجل منهم عتيبة بن النهاس وسعيد بن مرة وفرات بن حيان ومذعور بن عدى والمثنى بن لاحق اشد الناس على اولئك النصارى وكتب اردشير الى بهمن جاذويه وهو بقسينانا يامره بالقدوم على نصارى العرب باليس فقدم بهمن جاذويه جابان اليهم وامره بالتوقف عن المحاربة الى ان يقدم عليه ورجع بهمن جاذويه الى اردشير ليشاوره فيما يفعل فوجده مريضا فتوقف عليه فاجتمع على جابان نصارى عجل وتيم اللات وضبيعة وجابر بن بجير وعرب الضاحية

وقرئ هذا الكتاب بجامع القاهرة فقصد الناس قتل مصنفه فسيره الحاكم الى جبال الشام فنزل بوادى التيم وناحية بانياس فاستمال قلوب الناس وأباح لهم الخمر والزنا وأقام عندهم مدة يدعوهم فأضل منهم خلقا كثيرا وفى وادى التيم ونواحى الشوف الى يومنا هذا قوم يدعون بالدروز ويعتقدون خروج الحاكم ولهم كتب يتدارسونها فيما بينهم ويعتقدون انه لابد ان يعود ويمهد الارض وتلك خيالات فاسدة وظنون كاذبة وكانت الاسماعيلية يعتقدون ان أفعاله لاغراض صحيحة استأثر بعلمها وتفرد بمعرفتها نعوذ بالله من ذلك قال الشيخ عماد الدين بن كثير هذا من احكامه الشنيعة وأوامره المخالفة للشريعة عامله الله بما هو أهله قتل فى شوال عام احدى عشرة واربعمائة وعمره ست وثلاثون سنة وكانت مدة ولايته عشرين سنة ثم قام بالامر بعده ولده *(ابو الحسن الظاهر لاعزاز دين الله على)* بن منصور ولى مكان والده بعد موته بشهرين فى يوم عيد النحر وكان عمره سبع سنين فضعفت دولة العبيديين فى أيامه لصغر سنه وأقام

من أهل الحيرة وكان خالد لما بلغه تجمع نصارى بكر وغيرهم سار اليهم ولا يشعر بدنو جابان فلما طلع جابان بالليس قالت العجم له انعاجلهم ام نغدى الناس ولا نريهم انا نحفل بهم ثم نقاتلهم فقال جابان ان تركوكم فتهاونوا بهم فعصوه وبسطوا الطعام وانتهى خالد اليهم وحط الاثقال فلما وضعت توجه اليهم وطلب مبارزة عبد الاسود وابن أبجر ومالك بن قيس فبرز اليه مالك من بينهم فقتله خالد وأعجل الاعاجم عن طعامهم فقال لهم جابان ألم اقل لكم والله ما دخلتنى من مقدم جيش وحشة الاهذا وقال لهم حيث لم تقدروا على الاكل فسموا الطعام فان ظفرتم فايسر هالك وان كانت لهم هلكوا به كله فلم يفعلوا واقتتلوا اقتتالا شديدا والمشركون يزيدهم ثبوتا توقعهم قدوم بهمن جاذويه فصابروا المسلمين فقال خالد اللهم ان هزمتهم فعلى ان لا أستبقى منهم من اقدر عليه حتى أجرى من دمائهم نهرهم فانهزمت فارس فنادى منادى خالد الاسراء الاسراء الا من امتنع فاقتلوه فأقبل بهم المسلمون اسراء ووكل بهم من يضرب أعناقهم يوما وليلة فقال له القعقاع وغيره لو قتلت أهل الارض لم تجر دماؤهم فارسل عليها الماء تبر يمينك ففعل وسمى نهر الدم ووقف خالد على الطعام وقال للمسلمين قد نفلتكموه فتعشى به المسلمون وجعل من لم ير الرقاق يقول ماهذه الرقاع البيض وبلغ عدد القتلى سبعين ألفا وكانت الوقعة فى صفر فلما فرغ من الليس سار الى أمغيشيا وقيل اسمها منيشيا فاصابوا فيها مالم يصيبوا مثله لان أهلها اعجلهم المسلمون ان ينقلوا أموالهم وأثاثهم وكراعهم وغير ذلك وأرسل الى ابى بكر بالفتح ومبلغ الغنائم والسبى وأخرب امغيشيا فلما بلغ ذلك ابا بكر قال عجزت النساء أن يلدن مثل خالد

(ذكر وقعة يوم فرات بادقلى وفتح الحيرة)

ثم سار خالد من امغيشيا الى الحيرة وحمل الرجال والاثقال فى السفن فخرج مرزبان الحيرة وهو الازاذبه فعسكر عند الغريين وأرسل ابنه فقطع الماء عن السفن فبقيت على الارض فسار خالد فى خيل نحو ابن الازاذبه فلقيه على فرات بادقلى فضربه وقتله وقتل أصحابه وسار نحو الحيرة فهرب منه الازاذبه وكان قد بلغه موت اردشير وقتل ابنه فهرب بغير قتال ونزل المسلمون عند الغريين وتحصن أهل الحيرة فحصرهم فى قصورهم وكان ضرار بن الازور محاصرا القصر الابيض وفيه اياس بن قبيصة الطائى وكان ضرار بن الخطاب محاصرا قصر الغريين وفيه عدى بن عدى المقتول وكان ضرار بن مقرن المزنى عاشر عشرة اخوة محاصرا قصر ابن مازن وفيه ابن اكال وكان المثنى محاصرا قصر ابن بقيلة وفيه عمرو بن عبد المسيح ابن بقيلة فدعوهم جميعا وأجلوهم يوما وليلة فابى أهل الحيرة وقاتلهم المسلمون فافتتحوا الدور والديرات وأكثروا القتل فنادى القسيسون والرهبان يا أهل القصور ما يقتلنا غيركم فنادى أهل القصور المسلمين قد قبلنا واحدة من ثلاث وهى اما الاسلام او الجزية او المحاربة فكفوا عنهم وخرج اليهم اياس بن قبيصة وعمرو بن عبد المسيح بن قيس بن حيان بن الحرث وهو بقيلة وانما سمى بقيلة لانه خرج على قومه فى بردين اخضرين فقالوا ما انت الا بقيلة خضراء فارسلوهم الى خالد فكان الذى يتكلم عنهم عمرو بن عبد المسيح فقال له خالد كم اتى عليك قال مئو سنين قال فما اعجب ما رأيت قال رأيت القرى منظومة ما بين دمشق والحيرة تخرج المرأة فلا تتزود

خمس عشرة سنة وتسعة اشهر وتوفى ليلة النصف من شوال سنة سبع وعشرين وأربعمائة ولما مات قام بالامر بعده ولده *(أبو تميم المستنصر بالله معد)* ابن على ولى فى يوم وفاة أبيه وهو ابن ثمان سنين وجرت فى أيامه فتن وشدائد وخربت مصر الى الآن وهى الكيمان التى بطريق مصر وتغلبت أكثر ولاة الاطراف عليها وحوصر فى قصره وتجنى الاجناد عليه وانتزعوا جميع ما فى يده وأرادوا ان يتزوجوا ببناته واخواته فاخرجهن مع أولاده من القصر وسيرهن الى غزة وعسقلان وكان فى أيامه الغلاء الذى ما عهد بمثله فى زمن يوسف الصديق عليه السلام فاقام الناس سبع سنين حتى أكل بعضهم بعضا قيل بيع فيه رغيف واحد بخمسين دينارا ثم عدمت الاقوات بعد ذلك قال سبط بن الجوزى فى مرآة الزمان ان فى هذا الغلاء خرجت امرأة ومعها قدر مد من جوهر فقالت من ياخذ هذا ويعوضنى فيه قدره من بر فلم تجد فقالت اذا لم تنفعنى فى الضائقة فلا حاجة لى بك فالقته فى الطريق وانصرفت وماتت

الا رغيفا فتبسم خالد وقال لاهل الحيرة ألم يبلغني انكم خبثة خدعة فما بالكم تتناولون حوائجكم بخرف لا يدري من أين جاء فتجاهل عمرو وأن يريه من نفسه ما يعرف به عقله وصحة ما حدثه به قال وحقك اني لاعرف من أين جئت قال فمن أين خرجت قال من بطن أمي قال فأين تريد قال امامي قال وما هو قال الآخرة قال فمن أين اقصى اثرك قال من صلب أبي قال ففيم أنت قال في ثيابي قال اتعقل قال اي والله وأقيد قال خالد انما اسألك قال فانا أجيبك قال أسلم انت ام حرب قال بل سلم قال فما هذه الحصون قال بنيناها للسفيه نحبسه حتى ينهاه الحليم قال خالد قتلت أرض جاهلها وقتل أرضا عالمها القوم اعلم بما فيهم وكان مع ابن بقيلة خادم معه كيس فيه سم فأخذه خالد ونثره في يده وقال لم تستصحب هذا قال خشيت ان تكونوا على غير ما رأيت فكان الموت أحب الي من مكروه ادخله على قومي فقال خالد انها لن تموت نفس حتى تأتي على أجلها وقال باسم الله خير الاسماء رب الارض والسماء الذي لا يضر مع اسمه داء الرحمن الرحيم وابتلع السم فقال ابن بقيلة والله لتبلغن ما اردتم ما دام أحد منكم هكذا وأبى خالد ان يصالحهم الا على تسليم كرامة بنت عبد المسيح الى شويل فأبوا فقالت لهم هونوا عليكم واسلموني فاني سأفتدي ففعلوا فأخذها شويل فافتدت منه بألف درهم فلامه الناس فقال ما كنت أظن ان عددا أكثر من هذا وكان سبب تسليمها اليه ان النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر استيلاء أمته على ملك فارس والحيرة سأله شويل ان يعطي كرامة ابنة عبد المسيح وكان رآها شابة فمال اليها فوعده النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فلما فتحت الحيرة طلبها وشهد له شهود بوعد النبي صلى الله عليه وسلم ان يسلمها اليه فسلمها اليه خالد وصالحهم على مائة ألف وتسعين ألفا وقيل على مائتي ألف وتسعين ألفا واهدوا له هدايا فبعث بالفتح والهدايا الى أبي بكر فقبلها أبو بكر من الجزية وكتب الى خالد ان يأخذ منهم بقية الجزية ويحسب لهم الهدية وكان فتح الحيرة في شهر ربيع الاول سنة اثنتي عشرة وكتب لهم خالد كتابا فلما كفر أهل السواد ضيعوا الكتاب فلما افتتحها المثنى ثانية عاد بشرط آخر فلما عادوا كفروا وافتتحها سعد بن أبي وقاص ووضع عليهم أربعمائة ألف قال خالد ما لقيت قوما كأهل فارس وما لقيت من أهل فارس كأهل أليس

•(ذكر ما بعد الحيرة)•

قيل كان الدهاقين يتربصون بخالد ما يصنع بأهل الحيرة فلما صالحهم واستقاموا له أتته الدهاقين من تلك النواحي أتاه دهقان فرات سريا وصلوبا بن نسطونا ونسطونا فصالحوه على ما بين الفلاليج الى هرمزجرد على ألفي ألف وقيل ألف ألف سوى ما كان لآل كسرى وبعث خالد عماله ومسالحه وبعث ضرار بن الازور وضرار بن الخطاب والقعقاع بن عمرو والمثنى بن حارثة وعتيبة بن النهاس فنزلوا على السيب وهم كانوا امراء الثغور مع خالد وأمرهم بالغارة فمخروا ما وراء ذلك الى شاطئ دجلة وكتب خالد الى أهل فارس يدعوهم الى الاسلام أو الجزية فان أجابوا والا حاربهم فكان العجم مختلفين بموت اردشير الا انهم قد أنزلوا بهمن جاذويه ببهرسير ومعه غيره كالمقدمة لهم وجبى خالد الخراج في خمسين ليلة وأعطاه المسلمين ولم يبق لاهل فارس فيما بين الحيرة ودجلة أمر لاختلافهم بموت اردشير الا انهم مجمعون على حرب خالد وخالد مقيم

فالعجب انه ما التقطه أحد لان غالب أهل مصر انذاك نزح عنها والموجودون مشغولون بأنفسهم وكان المستنصر في هذه السنة يركب وحده ومعه العسكر مشاة فلم يجدوا ما يركبونه وكان المستنصر يستعير بغلة صاحب الديوان الحامل المظلة ليركبها وكان عسكره يتساقطون من الجوع ولم يزل في ضنك وفساد أمر حتى طلب أمير الجيوش بدرا الجمالي وكان بالشام بعكا فحضر الى الديار المصرية ووقف ذلك الامر واستوزره فدبر الامور بأحسن تدبير وجلب الاقوات من الاماكن البعيدة ووطن العالم وأزال عنهم ذلك الضنك وأقام المستنصر في ولايته ستين سنة الى ان مات لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة سنة سبع وثمانين وأربعمائة ثم قام بالامر بعده ولده (أبو العباس المستعلي بالله أحمد) ابن معد وفي زمانه اختلت دعوتهم ودولتهم وضعف أمرهم وانقطع من أكثر بلاد الشام حكمهم وتغلبت الفرنج على أكثر بلاد الشام ولم يكن للمستعلي مع وزيره الافضل كلام واستمر في الولاية الى ان مات بمصر لعشر بقين من صفر سنة خمس وتسعين

بالحيرة يصعد ويصوب سنة قبل خروجه الى الشام والفرس يخلعون ويملكون ليس الا الدفع عن بهرسير وذلك ان شيرى بن كسرى قتل كل من كان يناسبه الى انوشروان وقتل أهل فارس بعده وبعد اردشير ابنه من كان بين انوشروان وبين بهرام جور فبقوا لم يقدروا على من يملكونه ممن يجتمعون عليه فلما وصلهم كتب خالد تكلم نساء آل كسرى فولى الفرخزاد بن البنذوان الى ان يجتمع آل كسرى على من يملكونه ان وجدوه ووصل جرير بن عبد الله البجلى الى خالد بعد فتح الحيرة وكان سبب وصوله اليه انه كان مع خالد بن سعيد بن العاص بالشام فاستأذنه فى المسير الى أبى بكر ليكلمه فى قومه ليجمعهم له وكانوا أوزاعا متفرقين فى العرب فاذن له فقدم على أبى بكر فذكر له ذلك وان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعده به وشهد له شهود فغضب أبو بكر وقال ترى شغلنا وما نحن فيه بغوث المسلمين ممن بازائهم من فارس والروم ثم انت تكلفنى ما لا يغنى وأمره بالمسير الى خالد بن الوليد فسار حتى قدم عليه بعد فتح الحيرة ولم يشهد شيأ مما قبلها بالعراق ولا شيأ مما كان خالد فيه من قتال أهل الردة (عتيبة بالتاء المثناة من فوقها وبالياء المثناة من تحتها وبالباء الموحدة)

(ذكر فتح الانبار)

ثم سار خالد على تعبيته الى الانبار وانما سمى الانبار لان اهراء الطعام كانت بها انابير وعلى مقدمته الاقرع بن حابس فلما بلغها أطاف بها وأنشب القتال وكان قليل الصبر عنه وتقدم الى رماته ان يقصدوا عيونهم فرموا رشقا واحدا ثم تابعوا فاصابوا ألف عين فسميت تلك الوقعة ذات العيون وكان على من بها من الجند شيرزاد صاحب ساباط فلما رأى ذلك أرسل يطلب الصلح على أمر لم يرضه خالد فرد رسله ونحر من ابل العسكر كل ضعيف وألقاه فى خندقهم ثم عبره فاجتمع المسلمون والكفار فى الخندق فارسل شيرزاد الى خالد وبذل له ما أراد فصالحه على ان يلحقه بمأمنه فى جريدة ليس معهم من متاع شئ وخرج شيرزاد الى بهمن جاذويه ثم صالح خالد من حول الانبار وأهل كلواذى

(ذكر فتح عين التمر)

ولما فرغ خالد من الانبار استخلف عليها الزبرقان بن بدر وسار الى عين التمر وبها مهران بن بهرام جوبين فى جمع عظيم من العجم وعقة بن أبى عقة فى جمع عظيم من العرب من النمر وتغلب واياد وغيرهم فلما سمعوا بخالد قال عقة لمهران ان العرب أعلم بقتال العرب فدعنا وخالدا قال صدقت فانتم أعلم بقتال العرب وانكم لمثلنا فى قتال العجم فخدعه واتقى به وقال ان احتجتم الينا اعناكم فلامه أصحابه من الفرس على هذا القول فقال لهم انه قد جاءكم من قتل ملوككم أمر عظيم وفل حدكم فاتقيته بهم فان كانت لكم على خالد فهى لكم وان كانت الاخرى لم تبلغوا منهم حتى يهنوا فنقاتلهم ونحن أقوياء فاعترفوا له وسار عقة الى خالد فالتقوا فحمل خالد بنفسه على عقة وهو يقيم صفوفه فاحتضنه وأخذه أسيرا وانهزم عسكره من غير قتال فاسر أكثرهم فلما بلغ الخبر مهران هرب فى جنده وتركوا الحصن فلما انتهى المنهزمون اليه تحصنوا به فنازلهم خالد فطلبوا منه الامان فأبى فنزلوا على حكمه فاخذهم أسرى وقتل عقة ثم قتلهم أجمعين وسبى كل من فى الحصن وغنم ما فيه ووجد فى بيعتهم أربعين غلاما يتعلمون الانجيل

وأربعمائة وكانت ولايته سبع سنين وشهرا ثم قام بالامر بعده ولده (أبو على الآمر باحكام الله منصور) ابن أحمد ولى وهو ابن خمس سنين وخمسة ايام ونشأ ظالما جاهلا طماعا كثير الفسق متظاهرا بالفواحش ردىء الطبع وثب عليه الباطنية فضربوه بالسكاكين الى ان مات وفرح الناس بقتله ثم ان جماعة من توابعه وثبوا على الباطنية فقتلوهم وكانت مدة ولايته ثلاثين سنة وثمانية اشهر وقام بالامر بعده ابن عمه *(أبو الميمون الحافظ لدين الله عبد المجيد)* بن ابى القاسم محمد بن المستنصر ولى وعمره ثمان وخمسون سنة وشهر وكان وزيره ابن الافضل هو المحدث ولم يكن للحافظ الا الاسم وكان الحافظ قد أظهر مذهب الامامية ثم انه دبر على وزيره حتى قتله وتصرف فى مملكته وطالت يده وأحسن تدبير نفسه الى ان مات فى عام أربعة واربعين وخمسمائة وكانت ولايته تسع عشرة سنة وشهورا ثم قام بأمر المملكة بعده ولده *(أبو الفداء الظافر باعداء الله اسمعيل)* ابن عبد المجيد وكان عارفا عاقلا ديّنا عمر جامع الفكاهيين بالشوايين

فأخذهم فقسمهم فى أهل البلاء منهم سيرين أبو محمد ونصير أبو موسى وحمران مولى عثمان وأرسل الى أبى بكر بالخبر والخمس وفى عين التمر قتل عمير بن رئاب السهمى وكان من مهاجرة الحبشة ومات بها بشير بن سعد الانصارى والد النعمان فدفن بها الى جانب عمير

(ذكر خبر دومة الجندل)

ولما فرغ خالد من عين التمر أتاه كتاب عياض بن غنم يستمده على من بازائه من المشركين فسار خالد اليه فكان بازائه بهراء وكلب وغسان وتنوخ والضجاعم وكانت دومة على رئيسين أكيدر بن عبد الملك والجودى بن ربيعة فاما أكيدر فلم ير قتال خالد وأشار بصلحه خوفا فلم يقبلوا منه فخرج عنهم وسمع خالد بمسيره فأرسل الى طريقه فأخذه أسيرا فقتله وأخذ ما كان معه وسار حتى نزل على أهل دومة الجندل فجعلها بينه وبين عياض فلما اطمأن خالد خرج اليه الجودى فى جمع ممن عنده من العرب لقتاله وأخرج طائفة أخرى الى عياض فقاتلهم عياض فهزمهم فهزم خالد من يليه وأخذ الجودى اسيرا وانهزموا الى الحصن فلما امتلأ غلقوا الباب دون أصحابهم فبقوا حوله فأخذهم خالد فقتلهم حتى سد باب الحصن وقتل الجودى وقتل الاسرى الا أسرى كلب فان بنى تميم قالوا لخالد قد أمناهم وكانوا حلفاءهم فتركهم ثم أخذ الحصن قهرا فقتل المقاتلة وسبى الذرية والسرح فباعهم واشترى خالد ابنة الجودى وكانت موصوفة وأقام خالد بدومة الجندل فطمع الاعاجم وكاتبهم عرب الجزيرة غضبا لعقة فخرج زرمهر وروزبه يريدان الانبار واتعدا حصيدا والخنافس فسمع القعقاع بن عمرو وهو خليفة خالد على الحيرة فأرسل أعبد بن فدكى وأمره بالحصيد وأرسل عروة بن الجعد البارقى الى الخنافس فخرجا فحالا بينهما وبين الريف ورجع خالد الى الحيرة فبلغه ذلك وكان عازما على مصادمة أهل المدائن فمنعه من ذلك كراهية مخالفة أبى بكر فعجل القعقاع بن عمرو وأبا ليلى بن فدكى الى روزبه وزرمهر ووصل الى خالد ان الهذيل بن عمران قد عسكر بالمصيخ ونزل ربيعة بن بجير بالثنى وبالبشر غضبا لعقة يريدان زرمهر وروزبه فخرج خالد وسار الى القعقاع وأبى ليلى فاجتمع بهما بالعين فبعث القعقاع الى حصيد وبعث أبا ليلى الى الخنافس

(ذكر وقعة حصيد والخنافس)

فسار القعقاع نحو حصيد وقد اجتمع بها روزبه وزرمهر فالتقوا بحصيد فقتل من العجم مقتلة عظيمة وقتل القعقاع زرمهر وقتل عصمة بن عبد الله أحد بنى الحرث بن طريف الضبى روزبه وكان عصمة من البررة وهم كل فخذ هاجرت بأسرها والخيرة كل قوم هاجر واحد من بطن وغنم المسلمون ما فى حصيد وانهزمت الاعاجم الى الخنافس وسار أبو ليلى بن فدكى الى الخنافس وبها المهبوذان على العسكر فلما أحس المهبوذان بهم هرب الى المصيخ الى الهذيل بن عمران

(ذكر وقعة مصيخ بنى البرشاء)

ولما انتهى الخبر الى خالد بمصاب أهل الحصيد وهرب أهل الخنافس كتب الى القعقاع وأبى ليلى وأعبد وعروة ووعدهم ليلة وساعة يجتمعون فيها الى المصيخ وخرج خالد من العين قاصدا اليهم فلما كانت تلك الساعة من ليلة الموعد اتفقوا جميعا بالمصيخ فأغاروا على الهذيل ومن معه وهم نائمون من ثلاثة أوجه فقتلوهم وأفلت الهذيل فى ناس قليل وكثر فيهم القتل وكان مع

المعروف بالظافرى استوزر الملك عباسا وكان له ولد يسمى نصرا صحبه الظافر وكان لا يفارقه فحسد أكثر الامراء على ذلك فخشى الوزير على ولده وعلى نفسه فرمى بين الظافر وبين ولده بوقائع شنيعة بامور قبيحة شنعها عليه فتوثب نصر على الظافر فقتله فى شهر المحرم سنة تسع وأربعين وخمسمائة وكانت مدة ولايته أربع سنين وثمانية شهور ثم قام بالامر بعده ولده (أبو القاسم الفائز بنصر الله عيسى) ابن اسمعيل ولى صغيرة قتل والده وعمره خمس سنين ووزر له الصالح طلائع بن رزيك ونشأ أخيرا عارفا بنا عرجامع الصالح خارج باب زويلة والمشهد الحسينى فى سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة وكان حسن الرأى والتدبير وسار فى الناس سيرة مشكورة الى ان أدركته الوفاة فى سابع عشر شهر رجب عام خمسة وخمسين وخمسمائة ثم قام بالامر بعده (أبو محمد العاضد لدين الله عبد الله) بن يوسف ابن الحافظ ولى وعمره احدى عشرة سنة وكان شديد التشيع مبالغا فى سب الصحابة واذا رأى سنيا استحل دمه ووزر له طلائع

الهذيل عبد العزى بن أبي رهم أخو اوس مناة ولبيد بن جرير وكانا قد أسلما ومعهما كتاب أبي بكر باسلامهما فقتلا في المعركة فبلغ ذلك ابابكر وقول عبد العزى

اقول اذ طرق الصباح بغارة * سبحانك اللهم رب محمد

سبحان ربي لااله غيره * رب البلاد ورب من يتورد

فوداهما وأوصى باولادهما فكان عمر يعتد بقتلهما وقتل مالك بن نويرة على خالد فيقول أبو بكر كذلك يلقى من نازل أهل الشرك وقد كان حرقوص بن النعمان بن النمر قد نصحهم فلم يقبلوا منه فجلس مع زوجته وأولاده يشربون فقال لهم اشربوا شراب مودع هذا خالد بالعين وجنوده بالحصيد ثم قال

الاسقياني قبل خيل أبي بكر * لعل منايانا قريب وماندري

فضرب رأسه فاذا هو في جفنة فيها الخمر وقتلوا أولاده فاخذوا بناته وقيل ان قتل حرقوص وهذه الوقعة ووقعة الثني كان في مسير خالد بن الوليد من العراق الى الشام وسيذكر ان شاء الله تعالى *

(ذكر وقعة الثني والزميل)

وكان ربيعة بن بجير التغلبي بالثني والبشر وهو الزميل وهما شرقي الرصافة قد خرج غضبا لعقة وواعدروزبه وزرمهر والهذيل ولما أصاب خالد اهل المضيح واعد القعقاع وابا ليلى ليلة وأمرهما بالمسير ليغيروا عليهم فسار خالد من المضيح فاجتمع هو وأصحابه بالثني فبيتهم من ثلاثة أوجه وجردوا فيهم السيوف فلم يفلت منهم مخبر وغنم وسبى وبعث بالخبر والخمس الى ابي بكر فاشترى علي بن ابي طالب كرم الله وجهه بنت ربيعة بن بجير التغلبي فولدت له عمر ورقية ولما انهزم الهذيل بالمضيح لحق بعتاب بن فلان وهو بالبشر في عسكر ضخم فبيتهم خالد بغارة شعواء من ثلاثة اوجه قبل ان يصل اليهم خبر ربيعة فقتل منهم مقتلة عظيمة لم يقتلوا مثلها وقسم الغنائم وبعث الخمس الى ابي بكر وسار خالد من البشر الى الرضاب وبها هلال بن عقبة فتفرق عنه اصحابه وسار هلال عنها فلم يلق خالد بها كيدا

(ذكر وقعة الفراض)

ثم سار خالد من الرضاب الى الفراض وهي تخوم الشام والعراق والجزيرة وأفطر بها رمضان لاتصال الغزوات وحميت الروم واستعانوا بمن يليهم من مسالح الفرس فأعانوهم واجتمع معهم تغلب واياد والنمر وساروا الى خالد فلما بلغوا الفرات قالوا له اما ان تعبروا الينا واما ان نعبر اليكم قال خالد اعبروا قالوا له تنح عن طريقنا حتى نعبر قال لا أفعل ولكن اعبروا أسفل منا فعبروا أسفل من خالد وعظم في أعينهم وقالت الروم امتازوا حتى نعرف اليوم من يثبت ممن يولى ففعلوا فاقتتلوا قتالا عظيما وانهزمت الروم ومن معهم وأمر خالد المسلمين ان لا يرفعوا عنهم فقتل في المعركة وفي الطلب مائة ألف وأقام خالد على الفراض عشرا ثم أذن بالرجوع الى الحيرة لخمس بقين من ذي القعدة وجعل شجرة بن الاعز على الساقة وأظهر خالد انه في الساقة

(ذكر حجة خالد)

ثم خرج خالد حاجا من الفراض سرا ومعه عدة من أصحابه يعتسف البلاد فأتى مكة وحج ورجع

رزيك ولقب بالعادل ثم قتل وتولى شاور وهو الذي أخرب مصر لان الفرنج حاصروا القاهرة حصارا شديدا فخاف على مصر فاحرق مدينة باب النور وكانت مدينة عظيمة يقال انه كان بها أربعمائة حمام وهي الكيمان التي بالقرافة خارج السور خوفا ان يملكها الفرنج وطلب الفرنج من العاضد ألف ألف دينار فسمح لهم ووعدهم وأرسل العاضد الى نور الدين الشهيد وكان اذ ذاك صاحب الشام يستنصر به وكان نور الدين بحلب فجهز له أسد الدين شيركوه ومعه ابن أخيه يوسف بن أيوب في جيش نحو العشرة آلاف فارس وخمسين ألف ماش فلما سمع الفرنج بقدومه رحلوا عنه ودخل أسد الدين ومن معه الى القاهرة فخلع العاضد عليه خلعة الوزارة وأمسك أسد الدين شاور وزير العاضد فقتله واستمر أسد الدين في وزارة العاضد شهرين وعشرة أيام ومات وتولى مكانه في وزارة العاضد صلاح الدين يوسف ابن أيوب ثم قبض على العاضد وجعله في قصر تحت الحرز الى ان مات في المحرم عام سبعة وستين وخمسمائة

فقاتلوا في جنده بالخبرتي وافاهم مع صاحب الساقة فقدما معا وخالد وأصحابه شاعون ولم يعلم بحجه الامن أعلم به ولم يعلم أبو بكر بذلك الا بعد رجوعه فعتب عليه وكانت عقوبته اياه ان صرفه الى الشام من العراق ممدا جموع المسلمين باليرموك وكان أهل العراق ايام علي اذا بلغهم عن معاوية شيء يقولون نحن أصحاب ذات السلاسل ويسمون ما بينها وبين الفراض ولا يذكرون ما بعد الفراض احتقارا للذي كان بعدها وأغار خالد بن الوليد على سوق بغداد ووجه المثنى فأغار على سوق فيها جمع لقضاعة وبكر وأغار أيضا على مسكن وقطربل وتل عقرقوف وبادوريا قال الشاعر

وللمثنى بالعال معركة · شاهدها من قبيله بشر
كتيبة أفزعت بوقعتها · كسرى وكاد الايوان ينفطر
وشجع المسلمين اذ حذروا · وفي صروف التجارب العبر
سهل نهج السبيل فاقتفروا · آثاره والامور تقتفر

يعني بالعال الانبار ومسكن وقطربل وبادوريا * وفيها تزوج عمر عاتكة بنت زيد وفيها مات أبو العاص بن الربيع في ذي الحجة وأوصى الى الزبير وتزوج علي عليه السلام ابنته امامة وأمها زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم * وفيها اشترى عمر أسلم مولاه وحج بالناس هذه السنة أبو بكر واستخلف على المدينة عثمان بن عفان وقيل حج بالناس عمر بن الخطاب أو عبد الرحمن بن عوف * وفيها مات أبو مرثد الغنوي وهو بدري وكان ابنه مرثد بن أبي مرثد قد قتل بالرجيع وهو بدري أيضا

(ثم دخلت سنة ثلاث عشرة)

(ذكر فتوح الشام)

قيل في سنة ثلاث عشرة وجه أبو بكر الجنود الى الشام بعد عوده من الحج فبعث خالد بن سعيد ابن العاص وقيل انما سيره لما سير خالد بن الوليد الى العراق وكان أول لواء عقده الى الشام لواء خالد ثم عزله قبل ان يسير وكان سبب عزله انه تربص ببيعة أبي بكر شهرين ولقي علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان فقال يا أبا الحسن يا بني عبد مناف أغلبتم عليها فقال علي أمغالبة ترى أم خلافة فاما أبو بكر فلم يحقدها عليه وأما عمر فاضطغنها عليه فلما ولاه أبو بكر لم يزل به عمر حتى عزله عن الامارة وجعله ردءا للمسلمين بتيماء وأمره ان لا يفارقها الا بأمره وان يدعو من حوله من العرب الا من ارتد وان لا يقاتل الا من قاتله فاجتمع اليه جموع كثيرة وبلغ خبره الروم فضربوا البعث على العرب الضاحية بالشام من بهراء وسليح وغسان وكلب ولخم وجذام فكتب خالد بن سعيد الى أبي بكر بذلك فكتب اليه أبو بكر اقدم ولا تقتحمن فسار اليهم فلما دنا منهم تفرقوا فنزل منزلهم وكتب الى أبي بكر بذلك فأمره بالاقدام بحيث لا يؤتى من خلفه فسار حتى جازه قليلا ونزل فسار اليه بطريق الروم يدعى باهان فقاتله فهزمه وقتل من جنده فكتب خالد الى أبي بكر يستمده وكان قد قدم على أبي بكر أوائل مستنفري اليمن وفيهم ذو الكلاع وقدم عكرمة ابن أبي جهل فيمن معه من تهامة وعمان والبحرين والسرو فكتب لهم أبو بكر الى امراء الصدقات ان يبدلوا من استبدل فكلهم استبدل فسمي جيش البدال وقدموا على خالد بن سعيد

وهو آخر الفاطميين بمصر * (ومن غرائب ما يحكى) * ان الفاطميين لما دخلوا الى مصر طلبوا من بعض العلماء ان يكتب لهم القابا يلقبون بها أولادهم فكتب لهم القابا بعدد عشر وجعل آخرهم العاضد فتولى منهم في مصر احد عشر لا تزيد ولا تنقص والعجب ان العاضد معناه القاطع وهو كان قاطعا لدولتهم فسبحان من لا يزول ملكه

(الباب الثامن في ذكر دولة بني أيوب ملوك مصر والشام القامعين لاهل الشرك والازلام)

وهم عشرة انفار تسعة رجال وامرأة وهذه الدولة فرع من بني زنكي وكان مدة ملكهم ثمانين سنة وأول من ولي الملك السلطان *(الملك الناصر صلاح الدين يوسف)* بن أيوب ابن شادي بن مروان الهمذاني ذكر ابن الاثير في تاريخه انهم من الاكراد الروادية وكان أيوب في خدمة زنكي وبعده تولى بعلبك توفي سنة ثمان وستين وخمسمائة وكان من أمر صلاح الدين انه لما تولى الوزارة للعاضد العبيدي بمصر كما تقدم ذكره أرسل السلطان نور الدين الشهيد أمره بقطع الخطبة العبيدية

وعندها اهتم أبو بكر بالشام وعناه أمره وكان ابو بكر قد رد عمرو بن العاص الى عمله الذى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاه اياه من صدقات سعد هذيم وعذرة وغيرهم قبل ذهابه الى عمان ووعده ان يعيده الى عمله بعد عوده من عمان فانجزله أبو بكر عدة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما عزم على قصد الشام كتب له انى كنت قد رددتك على العمل الذى ولاك رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة ووعدك به اخرى انجازا لمواعيد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد وليته وقد احببت ان أفرغك لما هو خير لك فى الدنيا والآخرة الا ان يكون الذى أنت فيه أحب اليك فكتب اليه عمرو انى سهم من سهام الاسلام وانت بعد الله الرامى بها والجامع لها فانظر اشدها واخشاها وأفضلها فارم به فامره وأمر الوليد بن عقبة وكان على بعض صدقات قضاعة أن يجمعا العرب ففعلا وارسل أبو بكر الى عمرو بعض من اجتمع اليه وأمره بطريق سماها له الى فلسطين وأمر الوليد بالاردن وامده ببعضهم وأمر يزيد بن أبى سفيان على جيش عظيم هو جمهور من انتدب اليه فيهم سهيل بن عمرو فى امثاله من اهل مكة وشيعه ماشيا واوصاه وغيره من الامراء فكان مما قال ليزيد انى قد وليتك لأبلوك واجربك واخرجك فان أحسنت رددتك الى عملك وزدتك وان أسأت عزلتك فعليك بتقوى الله فانه يرى من باطنك مثل الذى من ظاهرك وان أولى الناس بالله أشدهم تواليا له وأقرب الناس من الله أشدهم تقربا اليه بعمله وقد وليتك عمل خالد فاياك وعبية الجاهلية فان الله يبغضها ويبغض أهلها واذا قدمت على جندك فاحسن صحبتهم وابدأهم بالخير وعدهم اياه واذا وعظتهم فاوجز فان كثير الكلام ينسى بعضه بعضا وأصلح نفسك يصلح لك الناس وصل الصلوات لاوقاتها باتمام ركوعها وسجودها والتخشع فيها واذا قدم عليك رسل عدوك فأكرمهم وأقلل لبثهم حتى يخرجوا من عسكرك وهم جاهلون به ولا تريهم فيروا خللك ويعلموا علمك وأنزلهم فى ثروة عسكرك وامنع من قبلك من محادثتهم وكن انت المتولى لكلامهم ولا تجعل سرك لعلانيتك فيختلط أمرك واذا استشرت فاصدق الحديث تصدق المشورة ولا تخزن عن المشير خبرك فتؤتى من قبل نفسك واسمر بالليل فى أصحابك تأتك الاخبار وتنكشف عندك الاستار وأكثر حرسك وبددهم فى عسكرك واكثر مفاجأتهم فى محارسهم بغير علم منهم بك فمن وجدته غفل عن محرسه فأحسن ادبه وعاقبه فى غير افراط واعقب بينهم بالليل واجعل النوبة الاولى أطول من الاخيرة فانها أيسرهما لقربها من النهار ولا تخف من عقوبة المستحق ولا تلجن فيها ولا تسرع اليها ولا تخذلها مدفعا ولا تغفل عن أهل عسكرك فتفسده ولا تجسس عليهم فتفضحهم ولا تكشف الناس عن أسرارهم واكتف بعلانيتهم ولا تجالس العباثين وجالس أهل الصدق والوفاء واصدق اللقاء ولا تجبن فيجبن الناس واجتنب الغلول فانه يقرب الفقر ويدفع النصر وستجدون أقواما حبسوا أنفسهم فى الصوامع فدعهم وما حبسوا أنفسهم له وهذه من أحسن الوصايا واكثرها نفعا لولاة الامر ثم ان أبا بكر استعمل أبا عبيدة بن الجراح على من اجتمع وأمره بحمص وسار أبو عبيدة على باب من البلقاء فقاتله أهله ثم صالحوه فكان أول صلح فى الشام واجتمع للروم جمع بالعربة من أرض فلسطين فوجه اليهم يزيد بن أبى سفيان ابا أمامة الباهلى فهزمهم فكان أول قتال بالشام بعد سرية أسامة بن زيد ثم أتوا الداثن فهزمهم ابو أمامة ايضا ثم مرج الصفر استشهد فيها ابن لخالد بن سعيد وقيل

واقامة الخطبة العباسية فى أول جمعة من السنة أمر باقامة الخطبة باسم المستضىء بالله وابطل اسم العاضد وكانت قد قطعت دعوة بنى العباس من مصر من مائتين وعشرين سنة ثم توفى العاضد وتسلم السلطان صلاح الدين القصر بما فيه من نفائس الاموال واعتقل من وجد هنالك من أقارب العاضد ومنعهم عن نسائهم لئلا يتناسلوا ثم لما بلغ أمير المؤمنين المستضىء بنور الله العباسى اعادة الخطبة باسمه أرسل رسوله بخلعتين احداهما للسلطان نور الدين الشهيد والاخرى للسلطان صلاح الدين وكان صلاح الدين فى الصورة الظاهرة تابعا عن السلطان نور الدين والخطبة لنور الدين فى البلاد كلها وهذا السلطان صلاح الدين من خدم نور الدين الشهيد ووالده وعمه من أمرائه وتربيته ونشوته فلما استقل بالسلطنة بعد وفاة الملك الصالح اسمعيل بن نور الدين الشهيد قاتل الافرنج وفتح منهم نيفا وسبعين مدينة وحصنا وكان يحكم من اقصى اليمن الى الموصل ومن طرابلس الغرب الى النوبة وكان رحمه الله ملكا شجاعا كريما حليما

فاستشهد فيها خالد أيضا وقيل بل سلم وانهزم على ما نذكره وذلك انه لما سمع توجيه الامراء بالجنود بادر لقتال الروم فاستطرد له باهان فاتبعه خالد ومعه ذو الكلاع وعكرمة والوليد فنزل مرج الصفر فاجتمعت عليه مسالح باهان وأخذوا الطرق وخرج باهان فرأى ابن خالد بن سعيد فقتله ومن معه فسمع خالد فانهزم فوصل في هزيمته الى ذى المروة قريب المدينة فامره أبو بكر بالمقام بها وبقى عكرمة في الناس ردأ للمسلمين يمنع من يطلبهم وكان قد قدم شرحبيل بن حسنة من عند خالد بن الوليد الى أبي بكر وافدا فامره ابو بكر بالشام وندب معه الناس واستعمله على عمل الوليد بن عقبة فاتى شرحبيل على خالد بن سعيد ففصل عنه بعض أصحابه واجتمع الى أبي بكر ناس فارسلهم مع معاوية بن أبي سفيان وامره باللحاق باخيه يزيد فلما مر بخالد فصل عنه بباقى أصحابه فاذن أبو بكر لخالد بدخول المدينة فلما وصل الامراء الى الشام نزل ابو عبيدة الجابية ونزل يزيد البلقاء ونزل شرحبيل الاردن وقيل بصرى ونزل عمرو بن العاص العربة فبلغ الروم ذلك فكتبوا الى هرقل وكان بالقدس فقال ارى ان تصالحوا المسلمين فوالله لان تصالحوهم على نصف ما يحصل من الشام ويبقى لكم نصفه مع بلاد الروم أحب اليكم من ان يغلبوكم على الشام ونصف بلاد الروم فتفرقوا عنه وعصوه فجمعهم وسار بهم الى حمص فنزلها وأعد الجنود والعساكر واراد اشغال كل طائفة من المسلمين بطائفة من عسكره لكثرة جنده لتضعف كل فرقة من المسلمين عن بازائه فارسل تذارق اخاه لابيه وامه في تسعين ألفا الى عمرو وأرسل جرجة بن توذر الى يزيد بن أبي سفيان وبعث القيقار بن نسطوس في ستين ألفا الى أبي عبيدة بن الجراح وبعث الدراقص نحو شرحبيل فهابهم المسلمون وكاتبوا عمرا ما الرأى فاجابهم ان الرأى لمثلنا الاجتماع فان مثلنا اذا اجتمعنا لا نغلب من قلة فان تفرقنا لا تقوم كل فرقة لمن استقبلها لكثرة عدونا وكتبوا الى أبي بكر فاجابهم مثل جواب عمرو وقال ان مثلكم لا يؤتى من قلة وانما يؤتى العشرة آلاف من الذنوب فاحترسوا منها فاجتمعوا باليرموك متساندين وليصل كل واحد منكم باصحابه فاجتمع المسلمون باليرموك والروم أيضا وعليهم التذارق وعلى المقدمة جرجة وعلى المجنبة باهان ولم يكن وصل بعد اليهم والدراقص على الاخرى وعلى الحرب القيقار فنزل الروم وصار الوادى خندقا لهم وانما أرادوا ان يتأنس الروم بالمسلمين لترجع اليهم قلوبهم ونزل المسلمون على طريقهم ليس للروم طريق الا عليهم فقال عمرو أبشروا حصرت الروم وقل ما جاء محصور بخير وأقاموا صفرا وشهرى ربيع لا يقدرون منهم على شئ من الوادى والخندق ولا يخرج الروم خرجة الا أديل عليهم المسلمون

(ذكر مسير خالد بن الوليد من العراق الى الشام)

لما رأى المسلمون مطاولة الروم استمدوا أبا بكر فكتب الى خالد بن الوليد يأمره بالمسير اليهم والحث وان يأخذ نصف الناس ويستخلف على النصف الآخر المثنى بن حارثة الشيبانى ولا يأخذن من فيه نجدة الا ويترك عند المثنى مثله واذا فتح الله عليهم رجع خالد وأصحابه الى العراق فاستأثر خالد باصحاب النبى صلى الله عليه وسلم على المثنى وترك للمثنى اعدادهم من أهل القناعة ممن ليس له صحبة ثم قسم الجند نصفين فقال المثنى والله لا أقيم الا على انفاذ أمر أبي بكر وبالله ما أرجو النصر الا باصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فلما رأى خالد ذلك أرضاه وقيل سار

حسن الاخلاق متواضعا عمر المساجد والمدارس والخوانق وعمر قلعة الجبل وسور القاهرة الذى هو الآن موجود وخلص القدس من الافرنج وطهرها من دنس الكفر كما سيأتى وكان شافعى المذهب أشعرى الاعتقاد وكان قد ولد بتكريت سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة وليلة ولادته خروجهم من تكريت فتشاءموا منه فقال لهم رجل منهم فقيه وعسى ان تكرهوا شيأ وهو خير لكم فكان كذلك وتوفى بقلعة دمشق نهار الاربعاء سابع عشر صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة ودفن بقلعة دمشق ثم نقل رحمه الله من القلعة الى التربة المستجدة بالمدرسة العزيزية شمالى الجامع الملاصقة للكلاسة ولم يوجد فى خزانته الا سبعة وأربعون درهما ودينار واحد ولم يخلف ملكا ولا عقارا وأقام فى الملك أربعا وعشرين سنة وعمره سبع وخمسون سنة وخلف سبعة عشر ولدا ذكرا وابنة صغيرة ثم ولى السلطنة من بعده ولده السلطان الثانى من بنى أيوب (الملك العزيز عماد الدين عثمان) بن صلاح الدين يوسف وكان ملكا

من

من العراق فى ثمانمائة وقيل فى ستمائة وقيل فى خمسمائة وقيل فى تسعة آلاف وقيل فى ستة آلاف وقيل انما أمره أبو بكران يأخذ أهل القوة والنجدة فاتى حدودا فقاتل أهلها فظفر بهم واتى المصيخ وبه جمع من تغلب فقاتلهم وظفر بهم وسبى وغنم وكان من السبى الصهباء بنت حبيب بن بجير وهى أم عمر بن على بن أبى طالب وقيل فى أمرها ماتقدم وقيل سار خالد فلما وصل الى قراقر وهو ماء لكلب اغار على أهلها واراد ان يسير عنهم مفوزا الى سوى وهو ماء لبهراء بينهما خمس ليال فالتمس دليلا فدل على رافع بن عميرة الطائى فقال له فى ذلك فقال له رافع انك لن تطيق ذلك بالخيل والاثقال فوالله ان الراكب المفرد يخافه على نفسه فقال انه لابدلى من ذلك لاخرج من وراء جموع الروم لئلا تحبسنى عن غياث المسلمين فامر صاحب كل جماعة ان يأخذ الماء للشفة لخمس وان يعطش من الابل الشرف مايكتفى به ثم يسقوها علا بعد نهل والعلل الشربة الثانية والنهل الاولى ثم يصروا آذان الابل ويشدوا مشافرها لئلا تجتر ثم ركبوا من قراقر فلما ساروا يوما وليلة شقوا العدة من الخيل بطون عشرة من الابل فمزجوا ما فى كروشها بما كان من الالبان وسقوا الخيل ففعلوا ذلك أربعة أيام فلما دنا من العلمين قال للناس انظروا هل ترون شجرة عوسج كقعدة الرجل فقالوا مانراها فقال انا لله وانا اليه راجعون هلكتم والله وهلكت معكم وكان أرمد فقال لهم انظروا ويحكم فنظروا فرأوها قد قطعت وبقى منها بقية فلما رأوها كبروا فقال رافع احفروا فى أصلها فحفروا واستخرجوا عينا فشربوا حتى روى الناس فقال رافع والله ماوردت هذا الماء قط الامرة واحدة مع أبى وأنا غلام فقال شاعر من المسلمين

لله عينا رافع أنى اهتدى * فوز من قراقر الى سوى

خمسا اذا ماساره الجيش بكى * ماسارها قبلك انسى يرى

فلما انتهى خالد الى سوى اغار على أهلها وهم بهراء وهم يشربون الخمر ومغنيهم يقول

الا علانى قبل جيش أبى بكر * لعل منايانا قريب ولا ندرى

الا علانى بالزجاج وكررا * على كميت اللون صافية تجرى

الا علانى من سلافة قهوة * تسلى هموم النفس من جيد الخمر

اظن خيول المسلمين وخالدا * ستطرقكم قبل الصباح مع النسر

فهل لكم فى السير قبل قتالكم * وقبل خروج المعصرات من الخدر

فقتل المسلمون مغنيهم وسال دمه فى تلك الجفنة وأخذوا أموالهم وقتل حرقوص بن النعمان البهرانى ثم اتى أرك فصالحوه ثم أتى تدمر فتحصن أهلها ثم صالحوه ثم أتى القريتين فقاتلهم فظفر بهم وغنم وأتى حوارين فقاتل أهلها فهزمهم وقتل وسبى وأتى قصم فصالحه بنو مشجعة من قضاعة وسار فوصل الى ثنية العقاب عند دمشق ناشرا رايته وهى راية سوداء وكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم تسمى العقاب وقيل كانت رايته تسمى العقاب فسميت الثنية بها وقيل سميت بعقاب من الطير سقطت عليها والاول أصح ثم سار فاتى مرج راهط فاغار على غسان فى يوم فصحهم فقتل وسبى وأرسل سرية الى كنيسة بالغوطة فقتلوا الرجال وسبوا النساء وساقوا العيال الى خالد ثم سار حتى وصل الى بصرى فقاتل من بها فظفر بهم وصالحهم فكانت بصرى

عادلا كريما حسن الطوية والاخلاق والعقيدة شديد الخوف من الله تعالى محبا للعلماء ولسماع الحديث سمع وأسمع بالاسكندرية ومصر وخالط الفقهاء واستفاد منهم وصاحب العلماء وأهل الخير وانالهم البر والاحسان وسار فى الرعية سيرا حسنا الى ان أدركته المنية وكان مولده بالقاهرة ثامن جمادى الاولى سنة سبع وستين وخمسمائة توفى فى المحرم سنة خمس وتسعين وخمسمائة ودفن عند ضريح الامام الشافعى رضى الله عنه وكانت مدة ملكه سنتين الا اشهرا وعمره ثمان وعشرون سنة ثم تولى بعده ولده السلطان الثالث من بنى ايوب (الملك المنصور ناصر الدين محمد بن العزيز عثمان بن صلاح الدين) جلس على سرير الملك يوم وفاة والده فاقام الى ان أخذ الملك منه الملك العادل ابو بكر فكانت مدة ملكه سنة وشهرا وتسلطن السلطان الرابع من بنى ايوب (الملك العادل أبو بكر بن أيوب) جلس على سرير الملك فى شهر ربيع الآخر عام ست وتسعين وخمسمائة وكان عارفا شجاعا خبيرا بالحيل وكان عنده حلم يسمع مايكره ولايظهر انه سمع فتح الخابور

أول مدينة فتحت بالشام على يد خالد وأهل العراق وبعث بالاخماس الى أبي بكر ثم سار فطلع على المسلمين في ربيع الآخر وطلع باهان على الروم ومعه الشمامسة والقسيسون والرهبان يحرضون الروم على القتال وخرج باهان كالمعتذر فولى خالد قتاله وقاتل الامراء من بازائهم ورجع باهان والروم الى خندقهم وقد نال منهم المسلمون (عميرة بفتح العين المهملة وكسر الميم)

(ذكر وقعة اليرموك)

فلما تكامل جمع المسلمين باليرموك وكانوا سبعة وعشرين ألفا وقدم خالد في تسعة آلاف فصاروا ستة وثلاثين ألفا وعدا عكرمة فانه كان ردألهم وقيل بل كانوا سبعة وعشرين ألفا وثلاثة آلاف من فلال خالد بن سعيد وعشرة آلاف مع خالد بن الوليد فصاروا أربعين ألفا سوى ستة آلاف مع عكرمة بن أبي جهل وقيل في عددهم غير ذلك والله أعلم وكان فيهم ألف صحابي منهم نحو مائة ممن شهد بدرا وكان الروم في مائتي ألف وأربعين ألف مقاتل منهم ثمانون ألف مقيد وأربعون ألف مسلسل للموت وأربعون ألف مربوطون بالعمائم لئلا يفروا وثمانون ألف راجل وقيل كانوا مائة ألف وكان قتال المسلمين لهم على تساند كل أمير على أصحابه لا يجمعهم أحد حتى قدم خالد بن الوليد من العراق وكان القسيسون والرهبان يحرضون الروم شهرا ثم خرجوا الى القتال الذي لم يكن بعده قتال في جمادى الآخرة فلما أحس المسلمون بخروجهم أرادوا الخروج متساندين فسار فيهم خالد بن الوليد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان هذا يوم من أيام الله لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي أخلصوا جهادكم وأرضوا الله بعملكم فان هذا يوم له ما بعده ولا تقاتلوا قوما على نظام وتعبية وأنتم متساندون فان ذلك لا يحل ولا ينبغي وان من وراءكم لو يعلم علمكم حال بينكم وبين هذا فاعملوا فيما لم تؤمروا به بالذي ترون انه رأي من واليكم ومحبته قالوا هات فما الرأي قال ان أبا بكر لم يبعثنا الا وهو يرى انا سنتياسر ولو علم بالذي كان ويكون لما جمعكم ان الذي أنتم فيه أشد على المسلمين مما قد غشيهم وأنفع للمشركين من امدادهم ولقد علمت ان الدنيا فرقت بينكم فالله الله فقد أفرد كل رجل منكم ببلد لا ينتقصه منه ان دان من الامراء ولا يزيده عليه ان دانوا له ان تأمير بعضكم لا ينتقصكم عند الله ولا عند خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم هلموا فان هؤلاء قد تهيؤا وان هذا يوم له ما بعده ان رددناهم الى خندقهم اليوم لم نزل نردهم وان هزمونا لم نفلح بعدها فهلموا فلنتعاور الامارة فليكن بعضنا اليوم والآخر غدا والآخر بعد غد حتى تتأمروا كلكم ودعوني اتأمر اليوم فأمروه وهم يرون انها كخرجاتهم وان الامر لا يطول فخرجت الروم في تعبية لم ير الراؤون مثلها قط وخرج خالد في تعبية لم تعبها العرب قبل ذلك فخرج في ستة وثلاثين كردوسا الى الاربعين وقال ان عدوكم كثير وليس تعبية أكثر في رأي العين من الكراديس فجعل القلب كراديس وأقام فيه أبا عبيدة وجعل الميمنة كراديس وعليها عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة وجعل الميسرة كراديس وعليها يزيد بن أبي سفيان وكان على كردوس القعقاع بن عمرو وجعل على كل كردوس رجلا من الشجعان وكان القاضي أبو الدرداء وكان القاص أبو سفيان بن حرب وعلى الطلائع قباث بن أشيم وعلى الاقباض عبد الله بن مسعود وقال رجل لخالد ما أكثر الروم وأقل المسلمين فقال خالد ما أكثر المسلمين وأقل الروم انما تكثر الجنود بالنصر وتقل

ونصيبين وسنجار وعند موته قسم البلاد بين أولاده واتفقوا كلهم اتفاقا حسنا وصاروا كنفس واحدة توفي في سابع جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وستمائة بمدينة دمشق في وسط الشدة والمسلمون يقاتلون الفرنج على ثغر دمياط وعمره خمس وعشرون سنة واشهر وكانت مدة ملكه تسع عشرة سنة وشهرا ثم تولى بعده ولده السلطان الخامس من بني أيوب (الملك الكامل ناصر الدين محمد بن العادل أبو بكر) جلس على سرير الملك يوم وفاة والده وكان ديناً مهابا شجاعا عارفا حسن التدبير عمر المدرسة التي بين القصرين وجعلها دار الحديث وعمر قبة الشافعي على ما هي عليه الآن واجرى ماء النيل من بركة الحبش اليها وفتح آمد وحصن كيفا والرها ونحو يترث وعند موته قسم البلاد بين أولاده رحمه الله حادي عشر رجب سنة خمس وثلاثين وستمائة بقلعة دمشق ودفن بها أياما ثم نقل الى تربته التي انشأها شمالي الجامع الاموي وفتح بالحائط شباكين في التربة وكانت مدة ملكه عشرين سنة وشهرا ونصف شهر

بالخذلان والله لوددت ان الاشقر يعني فرسه براء من توجيه وأنهم أضعفوا في العدد وكان قد
حفي في مسيره فامر خالد عكرمة بن أبي جهل والقعقاع بن عمرو فانشبا القتال والتحم الناس
وتطاردا الفرسان وتقاتلوا فاذهم على ذلك قدم البريد من المدينة واسمه محمية بن زنيم فسألوه الخبر
فاخبرهم بسلامة وامداد وانما جاء بموت أبي بكر وتأمير ابي عبيدة فبلغوه خالدا فاخبره خبر أبي
بكر سرا وخرج جرجة الى بين الصفين وطلب خالدا فخرج اليه فامن كل واحد منهما صاحبه
فقال جرجة يا خالد أصدقني ولا تكذبني فان الحر لا يكذب ولا تخادعني فان الكريم لا يخادع
المسترسل هل أنزل الله على نبيكم سيفا من السماء فاعطاكه فلا تسله على قوم الا هزمتهم قال لا
قال ففيم سميت سيف الله فقال له ان الله بعث فينا نبيه صلى الله عليه وسلم فكنت فيمن كذبه
وقاتله ثم ان الله هداني فتابعته فقال أنت سيف الله سله الله على المشركين ودعا لي بالنصر
قال فاخبرني الام تدعوني قال خالد الى الاسلام أو الجزية او الحرب قال فما منزلة الذي يجيبكم
ويدخل فيكم قال منزلتنا واحدة قال فهل له مثلكم من الاجر والذخر قال نعم وأفضل لانا
اتبعنا نبينا وهو حي يخبرنا بالغيب ونرى معه العجائب والآيات وحق لمن رأى ما رأينا وسمع
ما سمعنا ان يسلم وانتم لم تروا امثلنا ولم تسمعوا امثلنا فمن دخل بنية وصدق كان أفضل منا
فقلب جرجة ترسه ومال مع خالد وأسلم وعلمه الاسلام واغتسل وصلى ركعتين ثم خرج مع خالد
فقاتل الروم وحملت الروم حملة أزالوا المسلمين عن مواقفهم الى المحامية وعليهم عكرمة وعمه
الحرث بن هشام فقال عكرمة قاتلت مع النبي صلى الله عليه وسلم في كل موطن ثم افر اليوم ثم
نادى من يبايع على الموت فبايعه الحرث بن هشام وضرار بن الازور في اربعمائة من وجوه
المسلمين وفرسانهم فقاتلوا قدام فسطاط خالد حتى اثبتوا جميعا جراحا فمنهم من برأ ومنهم من
قتل وقاتل خالد وجرجة قتالا شديدا فقتل جرجة عند آخر النهار وصلى الناس الظهر والعصر
ايماء وتضعضع الروم ونهد خالد بالقلب حتى كان بين خيلهم ورجلهم فانهزم الفرسان وتركوا
الرجالة ولما رأى المسلمون خيل الروم قد توجهت للهرب أفرجوا لها فتفرقت وقتل الرجالة
واقتحموا في خندقهم فاقتحمه عليهم وهوى فيها المقترنون وغيرهم ثمانون الفا من المقترنين
وأربعون ألف مطلق سوى من قتل في المعركة وتجلل الفيقار وجماعة من اشراف الروم
برانسهم وجلسوا فقتلوا متزملين ودخل خالد الخندق ونزل في رواق تذارق فلما أصبحوا أتي
خالد بعكرمة بن أبي جهل جريحا فوضع رأسه على فخذه وبعمرو بن عكرمة فجعل رأسه على
ساقه ومسح وجوههما وقطر في حلوقهما الماء وقال زعم ابن حنتمة يعني عمر انا لا نستشهد وقاتل
النساء ذلك اليوم وابلوا قال عبد الله بن الزبير كنت مع ابي باليرموك وانا صبي لا اقاتل فلما
اقتتل الناس نظرت الى ناس على تل لا يقاتلون فركبت وذهبت اليهم واذا أبو سفيان بن حرب
ومشيخة من قريش من مهاجرة الفتح فرأوني حدثا فلم يتقوني قال فجعلوا والله اذا مالت المسلمون
وركبتهم الروم يقولون ايه بني الاصفر فاذا مالت الروم وركبتهم المسلمون قالوا ويح بني
الاصفر فلما هزم الله الروم أخبرت ابي فضحك فقال قاتلهم الله ابوا الا ضغنا لنحن خير لهم من
الروم وفي اليرموك أصيبت عين ابي سفيان بن حرب ولما انهزمت الروم كان هرقل بحمص
فنادى بالرحيل عنها قريبا وجعلها بينه وبين المسلمين وأمر عليها أميرا كما امر على دمشق

ثم تولى بعده ولده السلطان
السادس من بني أيوب
* (الملك العادل الصغير أبو
بكر بن الكامل محمد) *
تولى المملكة باتفاق من
الامراء وخلع عليهم الخلع
السنية ثم انه أخذ في اللهو
واللعب والسكر فقوي عليه
السكر يوما فتكلم في قتل
خدامه فبلغهم ذلك فاتفقوا
عليه مع الامراء فمسكوه
وكاتبوا الملك الناصر
صاحب الكرك ان يطلق
الملك نجم الدين أيوب من
الاسر ويحضر به ليسلموه
المملكة فلما وصل اليه
الكتاب تحالف مع الصالح
وحضرا الى الديار المصرية
فوصلا الى مدينة بلبيس
فخرج العسكر للقائه ودخل
بشعار المملكة وحبس اخاه
في القلعة وجلس على سرير
الملك وأقام فيها الى ان قصد
السفر الى الشام في سنة
اربع واربعين وستمائة
فخاف من غائلة أخيه فقصد
ارساله الى قلعة الشوبك
فامتنع العادل من الخروج
فارسل الصالح جماعة من
الخدام فخنقوه سرا وأشاعوا
موته وتولى مكانه وهو
السلطان السابع من بني
ايوب * (الملك الصالح نجم
الدين ايوب بن الكامل
محمد) * فلما جلس على سرير
الملك واستقر أمره أحضر

وكان من أصيب من المسلمين ثلاثة آلاف منهم عكرمة وابنه عمرو وسلمة بن هشام وعمرو بن سعيد وأبان بن سعيد وجندب بن عمرو والطفيل بن عمرو وطليب بن عمير وهشام بن العاص وعياش بن أبي ربيعة فى قول بعضهم (عياش بالياء المثناة والشين المعجمة) وفيها قتل سعيد بن الحرث بن قيس بن عدى السهمى وهو من مهاجرة الحبشة وفيها قتل نعيم بن عبد الله النحام العدوى عدى قريش وكان اسلامه قبل عمر وفيها قتل النضير بن الحرث بن علقمة وهو قديم الاسلام والهجرة وهو أخو النضر الذى قتل ببدر كافرا وقتل فيها أبو الروم بن عمير بن هاشم العبدرى أخو مصعب بن عمير وهو من مهاجرة الحبشة شهد أحدا وقيل قتلوا يوم اجنادين والله أعلم

(ذكر حال المثنى بن حارثة بالعراق)

وأما المثنى بن حارثة الشيبانى فانه لما ودع خالد بن الوليد وسار خالد الى الشام فيمن معه بالجند أقام بالحيرة ووضع المسلحة واذكى العيون واستقام أمر فارس بعد مسير خالد من الحيرة بقليل وذلك سنة ثلاث عشرة على شهربران بن اردشير بن شهريار سابور فوجه الى المثنى جندا عظيما عليهم هرمز جاذويه فى عشرة آلاف فخرج المثنى من الحيرة نحوه وعلى مجنبتيه المعنى ومسعود أخواه فأقام ببابل وأقبل هرمز نحوه وكتب كسرى شهربران الى المثنى كتابا انى قد بعثت اليكم جندا من وحش أهل فارس انما هم رعاة الدجاج والخنازير ولست أقاتلك الا بهم فكتب اليه المثنى انما انت احد رجلين اما باغ فذلك شر لك وخير لنا واما كاذب فأعظم الكاذبين فضيحة عند الله وعند الناس الملوك وأما الذى يدلنا عليه الرأى فانكم انما اضطررتم اليهم فالحمد لله الذى رد كيدكم الى رعاة الدجاج والخنازير فجزع الفرس من كتابه فالتقى المثنى وهرمز ببابل فاقتتلوا قتالا شديدا وكان فيلهم يفرق المسلمين فانتدب له المثنى ومعه ناس فقتلوه وانهزم الفرس وتبعهم المسلمون الى المدائن يقتلونهم ومات شهربران لما انهزم هرمز جاذويه واختلف أهل فارس وبقى مادون دجلة بيد المثنى ثم اجتمعت الفرس على دخت زنان ابنة كسرى فلم ينفذ لها أمر وخلعت وملك سابور بن شهربران فلما ملك قام بأمره الفرخزاذ بن البنذوان فسأله ان يزوجه آزرميدخت بنت كسرى فاجابه فغضبت آزرميدخت فأرسلت الى سياوخش الرازى فشكت اليه فقال لها الا تماوديه وأرسلى اليه فليأتك فأرسلت اليه واستعدت سياوخش فلما كان ليلة العرس أقبل الفرخزاد حتى دخل فثار به سياوخش فقتله وقصدت آزرميدخت ومعها سياوخش سابور فحصروه ثم قتلوه وملكت آزرميدخت ثم تشاغلوا بذلك وأبطأ خبر ابى بكر على المثنى فاستخلف على المسلمين بشير بن الخصاصية وسار الى المدينة الى أبى بكر ليخبره خبر المشركين ويستأذنه فى الاستعانة بمن حسنت توبته من المرتدين فانهم أنشط الى القتال من غيرهم فقدم المدينة وأبو بكر رضى الله عنه مريض قد أشفى فأخبره الخبر فاستدعى عمر وقال له انى لارجو أن أموت يومى هذا فاذا مت فلا تمسين حتى تندب الناس مع المثنى ولا تشغلنكم مصيبة عن أمر دينكم ووصية ربكم فقد رأيتنى متوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما صنعت وما أصيب الخلق بمثله واذا فتح الله على أهل الشام فاردد أهل العراق الى العراق فانهم أهله وولاة أمره وأهل الجراءة عليهم ومات أبو بكر ليلا فدفنه عمر وندب الناس

أصحاب خالد وم

أنه الملا وسأله عن موجب عزله ومن كان السبب فيه فأخبره عن ذلك ورده الى مكانه مسجونا ثم أقبل على الخزائن وبيت المال فلم يجد غير دينار واحد وألف درهم فسأل عن المال فقيل له نزقه اخوك على الامراء فكتم ذلك عنده مدة أيام واخذ وأعطى ثم أحضر القضاة والامراء الذين كانوا سببا فى مسك اخيه وقال لهم بحضرة القضاة لاى شئ مسكتم سلطانكم فقالوا كان سفيها فقال الصالح من يكون سفيها يجوز تصرفه فى بيت المال فقالوا لا ثم انه قال للامراء اقسم بالله متى لم تحضروا المال الذى أخذتموه كانت ارواحكم عوضه فخرجوا جميعا وأحضروه فكان سبعمائة الف دينار وثلاثين الف دينار والف الف درهم وثلثمائة الف درهم فضة ثم قام قليلا ومسك الامراء على التدريج وعظم أمره وقويت شوكته وعمر قنطرة السد وحفر أساس قلعة المقياس وعمر المدارس التى بين القصرين للقضاة الاربعة واخذ دمشق من صاحبها بعد حروب يطول شرحها وتوجه لقاء العدو من الافرنج بالمنصورة فضعف

مع المثنى وقال عمر قد علم أبو بكر أنه يسوءني ان أوعر خالدا فلهذا أمرني ان أرد أصحاب خالد وترك أن يذكره معهم والى آذر وميدخت انتهى شأن ابي بكر فهذا حديث العراق الى آخر أيام أبي بكر رضي الله عنه

(ذكر وقعة أجنادين)

قد ذكرها أبو جعفر عقيب وقعة اليرموك وروى خبرها عن ابن اسحق من اجتماع الامراء ومسير خالد بن الوليد من العراق الى الشام نحو ما تقدم وقال فسار خالد من مرج راهط الى بصرى وعليها أبو عبيدة بن الجراح وشرحبيل بن حسنة ويزيد بن أبي سفيان فصالحهم أهلها على الجزية فكانت أول مدينة فتحت بالشام في خلافة أبي بكر ثم ساروا جميعا الى فلسطين مددا لعمرو بن العاص وهو مقيم بالعربات واجتمعت الروم باجنادين وعليهم تذارق أخو هرقل لابويه وقيل كان على الروم القبقلار واجنادين بين الرملة وبيت جبرين من أرض فلسطين وسار عمرو بن العاص حين سمع بالمسلمين فلقيهم ونزلوا باجنادين وعسكروا عليهم فبعث القبقلار عربيا الى المسلمين يأتيه بخبرهم فدخل فيهم وأقام يوما وليلة ثم عاد اليه فقال ما وراءك فقال بالليل رهبان وبالنهار فرسان ولو سرق ابن ملكهم قطعوه ولو زنى رجم لاقامة الحق فيهم فقال ان كنت صدقتني لبطن الارض خير من لقاء هؤلاء على ظهرها والتقوا يوم السبت لليلتين بقيتا من جمادى الاولى سنة ثلاث عشرة فظهر المسلمون وهزم المشركون وقتل القبقلار وتذارق واستشهد رجال من المسلمين منهم سلمة بن هشام بن المغيرة وهبار بن الاسود ونعيم بن عبد الله النحام وهشام بن العاص بن وائل وقيل بل قتل باليرموك وجماعة غيرهم قال ثم جمع هرقل للمسلمين فالتقوا باليرموك وجاءهم خبر وفاة أبي بكر وهم مصافون وولاية أبي عبيدة وكانت هذه الوقعة في رجب هذه سياقة الخبر وكان فيمن قتل ضرار بن الخطاب الفهري وله صحبة وعمرو بن سعيد بن العاص وهو من مهاجرة الحبشة وقيل قتل باليرموك وممن قتل الفضل بن العباس وقيل قتل بمرج الصفر وقيل مات في طاعون عمواس *وفيها قتل طليب بن عمير بن وهب القرشي وقيل قتل باليرموك شهد بدرا وهو من المهاجرين الاولين *وفيها قتل عبد الله بن أبي جهم القرشي العدوي وكان اسلامه يوم الفتح *وفيها قتل عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب بعد ان قتل جمعا من الروم في المعركة وكان عمره يوم مات النبي صلى الله عليه وسلم نحو ثلاثين سنة *وفيها قتل عبد الله بن الطفيل الدوسي وهو الملقب بذي النور وكان من فضلاء الصحابة قديم الاسلام هاجر الى الحبشة (اجنادين بعد الجيم نون ودال مهملة مفتوحة ومنهم من يكسرها ثم ياء مثناة من تحتها ساكنة وآخره نون) وقد قيل ان وقعة اجنادين كانت سنة خمس عشرة وسيرد ذكرها ان شاء الله

(ذكر وفاة أبي بكر)

كانت وفاة أبي بكر رضي الله عنه لثمان ليال بقين من جمادى الآخرة ليلة الثلاثاء وهو ابن ثلاث وستين سنة وهو الصحيح وقيل غير ذلك وكان قد سمه اليهود في ارز وقيل في حريرة وهي الحسو فأكل هو والحرث بن كلدة فكف الحرث وقال لابي بكر أكلنا طعاما مسموما سم سنة فماتا بعد سنة وقيل انه اغتسل وكان يوما باردا فحم خمسة عشر يوما لا يخرج الى صلاة فأمر عمر

بها ومات في ليلة النصف من شعبان سنة سبع واربعين وستمائة وأوصى لولده المعظم توران شاه بالسلطنة وكان مقيما بقلعة حصن كيفا وكانت زوجة الصالح شجرة الدر أم خليل الصالحية مدبرة الامور في مرضه فلم يتغير شيء من معالم المملكة واخفت موت السلطان وأقامت مدة على ذلك ثم ظهر موته وكان ملكا شجاعا ذا هيبة وسطوة ما يجسر احد أن يشفع عنده في مدة ملكه قتل خلقا كثيرا من الامراء وغيرهم واخذ أموالهم ومات وفي حبسه ما ينيف عن خمسة آلاف نفس وكانت مدة سلطنته عشر سنين الا خمسين يوما ثم حضر ولده توران شاه من حصن كيفا ونقل تابوت والده من المنصورة الى تربته بين القصرين فدفن بها وكان السلطان الثامن من بني ايوب (الملك المعظم توران شاه بن الصالح ايوب) تولى الديار المصرية والشامية في يوم الثلاثاء تاسع عشر شهر ذي القعدة سنة سبع واربعين وستمائة فسافر الى دمياط وكسر الفرنج كسرة عظيمة وقتل منهم مائة الف نفس وزيادة واسر ملكهم افرنسيس

ان يصلي بالناس ولما مرض قال له الناس ألا ندعو الطبيب قال قد أتاني وقال لي أنا فاعل ما أريد فعلموا مراده وسكتوا عنه ثم مات وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال وقيل كانت سنتين وأربعة أشهر الا أربع ليال وكان مولده بعد الفيل بثلاث سنين وأوصى ان تغسله زوجته أسماء بنت عميس وابنه عبد الرحمن وان يكفن في ثوبيه ويشترى معهما ثوب ثالث وقال الحي أحوج الى الجديد من الميت انما هو للمهنة والصديد ودفن ليلا وصلى عليه عمر بن الخطاب في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكبر عليه أربعا وحمل على السرير الذي حمل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل قبره ابنه عبد الرحمن وعمر وعثمان وطلحة وجعل رأسه عند كتفي النبي صلى الله عليه وسلم وألصق اللحد بلحد النبي صلى الله عليه وسلم وجعل قبره مثل قبر النبي صلى الله عليه وسلم مسطحا وأقامت عائشة عليه النوح فنهاهن عن البكاء فأبين فقال لهشام بن الوليد ادخل فأخرج الى ابنة أبي قحافة فأخرج اليه أم فروة ابنة أبي قحافة فعلاها بالدرة ضربات فتفرق النوح حين سمعن ذلك وكان آخر ما تكلم به توفني مسلما وألحقني بالصالحين وكان أبيض خفيف العارضين أحنى لا يستمسك ازاره معروق الوجه نحيفا أقنى غائر العينين يخضب بالحناء والكتم وكان أبوه حيا بمكة لما توفي وهو أبو بكر عبد الله وقيل عتيق بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن النضر بن مالك يجتمع مع النبي صلى الله عليه وسلم في مرة بن كعب وأمه أم الخير سلمى بنت صخر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له أنت عتيق من النار فلزمه وقيل انما قيل له عتيق لرقة حسنه وجماله وأسلمت أمه قديما بعد اسلام أبي بكر وتزوج في الجاهلية قتيلة بنت عبد العزى بن عامر بن لؤي فولدت له عبد الله وأسماء وتزوج أيضا في الجاهلية أم رومان واسمها دعد بنت عامر بن عميرة الكنانية فولدت له عبد الرحمن وعائشة وتزوج في الاسلام أسماء بنت عميس وكانت قبله عند جعفر بن أبي طالب فولدت له محمد بن أبي بكر وتزوج أيضا في الاسلام حبيبة بنت خارجة بن زيد الانصارية فولدت له بعد وفاته أم كلثوم

(أسماء قضاته وعماله وكتابه)

لما ولي أبو بكر قال له أبو عبيدة أنا أكفيك المال وقال له عمر أنا أكفيك القضاء فمكث عمر سنة لا يأتيه رجلان وكان علي بن أبي طالب يكتب له وزيد بن ثابت وعثمان بن عفان وكان يكتب له من حضر وكان عامله على مكة عتاب بن أسيد ومات في اليوم الذي مات فيه أبو بكر وقيل مات بعده وكان على الطائف عثمان بن أبي العاص وعلى صنعاء المهاجر بن أبي أمية وعلى حضرموت زياد بن لبيد الانصاري وعلى خولان يعلى بن منية وعلى زبيد ورمع أبو موسى وعلى الجند معاذ بن جبل وعلى البحرين العلاء بن الحضرمي وبعث جرير بن عبد الله الى نجران وعبد الله بن ثور الى جرش وعياض بن غنم الى دومة الجندل وكان بالشام أبو عبيدة وشرحبيل ويزيد وعمرو وكل رجل منهم على جند وعليهم خالد بن الوليد وكان نقش خاتمه نعم القادر الله وعاش أبوه بعده ستة أشهر وأياما ومات وله سبع وتسعون سنة

(ذكر بعض أخباره ومناقبه)

واعتقل بالمنصورة ثم شرع المعظم في ابعاد أمراء والده ومماليكه وتقريب من حضر معه وخالف والده في جميع ما أوصاه به فاتفق الامراء على قتله وهجموا عليه فهرب ولحقوه فقال ما أريد ملككم دعوني ارجع الى حصن كيفا واستغاث بنحو فلم يجره وقطعوه قطعا بالسيوف وكانت مدة سلطنته سبعة وستين يوما ثم اتفق الامراء على سلطنة

(الملكة عصمة الدين شجرة الدر أم خليل الصالحية)

لما علموا انها كانت أحسن تدبير امور زوجها الصالح واستقرت تعلم على المناشير والتواقيع وحلف لها جميع العساكر وخطب باسمها وضربت السكة باسمها وعلمت وحكمت وأقطعت وخلعت وجعلت الامير عز الدين أيبك التركماني أتابكها وأتابك العساكر وذلك في عاشر صفر عام ثمانية وأربعين وستمائة وأطلقت افرنسيس ملك الافرنج بعد مراسلات كثيرة واشترطت عليه ان يسلم دمياط للمسلمين ويحمل أموالا مقررة ويتوجه الى بلاده بعد ان سير الى الفرنج بدمياط يأمرهم بتسليمها الى المسلمين فسلموها بعد ان أقامت بيد الفرنج احد عشر شهرا

كان أبو بكر أول الناس اسلاما فى قول بعضهم وقد تقدم الخلاف فى ذلك وقال النبى صلى الله عليه وسلم مادعوت أحدا الى الاسلام الا كانت له عنه كبوة غير أبى بكر والذى ورد له عن النبى صلى الله عليه وسلم من المناقب فكثير كشهادته له بالجنة وعتقه من النار وغير ذلك من الاخبار بخلافته تعريضا كقوله صلى الله عليه وسلم للمرأة ان لم تجدينى فأتى ابا بكر وكقوله اقتدوا باللذين من بعدى ابى بكر وعمر الى غير ذلك وشهد بدرا واحدا والخندق وغير ذلك من المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتق سبعة نفر كلهم يعذب فى الله تعالى منهم بلال وعامر بن فهيرة وزنيرة والنهدية وابنها وجارية بنى مؤمل وأم عبيس واسلم وله أربعون ألفا انفقها فى الله مع ما كسب من التجارة ولما ولى الخلافة وارتدت العرب خرج شاهرا سيفه الى ذى القصة فجاءه على واخذ بزمام راحلته وقال له أين ياخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم اقول لك ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد شم سيفك لا تفجعنا بنفسك فوالله لئن أصبنا بك لا يكون للاسلام نظام فرجع وأمضى الجيش وكان له بيت مال بالسنح وكان يسكنه الى ان انتقل الى المدينة فقيل له الا تجعل عليه من يحرسه قال لا فكان ينفق جميع ما فيه على المسلمين فلا يبقى فيه شئ فلما انتقل الى المدينة جعل بيت المال معه فى داره وفى خلافته انفتح معدن بنى سليم وكان يسوى فى قسمته بين السابقين الاولين والمتأخرين فى الاسلام وبين الحر والعبد والذكر والانثى فقيل له لتقدم أهل السبق على قدر منازلهم فقال انما أسلموا لله ووجب أجرهم عليه يوفيهم ذلك فى الآخرة وانما هذه الدنيا بلاغ وكان يشترى الاكسية ويفرقها فى الارامل فى الشتاء ولما توفى أبو بكر جمع عمر الامناء وفتح بيت المال فلم يجدوا فيه شيأ غير دينار سقط من غرارة فترحموا عليه قال أبو صالح الغفارى كان عمر يتعهد امرأة عمياء فى المدينة بالليل فيقوم بامرها فكان اذا جاءها وجد غيره قد سبقه اليها ففعل ما أرادت فرصده عمر فاذا هو أبو بكر كان يأتيها ويقضى اشغالها سرا وهو خليفة فقال له أنت هو لعمرى قال أبو بكر بن حفص بن عمر لما حضرت أبا بكر الوفاة حضرته عائشة وهو يعالج الموت فقالت

لعمرك مايغنى الثراء عن الفتى * اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

فنظر اليها كالغضبان ثم قال ليس كذلك ولكن جاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد انى قد كنت نحلتك حائط كذا وفى نفسى منه شئ فرديه على الميراث فردته فقال انما هما اخواك واختاك قالت من الثانية انما هى اسماء قال ذات بطن بنت خارجة يعنى زوجته وكانت حاملا فولدت أم كلثوم بعد موته وقال لها أما انا منذ ولينا أمر المسلمين لم نأكل لهم دينارا ولا درهما ولكنا أكلنا من جريش طعامهم ولبسنا من خشن ثيابهم وليس عندنا من فئ المسلمين الا هذا العبد وهذا البعير وهذه القطيفة فاذا مت فابعثى بالجميع الى عمر فلما مات بعثته الى عمر فلما رآه بكى حتى سالت دموعه الى الارض وجعل يقول رحم الله أبا بكر لقد اتعب من بعده ويكرر ذلك وأمر برفعه فقال عبد الرحمن بن عوف سبحان الله تسلب عيال أبى بكر عبدا وناضحا وسحق قطيفة ثمنها خمسة دراهم فلو أمرت بردها عليهم فقال لا والذى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم لا يكون هذا فى ولايتى ولا يخرج أبو بكر منه واتقلده انا وامر أبو بكر ان يرد جميع ما اخذ من بيت المال لنفقته بعد وفاته وقيل ان زوجته اشتهت حلوا فقال ليس لنا ما نشترى به

أيوب ...

الاشرف موسى) ابن الملك الناصر صلاح الدين جلس على سرير الملك يوم الاربعاء ثالث جمادى الاولى عام ثمانية وأربعين وستمائة واشركوا اسمه مع اسم شجرة الدر على السكة ويعلمان معا على المناشير وغيرها وفى ذلك الوقت عظم أمر المماليك البحرية وتسلطنوا على المسلمين وكانوا ألف مملوك من الترك بالروضة فكانوا يسبون الحريم ويأخذون الاموال وكان كبيرهم الفارس اقطاى الصالحى وكل ماطلب من الاموال أخذ من الخزائن حتى اقطع ثغر الاسكندرية بمفرده وهذا الاشرف هو آخر من ملك من ملوك بنى أيوب رحمهم الله تعالى

(الباب التاسع فى ذكر دولة التركية بالديار المصرية)

عددهم أربعة وعشرون نفرا ومدة توليتهم مائة وأربع وستون سنة وأولهم السلطان (الملك المعز عز الدين ايبك) زوج شجرة الدر وسبب استيلائه ان الاشرف موسى كان صغيرا وبلغ أهل مصر قدوم التتار للبلاد فاجتمعت الآراء على اقامة المعز بمفرده فتسلطن ودبر المملكة وشرع فى تحصيل الاموال واستخدام الرجال واستوزر الاسعد الفائزى مكوسا كثيرة

فقالت أنا استفضل من نفقتنا في عدة أيام ما نشتري به قال افعلي ففعلت ذلك فاجتمع لها في أيام كثيرة شيء يسير فلما عرفته ذلك لتشتري به حلوا أخذه فرده الى بيت المال وقال هذا يفضل عن قوتنا واسقط من نفقته بمقدار ما نقصت كل يوم وغرمه لبيت المال من ملك كان له هذا وا لله هو التقوى الذي لا مزيد عليه ويحق قدمه الناس رضي الله عنه وارضاه وكان منزل أبي بكر بالسنح عند زوجته حبيبة بنت خارجة فأقام هنالك ستة أشهر بعد ما بويع له وكان يغدو على رجليه الى المدينة وربما ركب فرسه فيصلي بالناس فاذا صلى العشاء رجع الى السنح وكان اذا غاب صلى بالناس عمر وكان يغدو كل يوم الى السوق فيبيع ويبتاع وكانت له قطعة غنم تروح عليه وربما خرج هو بنفسه فيها وربما رعيت له وكان يحلب للحي اغنامهم فلما بويع بالخلافة قالت جارية منهم الآن لا يحلب لنا منائح دارنا فسمعها فقال لي اعمري لاحلبنها لكم واني لارجو ان لا يغيرني ما دخلت فيه فكان يحلب لهم ثم تحول الى المدينة بعد ستة أشهر من خلافته وقال ما تصلح أمور الناس مع التجارة وما يصلح الا التفرغ لهم والنظر في شأنهم فترك التجارة وانفق من مال المسلمين ما يصلحه وعياله يوما بيوم ويحج ويعتمر فكان الذي فرضوا له في كل سنة ستة آلاف درهم وقيل فرضوا له ما يكفيه فلما حضرته الوفاة أوصى ان تباع أرض له ويصرف ثمنها عوض ما أخذه من مال المسلمين وكان أول وال فرض له رعيته نفقته وأول خليفة ولي وابوه حي وأول من سمى مصحف القرآن مصحفا وأول من سمي خليفة (زنيرة بكسر الزاي والنون مشددة وعبيس بضم العين المهملة وبالباء الموحدة المفتوحة ثم بالياء المثناة من تحت وبالسين المهملة ومنية بالنون الساكنة والياء تحتها نقطتان)

(ذكر استخلافه عمر بن الخطاب)

لما نزل بأبي بكر رضي الله عنه الموت دعا عبد الرحمن بن عوف فقال أخبرني عن عمر فقال انه أفضل من رأيك الا ان فيه غلظة فقال أبو بكر ذلك لانه يراني رقيقا ولو أفضى الامر اليه لترك كثيرا مما هو عليه وقد رمقته فكنت اذا غضبت على رجل أراني الرضا عنه واذا لنت له أراني الشدة عليه ودعا عثمان بن عفان وقال له أخبرني عن عمر فقال سريرته خير من علانيته وليس فينا مثله فقال أبو بكر لهما لا تذكرا مما قلت لكما شيئا ولو تركته ما عدوت عثمان والخيرة له ان لا يلي من أموركم شيئا ولوددت اني كنت من أموركم خلوا وكنت فيمن مضى من سلفكم ودخل طلحة بن عبيد الله على أبي بكر فقال استخلفت على الناس عمر وقد رأيت ما يلقى الناس منه وأنت معه وكيف به اذا خلا بهم وأنت لاق ربك فسائلك عن رعيتك فقال أبو بكر اجلسوني فاجلسوه فقال أبالله تخوفني اذا لقيت ربي فسائلني قلت استخلفت على أهلك خير أهلك ثم ان أبا بكر احضر عثمان بن عفان خاليا ليكتب عهد عمر فقال له اكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة الى المسلمين أما بعد ثم أغمي عليه فكتب عثمان أما بعد فاني قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب ولم آلكم خيرا ثم أفاق أبو بكر فقال اقرأ علي فقرأ عليه فكبر أبو بكر وقال اراك خفت ان يختلف الناس ان مت في غشيتي قال نعم قال جزاك الله خيرا عن الاسلام واهله فلما كتب العهد أمر به ان يقرأ على الناس فجمعهم وأرسل الكتاب مع مولى له ومعه عمر فكان عمر يقول للناس أنصتوا واسمعوا لخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه

وضمانات وسماها حقوقا ثم ان المعز لما تمكن وهربت جماعة البحرية الى الشام ورئيسهم بيبرس البندقداري وقلاوون الالفي وسنقر الاشقر وبيبرس احتاط على موجودهم وابطل ما قرره الوزير من المكوس وخطب بنت صاحب الموصل فسمعت بذلك زوجته شجرة الدر فتغيرت عليه فلما لم تقدر عليه عزم على قتلها فبلغها ذلك فخافت على نفسها واتفقت مع الطواشي محسن الجوهري على قتله فقتلوه في الحمام فلما بلغ مماليكه قتل المعز دخلوا على الملكة شجرة الدر ليقتلوها فسلموها لزوجة المعز ام ولده وجواريها فقتلوها بالقباقيب الى ان ماتت وكان المعز ملكا حازما شجاعا كريما حسن التدبير والسياسة غير انه كان سفاكا لدماء الناس وكانت مدة سلطنته سبع سنين الا ثلاثة وثلاثين يوما ثم تولى الملك السلطان الثاني من ملوك الترك (الملك المنصور نور الدين علي) بن الملك المعز عز الدين ايبك جلس على سرير الملك في اليوم الثاني من قتل والده وعمره عشر سنين وجعل الامير قطز نائبه واتابكا كما كان في ايام والده (وفي أيامه) أخذ التتار بغداد وقتلوا الخليفة المستعصم بالله وولده كما تقدم وقصدوا الشام ثم ان الامير قطز استشار الامراء في أمر المنصور ووالدته لانها كانت تدبر أمره وتدبير لم

لم يأل لكم نصحا فسكن الناس فلما قرئ عليهم الكتاب سمعوا واطاعوا وكان ابو بكر اشرف على الناس وقال أترضون بمن استخلفت عليكم فانى ما استخلفت عليكم ذا قرابة وانى قد استخلفت عليكم عمر فاسمعوا له وأطيعوا فانى والله ما آلوت من جهد الرأى فقالوا سمعنا وأطعنا ثم احضر أبو بكر عمر فقال له انى قد استخلفتك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واوصاه بتقوى الله ثم قال يا عمر ان لله حقا بالليل لا يقبله فى النهار وحقا فى النهار لا يقبله بالليل وانه لا يقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة ألم تر يا عمر انما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق وثقله عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه غدا الا الحق ان يكون ثقيلا ألم تر يا عمر انما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل وخفته عليهم وحق لميزان أن لا يوضع فيه الا باطل أن يكون خفيفا ألم تر يا عمر انما نزلت آية الرخاء مع آية الشدة وآية الشدة مع آية الرخاء ليكون المؤمن راغبا راهبا لا يرغب رغبة يتمنى فيها على الله ما ليس له ولا يرهب رهبة يلقى فيها بيديه ألم تر يا عمر انما ذكر الله أهل النار باسوإ اعمالهم فاذا ذكرتهم قلت انى لارجو ان لا اكون منهم وانه انما ذكر أهل الجنة باحسن اعمالهم لانه تجاوز لهم عما كان من سيئ فاذا ذكرتهم قلت أين عملى من أعمالهم فان حفظت وصيتى فلا يكونن غائب أحب اليك من حاضر من الموت ولست بمعجزه وتوفى أبو بكر فلما دفن صعد عمر بن الخطاب فخطب الناس ثم قال انما مثل العرب مثل جمل آنف اتبع قائده فلينظر قائده حيث يقوده واما انا فورب الكعبة لاحملنكم على الطريق وكان أول كتاب كتبه الى أبى عبيدة بن الجراح بتولية جند خالد وبعزل خالد لانه كان عليه ساخطا فى خلافة أبى بكر كلها للوقعة بابن نويرة وما كان يعمل فى حربه وأول ما تكلم به عزل خالد وقال لا يلى لى عملا أبدا وكتب الى أبى عبيدة ان أكذب خالد نفسه فهو الامير على ما كان عليه وان لم يكذب نفسه فانت الامير على ما هو عليه وانزع عمامته عن رأسه وقاسمه ماله فذكر ذلك لخالد فاستشار اخته فاطمة وكانت عند الحرث بن هشام فقالت له والله لا يحبك عمر أبدا وما يريد الا ان تكذب نفسك ثم ينزعك فقبل رأسها وقال صدقت فابى ان يكذب نفسه فامر ابو عبيدة فنزع عمامة خالد وقاسمه ماله ثم قدم خالد على عمر بالمدينة وقيل بل هو اقام بالشام مع المسلمين وهو أصح

(ذكر فتح دمشق)

قيل ولما هزم الله أهل اليرموك استخلف أبو عبيدة على اليرموك بشير بن كعب الحميرى وسار حتى نزل بالصفر فاتاه الخبر ان المنهزمين اجتمعوا بفحل واتاه الخبر أيضا بان المدد قد اتى اهل دمشق من حمص فكتب الى عمر فى ذلك فاجابه عمر يأمره بان يبدأ بدمشق فانها حصن الشام وبيت ملكهم وان يشغل أهل فحل بخيل تكون بازائهم واذا فتح دمشق سار الى فحل فاذا فتحت عليهم سار هو وخالد الى حمص وترك شرحبيل بن حسنة وعمرا بالاردن وفلسطين فارسل أبو عبيدة الى فحل طائفة من المسلمين فنزلوا قريبا منها وبثق الروم الماء حول فحل فوحلت الارض فنزل عليهم المسلمون فكان أول محصور بالشام أهل فحل ثم أهل دمشق وبعث أبو عبيدة جندا فنزلوا بين حمص ودمشق وأرسل جندا آخر فكانوا بين دمشق وفلسطين وسار أبو عبيدة وخالد فقدموا على دمشق وعليها نسطاس فنزل أبو عبيدة على ناحية وخالد على ناحية وعمرو على ناحية

النساء فاشاروا بامساكهم [illegible] أمره الى ان خرج الامرا ووجد الامير قطز الفرصة وأخذوه فى يوم عشر ذى القعدة عام سبعة وخمسين وستمائة واعتقلهم بثغر دمياط ببرج السلسلة وكانت مدة مملكته سنتين وثمانية شهور وثلاثة أيام ثم تولى السلطان الثالث من ملوك الترك (الملك المظفر سيف الدين قطز المعزى) وهو الوزير المتقدم ذكره فلما تولى السلطنة عظم أمر المملكة وفى عام ثمانية وخمسين وستمائة وصلت التتار الى حلب فاخذوها ثم وصل كتاب من هلاكو مضمونه الى المظفر قطز الذى هو من جنس الترك الذين هربوا من سيوفنا انا جند الله فى أرضه خلقنا من سخط فسلموا الينا تسلموا من قبل أن تندموا وقد سمعتم انا أخربنا البلاد وقتلنا العباد فلكم منا الهرب ولنا منكم الطلب فمن طلب حربنا ندم ومن قصد امانا سلم فان أنتم لامرنا أطعتم فلكم ما لنا ولنا ما لكم وان خالفتم هلكتم فلا تهلكوا أنفسكم بايديكم فقد اعذر من أنذر فعجلوا بالجواب قبل ان تضرم الحرب بنارها وترميكم بشرارها فما بقى انا مقصد سواكم والسلام وكان الكتاب صحبة أربعة رسل من عنده فلما سمع المظفر لفظ الكتاب تغير تغيرا شديدا وأمر بتوسيط

وكان هرقل قريبا من حمص فحصرهم المسلمون سبعين ليلة حصارا شديدا وقاتلوهم بالزحف والمجانيق وجاءت خيول هرقل مغيثة دمشق فمنعتها خيول المسلمين التي عند حمص فخذل اهل دمشق وطمع فيهم المسلمون وولد للبطريق الذي على أهلها مولود فصنع طعاما فأكل القوم وشربوا وتركوا مواقفهم ولا يعلم بذلك احد من المسلمين الا ما كان من خالد فانه كان لا ينام ولا ينيم ولا يخفى عليه من أمورهم شيء وكان قد اتخذ حبالا كهيئة السلاليم وأوهاقا فلما امسى ذلك اليوم نهض هو ومن معه من جنده الذين قدم عليهم وتقدمهم هو والقعقاع بن عمرو ومذعور بن عدي وامثاله وقالوا اذا سمعتم تكبيرا على السور فارقوا الينا واقصدوا الباب فلما وصل هو وأصحابه الى السور القوا الحبال فعلق بالشرف منها حبلان فصعد فيهما القعقاع ومذعور واثبتا الحبال بالشرف وكان ذلك المكان احصن موضع بدمشق واكثره ماء واشده مدخلا ثم انحدر خالد وأصحابه وترك بذلك المكان من يحميه وامرهم بالتكبير فكبروا فأتاهم المسلمون الى الباب والى الحبال وانتهى خالد الى من يليه فقتلهم وقصد الباب فقتل البوابين وثار أهل المدينة لا يدرون ما الحال وتشاغل اهل كل ناحية بما يليهم وفتح خالد الباب وقتل كل من عنده من الروم فلما رأى الروم ذلك قصدوا أبا عبيدة وبذلوا له الصلح فقبل منهم وفتحوا له الباب وقالوا له ادخل وامنعنا من أهل ذلك الجانب ودخل اهل كل باب بصلح مما يليهم ودخل خالد عنوة فالتقى خالد والقواد في وسطها هذا قتلا ونهبا وهذا صفحا وتسكينا فاجروا ناحية خالد مجرى الصلح وكان صلحهم على المقاسمة وقسموا معهم للجنود التي عند فحل وعند حمص وغيرهم ممن هو ردء للمسلمين وأرسل ابو عبيدة الى عمر بالفتح فوصل كتاب عمر الى أبي عبيدة يأمره بارسال جند العراق نحو العراق الى سعد بن أبي وقاص فارسلهم وأمّر عليهم هاشم بن عتبة المرقال وكانوا قد قتل منهم فارسل أبو عبيدة عوض من قتل وكان ممن أرسل الاشتر وغيره وسار أبو عبيدة الى فحل

(ذكر غزوة فحل)

فلما فتحت دمشق سار أبو عبيدة الى فحل واستخلف على دمشق يزيد بن أبي سفيان وبعث خالدا على المقدمة وعلى الناس شرحبيل بن حسنة وكان على المجنبتين أبو عبيدة وعمرو بن العاص وعلى الخيل ضرار بن الازور وعلى الرجال عياض بن غنم وكان أهل فحل قد قصدوا بيسان فهم بها فنزل شرحبيل بالناس فحلا وبينهم وبين الروم تلك المياه والاوحال وكتبوا الى عمر وكانت العرب تسمي تلك الغزاة ذات الردغة وبيسان وفحل وأقام الناس ينتظرون كتاب عمر فاغترهم الروم فخرجوا وعليهم سقلار بن مخراق فأتوهم والمسلمون حذرون وكان شرحبيل لا يبيت ولا يصبح الا على تعبية فلما هجموا على المسلمين لم يناظروهم فاقتتلوا أشد قتال كان لهم ليلتهم ويومهم الى الليل وأظلم الليل عليهم وقد حاروا فانهزم الروم وهم حيارى وقد أصيب رئيسهم سقلار والذي يليه نسطوس وظفر المسلمون بهم وركبوهم ولم تعرف الروم مأخذهم فانتهت بهم الهزيمة الى الوحل فركبوه ولحقهم المسلمون فأخذوهم ولا يمنعون يد لامس فوخزوهم بالرماح فكانت الهزيمة بفحل والقتل بالرداغ فاصيب الروم وهم ثمانون ألفا لم يفلت منهم الا الشريد وقد كان الله يصنع للمسلمين وهم كارهون كرهوا البثوق والوحل فكانت

الرسل الاربع فوسطوا ثم انه اتفق المال على العسكر وسار بهم الى البلاد الشامية فوجدوا أول التتار بغزة فهزموهم والتقوا بهم في عين جالوت من أرض كنعان فتقاتلوا قتالا عظيما حتى كسروا التتار وأسروا منهم خلقا كثيرا ثم توجه الى حلب ورتب حال الممالك ورجع الى الديار المصرية فلما قرب انحرف عن الدرب للصيد فقتله بعض خواصه قيل قتله الملك الظاهر بيبرس بيده وذلك انه طلب منه بنتا من بنات التتار فسمح لهم ثم أخذ يده ليقبلها فضربه رجل من الامراء فبالغت ضربته فضربه الملك الظاهر فقتله وصار سلطانا مكانه في نصف ذي القعدة عام ثمانية وخمسين وستمائة وكانت مدة ملكه سنة الا ثلاثة عشر يوما ثم اتفقوا على سلطنة السلطان الرابع من ملوك الترك (الملك الظاهر بيبرس البندقداري العلائي) وكان ملكا جليلا عظيما شهما ذا الشجاعة والاقدام فتح قلعة بانياس ويافا والشقيف مدينة انطاكية وقلعة البيرة والكرك والشوبك وقيسارية وقلعة الهواء وصفد وما ترحصون الاسماعيلية وحصن الاكراد وحصن عكا وكنبول وأذنة والمصيصة وأبطل ما كان احدثه المظفر وهو تسقيع الاملاك وتقريعها وزكاتها على كل انسان

عونا

عونالهم على عدوهم وغنموا أموالهم فاقتسموها وانصرف أبو عبيدة بخالد ومن معه الى حمص وممن قتل فى هذه الحرب السائب بن الحرث بن قيس بن عدى السهمى له صحبة (فحل بكسر الفاء وسكون الحاء المهملة وآخره لام)

(ذكر فتح بلاد ساحل دمشق)

لما استخلف أبو عبيدة يزيد بن أبى سفيان على دمشق وسار الى فحل سار يزيد الى مدينة صيدا وعرقة وجبيل وبيروت وهى سواحل دمشق على مقدمته أخوه معاوية ففتحها فتحا يسيرا وجلا كثيرا من أهلها وتولى فتح عرقة معاوية بنفسه فى ولاية يزيد ثم ان الروم غلبوا على بعض هذه السواحل فى آخر خلافة عمر وأول خلافة عثمان فقصدهم معاوية ففتحها ثم رمها وشحنها بالمقاتلة وأعطاهم القطائع ولما ولى عثمان الخلافة وجمع لمعاوية الشام وجه معاوية سفيان ابن مجيب الازدى الى طرابلس وهى ثلاث مدن مجتمعة ثم بنى فى مرج على أميال منها حصنا سمى حصن سفيان وقطع المادة عن أهلها من البر والبحر وحاصرهم فلما اشتد عليهم الحصار اجتمعوا فى أحد الحصون الثلاثة وكتبوا الى ملك الروم يسألونه ان يمدهم أو يبعث اليهم بمراكب يهربون فيها الى بلاد الروم فوجه اليهم بمراكب كثيرة ركبوا فيها ليلا وهربوا فلما أصبح سفيان وكان يبيت هو والمسلمون فى حصنه ثم يغدو على العدو فوجد الحصن خاليا فدخله وكتب بالفتح الى معاوية فاسكنه معاوية جماعة كثيرة من اليهود وهو الذى فيه الميناء اليوم ثم بناه عبد الملك بن مروان وحصنه ثم نقض أهله ايام عبد الملك ففتحه ابنه الوليد فى زمانه

(ذكر فتح بيسان وطبرية)

لما قصد أبو عبيدة حمص من فحل أرسل شرحبيل ومن معه الى بيسان فقاتلوا أهلها فقتلوا منهم خلقا كثيرا ثم صالحهم من بقى على صلح دمشق فقبل ذلك منهم وكان أبو عبيدة قد بعث بالاعور الى طبرية يحاصرها فصالحه أهلها على صلح دمشق أيضا وان يشاطروا المسلمين المنازل فنزلها القواد وخيولها وكتبوا بالفتح الى عمر قال أبو جعفر وقد اختلفوا فى أى هذه الغزوات كان قبل الاخرى فقيل ما ذكرنا وقيل ان المسلمين لما فرغوا من اجنادين اجتمع المنهزمون بفحل فقصدها المسلمون فظفروا بهم ثم لحق المنهزمون من فحل بدمشق فقصدها المسلمون فحاصروها وفتحوها وقدم كتاب عمر بن الخطاب بعزل خالد وولاية أبى عبيدة وهم محاصرون دمشق فلم يعرفه أبو عبيدة ذلك حتى فرغوا من صلح دمشق وكتب الكتاب باسم خالد وأظهر أبو عبيدة بعد ذلك عزله وكانت فحل فى ذى القعدة سنة ثلاث عشرة وفتح دمشق فى رجب سنة أربع عشرة وقيل ان وقعة اليرموك كانت سنة خمس عشرة ولم تكن للروم بعدها وقعة وانما اختلفوا لقرب بعض ذلك من بعض

(ذكر خبر المثنى بن حارثة وأبى عبيد بن مسعود)

قد ذكرنا قدوم المثنى بن حارثة الشيبانى من العراق على أبى بكر ووصية أبى بكر عمر بالمبادرة الى ارسال الجيوش معه فلما أصبح عمر من الليلة التى مات فيها أبو بكر كان أول ما عمل ان ندب الناس مع المثنى بن حارثة الشيبانى ثم بايع الناس ثم ندب الناس وهو يبايعهم ثلاثا ولا ينتدب أحد الى فارس وكانوا اثقل الوجوه على المسلمين واكرهها اليهم لشدة سلطانهم وشوكتهم

دينار واخذ ثلث التركة الاهلية وفى عام ستين وستمائة غلت الاسعار فامر بجمع الحرافيش والفقراء وفرقهم على أولاده وعلى الامراء بقدر مقاديرهم واخذ لنفسه خمسمائة والزمهم بكفايتهم فما رؤى فى ذلك الغلاء العظيم من يسأل وفى سنة سبع وستين وستمائة حج من غزة ومر على الكرك فلما دخل المدينة المنورة زار وتصدق على الفقراء وتوجه الى مكة فغسل البيت الشريف بيده بماء الورد ورجع صحبة الركب الشامى الى بيت المقدس والخليل ثم حضر الى مصر فامر بعمارة الحرم الشريف وقبة الصخرة بالقدس الشريف بعد ان تداعت الى السقوط وعمر قناطر وأسوارا وسدنا وقلاعا وهى التى اخربها اهلاكو وعمر قلعة دمشق والقصر الابلق وكان ذا قصد حسن وفعل جميل ادركته المنية فى مدينة دمشق فى ثامن عشرى المحرم سنة ست وسبعين وستمائة وعمره نحو من سبع وخمسين سنة ودفن فى تربته المعروفة بدمشق وكانت مدة ملكه سبع عشرة سنة وشهرين وخلف ثلاثة بنين وسبع بنات ولما مات تولى الملك بعده السلطان الخامس من ملوك الترك ولده (الملك السعيد محمد بركة خان) فلما تولى السلطنة قام بتدبير الملك الامير بيليك الخازندار نائب والده ثم ان السلطان المذكور نافر

وقهرهم الامم فلما كان اليوم الرابع ندب الناس الى العراق فكان أول منتدب أبو عبيد بن مسعود الثقفي وهو والد المختار وسعد بن عبيد الانصاري وسليط بن قيس وثنى من شهد بدرا وتتابع الناس وتكلم المثنى بن حارثة فقال أيها الناس لا يعظمن عليكم هذا الوجه فانا قد تبحبحنا ريف فارس وغلبناهم على خير شقي السواد وشاطرناهم واجترأنا عليهم ولها ان شاء الله ما بعدها فاجتمع الناس فقيل لعمر أمر عليهم رجلا من السابقين من المهاجرين والانصار قال لا والله لا أفعل انما رفعهم الله تعالى بسبقهم وسرعتهم الى العدو فاذا فعل فعلهم قوم وتثاقلوا كان الذين ينفرون خفافا وثقالا ويسبقون الى الدفع أولى بالرياسة منهم والله لا أؤمر عليهم الا أولهم انتدابا ثم دعا أبا عبيد وسعدا وسليطا وقال لهما لو سبقتماه لوليتكما ولادركتما بها الى ما لكما من السابقة فأمر أبا عبيد وقال له اسمع من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واشركهم في الامر ولم يمنعني ان أؤمر سليطا الا سرعته الى الحرب وفي التسرع الى الحرب ضياع الاعراب فانه لا يصلحها الا الرجل المكيث وأوصاه بجنده فكان بعث أبي عبيد أول جيش سيره عمر ثم بعده سير يعلى بن منية الى اليمن وأمره باجلاء أهل نجران بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم وان لا يجتمع بجزيرة العرب دينان

(ذكر خبر النمارق)

فسار أبو عبيد الثقفي وسعد بن عبيد وسليط بن قيس الانصاريان والمثنى بن حارثة الشيباني أحد بني هند من المدينة وأمر عمر المثنى بالتقدم الى ان يقدم عليه أصحابه وأمرهم باستنفار من حسن اسلامه من أهل الردة ففعلوا ذلك وسار المثنى فقدم الحيرة وكانت الفرس تشاغلت عن المسلمين بموت شهربران حتى اصطلحوا على سابور بن شهريار بن اردشير فثارت به آزرميدخت فقتلته وقتلت الفرخزاد وملكت بوران وكانت عدلا بين الناس حتى يصطلحوا فارسلت الى رستم بن الفرخزاد بالخبر وحثته على السير وكان على فرج خراسان فاقبل لا يلقى جيشا لآزرميدخت الا هزمه حتى دخل المدائن فاقتتلوا وهزم سياوخش وحصره وآزرميدخت بالمدائن ثم افتتحها رستم وقتل سياوخش وفقأ عين آزرميدخت ونصب بوران على ان تملكه عشر سنين ثم يكون الملك في آل كسرى ان وجدوا من غلمانهم أحدا والا ففي نسائهم ودعت مرازبة فارس وأمرتهم ان يسمعوا له ويطيعوا وتوجته فدانت له فارس قبل قدوم أبي عبيد وكان منجما حسن المعرفة به وبالحوادث فقال له بعضهم ما حملك على هذا الامر وأنت ترى ما أرى قال حب الشرف والطمع ثم قدم المثنى الى الحيرة في عشر وقدم أبو عبيد بعده بشهر فكتب رستم الى الدهاقين ان يثوروا بالمسلمين وبعث في كل رستاق رجلا يثور باهله فبعث جابان الى فرات بادقلى وبعث نرسي الى كسكر ووعدهم يوما وبعث جندا لمصادمة المثنى وبلغ المثنى الخبر فحذر وعجل جابان ونزل النمارق وثاروا وتوالوا على الخروج وخرج اهل الرساتيق من أعلى الفرات الى أسفله وخرج المثنى من الحيرة فنزل خفان لئلا يؤتى من خلفه بشيء يكرهه وأقام حتى قدم عليه أبو عبيد فلما قدم لبث أياما يستريح هو وأصحابه واجتمع الى جابان بشر كثير فنزل النمارق وسار اليه أبو عبيد فجعل المثنى على الخيل وكان على مجنبتي جابان جشنس ماه ومردانشاه فاقتتلوا بالنمارق قتالا شديدا فهزم الله أهل فارس وأسر جابان أسره مطر بن

مماليك والده وأمسك اكابر الامراء وقدم الاصاغر وابعد الاكابر وسافر الى الشام فجرت له امور قطعية يطول شرحها فلما رجع الى بلاد مصر تآمر عليها العسكر الشامي ورجعوا مع نائب الشام ولم يبق معه الا نفر قليل من الامراء ومماليكه وطلع قلعة الجبل فحاصره الامراء وهرب مماليكه اولا فاولا فاقام في المحاصرة اسبوعا ثم ان الخليفة ارسل الى الامراء يخبرهم بغرضهم فقالوا يخلع الملك نفسه ويرحل الى الكرك فنزل من القلعة واشهد على نفسه انه لا يصلح للملك ثم سافر من وقته الى الكرك فوصل اليها وتسلمها وكانت مدة سلطنته سنتين وشهرا واياما ثم تولى الملك بعده السلطان السادس من ملوك الترك (الملك العادل سلامش) بن الظاهر بيبرس جلس على سرير الملك في ربيع الاول عام ثمانية وسبعين وستمائة وعمره سبع سنين وشهور واستقر الامير قلاوون اتابك العساكر فاخذ في القبض على الامراء الظاهرية وصار يمهد لنفسه ونهى وانعم واعطى واستمال قلوب الامراء واحسن التدبير لنفسه فلما بلغ مقصوده خلع الملك العادل سلامش بعد ان تملك خمسة شهور واياما ثم تولى السلطان السابع من ملوك الترك (الملك المنصور قلاوون الصالحي النجمي) تولى السلطنة في ثاني عشر رجب تمام ثمانية

بقية

فضة التيمي وأسر من دانشاه اسره أكتل بن شماخ العكلي فقتلوا ماجابان فانه خدع مطرا وقال له هل لك ان تؤمنني وأعطيك غلامين امردين خفيفين في عملك وكذا وكذا ففعل فخلا عنه فاخذه المسلمون وأتوا به أبا عبيد وأخبروه انه جابان واشاروا عليه بقتله فقال اني اخاف الله ان اقتله وقد آمنه رجل مسلم والمسلمون كالجسد الواحد ما لزم بعضهم فقد لزم كلهم وتركوه وارسل في طلب المنهزمين حتى ادخلوهم عسكر نرسي وقتلوا منهم (اكتل بفتح الهمزة وسكون الكاف وفتح التاء المثناة باثنتين من فوقها وفي آخره لام)

(ذكر وقعة السقاطية بكسكر)

ولحق المنهزمون نحو كسكر وبها نرسي وهو ابن خالة الملك وكان له النرسيان وهو نوع من التمر يحميه لايأكله الا الملك الفرس اومن اكرموه بشيء منه ولا يغرسه غيرهم واجتمع الى نرسي الفالة وهو في عسكره فسار أبو عبيد اليهم من النمارق فنزل على نرسي بكسكر وكان المثنى في تعبيته التي قاتل فيها بالنمارق وكان على مجنبتي نرسي بندويه وتيرويه ابنا بسطام خال الملك ومعه اهل باروسما والزوابي ولما بلغ الخبر بوران ورستم بهزيمة جابان بعثا الجالينوس الى نرسي فلحقه قبل الحرب فعاجلهم أبو عبيد فالتقوا اسفل من كسكر بمكان يدعى السقاطية فاقتتلوا قتالا شديدا ثم انهزمت فارس وهرب نرسي وغلب المسلمون على عسكره وارضه وجمعوا الغنائم فرأى ابو عبيد من الاطعمة شيأ كثيرا فنفله من حوله من العرب وأخذوا النرسيان فاطعموه الفلاحين وبعثوا بخمسه الى عمر وكتبوا اليه ان الله أطعمنا مطاعم كانت الاكاسرة تحميها وأحببنا ان تروها لتشكروا انعام الله وافضاله واقام أبو عبيد وبعث أبو عبيد المثنى الى باروسما وبعث والقا الى الزوابي وعاصما الى نهرجور فهزموا من كان تجمع وأخربوا وسبوا أهل زندرود وغيرها وبذل لهم فروخ وفراونداد عن أهل باروسما والزوابي وكسكر الجزاء معجلا فاجابوا الى ذلك وصاروا صلحا وجاء فروخ وفراونداد الى أبي عبيد بانواع الطعام والاخبصة وغيرها فقال هل أكرمتم الجند بمثلها فقالوا لم يتيسر ونحن فاعلون وكانوا يتربصون قدوم الجالينوس فقال أبو عبيد لا حاجة لنا فيه بئس المرء أبو عبيد ان صحب قوما من بلادهم استأثر عليهم بشيء ولا والله لا آكل ما آتيتم به ولا مما أفاءه الله الا مثل ما يأكل أوساطهم فلما هزم الجالينوس أتوه بالاطعمة أيضا فقال ما آكل هذا دون المسلمين فقالوا له ليس من أصحابك أحد الا وقد أتي بمثل هذا فاكل حينئذ

(ذكر وقعة الجالينوس)

ولما بعث رستم الجالينوس أمره ان يبدأ بنرسي ثم يقاتل أبا عبيد فبادره أبو عبيد الى نرسي فهزمه وجاء الجالينوس فنزل بباقسياثا من باروسما فسار اليه أبو عبيد وهو على تعبيته فالتقوا بها فهزمهم المسلمون وهرب الجالينوس وغلب أبو عبيد على تلك البلاد ثم ارتحل حتى قدم الحيرة وكان عمر قد قال له انك تقدم على أرض المكر والخديعة والخيانة والجبرية تقدم على قوم تجرؤوا على الشر فعلموه وتناسوا الخير فجهلوه فانظر كيف تكون واخزن لسانك ولا تفشين سرك فان صاحب السر ما يضبطه متحصن لا يؤتى من وجه يكرهه واذا ضيعه كان بمضيعة

وسبعين وستمائة فافرج عن ايبك الافرم وجعله نائبه بالديار المصرية فاقام مدة ثم استعفى فاعفاه واستناب مملوكه طرنطاي وولي سنقر الاشقر نيابة دمشق فعصى بها وتسلطن وحلف الامراء لنفسه وتلقب بالملك الكامل ثم ان السلطان جهز له عسكرا فقاتلهم فكسروه وهرب الى صهيون وتوجه السلطان الى ملاقاة التتار فالتقى العسكران واقتتلا في برج حمص وحمل المسلمون عليهم فانهزموا وانكسروا وفي سنة اثنتين وثمانين وستمائة عمر البيمارستان بين القصرين الذي عمت صدقته الاحياء والاموات وكان حسن الشكل معتدل القامة دري اللون فصيحا في اللغة التركية بعيدا من الكلام العربي شجاعا عارفا فتح مدينة طرابلس في سنة ثمان وثمانين وستمائة بعد ان حاصرها أربعة وثلاثين يوما ثم أحرقها وعمر مدينة غيرها بالقرب منها وهي الموجودة الآن وأخذ من يد الفرنج مرقب وجبلة واللاذقية وابطل أشياء كثيرة من المكوس والجرائم توفي رحمه الله في سادس ذي القعدة سنة تسع وثمانين وستمائة ودفن بتربته المنصورة بين القصرين ومدة سلطنته احدى عشرة سنة وثلاثة اشهر وستة ايام وخلف ثلاثة اولاد وولد له بعد وفاته آخر وتولى بعده السلطان الثامن من ملوك الترك ولده (الملك

والده وكان ملكا كريما شجاعا ذاهمة عالية فتح عكا وقلعة الروم وأبطل ما كان يؤخذ بدمشق بباب الجابية وهو على كل حمل خمسة دراهم ثم سرح السلطان الى البحيرة ونزل بخيمة ووقف لطم الطيور فحضر اليه من الامراء بيدار ولاجين ومعهما جماعة فاستفهم منهم السلطان عن سبب حضورهم في تلك الساعة فقال بيدار انهى بين يدى مولانا السلطان كلاما وقرب من السلطان وجرد سيفه وضرب السلطان على وجهه فتلقاها بيده فجرح فصاح لاجين على رفيقه بيدار وقال من يقصد قتل الملوك ليكون ملكا تكون ضربته كذا ثم وكس وضرب السلطان على كتفه الايمن فقطعه فمات وأسلمن كان معه من الامراء وكان ذلك وقت العصر خامس عشر المحرم عام ثلاثة وتسعين وستمائة ومدة سلطنته ثلاث سنين وشهران وايام واتفقت اركان الدولة على توليه اخيه السلطان التاسع من ملوك الترك (الملك الناصر محمد) بن قلاوون الالفي ولى السلطنة في المحرم وعمره تسع سنين فامسك جماعة من الامراء الذين قتلوا اخاه فاعتقلهم بخزانة البنود وتولى عقوبتهم بيبرس الطبر

•(ذكر وقعة قس الناطف ويقال لها الجسر ويقال المروحة وقتل أبي عبيد بن مسعود)•

ولما رجع الجالينوس الى رستم منهزما ومن معه من جنده قال رستم أى العجم اشد على العرب قالوا بهمن جاذويه المعروف بذى الحاجب وانما قيل له ذا الحاجب لانه كان يعصب حاجبيه بعصابة ليرفعهما كبرا فوجهه ومعه فيلة ورد الجالينوس معه وقال لبهمن ان انهزم الجالينوس ثانية فاضرب عنقه فاقبل بهمن جاذويه ومعه درفش كابيان راية كسرى وكانت من جلود النمر عرض ثمانى اذرع وطول اثنى عشر ذراعا فنزل بقس الناطف واقبل أبو عبيد فنزل بالمروحة فرأت دومة امرأته أم المختار ابنه ان رجلا نزل من السماء باناء فيه شراب فشرب ابو عبيد ومعه نفر فاخبرت بها أبا عبيد فقال لها هذه ان شاء الله الشهادة وعهد الى الناس فقال ان قتلت فعلى الناس فلان فان قتل فعليهم فلان حتى أمر الذين شربوا من الاناء ثم قال فان قتل فعلى الناس المثنى وبعث اليه بهمن جاذويه اما ان تعبروا الينا وندعكم والعبور واما ان تدعونا نعبر اليكم فنهاه الناس عن العبور ونهاه سليط ايضا فلج وترك الرأى وقال لا يكونوا اجرأ على الموت منا فعبر اليهم على جسر عقده ابن صلوبا للفريقين وضاقت الارض باهلها واقتتلوا فلما نظرت الخيول الى الفيلة والخيل عليها التجافيف رأت شيأ منكرا لم تكن رأت مثله فلم تقدم عليهم واذا حملت الفرس على المسلمين بالفيلة والجلاجل فرقت خيولهم وكراديسهم ورموهم بالنشاب واشتد الامر بالمسلمين فترجل أبو عبيد والناس ثم مشوا اليهم ثم صافحوهم بالسيوف فجعلت الفيلة لا تحمل على جماعة الا دفعتهم فنادى أبو عبيد احتوشوا الفيلة واقطعوا بطانها واقلبوا عنها اهلها ووثب هو على الفيل الابيض فقطع بطانه ووقع الذين عليه وفعل القوم مثل ذلك فما تركوا فيلا الا حطوا رحله وقتلوا أصحابه واهوى الفيل لابى عبيد فضربه ابو عبيد بالسيف وخبطه الفيل بيده فوقع فوطئه الفيل وقام عليه فلما بصر به الناس تحت الفيل خشعت انفس بعضهم ثم أخذ اللواء الذى أمره بعده فقاتل الفيل حتى تنحى عن أبي عبيد فاخذه المسلمون فاحرزوه ثم قتل الفيل الامير الذى بعد ابى عبيد وتتابع سبعة انفس من ثقيف كلهم يأخذ اللواء ويقاتل حتى يموت ثم اخذ اللواء المثنى فهرب عنه الناس فلما رأى عبد الله بن مرثد الثقفى مالقى أبو عبيد وخلفاؤه ومايصنع الناس بادرهم الى الجسر فقطعه وقال يا ايها الناس موتوا على ماماتت عليه امراؤكم أو تظفروا وحاز المشركون المسلمين الى الجسر فتواثب بعضهم الى الفرات فغرق من لم يصبر وأسرعوا فيمن صبر وحمى المثنى وفرسان من المسلمين الناس وقال انا دونكم فاعبروا على هينتكم ولا تدهشوا ولا تغرقوا انفسكم وقاتل عروة بن زيد الخيل قتالا شديدا وابو محجن الثقفى وقاتل أبو زبيد الطائى حمية للعربية وكان نصرانيا قدم الحيرة لبعض أمره ونادى المثنى من عبر فجاء العلوج فعقدوا الجسر وعبر الناس وكان آخر من قتل عند الجسر سليط بن قيس وعبر المثنى وحمى جانبه فلما عبر ارفض عنه أهل المدينة وبقى المثنى في قلة وكان قد جرح وأثبت فيه حلق من درعه وأخبر عمر عمن سار في البلاد من الهزيمة استحياء فاشتد عليه وقال اللهم ان كل مسلم في حل منى انا فئة كل مسلم يرحم الله ابا عبيد لو كان انحاز الى لكنت له فئة وهلك من المسلمين أربعة آلاف بين قتيل وغريق وهرب الفان وبقى ثلاثة آلاف وقتل من الفرس ستة آلاف وأراد بهمن جاذويه العبور خلف المسلمين فاتاه

الخبر باختلاف الفرس وانهم قد ثاروا برستم ونقضوا الذي بينهم وبينه وصاروا فريقين الفهلوج على رستم وأهل فارس على الفيرزان فرجع الى المدائن وكانت هذه الوقعة في شعبان وكان فيمن قتل بالجسر عقبة وعبد الله ابنا قبطي بن قيس وكانا شهدا أحدا وقتل معهما أخوهما عباد ولم يشهد معهما أحدا وقتل أيضا قيس بن السكن بن قيس أبو زيد الانصاري وهو بدري لا عقب له وقتل يزيد بن قيس بن الخطيم الانصاري شهد أحدا وفيها قتل ابو أمية الفزاري له صحبة والحكم بن مسعود أخو أبي عبيد وابنه جبر بن الحكم بن مسعود

(ذكر خبر الليس الصغرى)

لما عاد ذو الحاجب لم يشعر جابان ومردانشاه بما جاء به من الخبر فخرجا حتى أخذا بالطريق وبلغ المثنى فعلهما فاستخلف على الناس عاصم بن عمرو وخرج في جريدة خيل يريدهما فظناه انه هارب فاعترضاه فاخذهما اسيرين وخرج أهل الليس على أصحابهما فاتوه بهم أسرى وعقد لهم بها ذمة وقتلهما وقتل الاسرى وهرب أبو محجن من الليس ولم يرجع مع المثنى بن حارثة

(ذكر وقعة البويب)

لما بلغ عمر خبر وقعة أبي عبيد بالجسر ندب الناس الى المثنى وكان فيمن ندب بجيلة وامرهم الى جرير بن عبد الله لانه كان قد جمعهم من القبائل وكانوا متفرقين فيها فسأل النبي صلى الله عليه وسلم ان يجمعهم فوعده ذلك فلما ولي أبو بكر تقاضاه بما وعده النبي صلى الله عليه وسلم فلم يفعل فلما ولي عمر طلب منه ذلك فكتب الى عماله انه من كان ينسب الى بجيلة في الجاهلية وثبت عليه في الاسلام فاخرجوه الى جرير ففعلوا ذلك فلما اجتمعوا أمرهم عمر بالعراق وأبوا الا الشام فعزم عمر على العراق ونفلهم ربع الخمس فاجابوا وسيرهم الى المثنى بن حارثة وبعث عصمة بن عبد الله الضبي فيمن تبعه الى المثنى وكتب الى أهل الردة فلم يأته أحد الا رمى به المثنى وبعث المثنى الرسل فيمن يليه من العرب فتوافوا اليه في جمع عظيم وكان فيمن جاءه أنس بن هلال النمري في جمع عظيم من النمر نصارى وقالوا نقاتل مع قومنا وبلغ الخبر رستم والفيرزان فبعثا مهران الهمذاني الى الحيرة فسمع المثنى ذلك وهو بين القادسية وخفان فاستبطن فرات بادقلى وكتب الى جرير وعصمة وكل من أتاه مددا يعلمهم الخبر ويأمرهم بقصد البويب فهو الموعد فانتهوا الى المثنى وهو بالبويب ومهران بازائه من وراء الفرات فاجتمع المسلمون بالبويب مما يلي الكوفة اليوم وأرسل مهران الى المثنى يقول اما ان تعبر الينا واما أن نعبر اليك فقال المثنى اعبروا فعبر مهران فنزل على شاطئ الفرات وعبى المثنى أصحابه وكان في رمضان فامرهم بالافطار ليقووا على عدوهم فافطروا وكان على مجنبتي المثنى بشير بن الخصاصية وبسر بن أبي رهم وعلى مجردته المعنى أخوه وعلى الرجل مسعود أخوه وعلى الردء مذعور وكان على مجنبتي مهران بن الازاذبه مرزبان الحيرة ومردانشاه وأقبل الفرس في ثلاثة صفوف مع كل صف فيل ورجلهم أمام فيلهم ولهم زجل فقال المثنى للمسلمين ان الذي تسمعون فشل فالزموا الصمت ودنوا من المسلمين وطاف المثنى في صفوفه يعهد اليهم وهو على فرسه الشموس وانما سمي بذلك للينه وكان لا يركبه الا اذا قاتل فوقف على الرايات يحرضهم ويهزهم ولكلهم يقول اني لارجو ان لا يؤتى الناس من قبلكم اليوم والله ما يسرني اليوم لنفسي شئ الا وهو يسرني

الجاشنكير الى ان أقروا بما قدموا عليه فقطعت أيديهم وأرجلهم وعلقت في رقابهم وسمروا على جمال واشهروا بمصر والقاهرة وفي عام أربعة وتسعين وستمائة تجمع من مماليك الاشرف ما ينيف عن ثلثمائة نفر وفتحوا سوق باب السعادة فمسكوا اصباحا وقطعت أيديهم وأرجلهم وصلبوا على باب زويلة ثم ان الامراء والجند استصغروا سن السلطان وطمع الامير كتبغا في المملكة فخلع الناصر في حادي عشر المحرم منها وكانت مدة ولايته احد عشر شهرا واياما وتولى بعده العاشر من ملوك الترك *(الملك العادل كتبغا المنصوري) تولى السلطنة في يوم خلع الناصر وكان أسمر اللون مغليا قصيرا في ذقنه شعرات قليلات قصير العنق جدا موصوفا بالشجاعة والدين وسلامة الباطن لكن يفوته الحزم والرأي *(وفي أيامه)* حدث غلاء عظيم لجدب الارض حتى بلغ القمح كل أردب مائة وخمسين درهما وبلغ أردب الشعير مائة درهم وأكلت الناس الميتة والقطاط ووصل في الشام الاردب الى ما ينيف عن ألف درهم وصارت الناس في شدة الله بها عليم ثم سافر السلطان الى الشام وعاد فوصل الى وادي قمحة ثم ركب عليه لاجين وقيل تجاص العادلي وبكتوت الازرق وكانا

لما أمكنكم فيصيبونه بمثل ذلك وأنصفهم من نفسه فى القول والفعل وخلط الناس فى المحبوب والمكروه فلم يقدر أحد أن يعيب له قولا ولا فعلا وقال انى مكبر ثلاثا فتهيؤا ثم احملوا فى الرابعة فلما كبر أول تكبيرة أعجلتهم فارس وخالطوهم وركدت خيلهم وحربهم مليا فرأى المثنى خللا فى بعض الصفوف فأرسل اليهم رجلا وقال ان الامير يقرأ عليكم السلام ويقول لا تفضحوا المسلمين اليوم فقالوا نعم واعتدلوا فضحك فرحا فلما طال القتال واشتد قال المثنى لانس بن هلال النمرى انك امرؤ عربى وان لم تكن على ديننا فاذا حملت على مهران فاحمل معى فأجابه فحمل المثنى على مهران فأزاله حتى دخل فى ميمنته ثم خالطوهم واجتمع القلبان وارتفع الغبار والمجنبات تقتتل لا يستطيعون ان يفرغوا لنصر أميرهم لا المسلمون ولا المشركون وارتث مسعود أخو المثنى يومئذ وجماعة من اعيان المسلمين فلما أصيب مسعود تضعضع من معه فقال يا معشر بكر ارفعوا رايتكم رفعكم الله ولا يهولنكم مصرعى وكان المثنى قال لهم اذا رأيتمونا أصبنا فلا تدعوا ما أنتم فيه الزموا مصافكم وأغنوا عمن يليكم وأوجع قلب المسلمين فى قلب المشركين وقتل غلام نصرانى من تغلب مهران واستوى على فرسه فجعل المثنى سلبه لصاحب خيله وكان التغلبى قد جلب خيلا هو وجماعة من تغلب فلما رأوا القتال قاتلوا مع العرب قال وأفنى المثنى قلب المشركين والمجنبات بعضها يقاتل بعضا فلما رأوه قد أزال القلب وأفنى أهله وثب مجنبات المسلمين على مجنبات المشركين وجعلوا يردون الاعاجم على أدبارهم وجعل المثنى والمسلمون فى القلب يدعون لهم بالنصر ويرسل اليهم من يذمرهم ويقول لهم عاداتكم فى أمثالهم انصروا الله ينصركم حتى هزموا الفرس وسبقهم المثنى الى الجسر وأخذ طريق الاعاجم فافترقوا مصعدين ومنحدرين وأخذتهم خيول المسلمين حتى قتلوهم وجعلوهم جثثا فما كانت بين المسلمين والفرس وقعة أبقى رمة منها بقيت عظام القتلى دهرا طويلا وكانوا يحزرون القتلى مائة ألف وسمى ذلك اليوم الاعشار أحصى مائة رجل قتل كل رجل منهم عشرة وكان عروة بن زيد الخيل من أصحاب التسعة وغالب الكنانى وعرفجة الازدى من أصحاب التسعة وقتل المشركون فيما بين السكون اليوم وضفة الفرات وتبعهم المسلمون الى الليل ومن الغد الى الليل وندم المثنى على أخذه بالجسر وقال عجزت عجزة وقى الله شرها بمسابقتى اياهم الى الجسر حتى أحرجتهم فلا تعودوا ايها الناس الى مثلها فانها كانت زلة فلا ينبغى احراج من لا يقوى على امتناع ومات اناس من الجرحى منهم مسعود أخو المثنى وخالد بن هلال فصلى عليهم المثنى وقال والله انه ليهون وجدى أن صبروا وشهدوا البويب ولم ينكلوا وكان قد أصاب المسلمون غنما ودقيقا وبقرا فبعثوا به الى عيال من قدم من المدينة وهم بالقوادس وأرسل المثنى الخيل فى طلب العجم فبلغوا السيب وغنموا من البقر والسبى وسائر الغنائم شيأ كثيرا فقسمه فيهم ونفل أهل البلاء وأعطى بجيلة ربع الخمس وأرسل الذين تبعوا المنهزمين الى المثنى يعرفونه سلامتهم وانه لا مانع دون القوم ويستأذنونه فى الاقدام فأذن لهم فأغاروا حتى بلغوا ساباط وتحصن أهله منهم واستباحوا القرى ثم مخروا السواد فيما بينهم وبين دجلة لا يخافون كيدا ولا يلقون مانعا ورجعت مسالح العجم اليهم وسرهم ان يتركوا ما وراء دجلة (بسر بن ابى رهم بضم الباء الموحدة وسكون السين المهملة)

صاحب العادل كتبغا الملك مع كتبغا فانه ركب فرس النوبة وساق الى دمشق ومعه خمسة انفس فاقام بها خمسة عشر يوما واما لاجين فاستولى على الخزائن وساق الجنين ودخل تحت العصائب وعاد الى القاهرة فتسلطن وأذعن له كتبغا فرسم له بنيابة صرخد وامرة عشرة ثم انعم عليه بنيابة حماه فاقام بها الى ان مات ثم حمل الى دمشق ودفن بجبل قاسيون ثم تسلطن السلطان الحادى عشر من ملوك الترك •(الملك المنصور لاجين المنصورى)• ولى الملك فى صفر عام ستة وتسعين وستمائة وكان طويلا أشقر أزرق العين شجاعا مهابا دينا كريما قليلا متفعلا الى الخير حسن الرأى عمر جامع ابن طولون وفى ليلة الحادى عشر من ربيع الآخر سنة سبع وتسعين وستمائة لعب السلطان بالشطرنج وعنده قاضى القضاة حسام الدين الحنفى فدخل عليه بعض الامراء وقال للسلطان ما تصلى فقال نعم ثم قام ليصلى فضربه على كتفه وضرب الآخر على رجليه فقطعهما ثم انقلب قتيلا فصاح القاضى فلم يجب وتركوه عنده فى تلك الليلة وغلقوا عليهما الباب الى باكر النهار فلما أصبح اجتمع الامراء واتفقوا على احضار الملك الناصر من الكرك فاحضروه بعد ان استمرت الملك خاليا من السلطنة احدى وأربعين يوما فحضر الملك الناصر (ذكر

محمد المرة الثانية فسلك امراءه وأفرج عن امراء وتصرف فى المملكة باتم رأى واحسن تدبيرهم وردت الاخبار عليه
بمجئ التتار الى البلاد
الشامية فسافر السلطان
اليهم والتقى معهم بوادى
الخزندار بالقرب من سلمية
فقويت التتار وانهزم جيش
المسلمين وهرب السلطان
وطائفة معه الى بعلبك
ودخل التتار الى دمشق كما
تقدم ذكره ثم حضر السلطان
الى الديار المصرية وفتح
الخزائن وأنفق الاموال فى
العساكر ورجع الى التتار
فوصل الى دمشق فى مستهل
رمضان عام اثنين وسبعمائة
فوجد التتار على الكسوة
فالتقى معهم وحمل المسلمون
عليهم فانكسروا وابعد ان
استشهد من الامراء
والمماليك الف نفس وولوا
هاربين وعاد السلطان الى
مصر مؤيدا منصورا فاقام
يدبر المملكة الى عام ثمانية
وسبعمائة فتجهز للحج وخرج
جماعة من خواصه يودعونه
فلما وصل الى العقبة خرج
من الوطاق ليتصيد فتوجه
الى نحو الكرك وأمر نائب
الكرك ان ياخذ الوطاق
والمال ويعود الى القاهرة
بهما وأرسل يقول لجماعة
الامراء انى قد قنعت
بالكرك فاطلبوا لكم ملكا
تختارونه فحضر الكتاب
وقرئ عليهم بدار النيابة
بقلعة الجبل وكانت مدة سلطنته الثانية عشر سنين واشهرا واتفق الامراء على تولية السلطان الثانى عشر من ملوك الترك

(ذكر خبر الخنافس وسوق بغداد)

ثم خلف المثنى بالحيرة بشير بن الخصاصية وسار يمخر السواد وأرسل الى ميسان ودست ميسان وأذكى المسالح ونزل الليس قرية من قرى الانبار وهذه الغزوة تدعى غزوة الانبار الآخرة وغزوة الليس الآخرة وجاء الى المثنى رجلان احدهما أنبارى فدله على سوق الخنافس والثانى حيرى دله على بغداد فقال المثنى أيتهما قبل صاحبتها فقالا بينهما مسيرة أيام قال أيهما اعجل قالا سوق الخنافس يجتمع بها تجار مدائن كسرى والسواد وربيعة وقضاعة يخفرونهم فركب المثنى وأغار على الخنافس يوم سوقها وبها خيلان من ربيعة وقضاعة وعلى قضاعة رومانس بن وبرة وعلى ربيعة السليل بن قيس وهم الخفراء فانتهب السوق ومافيها وسلب الخفراء ثم رجع فاتى الانبار فتحصن أهلها منه فلما عرفوه نزلوا اليه وأتوه بالاعلاف والزاد وأخذ منهم الادلاء على سوق بغداد وأظهر لدهقان الانبار أنه يريد المدائن وسار منها الى بغداد ليلا وعبر اليهم وصبحهم فى اسواقهم فوضع السيف فيهم وأخذ ماشاء وقال المثنى لا تأخذوا الا الذهب والفضة والحر من كل شئ ثم عاد راجعا حتى نزل بنهر السالحين بالانبار فسمع أصحابه يقولون ما اسرع القوم فى طلبنا فخطبهم وقال احمدوا الله وسلوه العافية وتناجوا بالبر والتقوى ولا تتناجوا بالاثم والعدوان انظروا فى الامور وقدروها ثم تكلموا انه لم يبلغ النذير مدينتهم بعد ولو بلغهم لحال الرعب بينهم وبين طلبكم ان للغارات روعات تضعف القلوب يوما الى الليل ولو طلبكم المحامون من رأى العين ما ادركوكم وأنتم على الفرات حتى تنتهوا الى عسكركم ولو ادركوكم لقاتلتهم التماس الاجر ورجاء النصر فثقوا بالله واحسنوا به الظن فقد نصركم فى مواطن كثيرة ثم سار بهم الى الانبار وكان من خلفه من المسلمين يمخرون السواد ويشنون الغارات ما بين اسفل كسكر واسفل الفرات وجسوا مثقبا الى عين التمر وفى أرض الفلاليج والمثنى بالانبار ولما رجع المثنى من بغداد الى الانبار بعث المضارب العجلى فى جمع الى الكباث وعليه فارس العناب التغلبى ثم لحقهم المثنى فسار معهم فوجدوا الكباث قد سار من كان به عنه ومعهم فارس العناب فسار المسلمون خلفه فلحقوه وقد رحل من الكباث فقتلوا فى أخريات أصحابه وأكثروا القتل فلما رجعوا الى الانبار سرح فرات بن حيان التغلبى وعتيبة بن النهاس وأمرهما بالغارة على احياء من تغلب بصفين ثم اتبعهما المثنى واستخلف على الناس عمرو بن أبى سلمى الهجيمى فلما دنوا من صفين فر من بها وعبروا الفرات الى الجزيرة وفنى الزاد الذى مع المثنى وأصحابه فأكلوا رواحلهم الا ما لابد منه حتى جلودها ثم أدركوا عيرا من أهل دبا وحوران فقتلوا من بها وأخذوا ثلاثة نفر من تغلب كانوا خفراء وأخذوا العير فقالوا لهم دلونا فقال أحدهم امنونى على اهلى ومالى وادلكم على حى من تغلب فامنه المثنى وسار معهم يومه فهجم العشى على القوم والنعم صادرة عن الماء وأصحابها جلوس بأفنية البيوت فقتل المقاتلة وسبى الذرية واستاق الاموال وكان التغلبيون بنى ذى الرويحلة فاشترى من كان مع المثنى من ربيعة السبايا بنصيبه من الفئ واعتقوهم وكانت ربيعة لاتسابى اذ العرب يتسابون فى جاهليتهم وأخبر المثنى ان جمهور من سلك البلاد قد انتجع شاطئ دجلة فخرج المثنى وعلى مجنبتيه النعمان بن عوف ومطر الشيبانيان وعلى

مقدمته حذيفة بن محصن الغلفاني فأغار وأتى طلبهم فأدركوهم بتكريت فأصابوا ما شاؤوا من النعم وعاد الى الانبار ومضى عتيبة وفرات ومن معهما حتى أغاروا على صفين وبها النمر وتغلب متساندين فأغاروا عليهم حتى رموا طائفة منهم في الماء فجعلوا ينادونهم الغرق الغرق وجعل عتيبة وفرات يذمران الناس وينادونهم تغريق بتحريق يذكرانهم يوما من أيام الجاهلية احرقوا فيه قوما من بكر بن وائل في غيضة من الغياض ثم رجعوا الى المثنى وقد غرقوهم وقد بلغ الخبر عمر فبعث الى عتيبة وفرات فاستدعاهما فسألهما عن قولهما فأخبراه انهما لم يفعلا ذلك على وجه طلب ذحل انما هو مثل فاستحلفهما وردهما الى المثنى (عتيبة بن النهاس بالتاء المثناة من فوقها والياء المثناة من تحتها والباء الموحدة)

•(ذكر الخبر عن الذي هيج أمر القادسية وملك يزدجرد)•

لما رأى أهل فارس ما يفعل المسلمون بالسواد قالوا لرستم والفيرزان وهما على أهل فارس لم يبرح بكما الاختلاف حتى وهنتما أهل فارس واطمعتما فيهم عدوهم ولم يبلغ من أمركما ان نقركما على هذا الرأي وان تعرضاها للهلكة ما بعد بغداذ وساباط وتكريت الا المدائن والله لتجتمعان أو لنبدأن بكما ثم نهلك وقد اشتفينا منكما فقال الفيرزان ورستم لبوران ابنة كسرى اكتبي لنا نساء كسرى وسراريه ونساء آل كسرى وسراريهم ففعلت فاحضروهن جميعهن وأخذوهن بالعذاب يستدلونهن على ذكر من أبناء كسرى فلم يوجد عندواحدة منهن أحد وقال بعضهن لم يبق الا غلام يدعى يزدجرد من ولد شهريار بن كسرى وأمه من أهل بادوريا فارسلوا اليها وطلبوه منها وكانت قد أنزلته أيام شيرى حين جمعهن فقتل الذكور وأرسلته الى أخواله فلما سألوها عنه دلتهم عليه فجاؤا به فملكوه وهو ابن احدى وعشرين سنة واجتمعوا عليه فاطمأنت فارس واستوثقوا وتبارى المرازبة في طاعته ومعونته فسمى الجنود لكل مسلحة وثغر فسمى جند الحيرة والابلة والانبار وغير ذلك وبلغ ذلك من امرهم المثنى والمسلمين فكتبوا الى عمر بن الخطاب بما ينتظرون من أهل السواد فلم يصل الكتاب الى عمر حتى كفر أهل السواد من كان له عهد ومن لم يكن له عهد فخرج المثنى حتى نزل بذي قار ونزل الناس بالطف في عسكر واحد ولما وصل كتاب المثنى الى عمر قال والله لاضربن ملوك العجم بملوك العرب فلم يدع رئيسا ولا ذا رأي وذا شرف وبسطة ولا خطيبا ولا شاعرا الا رماهم به فرماهم بوجوه الناس وغررهم وكتب عمر الى المثنى ومن معه يأمرهم بالخروج من بين العجم والتفرق في المياه التي تلي العجم وأن لايدعوا في ربيعة ومضر وحلفائهم أحدا من أهل النجدات ولا فارسا الا أحضروه اما طوعا أو كرها ونزل الناس بالجل وشراف الى غضى وهو جبل البصرة وبسلمان بعضهم ينظر الى بعض ويغيث بعضهم بعضا وذلك في ذي القعدة سنة ثلاث عشرة وأرسل عمر في ذي الحجة من السنة مخرجه الى الحج الى عماله على العرب ان لايدعوا من له نجدة أو فرس أو سلاح أو رأي الا وجهوه اليه فاما من كان على النصف ما بين المدينة والعراق فجاء اليه بالمدينة لما عاد من الحج وأما من كان أقرب الى العراق فانضم الى المثنى بن حارثة وجاءت امداد العرب الى عمر وحج في هذه السنة عمر بن الخطاب بالناس وحج سنيه كلها وكان عامل عمر على مكة هذه السنة عتاب بن أسيد فيما قال بعضهم وعلى الطائف عثمان بن أبي العاص وعلى اليمن

•(الملك المظفر بيبرس الجاشنكير)• تولى السلطنة ثالث عشر شوال منها وكتب تقليدا للملك الناصر محمد بنيابة الكرك وجهزه اليه فأقام في نيابة الكرك الى سنة تسع وسبعمائة فخرج جماعة من الامراء والمماليك وتوجهوا الى الملك الناصر فتلقاهم بالرحب وأكرمهم فتداخلوا عليه في التوجه الى الشام فأجابهم وتوجه بهم الى دمشق فتلقاه العسكر الشامي وزينت دمشق ودعي له على المنابر واجتمعت عليه الثواب فحضر بهم الى الديار المصرية فتلقاه الامراء الى غزة وأخبروه ان بيبرس نزل عن الملك وأخذ ما أمكنه من الاموال وتوجه الى الصعيد وان الحرافيش رجمته فنثر عليهم اكياس الذهب فاشتغلوا بها وهرب فوصل الى اخميم ومعه ثمانمائة مملوك وترددت الاخبار بينه وبين بيبرس فانعم عليه بصهيون فتوجه اليها من البرية فجهز له الناصر جماعة للقبض عليه فمسكوه وكان آخر العهد به وكانت مدة سلطنته احد عشر شهرا وتولى المملكة السلطان السابق من ملوك الترك •(الملك الناصر محمد بن قلاوون)• المرة الثالثة الى الديار المصرية وكان ملكا عظيما مهابا دينا كريما أطاعته العباد ودانت له البلاد وكان ذا عسكر عظيم ومماليك كثيرة وكان دخوله الى الديار المصرية في مستهل

يعلى بن منية وعلى عمان واليمامة حذيفة بن محصن وعلى البحرين العلاء بن الحضرمى وعلى الشام ابوعبيدة بن الجراح وعلى فرج الكوفة ومافتح من أرضها المثنى بن حارثة وكان على القضاء فيما ذكر على بن أبى طالب وفى هذه السنة مات ابو كبشة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل بعد ذلك وفى خلافة ابى بكر مات سهل بن عمرو أخو سهيل وهو من مسلمة الفتح وفى خلافته مات الصعب بن جثامة الليثى وفى أول خلافته مات ابنه عبد الله بن ابى بكر وكان قد جرح فى حصار الطائف ثم انتقض عليه جرحه فمات وفى هذه السنة توفى الارقم بن أبى الارقم يوم مات ابو بكر وهو الذى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخفيا بداره بمكة أول ما ارسل

(ثم دخلت سنة اربع عشرة)

(ذكر ابتداء امر القادسية)

لما اجتمع الناس الى عمر خرج من المدينة حتى نزل على ماء يدعى ضرارا فعسكر به ولايدرى الناس ما يريد أيسير ام يقيم وكانوا اذا أرادوا ان يسألوه عن شئ رموه بعثمان او بعبد الرحمن بن عوف فان لم يقدر هذان على علم شئ مما يريد ثلثوا بالعباس بن عبد المطلب فسأله عثمان عن سبب حركته فاحضر الناس فأعلمهم الخبر واستشارهم فى المسير الى العراق فقال العامة سر وسر بنا معك فدخل معهم فى رأيهم وقال اغدوا واستعدوا فانى سائر الا ان يجئ رأى هو امثل من هذا ثم جمع وجوه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وارسل الى على وكان استخلفه على المدينة فأتاه والى طلحة وكان على المقدمة فرجع اليه والى الزبير وعبد الرحمن وكانا على المجنبتين فحضرا ثم استشارهم فاجتمعوا على ان يبعث رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرميه بالجنود فان كان الذى يشتهى فهو الفتح والا اعاد رجلا وبعث آخر ففى ذلك غيظ العدو فجمع عمر الناس وقال لهم انى كنت عزمت على المسير حتى صرفنى ذوو الرأى منكم وقد رأيت ان اقيم وابعث رجلا فاشيروا على برجل وكان سعد بن ابى وقاص على صدقات هوازن فكتب اليه عمر بانتخاب ذوى الرأى والنجدة والسلاح فجاءه كتاب سعد وعمر يستشير الناس فيمن يبعثه يقول قد انتخبت لك ألف فارس كلهم له نجدة ورأى وصاحب حيطة يحوط حريم قومه اليهم انتهت أحسابهم ورأيهم فلما وصل كتابه قالوا لعمر قد وجدته قال من هو قالوا الاسد عاديا سعد بن مالك فانتهى الى قولهم وأحضره وأمره على حرب العراق ووصاه وقال لايغرنك من الله أن قيل خال رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الله لايمحو السئ بالسئ ولكنه يمحو السئ بالحسن وليس بين الله وبين أحد نسب الا طاعته فالناس فى ذات الله سواء الله ربهم وهم عباده يتفاضلون بالعافية ويذكرون ما عنده بالطاعة فانظر الامر الذى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلزمه فالزمه ووصاه بالصبر وسرحه فيمن اجتمع اليه من نفر المسلمين وهم اربعة آلاف فيهم حميضة بن النعمان بن حميضة على بارق وعمرو بن معديكرب وأبو سبرة بن ذؤيب على مذحج ويزيد بن الحرث الصدائى على صداء وحبيب ومسلية وبشر بن عبد الله الهلالى فى قيس عيلان وخرج اليهم عمر فمر بفتية من السكون مع حصين بن نمير ومعاوية بن حديج دلم سباط فاعرض عنهم فقيل له مالك وهؤلاء فقال

شوال عام تسعة وسبعمائة وعمر عمائر ما فاربه ملك فيما منها انه عمر القصر الابلق بقلعة الجبل وأجرى الماء من النيل الى قلعة الجبل وعمر الجامع الجديد بمصر والسواقى وعمر المدرسة بين القصرين وقناطر فى أماكن متعددة وأبطل غالب المكوس والرسومات وحج مرة ثانية فابطل مكوس مكة والمدينة وأقطع أمير يهما اقطاعات كثيرة بمصر والشام وهى بايديهم الى الآن *(وفى ايامه)* بيع القمح كل أردب بخمسة دراهم والشعير بثلاثة دراهم وحج مرة ثالثة وفعل فيها من الخيرات مالايحصر وسالمته الايام وهابته ملوك الدنيا شرقا وغربا وهادته وأذعنت له توفى رحمه الله فى سنة احدى وأربعين وسبعمائة وعمره سبع وخمسون سنة وكانت مدة سلطنته خاصة خمسا وأربعين سنة وشهرا ونصفا وخلف أربعة عشر ذكرا وعدة بنات ودفن بمدرسة الناصرية بين القصرين بمصر ثم تولى السلطنة من أولاده ولده السلطان الثالث عشر من ملوك الترك *(الملك المنصور ابو بكر بن الناصر محمد ابن قلاوون)* ولى الملك صبيحة وفاة والده وحلف له اركان الدولة وأقام مدة يسيرة ثم وقع بينه وبين الامير قوصون فخلعه وأرسل الى قوص وكان آخر العهد به وكانت مدة مملكته شهرين ثم تولى بعده أخوه السلطان الرابع عشر من

ما مر بى قوم من العرب أكره الى منهم ثم أمضاهم فكانت بعد يذكرهم بالكراهة فكان منهم سودان بن حمران قتل عثمان وابن ملجم قتل عليا ومعاوية بن حديج يجرد السيف فى المسلمين يظاهر الاخذ بثار عثمان وحصين بن نمير كان أشد الناس فى قتال على ثم ان عمر أخذ بوصيتهم وبعثهم ثم سيرهم وأمد عمر سعدا بعد ذلك وجه بالفى يمانى وألفى نجدى وكان المثنى بن حارثة فى ثمانية آلاف وسار سعد والمثنى ينتظر قدومه فمات المثنى قبل قدوم سعد من جراحة انتقضت عليه واستخلف على الناس بشير بن الخصاصية وسعد يومئذ بزرود وقد اجتمع معه ثمانية آلاف وأمر عمر بنى أسد ان ينزلوا على حد أرضهم بين الحزن والبسيطة فنزلوا فى ثلاثة آلاف وسار سعد الى شراف فنزلها ولحقه بها الاشعث بن قيس فى ألف وسبعمائة من أهل اليمن فكان جميع من شهد القادسية بضعة وثلاثين ألفا وجميع من قسم عليه فيئها نحو من ثلاثين ألفا ولم يكن أحد أجرأ على أهل فارس من ربيعة فكان المسلمون يسمونهم ربيعة الاسد الى ربيعة الفرس ولم يدع عمر ذا رأى ولا شرف ولا خطيبا ولا شاعرا ولا وجيها من وجوه الناس الا سيره الى سعد وجمع سعد من كان بالعراق من المسلمين من عسكر المثنى فاجتمعوا بشراف فعباهم وأمر الامراء وعرف على كل عشرة عريفا وجعل على الرايات رجالا من أهل السابقة وولى الحروب رجالا على ساقتها ومقدمتها ورجلها وطلائعها ومجنباتها ولم يفصل الا بكتاب عمر فجعل على المقدمة زهرة بن عبد الله بن قتادة بن الحوية فانتهى الى العذيب وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل على الميمنة عبد الله بن المعتم وكان من الصحابة أيضا واستعمل على الميسرة شرحبيل بن السمط الكندى وجعل خليفته خالد بن عرفطة حليف بنى عبد شمس وجعل عاصم بن عمرو التميمى على الساقة وسواد بن مالك التميمى على الطلائع وسلمان بن ربيعة الباهلى على المجردة وعلى الرجالة حمال بن مالك الاسدى وعلى الركبان عبد الله بن ذى السهمين الحنفى وجعل عمر على القضاء بينهم عبد الرحمن بن ربيعة الباهلى وعلى قسمة الفىء أيضا وجعل رائدهم وداعيتهم سلمان الفارسى والكاتب زياد ابن أبيه وقدم المعنى بن حارثة الشيبانى وسلمى بنت خصفة زوج المثنى بشراف وكان المعنى بعد موت أخيه قد سار الى قابوس ابن قابوس بن المنذر بالقادسية وكان قد بعثه اليها الفرس يستنفر العرب فسار اليه المعنى فقتله فاتاه ومن معه ورجع الى ذى قار وسار الى سعد يعلمه برأى المثنى له وللمسلمين يأمرهم أن يقاتلوا الفرس على حدود أرضهم على أدنى حجر من أرض العرب ولا يقاتلوهم بعقر دارهم فان يظهر الله المسلمين فلهم ما وراءهم وان كانت الاخرى رجعوا الى فئة ثم يكونوا أعلم بسبيلهم وأجرأ على أرضهم الى ان يرد الله الكرة عليهم فترحم سعد ومن معه على المثنى وجعل المعنى على عمله وأوصى بأهل بيته خيرا ثم تزوج سعد سلمى زوج المثنى وكان معه تسعة وتسعون بدريا وثلثمائة وبضعة عشر ممن كانت له صحبة فيما بين بيعة الرضوان الى ما فوق ذلك وثلثمائة ممن شهد الفتح وسبعمائة من أبناء الصحابة وقدم على سعد كتاب عمر بمثل رأى المثنى وكتب عمر أيضا الى أبى عبيدة ليصرف أهل العراق ومن اختار ان يلحق بهم الى العراق وكان للفرس رابطة بقصر ابن مقاتل عليها النعمان بن قبيصة الطائى وهو ابن عم قبيصة بن اياس صاحب الحيرة فلما سمع بمجىء سعد سأل عنه وعنده عبد الله بن سنان بن خزيم الاسدى فقيل رجل من قريش فقال والله

صفر سنة اثنتين واربعين وسبعمائة وكان عمره سبع سنين وأقام مدة يسيرة ثم وصل الخبر من الشام بان طاشتمر نائب حلب والفخرى نائب الشام مع أهلها اتفقوا وأمروا جميعهم واختاروا أن يكون سلطانهم الناصر احمد بن الناصر محمد ثم بعد ذلك أمسك ايدغمش ثلاثين أميرا وخلع الاشرف من السلطنة فكانت مدة مملكته خمسة أشهر ثم خطبوا للناصر أحمد وهو بالكرك وارسلوا له بذلك خضر وحضرت العساكر الشامية صحبته الى الديار المصرية وطلع الى القلعة فى موكب عظيم وهو السلطان الخامس عشر من ملوك الترك * (الملك الناصر شهاب الدين احمد بن الناصر محمد ابن قلاوون) * جلس على سرير الملك فى عاشر شوال سنة اثنتين واربعين وسبعمائة فأقام فى المملكة بعض ايام ومسك جملة من الامراء وسجنهم ثم توجه الى الشام فى ذى الحجة وأخذ معه طشتمر والفخرى وايدغمش مقيدين وتوجه الى الكرك فأقام به وقتل طشتمر والفخرى ثم ان الامراء اتفقوا على سلطنة أخيه اسمعيل فأخرجوه وسلطنوه ثم جردوا نحو ألفى فارس وجعلوا عليهم عسكر الشام وحاصروا الكرك

لاعاذبه القتال فان قريشا عبيد من غلب والله لايخرجون من بلادهم الا بخفين فغضب عبد الله بن سنان من قوله وامهله حتى دخل قبته فقتله ولحق بسعد وأسلم وسار سعد من شراف فنزل العذيب ثم سار حتى نزل القادسية بين العتيق والخندق بحيال القنطرة وقديس أسفل منها بميل وكتب عمر الى سعد انى ألقى فى روعى انكم اذا لقيتم العدو هزمتموهم فنفى لاعب أحد منكم أحدا من العجم بامان او باشارة او بلسان كان عندهم امانا فاجروا له ذلك مجرى الامان والوفاء فان الخطأ بالوفاء بقية وان الخطأ بالغدر هلكة وفيها وهنكم وقوة عدوكم فلما نزل زهرة فى المقدمة وأمسى بعث سرية فى ثلاثين معروفين بالنجدة وأمرهم بالغارة على الحيرة فلما جازوا السيلحين سمعوا جلبة فكثوا حتى حاذوهم واذا أخت آزادمرد بن آزادبه مرزبان الحيرة تزف الى صاحب الصنين وهو من اشراف العجم فحمل بكير بن عبد الله الليثى أمير السرية على شيرزاد بن آزادبه فدق صلبه وطارت الخيل على وجوهها وأخذوا الاثقال وابنة آزادبه فى ثلاثين امرأة من الدهاقين ومائة من التوابع ومعهم مالا يدرى قيمته فاستاق ذلك ورجع فصبح سعدا بعذيب الهجانات فقسم ذلك على المسلمين وترك الحريم بالعذيب ومعها خيل تحوطها وأمر عليهم غالب بن عبد الله الليثى ونزل سعد القادسية وأقام بها اشهرا لم يأته من الفرس أحد فارسل سعد عاصم بن عمرو الى ميسان فطلب غنما وبقرا فلم يقدر عليها وتحصن منه من هنالك فأصاب عاصم رجلا بجانب أجمة فسأله عن البقر والغنم فقال ما أعلم فصاح ثور من الاجمة كذب عدو الله ها نحن فدخل فاستاق البقر فأتى بها العسكر فقسمه سعد على الناس فاخصبوا اياما فبلغ ذلك الحجاج فى زمانه فأرسل الى جماعة فسألهم فشهدوا انهم سمعوا ذلك وشاهدوه فقال كذبتم قالوا ذلك ان كنت شهدتها وغبنا عنها فقال صدقتم فما كان الناس يقولون فى ذلك قالوا انه يستدل بها على رضا الله وفتح عدونا فقال ما يكون هذا الا والجمع أبرار أتقياء قالوا ما ندرى ما اجنت قلوبهم فاما ما رأينا فما رأينا قط ازهد فى دنياهم ولا أشد بغضا لها ليس فيهم جبان ولا عار ولا غدار وذلك يوم الاباقر وبث سعد الغارات والنهب بين كسكر والانبار فحووا من الاطعمة ما استكفوا به زمانا وكان بين نزول خالد بن الوليد العراق وبين نزول سعد القادسية والفراغ منها سنتان وشئ وكان مقام سعد بالقادسية شهرين وشيأ حتى ظفر فاستغاث أهل السواد الى يزدجرد واعلموه ان العرب قد نزلوا القادسية ولا يبقى على فعلهم شئ وقد أخربوا ما بينهم وبين الفرات ونهبوا الدواب والاطعمة وان أبطأ الغياث أعطيناهم بايدينا وكتب اليه بذلك الذين لهم الضياع بالطف وهيجوه على ارسال الجنود فارسل يزدجرد الى رستم فدخل عليه فقال انى اريد ان أوجهك فى هذا الوجه فانت رجل فارس اليوم وقد ترى ما حل بالفرس مما لم يأتهم مثله فاظهر له الاجابة ثم قال له دعنى فان العرب لا تزال تهاب العجم ما لم تضربهم بى ولعل الدولة أن تثبت بى اذا لم أحضر الحرب فيكون الله قد كفى ونكون قد اصبنا المكيدة والرأى فى الحرب انفع من بعض الظفر والاناة خير من العجلة وقتال جيش بعد جيش أمثل من هزيمة بمرة وأشد على عدونا فابى عليه وأعاد رستم كلامه وقال قد اضطرنى تضييع الرأى الى اعظام نفسى وتزكيتها ولو أجد من ذلك بدا لم اتكلم به فانشدك الله فى نفسك وملكك دعنى أقم بعسكرى وأسرح الجالينوس فان تكن لنا فذلك والا بعثنا غيره حتى اذا لم نجد بدا صبرنا لهم

فأقام بزا والعساكر تتبدل عليه نحوا من ثلاث سنين ثم هلك فى صفر سنة خمس واربعين فتوجه اليه ميخائيل البرسفى وقطع راسه واحضره وكانت مدة سلطنته شهرين واثنى عشر يوما ولم يكن فى اخوته مثله فانه كان أحسنهم واكرمهم وأشجعهم لكنه لم يعط سعدا ولما توفى تولى مكانه السلطان السادس عشر من ملوك الترك *(الملك الصالح عماد الدين اسمعيل بن الناصر محمد بن قلاوون)* وهو الرابع من أولاده تولى الملك فى يوم السبت ثانى عشر ذى الحجة عام ثلاثة واربعين وسبعمائة وكان خيرا دينا كريما رتب دروسا للقضاة الاربعة بمدرسة جده المنصور قلاوون بين القصرين وكان يحب العلماء ويوقرهم ويحب الشجاعة وأهلها مرض ومات فى العشرين من ربيع الاول عام ستة وأربعين وسبعمائة فكانت مدة ملكه سنتين وشهرين ثم تولى بعده أخوه السلطان السابع عشر من ملوك الترك *(الملك الكامل شعبان ابن الملك الناصر محمد)* وهو الخامس من أولاد الناصر ولى الملك فى يوم وفاة أخيه وانتظم له أمر المملكة الى عام سبعة وأربعين ثم خامر عليه الامراء وخرجوا الى قبة النصر فخرج لهم السلطان ووقع بينهم القتال فهرب السلطان وصحبته أربعة مماليك الى القلعة فدخل من باب السر

وقدوهاهم ونحن حامون فانى لا ازال من جواني اهل فارس مالم أهزم فابى الا ان يسير فخرج حتى ضرب عسكره بساباط وارسل الى الملك ليعلمه فاتى وجاءت الاخبار الى سعد بذلك فكتب الى عمر فكتب اليه عمر لا يكربنك ما يأتيك عنهم واستعن بالله وتوكل عليه وابعث اليه رجالا من أهل المناظرة والرأي والجلد يدعونه فان الله جاعل دعاءهم توهينا لهم فارسل سعد نفرا منهم النعمان بن مقرن وبسر بن أبي رهم وحملة بن جوية وحنظلة بن الربيع وفرات بن حيان وعدي بن سهيل وعطارد بن حاجب والمغيرة بن زرارة بن النباش الاسدي والاشعث بن قيس والحرث بن حسان وعاصم بن عمرو وعمرو بن معديكرب والمغيرة بن شعبة والمعنى بن حارثة الى يزدجرد دعاة فخرجوا من العسكر فقدموا على يزدجرد وطووا رستم واستأذنوا على يزدجرد فحبسوا واحضر وزراءه ورستم معهم واستشارهم فيما يصنع ويقوله لهم واجتمع الناس ينظرون اليهم وتحتهم خيول كلها صهال وعليهم البرود وبايديهم السياط فاذن لهم وأحضر الترجمان وقال له سلهم ما جاء بكم وما دعاكم الى غزونا والولوع ببلادنا أمن أجل انا تشاغلنا عنكم اجترأتم علينا فقال النعمان بن مقرن لاصحابه ان شئتم تكلمت عنكم ومن شاء آثرته فقالوا بل تكلم فقال ان الله رحمنا فارسل الينا رسولا يأمرنا بالخير وينهانا عن الشر ووعدنا على اجابته خير الدنيا والآخرة فلم يدع قبيلة الا وقارب منها فرقة وتباعد عنه بها فرقة ثم أمر أن ننبذ الى من خالفه من العرب فبدأنا بهم فدخلوا معه على وجهين مكره عليه فاغتبط وطائع فازداد فعرفنا جميعا فضل ما جاء به على الذي كنا عليه من العداوة والضيق ثم أمرنا ان ننبذ الى من يلينا من الامم فندعوهم الى الانصاف فنحن ندعوكم الى ديننا وهو دين حسن الحسن وقبح القبيح كله فان ابيتم فامر من الشر هو اهون من آخر شر منه الجزية فان أبيتم فالمناجزة فان اجبتم الى ديننا خلفنا فيكم كتاب الله واقمنا على ان تحكموا باحكامه ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم وان بذلتم الجزاء قبلنا ومنعناكم والا قاتلناكم فتكلم يزدجرد فقال انى لا اعلم في الارض امة كانت أشقى ولا اقل عددا ولا أسوأ ذات بين منكم قد كنا نوكل بكم قرى الضواحي فيكفوناكم ولا تطمعوا أن تقوموا لفارس فان كان غرر لحقكم فلا يغرنكم منا وان كان الجهد فرضنا لكم قوتا الى خصبكم وأكرمنا وجوهكم وكسوناكم وملكنا عليكم ملكا يرفق بكم فاسكت القوم فقام المغيرة بن زرارة فقال ايها الملك ان هؤلاء رؤس العرب ووجوههم وهم اشراف يستحيون من الاشراف وانما يكرم الاشراف ويعظم حقهم الاشراف وليس كل ما ارسلوا به قالوه ولا كل ما تكلمت به اجابوك عنه فجاوبني لاكون الذي ابلغك وهم يشهدون على ذلك لي فاما ما ذكرت من سوء الحال فهي على ما وصفت وأشد ثم ذكر من سوء عيش العرب وارسال الله النبي صلى الله عليه وسلم اليهم نحو قول النعمان وقتال من خالفهم او الجزية ثم قال له اختر ان شئت الجزية عن يد وانت صاغر وان شئت فالسيف أو تسلم فتنجي نفسك فقال لولا ان الرسل لا تقتل لقتلتكم لا شئ لكم عندي ثم استدعى بوقر من تراب فقال احملوه على اشرف هؤلاء ثم سوقوه حتى يخرج من باب المدائن ارجعوا الى صاحبكم فاعلموا انى مرسل اليه رستم حتى يدفنه ويدفنكم معه في خندق القادسية ثم اورده بلادكم حتى اشغلكم بانفسكم باشد مما نالكم من سابور فقام عاصم بن عمرو ليأخذ التراب وقال انا اشرفهم انا سيد هؤلاء فحمله

الى والدته غضبا ثم حضر بعض المماليك الى الدهيشة بالقلعة وكان بها الملك المظفر امير حاجي بن محمد قلاوون مصرنا فدخلوا عليه وقبلوا الارض بين يديه وحضرت اعيان الامراء وهم لابسون مقلقوا له وسلطنوه ودخلت الامراء بيت الملك وفتشوه فوجدوا الكامل بين الازيار فمسكوه وسجنوه في المكان الذي كان مسجونا فيه أمير حاجي وكان آخر العهد به ولما توفي تولى مكانه السلطان الثامن عشر من ملوك الترك وهو الملك المظفر زين الدين حاجي بن الناصر محمد بن قلاوون) * ولي الملك في يوم الاثنين مستهل جمادى الآخرة عام سبعة وأربعين وسبعمائة وكان مغرما بلعب الحمام عدل عن النوم في القصر لاجل اللعب به فنهاه الامير الجيبغا العادلي عن ذلك وخوفه من ركوب المماليك عليه بسبب ذلك فامر بذبح الحمام وأرسل الى الامير الجيبغا يعرفه عن ذبحه الحمام وقال لاذبحن خياركم منها فاغتاظ الامير الجيبغا لذلك واتفق مع الامراء فلبسوا وخرجوا الى قبة النصر ثم ركب السلطان ومماليكه وهم مخامرون عليه فاحتاطوا به ورموه عن فرسه وقتلوه في ساعة في ثالث عشر رمضان عام ثمانية واربعين وسبعمائة وكانت مدة سلطنته سنة وثلاثة ايام وفي صبيحة ذلك اليوم تسلطن السلطان التاسع عشر على

على عنقه وخرج الى راحلته فركبها واخذ التراب وقال لسعد أبشر فوالله لقد اعطانا الله أقاليد ملكهم واشتد ذلك على جلساء الملك وقال الملك لرستم وقد حضر عنده من ساباط ما كنت أرى ان فى العرب مثل هؤلاء ما أنتم بأحسن جوابا منهم ولقد صدقنى القوم لقد وعدوا أمرا ليدركنه أو ليموتن عليه على انى وجدت أفضلهم احمقهم حيث حمل التراب على رأسه فقال رستم أيها الملك انه أعقلهم وتطير الى ذلك وأبصرها دون أصحابه وخرج رستم من عند الملك غضبان كئيبا وبعث فى اثر الوفد وقال لثقته ان أدركهم الرسول تلافينا أرضنا وان أعجزوه سلبكم الله أرضكم فرجع الرسول من الحيرة بفواتهم فقال ذهب القوم بأرضكم من غير شك وكان منجما كاهنا وأغار سواد بن مالك التميمى بعد مسير الوفد الى يزدجرد على النجاف والفراض فاستاق ثلثمائة دابة من بين بغل وحمار وثور وأوقرها سمكا وصبح العسكر فقسمه سعد بين الناس وهذا يوم الحيتان وكانت السرايا تسرى لطلب اللحوم فان الطعام كان كثيرا عندهم فكانوا يسمون الايام بها يوم الاباقر ويوم الحيتان وبعث سعد سرية أخرى فاغاروا فأصابوا ابلا لبنى تغلب والنمر واستاقوها ومن فيها فنحر سعد الابل وقسمها فى الناس فاخصبوا وأغار عمرو بن الحرث على النهرين فاستاق مواشى كثيرة وعاد وسار رستم من ساباط وجمع آلة الحرب وبعث على مقدمته الجالينوس فى أربعين ألفا وخرج هو فى ستين ألفا وفى ساقته عشرون ألفا وجعل فى ميمنته الهرمزان وعلى الميسرة مهران بن بهرام الرازى وقال رستم للملك يشجعه بذلك ان فتح الله علينا توجهنا الى ملكهم فى دارهم حتى نشغلهم فى أصلهم وبلادهم الى ان يقبلوا المسالمة وكان خروج رستم من المدائن فى ستين ألف متبوع ومسيره عن ساباط فى مائة ألف وعشرين ألف متبوع وقيل غير ذلك ولما فصل رستم عن ساباط كتب الى أخيه البنذوان اما بعد فرموا حصونكم وأعدوا واستعدوا فكأنكم بالعرب قد قارعوكم عن أرضكم وابنائكم وقد كان من رأيى مدافعتهم ومطاولتهم حتى تعود سعودهم نحوسا فان السمكة قد كدرت الماء وان النعائم قد حسنت والزهرة قد حسنت واعتدل الميزان وذهب بهرام ولا أرى هؤلاء القوم الا سيظهرون علينا ويستولون على ما يلينا وان أشد ما رأيت ان الملك قال لتسيرن أو لاسيرن بنفسى ولقى جابان رستم على قنطرة ساباط وكانا منجمين فشكى اليه وقال له الا ترى ما أرى فقال له رستم اما أنا فأقاد بخشاش وزمام ولا اجد بدا من الانقياد ثم سار فنزل بكوثى فأتى برجل من العرب فقال له ما جاء بكم وماذا تطلبون فقال جئنا نطلب موعود الله بملك أرضكم وابنائكم ان أبيتم ان تسلموا قال رستم فان قتلتم قبل ذلك قال من قتل منا دخل الجنة ومن بقى منا انجزه الله ما وعده فنحن على يقين فقال رستم قد وضعنا اذن فى أيديكم فقال أعمالكم وضعتكم فأسلمكم الله بها فلا يغرنك من ترى حولك فانك لست تجاول الانس انما تجاول القدر فضرب عنقه ثم سار فنزل البرس فغصب أصحابه الناس ابناءهم وأموالهم ووقعوا على النساء وشربوا الخمور فضج أهلها الى رستم فقال يا معشر فارس والله لقد صدق العربى والله ما أسلمنا الا أعمالنا والله ان العرب مع هؤلاء وهم لهم حرب أحسن سيرة منكم ان الله كان ينصركم على العدو ويمكن لكم فى البلاد بحسن السيرة وكف الظلم والوفاء والاحسان فاذا تغيرتم فلا أرى الله الا مغيرا ما بكم وما أنا بآمن من ان ينزع الله سلطانه منكم

تسع وأربعين وسبعمائة حصل وباء عظيم فطبق الارض وأخرب البلاد وأخلى مصر الى ان بلغت الراوية من الماء عشرة دراهم فضة وظعنت فيه غالب الطيور والوحوش وبلغ الدفن فى القاهرة فى كل يوم ما يزيد عن عشرين ألف آدمى وفى سابع جمادى الآخرة خرج جماعة من الامراء الى قبة النصر وطلع الامير طاز فى القلعة راكبا ملبسا فخوف السلطان من ذلك فخلع نفسه فقبضوا عليه وسجنوه بالقلعة وكانت مدة ملكه ثلاث سنين وتسعة أشهر ثم تولى الملك بعده السلطان العشرون من ملوك الترك *(الملك الصالح صالح)* ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون ولى السلطنة فى ثامن عشر جمادى الآخرة عام اثنين وخمسين وسبعمائة وكان ذا رأى تام فوقع بينه وبين الامراء فتن فركبوا عليه فظفر بهم ووسط غالبهم *(وفى أيامه)* كثر فساد العربان فى الصعيد فجرد لهم الامير شيخو فكسرهم وأبادهم بالقتل وفيها منعت اليهود والنصارى ان يباشروا بالدواوين وان يكونون عمائمهم دون العشرة أذرع ولا يدخل أحد منهم الحمام الا بصليب فى رقبته ولا تدخل نساؤهم

وأتى بعض من يشكى منه فضرب عنقه ثم سار حتى نزل الحيرة ودعا أهلها وتهددهم وهم بهم فقال له ابن بقيلة لا تجمع علينا ان تعجز عن نصرتنا وتلومنا على الدفع عن أنفسنا ولما نزل رستم بالنجف رأى كأن ملكا نزل من السماء ومعه النبي صلى الله عليه وسلم وعمر فأخذ الملك سلاح أهل فارس فختمه ثم دفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم فدفعه النبي صلى الله عليه وسلم الى عمر فأصبح رستم حزينا وأرسل سعد السرايا ورستم بالنجف والجالينوس بين النجف والسيلحين وطافت في السواد فبعث سوادا وحميضة في مائة مائة فاغاروا على النهرين وبلغ رستم الخبر فأرسل اليهم خيلا وسمع سعد أن خيله قد وغلت فأرسل عاصم بن عمرو وجابرا الاسدى في آثارهم فلقيهم عاصم وخيل فارس تحوشهم ليخلصوا ما بأيديهم فلما رأته الفرس هربوا ورجع المسلمون بالغنائم وأرسل سعد عمرو بن معديكرب وطليحة الاسدى طليعة فسارا في عشرة فلم يسيروا الا فرسخا وبعض آخر حتى رأوا مسالحهم وسرحهم على الطفوف قد ملؤها فرجع عمرو ومن معه وأبى طليحة الا التقدم فقالوا له انت رجل في نفسك غدر ولن تفلح بعد قتل عكاشة بن محصن فارجع معنا فأبى فرجعوا الى سعد فأخبروه بقرب القوم ومضى طليحة حتى دخل عسكر رستم وبات فيه يجوسه ويتوسمهم فهتك أطناب بيت رجل عليه واقتاد فرسه ثم هتك على آخر بيته وحل فرسه ثم فعل بآخر كذلك ثم خرج يعدو به فرسه ونذر به الناس فركبوا في طلبه فأصبح وقد لحقه فارس من الجند فقتله طليحة ثم آخر فقتله ثم لحق به ثالث فرأى مصرع صاحبيه وهما ابنا عمه فازداد حنقا فلحق طليحة فكر عليه طليحة وأسره ولحقه الناس فرأوا فارسى الجند قد قتلا وأسر الثالث وقد شارف طليحة عسكره فأحجموا عنه ودخل طليحة على سعد ومعه الفارسى وأخبره الخبر فسأل الترجمان الفارسى فطلب الامان فأمنه سعد قال أخبركم عن صاحبكم هذا قبل ان أخبركم عمن قبلى باشرت الحروب منذ أنا غلام الى الآن وسمعت بالابطال ولم أسمع بمثل هذا ان رجلا قطع فرسخين الى عسكر فيه سبعون ألفا يخدم الرجل منهم الخمسة والعشرة فلم يرض ان يخرج كما دخل حتى سلب فرسان الجند وهتك عليهم البيوت فلما ادركناه قتل الاول وهو يعد بألف فارس ثم الثانى وهو نظيره ثم أدركته انا وخلفت من بعدى من يعدلنى وأنا الثائر بالقتيلين فرأيت الموت واستؤسرت ثم أخبره عن الفرس وأسلم ولزم طليحة وكان من أهل البلاء بالقادسية وسماه سعد مسلما ثم سار رستم وقدم الجالينوس وذا الحاجب فنزل الجالينوس بحيال زهرة من دون القنطرة ونزل ذو الحاجب بطيزناباذ ونزل رستم بالخرارة ثم سار رستم فنزل بالقادسية وكان بين مسيره من المدائن ووصوله القادسية أربعة أشهر لا يقدم رجاء ان يضجروا بمكانهم فينصرفوا وخاف ان يلقى ما لقى من قبله وطاولهم لولا ما جعل الملك يستعجله وينهضه وكان عمر قد كتب الى سعد يأمره بالصبر والمطاولة أيضا فأعد للمطاولة فلما وصل رستم القادسية وقف على العتيق بحيال عسكر سعد ونزل الناس فما زالوا يتلاحقون حتى اعتموا من كثرتهم والمسلمون ممسكون عنهم وكان مع رستم ثلاثة وثلاثون فيلا منها فيل سابور الابيض وكانت الفيلة تألفه فجعل فى القلب ثمانية عشر فيلا وفى المجنبتين خمسة عشر فيلا فلما أصبح رستم من تلك الليلة ركب وسار من العتيق نحو خفان حتى اتى على منقطع عسكر المسلمين ثم صعد حتى انتهى الى القنطرة فتأمل المسلمين ووقف على موضع

ثم لنساء المسلمين وان تكون أزر النصارى زرقاء واليهود صفراء وان يلبس الالف لونين كل فردة من لون ثم ان الامراء قصدوا اعادة الناصر حسن فاتفق غالب الامراء ودخلوا على الصالح فخلعوه وأعادوا أخاه الناصر حسن وكانت مدة الصالح ثلاث سنين وثلاثة أشهر ونصفا وسجن بالقلعة الى ان مات فى سنة احدى وستين وسبعمائة وتسلطن الناصر حسن المرة الثانية يوم خلع الصالح فى ثانى شوال سنة خمس وخمسين وسبعمائة فمشى فى السلطنة على أتم الوجوه وشرع فى عمارة مدرسة بالرملة وفتح فى أيامه سيس وأذنه بالامان وطرسوس عنوة وفتح المصيصة وقلعة كلال والحديدة وفى عام اثنين وستين وسبعمائة وقع بين السلطان وبين مملوكه يلبغا العمرى فلزم يلبغا خيمه فركب عليه السلطان ليلا وكان معه الخبر فخرج عن خيامه واكن لهم فكبس السلطان عليه بالخيم فخرج يلبغا ومن معه من خلفهم فكسروهم وهرب السلطان ومن معه الى القلعة والبس مماليكه فلم يجد لهم خيولا لان خيولهم كانت فى الربيع وحجز يلبغا ما بينهم وبينها فتيقن السلطان الغلب فلبس لبس العرب هو وايدمر الدوادار ونزلا من القلعة فى آخر الليل بمفردهما قاصدين الشام فلقيهما بعض المماليك فاحضرهما ينبرف

يشرف منه عليهم ووقف على القنطرة وأرسل الى زهرة فوافقه فأراده على ان يصالحه ويجعل له جعلا على ان ينصرفوا عنه من غير ان يصرح له بذلك بل يقول له كنتم جيراننا وكنا نحسن اليكم ونحفظكم ويخبره عن صنيعهم مع العرب فقال له زهرة ليس أمرنا أمر أولئك انا لم نأتكم لطلب الدنيا انما طلبتنا وهمتنا الآخرة وقد كنا كما ذكرت الى ان بعث الله فينا رسولا فدعانا الى ربه فأجبناه فقال لرسوله اني سلطت هذه الطائفة على من لم يدن بديني فانا منتقم بهم منهم وأجعل لهم الغلبة ما داموا مقرين به وهو دين الحق لا يرغب عنه أحد الا ذل ولا يعتصم به أحد الا عز فقال له رستم ماهو قال اما عموده الذي لا يصلح الا به فشهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قال واي شئ أيضا قال واخراج العباد من عبادة العباد الى عبادة الله والناس بنو آدم وحواء اخوة لاب وأم قال ما أحسن هذا ثم قال رستم ارأيت ان أجبت الى هذا ومعي قومي كيف يكون أمركم أترجعون قال اي والله قال صدقتني أما ان أهل فارس منذ ولي اردشير لم يدعوا أحدا يخرج من عمله من السفلة وكانوا يقولون اذا خرجوا من أعمالهم تعدوا طورهم وعادوا اشرافهم فقال زهرة نحن خير الناس للناس فلا نستطيع ان نكون كما تقولون بل نطيع الله في السفلة ولا يضرنا من عصى الله فينا فانصرف عنه ودعا رجال فارس فذاكرهم هذا فانفوا فأرسل الى سعد ان ابعث الينا رجلا نكلمه ويكلمنا فدعا سعد جماعة ليرسلهم اليهم فقال له ربعي بن عامر متى نأتهم جميعا يروا انا قد احتفلنا بهم فلا تزدهم على رجل فارسله وحده فسار اليهم فحبسوه على القنطرة وأعلم رستم بمجيئه فأظهر زينته وجلس على سرير من ذهب وبسط البسط والنمارق والوسائد المنسوجة بالذهب وأقبل ربعي على فرسه وسيفه في خرقة ورمحه مشدود بعصب وقد فلما انتهى الى البسط قيل له انزل فحمل فرسه عليها ونزل وربطها بوسادتين شقهما وادخل الحبل فيهما فلم ينهوه واروه التهاون وعليه درع واخذ عباءة بعيره فتدرعها وشدها على وسطه فقالوا ضع سلاحك فقال لم آتكم فأضع سلاحي بامركم انتم دعوتموني فاخبروا رستم فقال ائذنوا له فأقبل يتوكأ على رمحه ويقارب خطوه فلم يدع لهم نمرقا ولا بساطا الا افسده وهتكه فلما دنا من رستم جلس على الارض وركز رمحه على البسط فقيل له ما حملك على هذا قال انا لا نستحب القعود على زينتكم فقال له ترجمان رستم واسمه عبود من اهل الحيرة ما جاء بكم قال الله جاء بنا وهو بعثنا لنخرج من يشاء من عباده من ضيق الدنيا الى سعتها ومن جور الاديان الى عدل الاسلام فأرسلنا بدينه الى خلقه فمن قبله قبلنا منه ورجعنا عنه وتركناه وارضه دوننا ومن ابى قاتلناه حتى نفضي الى الجنة او الظفر فقال رستم قد سمعنا قولكم فهل لكم ان تؤخروا هذا الامر حتى ننظر فيه قال نعم وان مما سن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا نمكن الاعداء اكثر من ثلاث فنحن مترددون عنكم ثلاثا فانظر في امرك واختر واحدة من ثلاث بعد الاجل اما الاسلام وندعك وارضك او الجزاء فنقبل ونكف عنك وان احتجت الينا نصرناك أو المنابذة في اليوم الرابع الا ان تبدأنا انا كفيل بذلك عن اصحابي قال اسيدهم انت قال لا ولكن المسلمين كالجسد الواحد بعضهم من بعض يجير أدناهم على اعلاهم فخلا رستم برؤساء قومه فقال هل رأيتم كلاما قط اعز واوضح من كلام هذا الرجل فقالوا معاذ الله أن تميل الى دين هذا الكلب أما ترى الى ثيابه فقال ويحكم لا تنظروا الى الثياب

الى الامير يلبغا وكان آخر العهد بالناصر وكانت مدة سلطنته الثانية ست سنين وسبعة أشهر واياما وخلف عشرة بنين وست بنات ولما فقد تسلطن السلطان الحادي والعشرون من ملوك الترك *(الملك المنصور محمد)* بن الملك المظفر حاجي بن محمد بن قلاوون تولى السلطنة نهار الاربعاء تاسع جمادى الاولى سنة اثنتين وستين وسبعمائة واستبد بتدبير الامور الامير يلبغا فاقام مدة ثم تخيل الامير يلبغا من السلطان فاتفق مع الامراء وخلعوا المنصور في نصف شعبان عام أربعة وستين وسجنوه بالقلعة وكانت مدة مملكته سنتين وثلاثة أشهر وستة ايام ثم تولى الملك بعده السلطان الثاني والعشرون من ملوك الترك *(الملك الاشرف شعبان)* ابن حسين بن الناصر محمد قلاوون تولى الملك وعمره عشر سنين وكان هينا لينا حليما انشأ محبا لاهل الخير مقربا للعلماء والفقراء مقتديا بامور الشريعة *(وفي أيامه)* أخذ الفرنج مدينة الاسكندرية وأسروا جماعة من المسلمين فخرج لهم السلطان فلما سمعوا به هربوا ثم ان السلطان جدد ما تهدم من اسوارها وفي عام ستة وسبعين وسبعمائة حصل غلاء عظيم ووصل أردب القمح مائة وعشرين درهما وفرقت الحرافيش وأولادهم المستعطون على الامراء والدواوين

ولكن انظروا الى الرأى والكلام والسيرة ان العرب تستخف باللباس وتصون الاحساب ليسوا مثلكم فلما كان من الغد أرسل رستم الى سعد ان ابعث الينا ذلك الرجل فبعث اليهم حذيفة بن محصن فاقبل فى نحو من ذلك الزى ولم ينزل عن فرسه ووقف على رستم راكبا قال له انزل قال لا أفعل فقال له ما جاء بك ولم يجئ الاول قال له ان أميرنا يحب ان يعدل بيننا فى الشدة والرخاء وهذه نوبتى فقال ما جاء بكم فأجابه مثل الاول فقال رستم الموادعة الى يوم ما قال نعم ثلاثا من امس فرده وأقبل على أصحابه وقال ويحكم اما ترون ما أرى جاءنا الاول بالامس فغلبنا على أرضنا وحقر ما نعظم وأقام فرسه على زبرجنا وجاء هذا اليوم فوقف علينا وهو فى يمن الطائر يقوم على أرضنا دوننا فلما كان الغد أرسل ابعثوا الينا رجلا فبعث المغيرة بن شعبة فاقبل اليهم وعليهم التيجان والثياب المنسوجة بالذهب وبسطهم على غلوة لا يوصل الى صاحبهم حتى يمشى عليها فاقبل المغيرة حتى جلس مع رستم على سريره فوثبوا عليه وانزلوه ومكروه وقال قد كانت تبلغنا عنكم الاحلام ولا أرى قوما أسفه منكم انا معشر العرب لا نستعبد بعضنا بعضا فظننت انكم تواسون قومكم كما نتواسى فكان أحسن من الذى صنعتم أن تخبرونى ان بعضكم أرباب بعض فان هذا الامر لا يستقيم فيكم ولا يصنعه احد وانى لم آتكم ولكن دعوتمونى اليوم علمت انكم مغلوبون وان ملكا لا يقوم على هذه السيرة ولا على هذه العقول وقالت السفلة صدق والله العربى وقالت الدهاقين والله لقد رمى بكلام لا تزال عبيدنا ينزعون اليه قاتل الله أولينا حين كانوا يصغرون أمر هذه الامة ثم تكلم رستم فحمد قومه وعظم أمرهم وقال لم نزل متمكنين فى البلاد ظاهرين على الاعداء أشرافا فى الامم فليس لاحد مثل عزنا وسلطاننا ننتصر عليهم ولا ينتصرون علينا الا اليوم واليومين والشهر للذنوب فاذا انتقم الله منا ورضى علينا رد لنا الكرة على عدونا ولم يكن فى الامم أمة اصغر عندنا أمرا منكم كنتم أهل قشف ومعيشة سيئة لا نراكم شيأ وكنتم تصدقوننا اذا قحطت بلادكم فنأمر لكم بشئ من التمر والشعير ثم نردكم وقد علمت انه لم يحملكم على ما صنعتم الا الجهد فى بلادكم فانا آمر لاميركم بكسوة وبغل وألف درهم وآمر لكل منكم بوقر تمر وتنصرفون عنا فانى لست أشتهى ان أقتلكم فتكلم المغيرة فحمد الله وأثنى عليه وقال ان الله خالق كل شئ ورازقه فمن صنع شيأ فانما هو يصنعه وأما الذى ذكرت به نفسك وأهل بلادك فنحن نعرفه فالله صنعه بكم ووضعه فيكم وهو له دونكم وأما الذى ذكرت فينا من سوء الحال والضيق والاختلاف فنحن نعرفه ولسنا ننكره والله ابتلانا به والدنيا دول ولم يزل أهل الشدائد يتوقعون الرخاء حتى يصيروا اليه ولم يزل اهل الرخاء يتوقعون الشدائد حتى تنزل بهم ولو شكرتم ما آتاكم الله لكان شكركم يقصر عما أوتيتم واسلمكم ضعف الشكر الى تغير الحال ولو كان فيما ابتلينا به اهل الكفر لكان عظيم ما ابتلينا به مستجلبا من الله رحمة ورأفة علينا ان الله تبارك وتعالى بعث فينا رسولا ثم ذكر مثل ما تقدم من ذكر الاسلام والجزية والقتال وقال له وان عيالنا قد ذاقوا طعام بلادكم فقالوا لا صبر لنا عنه فقال رستم اذا تموتون دونها فقال المغيرة يدخل من قتل منا الجنة ومن قتل منكم النار ويظفر من بقى منا بمن بقى منكم فاستشاط رستم غضبا ثم حلف ان لا يرتفع الصبح غدا حتى نقتلكم اجمعين وانصرف المغيرة وخلص رستم باهل فارس وقال اين هؤلاء

بقدر مقام كل واحد ونودى اى سائل سأل صاب وفى سنة سبع وسبعين وسبعمائة جددوا على الاشرف فهرب فكبسوا القصر فوجدوه معلقا داخل البادهنج فاحضروه وخنقوه فى خامس ذى القعدة ورموه فى بئر ثم اخرجوه بعد أيام ودفنوه فى تربة والدته وكانت مدة مملكته أربع عشرة سنة وكان عمره اربعا وعشرين سنة وخلف ستة بنين وسبع بنات ثم تسلطن السلطان الثالث والعشرون من ملوك الترك ● (الملك المنصور على) ● بن الاشرف شعبان بن الحسين جلس على سرير الملك وهو ابن ثمان سنين (وفى ايامه) وقعت فتن كثيرة بين الامراء بحيث يطول ذكرها وفى سنة احدى وثمانين وسبعمائة فى أوائل رجب ظهر كلام من شخص فى حائط يسمع ولا يرى وكان ذلك فى جدار القبو وفيه يقول شهاب الدين بن العطار

يا ناطقا من جداره وليس يرى
اظهر والا فهذا الفعل فتان
ما جاء فى السمع للحيطان السنة
وانما قيل للحيطان آذان

وأقام يتكلم الى ثالث شعبان ثم ظهر ان المتكلم زوجة صاحب المنزل فاحضرهما الاتابكى وأمر بتسميرهما بعد ان ضرب الزوج بالمقارع والمرأة عصيا ثم سمرا تسمير سلامة وفى يوم الاحد ثامن عشرى صفر سنة

منكم

منكم هؤلاء والله الرجال صادقين كانوا ام كاذبين والله لئن كان بلغ من عقلهم وصونهم لسرهم ان لا يختلفوا فما قوم ابلغ لما ارادوا منهم ولئن كانوا صادقين فما يقوم لهؤلاء شيء فلجوا وتجلدوا فأرسل رستم رسولا خلف المغيرة وقال له اذا قطع القنطرة فاعلمه ان عينه تفقأ غدا فأعلمه الرسول ذلك فقال المغيرة بشرتني بخير وأجر ولولا ان اجاهد بعد هذا اليوم أشباهكم من المشركين لتمنيت ان الاخرى ذهبت فرجع الى رستم فأخبره فقال اطيعوني يا أهل فارس اني لأرى لله فيكم نقمة لا تستطيعون ردها ثم أرسل اليه سعد بقية ذوي الرأي فساروا وكانوا ثلاثة الى رستم فقالوا له ان أميرنا يدعوك الى ما هو خير لنا ولك والعافية أن تقبل ما دعاك اليه ونرجع الى أرضنا وترجع الى أرضك ودارك لكم وأمركم فيكم وما أصبتم كان زيادة لكم دوننا وكنا عونا لكم على أحد ان أرادكم فاتق الله ولا يكونن هلاك قومك على يدك وليس بينك وبين ان تغبط بهذا الامر الا ان تدخل فيه وتطرد به الشيطان عنك فقال لهم ان الامثال أوضح من كثير من الكلام انكم كنتم أهل جهد وقشف لا تنتصفون ولا تمتنعون فلم نسيء جواركم وكنا نميركم ونحسن اليكم فلما طعمتم طعامنا وشربتم شرابنا وصفتم لقومكم ذلك ودعوتموهم ثم أتيتمونا وانما مثلكم ومثلنا كمثل رجل كان له كرم فرأى فيه ثعلبا فقال وما ثعلب فانطلق الثعلب فدعا الثعالب الى ذلك الكرم فلما اجتمعوا اليه سد صاحب الكرم النقب الذي كن يدخلن منه فقتلهن فقد علمت ان الذي حملكم على هذا الحرص والجهد فارجعوا ونحن نميركم فاني لا أشتهي ان أقتلكم ومثلكم أيضا كالذباب يرى العسل فيقول من يوصلني اليه وله درهمان فاذا دخله غرق ونشب فيقول من يخرجني وله أربعة دراهم وقال أيضا ان رجلا وضع سلة وجعل طعاما فيها فأتى الجرذان فخرقوا السلة فدخلوا فيها فأراد سدها فقيل له لا تفعل اذن تخرقه لكن انقب بحياله ثم اجعل قصبة مجوفة فاذا دخلها الجرذان وخرجن منها فاقتل كل ما خرج منها وقد سددت عليهم ان يقتحموا القصبة ولا يخرج منها أحد الا قتل فما دعاكم الى ما صنعتم ولا أرى عددا ولا عدة قال فتكلم القوم وذكروا سوء حالهم وما من الله به عليهم من ارسال رسوله واختلافهم أولا ثم اجتماعهم على الاسلام وما أمرهم به من الجهاد وقالوا وأما ما ضربت لنا من الامثال فليس كذلك ولكن انما مثلكم كمثل رجل غرس أرضا واختار لها الشجر وأجرى اليها الانهار وزينها بالقصور وأقام فيها فلاحين يسكنون قصورها ويقومون على جناتها فخلا الفلاحون في القصور على ما لا يحب فأطال امهالهم فلم يستحيوا فدعا اليها غيرهم وأخرجهم منها فان ذهبوا عنها تخطفهم الناس وان أقاموا فيها صاروا خولا لهؤلاء فيسومونهم الخسف ابدا والله لو لم يكن ما نقول حقا ولم يكن الا الدنيا لما صبرنا عن الذي نحن فيه من لذيذ عيشكم ورأينا من زبرجكم ولقارعناكم عليه فقال رستم اتعبرون الينا أم نعبر اليكم فقالوا بل اعبروا الينا ورجعوا من عنده عشيا وأرسل سعد الى الناس ان يقفوا مواقفهم وأرسل اليهم شأنكم والعبور فارادوا القنطرة فقال لا ولا كرامة اما شيء غلبناكم عليه فلن نرده عليكم فباتوا يسكرون العتيق حتى الصباح بالتراب والقصب والبراذع حتى جعلوه طريقا واستتم بعد ما ارتفع النهار ورأى رستم من الليل كأن ملكا نزل من السماء فأخذ قسي أصحابه فختم عليها ثم صعد بها الى السماء فاستيقظ مهموما واستدعى خاصته فقصها عليهم وقال ان الله ليعظنا

ثلاث وثمانين وسبعمائة توفي الملك المنصور وكانت مدة سلطنته خمس سنين وثلاثة أشهر [illegible] وتسلطن بعده السلطان الرابع والعشرون من ملوك الترك *(الملك الصالح حاجي)* ابن الاشرف شعبان ولي السلطنة بعد موت أخيه وأطاعته العباد ودانت له البلاد *(وفي أيامه)* خرجت التراكمة فارسل المقر الاتابكي دوادلده لاخراج العساكر الشامية ثم جاءت الاخبار بان التركمان انكسروا *(وفي أيامه)* حصل غلاء عظيم لكن لم يقم الا قليلا ثم ان برقوق الاتابكي اتفق مع الامراء على خلع الصالح فخلعوه وكانت مدة سلطنته سنة ونصفا وخمسة وعشرين يوما وبه انقرضت الدولة التركية كذا في كوكب الملك في دولة الترك

(الباب العاشر في ذكر ملوك الجراكسة بمصر والشام وسيرتهم الماضية في الانام)

وكان ابتداء دولتهم سنة اربع وثمانين وسبعمائة وانقراضهم في سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة فتكون مدة ملكهم مائة وثمانية وثلاثين سنة وعددهم ثلاثة وعشرون نفرا (أولهم) *(الملك الظاهر سيف الدين برقوق)* بن انص العثماني الجركسي اشتراه الاتابكي يلبغا العمري ومات يلبغا وهو من صغار مماليكه وانما سمي برقوق لجحوظ في عينيه وتنقلت به

لو انعطفنا ولما ركب رستم ليعبر كان عليه درعان ومغفر واخذ سلاحه ووثب فاذا هو على فرسه ولم يضع رجله في الركاب وقال غدا ندقهم دقا فقال له رجل ان شاء الله فقال وان لم يشأ ثم قال ان ما صفا الثعلب حين مات الاسد يعني كسرى واني أخشى أن تكون هذه سنة القرود وانما قال هذه الاشياء توهينا للمسلمين عند الفرس والا فالمشهور عنه الخوف من المسلمين وقد أظهر ذلك الى من يثق به

(ذكر يوم ارماث)

لما عبر الفرس العتيق جلس رستم على سريره وضرب عليه طيارة وعبى في القلب ثمانية عشر فيلا عليها صناديق ورجال وفي المجنبتين ثمانية او سبعة وأقام الجالنوس بينه وبين ميمنته والفيرزان بينه وبين ميسرته وكان يزدجرد قد وضع بينه وبين رستم رجالا على كل دعوة رجلا أولهم على باب ايوانه وآخرهم مع رستم فكل ما فعل رستم شيأ قال الذي معه للذي يليه كان كذا وكذا ثم يقول الثاني ذلك للذي يليه وهكذا الى ان ينتهي الى يزدجرد في أسرع وقت وأخذ المسلمون مصافهم وكان بسعد دماميل وعرق النسا فلا يستطيع الجلوس انما هو مكب على وجهه في صدره وسادة على سطح القصر يشرف على الناس والصف في أصل حائطه لو تعداه الصف فواق ناقة لاخذ برمته فما كرثه هول تلك الايام شجاعة وذكر ذلك الناس وعابه بعضهم بذلك فقال

نقاتل حتى أنزل الله نصره * وسعد بباب القادسية معصم
فأبنا وقد آمت نساء كثيرة * ونسوة سعد ليس فيهن أيم

فبلغت ابياته سعدا فقال اللهم ان كان هذا كاذبا وقال الذي قاله رياء وسمعة فاقطع عني لسانه فانه لواقف في الصف يومئذ أتاه سهم غرب فأصاب لسانه فما تكلم بكلمة حتى لحق بالله تعالى وقال جرير بن عبد الله نحو ذلك أيضا وكذلك غيره ونزل سعد الى الناس فاعتذر اليهم وأراهم ما به من القروح في فخذيه واليتيه فعذره الناس وعلموا حاله ولما عجز عن الركوب استخلف خالد ابن عرفطة على الناس فاختلف عليه فأخذ نفرا ممن شغب عليه فحبسهم في القصر منهم أبو محجن الثقفي وقيدهم وقيل بل كان حبس أبي محجن بسبب الخمر وأعلم الناس انه قد استخلف خالدا وانما يأمرهم خالد فسمعوا وأطاعوا وخطب الناس يومئذ وهو يوم الاثنين من المحرم سنة أربع عشرة وحثهم على الجهاد وذكرهم ما وعدهم الله من فتح البلاد وما نال من كان قبلهم من المسلمين من الفرس وكذلك فعل أمير كل قوم وأرسل سعد نفرا من ذوي الرأي والنجدة منهم المغيرة وحذيفة وعاصم وطليحة وقيس الاسدي وغالب وعمرو بن معديكرب وأمثالهم ومن الشعراء الشماخ والحطيئة وأوس بن مغراء وعبدة بن الطبيب وغيرهم وأمرهم بتحريض الناس على القتال ففعلوا وكان صف المشركين على شفير العتيق وكان صف المسلمين مع حائط قديس والخندق فكان المسلمون والمشركون بين الخندق والعتيق ومع الفرس ثلاثون ألف مسلسل وأمر سعد الناس بقراءة سورة الجهاد وهي الانفال فلما قرئت هشت قلوب الناس وعيونهم وعرفوا السكينة مع قراءتها فلما فرغ القراء منها قال سعد الزموا مواقفكم حتى تصلوا الظهر فاذا صليتم فاني مكبر تكبيرة فكبروا واستعدوا فاذا سمعتم الثانية

الاحوال الى ان صار امير مائة مقدم الف وكان اتابكا للملك الصالح المقدم ذكره وليس للصالح سوى الاسم لصغر سنه فلما اتفق مع الامراء وخلعه تولى مكانه في يوم الاربعاء تاسع عشر رمضان عام أربعة وثمانين وسبعمائة فلما جلس على سرير الملك حلفت له الامراء وزينت القاهرة سبعة أيام وفي سنة سبع وثمانين ابتدأ بعمارة مدرسة بين القصرين وكان المباشر على عمارتها رجلا يقال له الخليلي ولما كملت عمارتها نزل اليها السلطان ورتبها سماطا عظيما وملأ فسقيتها سكرا وفيها قال ابن العطار

قد أنشأ الظاهر السلطان مدرسة * فاقت على ارم مع سرعة العمل
يكفي الخليلي أن جاءت لخدمته * صم الجبال له تسعى على عجل

وفي يوم الثلاثاء سادس جمادى الاولى سنة تسعين وسبعمائة اجتمع رأي الامراء واتفقوا على خلع الظاهر برقوق وسلطنة السلطان السابق الملك الصالح حاجي ثانيا فسلطنوه وذلك بعد فتن كثيرة وقعت بين الامراء يطول شرحها فكانت مدة ملكه ست سنين وأياما وحبس برقوق بالقلعة ثم بعد أرسل الى الكرك وفي تاسع رمضان وصل البريدي بقتل برقوق ثم ان نائب الكرك وقاضيه اتفق رأيهما وقالا هذا كتاب امير من الامراء بقتل من له فكبروا

فكبروا والبسوا عدتكم ثم اذا كبرت الثالثة فكبروا ولينشط فرسانكم الناس فاذا كبرت الرابعة فازحفوا جميعا حتى تخالطوا عدوكم وقولوا لا حول ولا قوة الا بالله فلما كبر سعد الثالثة برز أهل النجدات فانشبوا القتال وخرج اليهم من الفرس أمثالهم فاعتوروا الطعن والضرب وقال غالب بن عبد الله الاسدى

قد علمت واردة المسائح * ذات اللبان والبيان الواضح
أنى سمام البطل المسالح * وفارج الامر المهم الفادح

فخرج اليه هرمز وكان من ملوك الباب وكان متوجا فأسره غالب فجاء به سعدا ورجع وخرج عاصم وهو يقول

قد علمت بيضاء صفراء اللبب * مثل اللجين اذ تغشاه الذهب
أنى امرؤ لا من يعيبه السبب * مثلى على مثلك يغريه العتب

فطارد فارسيا فانهزم فاتبعه عاصم حتى خالط صفهم فحموه فأخذ عاصم رجلا على بغل وحاديه واذا هو خباز الملك معه من طعام الملك وخبيصه فأتى به سعدا فنفله أهل موقفه وخرج فارسى فطلب البراز فبرز اليه عمرو بن معديكرب فأخذه وجلد به الارض فذبحه وأخذ سواريه ومنطقته وحملت الفيلة عليهم ففرقت بين الكتائب فنفرت الخيل وكانت الفرس قد قصدت بجيلة بسبعة عشر فيلا فنفرت خيل بجيلة فكادت بجيلة تهلك لنفار خيلها عنها وعمن معها وأرسل سعد الى بنى أسد ان دافعوا عن بجيلة وعمن معها من الناس فخرج طليحة بن خويلد وحمال بن مالك فى كتائبهما فباشروا الفيلة حتى عدلها ركبانها وخرج الى طليحة عظيم منهم فقتله طليحة وقام الاشعث بن قيس فى كندة فقال يا معشر كندة لله در بنى أسد أى فرى يفرون واى هزيمة يهزمون عن موقفهم أغنى كل قوم ما يليهم وأنتم تنتظرون من يكفيكم اشهد ما أحسنتم اسوة قومكم من العرب فنهدو ونهدوا معه فازالوا الذين بازائهم فلما رأى الفرس ما يلقى الناس والفيلة من أسد رموهم بجدهم وحملوا عليهم وفيهم ذو الحاجب والجالينوس والمسلمون ينتظرون التكبيرة الرابعة من سعد فاجتمعت حلبة فارس على أسد ومعهم تلك الفيلة فثبتوا لهم وكبر سعد الرابعة وزحف اليهم المسلمون ورحا الحرب تدور على أسد وحملت الفيول على الميمنة والميسرة فكانت الخيول تحيد عنها فأرسل سعد الى عاصم بن عمرو التميمى فقال يا معشر بنى تميم أما عندكم لهذه الفيلة من حيلة قالوا بلى والله ثم نادى فى رجال من قومه رماة وآخرين لهم ثقافة فقال يا معشر الرماة ذبوا ركبان الفيلة عنهم بالنبل وقال يا معشر أهل الثقافة استدبروا الفيلة فقطعوا وضنها وخرج يحميهم ورحا الحرب تدور على أسد وقد جالت الميمنة والميسرة غير بعيد وأقبل أصحاب عاصم على الفيلة فأخذوا باذناب توابيتها فقطعوا وضنها وارتفع عواؤهم فما بقى لهم فيل الا أوى وقتل أصحابها ونفس عن أسد وردوا فارسا عنهم الى مواقفهم واقتتلوا حتى غربت الشمس ثم حتى ذهبت هدأة من الليل ثم رجع هؤلاء وهؤلاء وأصيب من أسد تلك العشية خمسمائة وكانوا ردأ للناس وكان عاصم حامية للناس وهذا اليوم الاول وهو يوم ارماث فقال عمرو بن شاس الاسدى

جلبنا الخيل من أكناف نيق * الى كسرى فوافقها رعالا

سنة أعوام سلطانا بكتاب أمير ولكن اصبر حتى يجيء كتاب آخر فاتفقوا على ذلك ... النهار ووصل كتاب الناصرى بالاطلاق فانتصر له جماعة وأخرجوا برقوقا وبايعوه يوم الثلاثاء تاسع رمضان فحكم بالكرك وتراجعت اليه الناس وخرج قاصدا نحو الشام فكان كلما مر ببلد اطاعه أهلها الى ان وصل دمشق فخرج اليه عسكرها فاقتتلوا معه فكسرهم فتحصنوا بالمدينة ولم يسلموها له فاقام عند قبة يلبغا وفى رابع المحرم سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة وصل السلطان المنصور ومعه الخليفة المتوكل والقضاة والعساكر من القاهرة واقتتلوا من بكرة النهار الى العصر وكانت وقعة عظيمة انجلت على تراجع بعض الامراء ومماليكه الى برقوق فلما رأى المنصور ذلك خلع نفسه وتقلد السلطان الظاهر برقوق ثانيا تلك الشام ورجع الى الديار المصرية فدخل القاهرة يوم الثلاثاء رابع عشر صفر وطلع الى القلعة وجددت له البيعة وأصبحت أيامه زاهرة وهى كما قيل كأن أيامه من حسن سيرته مواسم الحج والاعياد والجمع وفى ثالث عشر صفر سنة تسع وتسعين وسبعمائة حضرت رسل تيمرلنك وهم اربعة ومعهم كتاب نسخته بعد البسملة الشريفة قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب

تركن لهم على الاقسام شجوا • وبالحقوين أياما طوالا
قتلنا رستما وبنيه قسرا • تثير الخيل فوقهم الهيالا

الابيات وكان سعد قد تزوج سلمى امرأة المثنى بن حارثة الشيباني بعده بشراف فلما جال الناس يوم ارماث وكان سعد لا يطيق الجلوس جعل سعد يتململ جزعا فوق القصر فلما رأت سلمى ما يصنع الفرس قالت وامثناه ولا مثنى للخيل اليوم قالت ذلك عند رجل ضجر بما يرى في أصحابه ونفسه فلطم وجهها وقال أين المثنى عن هذه الكتيبة التي تدور عليها الرحا يعني أسدا وعاصما فقالت أغيرة وجبنا فقال والله لا يعذرني اليوم أحد ان لم تعذريني وانت ترين ما بي فتعلقها الناس لم يبق شاعر الا اعتد بها عليه وكان غير جبان ولا ملوم

•(ذكر يوم أغواث)•

ولما أصبح القوم وكل سعد بالقتلى والجرحى من ينقلهم فسلم الجرحى الى النساء ليقمن عليهم وأما القتلى فدفنوا هنالك على مشرق وهو واد بين العذيب وعين الشمس فلما نقل سعد القتلى والجرحى طلعت نواصي الخيل من الشأم وكان فتح دمشق قبل القادسية فلما قدم كتاب عمر على أبي عبيدة بن الجراح بارسال أهل العراق سيرهم وعليهم هاشم بن عتبة بن أبي وقاص وعلى مقدمته القعقاع بن عمرو التميمي فتعجل القعقاع فقدم على الناس صبيحة هذا اليوم وهو يوم اغواث وقد عهد الى أصحابه ان يتقطعوا اعشارا وهم ألف كل ما بلغ عشرة مدى البصر سرحوا عشرة فقدم أصحابه في عشرة فأتى الناس فسلم عليهم وبشرهم بالجنود وحرضهم على القتال وقال اصنعوا كما أصنع وطلب البراز فقالوا فيه يقول أبو بكر لا يهزم جيش فيهم مثل هذا فخرج اليه ذو الحاجب فعرفه القعقاع فنادى بالثارات ابي عبيدة وسليط وأصحاب الجسر وتضاربا فقتله القعقاع وجعلت خيله ترد الى الليل وتنشط الناس وكان لم يكن بالامس مصيبة وفرحوا بقتل ذي الحاجب وانكسرت الاعاجم بذلك وطلب القعقاع البراز فخرج اليه الفيرزان والبندوان فانضم الى القعقاع الحرث بن ظبيان بن الحرث أحد بني تيم اللات فتبارزوا فقتل القعقاع الفيرزان وقتل الحرث البندوان ونادى القعقاع يا معشر المسلمين باشروهم بالسيوف فانما يحصد الناس بها فاقتتلوا حتى المساء فلم ير أهل فارس في هذا اليوم ما يعجبهم وأكثر المسلمون فيهم القتل ولم يقاتلوا في هذا اليوم على فيل كانت توابيتها تكسرت بالامس فاستأنفوا عملها فلم يفرغوا منها حتى كان الغد وجعل القعقاع كل ما طلعت قطعة من أصحابه كبر وكبر المسلمون ويحمل ويحملون وحمل بنو عم للقعقاع عشرة عشرة على ابل قد ألبسوها وهي مجللة مبرقعة وأطافت بهم خيولهم تحميهم وأمرهم القعقاع أن يحملوا على خيل الفرس يتشبهون بالفيلة ففعلوا بهم هذا اليوم وهو يوم اغواث كما فعلت فارس يوم ارماث فجعلت خيل الفرس تفر منها وركبتها خيول المسلمين فلما رأى الناس ذلك سروا بهم فلقي الفرس من الابل أعظم مما لقي المسلمون من الفيلة وحمل رجل من تميم على رستم يريد قتله فقتل دونه وخرج رجل من فارس يبارز فبرز اليه الاعرف بن الاعلم العقيلي فقتله ثم برز اليه آخر فقتله وأحاطت به فوارس منهم فصرعوه وأخذوا سلاحه فغبر في وجوههم التراب حتى رجع الى اصحابه وحمل القعقاع بن عمرو يومئذ ثلاثين حملة كل ما طلعت قطعة حمل حملة واصاب فيها

والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اعلموا انا جند الله في أرضه مخلوقون من غضبه مسلطون على من حل عليه غضبه لا نرق لشاك ولا نرحم عبرتاك قد نزع الله الرحمة من قلوبنا فالويل ثم الويل لمن لم يكن من حزبنا قد خربنا البلاد وأيتمنا الاولاد وأظهرنا في الارض الفساد خيولنا سوابق وسيوفنا صواعق وسهامنا خوارق وقلوبنا كالجبال وعددنا كالرمال ملكنا لا يرام وجارنا لا يضام من سالمنا سلم ومن رام حربنا ندم فان انتم قبلتم شرطنا وأطعتم أمرنا فلكم ما لنا وعليكم ما علينا وان انتم خالفتم وعلى بغيكم تماديتم فلا تلوموا الا أنفسكم وذلك بما كسبت أيديكم فالحصون لا تمنع والعساكر لا ترد ولا تدفع ودعاؤكم لا يسمع لانكم أكلتم الحرام وضيعتم الجمع فابشروا بالمذلة والهوان فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون فقد صح عندكم انا كفرة وثبت عندنا انكم فجرة وقد سلطنا عليكم من بيده أمور مدبرة وأحكام مقدرة فعزيزكم عندنا ذليل وكثيركم لدينا قليل وقد أوضحنا لكم الخطاب فاسرعوا برد الجواب قبل ان ينكشف الغطا ويدخل علينا منكم الخطا وترى الحرب نارها وتقل

وقتل فكان آخرهم بزرجمهر الهمداني وبارز الاعور بن قطبة شهربار سجستان فقتل كل واحد منهما صاحبه وقاتلت الفرسان الى انتصاف النهار فلما اعتدل النهار تزاحف الناس فاقتتلوا حتى انتصف الليل فكانت ليلة ارماث تدعى الهدأة وليلة اغواث تدعى السواد ولم يزل المسلمون يرون يوم اغواث الظفر وقتلوا فيه عامة اعلامهم وجالت فيه خيل القلب وثبت رجالهم فلولا ان خيلهم عادت اخذ رستم اخذا وبات الناس على ما بات عليه القوم ليلة ارماث ولم يزل المسلمون ينتمون فلما سمع سعد ذلك قال لبعض من عنده ان تم الناس على الانتماء فلا توقظني فانهم اقوياء وان سكتوا ولم ينتم الآخرون فلا توقظني فانهم على السواء فان سمعتهم ينتمون فايقظني فان انتماءهم من السوء ولما اشتد القتال وكان ابو محجن قد حبس وقيد فهو في القصر قال لسلمى زوج سعد هل لك ان تخلين عني وتعيريني البلقاء فلله علي ان سلمني الله ان ارجع اليك حتى اضع رجلي في قيدي فابت فقال .

كفى حزنا ان ترتدى الخيل بالقنا * وأترك مشدودا على وثاقيا
اذا قمت عناني الحديد وأغلقت * مصاريع دوني قد تصم المناديا
وقد كنت ذا مال كثير واخوة * فقد تركوني واحدا لا اخاليا
ولله عهد لا اخيس بعهده * لئن فرجت ان لا ازور الحوانيا

فرقت له سلمى واطلقته واعطته البلقاء فرس سعد فركبها حتى كان بحيال الميمنة كبر ثم حمل على ميسرة الفرس ثم رجع خلف المسلمين وحمل على ميمنتهم وكان يقصف الناس قصفا منكرا وتعجب الناس منه وهم لا يعرفونه فقال بعضهم هو من أصحاب هاشم او هاشم بنفسه وكان سعد يقول لولا محبس أبي محجن لقلت هذا أبو محجن وهذه البلقاء وقال بعض الناس هذا الخضر وقال بعضهم لولا ان الملائكة لا تباشر الحرب لقلنا انه ملك فلما انتصف الليل وتراجع المسلمون والفرس عن القتال اقبل ابو محجن فدخل القصر واعاد رجليه في القيد وقال

لقد علمت ثقيف غير فخر * بانا نحن أكرمهم سيوفا
واكثرهم دروعا سابغات * واصبرهم اذا كرهوا الوقوفا
وانا وفدهم في كل يوم * فان عموا فسل بهم عريفا
وليلة قادس لم يشعروا بي * ولم اشعر بمخرجي الزحوفا
فان أحبس فذلكم بلائي * وان أترك اذيقهم الحتوفا

فقالت له سلمى في اي شيء حبسك فقال والله ما حبسني بحرام اكلته ولا شربته ولكني كنت صاحب شراب في الجاهلية وانا امرؤ شاعر يدب الشعر على لساني فقلت

اذا مت فادفني الى اصل كرمة * تروي عظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفنني بالفلاة فانني * أخاف اذا مامت أن لا اذوقها

فلذلك حبسني فلما أصبحت أتت سعدا فصالحته وكانت مغاضبة له وأخبرته بخبر أبي محجن فاطلقه فقال اذهب فما أنا مؤاخذك بشيء تقوله حتى تفعله قال لا جرم لا أجيب لساني الى قبيح أبدا

(ذكر يوم عماس)

أحد أو تسمع لهم ركزا الآن قد انصفناكم اذ راسلناكم فردوا رسلنا بجواب هذا الكلام والسلام فلما سمع السلطان هذا الكتاب اغتاظ غيظا عظيما وأمر بتوسيط الرسل فوسطوا وعاقوا وأمر بكتب جواب فكتب ذلك بانشاء ابن فضل الله العمري رحمه الله تعالى ونسخته بعد البعدية والاصدار حصل الوقوف على كتاب ورد مخبرا عن الحضرة الايلخانية عاوقفنا عليه فقولكم انا مخلوقون من سخطه مسلطون على من يحل عليه غضبه وانكم لا ترقون لشاك ولا ترحمون عبرة باك وقد نزع الله الرحمة من قلوبكم وذلك من اكبر عيوبكم وهذه صفات الشياطين لا صفات السلاطين قل يا أيها الكافرون لا اعبد ما تعبدون ففي كل كتاب لعنتم وعلى لسان كل رسول ذكرتم وبكل قبيح وصفتم وعندنا خبركم من حين خلقتم وانتم الكفرة كما زعمتم ألا لعنة الله على الكافرين من تمسك بالاصول لا يبالي بالفروع نحن المؤمنون حقا لا

ثم اصبحوا اليوم الثالث وهم على مواقفهم وبين الصفين من قتلى المسلمين ألفان من جريح
وميت ومن المشركين عشرة آلاف فجعل المسلمون ينقلون قتلاهم الى المقابر والجرحى الى
النساء وكان النساء والصبيان يحفرون القبور وكان على الشهداء حاجب بن زيد واما قتلى
المشركين فبين الصفين لم ينقلوا وكان ذلك مما قوى المسلمين وبات القعقاع تلك الليلة يسرب
أصحابه الى المكان الذى فارقهم فيه وقال اذا طلعت الشمس فاقبلوا مائة مائة فان جاء هاشم
فذاك والا جددتم للناس رجاء وجدا ولا يشعر به أحد وأصبح الناس على مواقفهم فلما ذر قرن
الشمس اقبل أصحاب القعقاع فحين رآهم كبر وكبر المسلمون وتقدموا وتكتبت الكتائب
واختلفوا الضرب والطعن والمدد متتابع فما جاء آخر أصحاب القعقاع حتى انتهى اليهم
هاشم فاخبر بما صنع القعقاع فعبى أصحابه سبعين سبعين وكان فيهم قيس بن هبيرة بن عبد يغوث
المعروف بقيس بن المكشوح المرادى ولم يكن من اهل الايام انما كان باليرموك فانتدب مع
هاشم حتى اذا خالط القلب كبر وكبر المسلمون وقال أول قتال المطاردة ثم المراماة ثم حمل على
المشركين يقاتلهم حتى خرق صفهم الى العتيق ثم عاد وكان المشركون قد باتوا يعملون توابيتهم
حتى أعادوها وأصبحوا على مواقفهم وأقبلت الرجالة مع الفيلة يحمونها أن تقطع وضنها ومع
الرجالة فرسان يحمونهم فلم تنفر الخيل منهم كما كانت بالامس لان الفيل اذا كان وحده كان
أوحش واذا اطافوا به كان آنس وكان يوم عماس من اوله الى آخره شديدا العرب والعجم فيه
سواء ولا تكون بينهم نقطة الا ابلغوها يزدجرد بالاصوات فيبعث اليهم أهل النجدات ممن عنده
ولولا ان الله الهم القعقاع ما فعل فى اليومين والا كسر ذلك المسلمين وقاتل قيس بن المكشوح
وكان قد قدم مع هاشم قتالا شديدا وحرض أصحابه وقال عمرو بن معديكرب انى حامل على
الفيل ومن حول الفيل بازائه فلا تدعونى اكثر من جزر جزور فان تأخرتم عنى فقدتم أبا ثور
يعنى نفسه واين لكم مثل أبى ثور فحمل وضرب فيهم حتى ستره الغبار وحمل أصحابه فافرج
المشركون عنه بعدما صرعوه وان سيفه لفى يده يضاربهم وقد طعن فرسه فاخذ برجل فرس
العجمى فلم يطق الجرى فنزل عنه صاحبه الى أصحابه وركبه عمرو وبرز فارسى فبرز اليه رجل
من المسلمين يقال له شبر بن علقمة وكان قصيرا فترجل الفارسى اليه فاحتمله وجلس على صدره ثم
اخذ سيفه ليذبحه ومقود فرسه مشدود فى منطقته فلما سل سيفه نفر الفرس فجذبه المقود فقلبه
عنه وتبعه المسلم فقتله واخذ سلبه فباعه باثنى عشر الفا فلما رأى سعد الفيول قد فرقت بين
الكتائب وعادت لفعلها أرسل الى القعقاع وعاصم ابنى عمرو اكفيانى الابيض وكانت كلها
آلفة له وكان بازائهما وقال لحمال والربيل اكفيانى الاجرب وكان بازائهما فاخذ القعقاع
وعاصم رمحين وتقدما فى خيل ورجل وفعل حمال والربيل مثل فعلهما فحمل القعقاع وعاصم
فوضعا رمحيهما فى عين الفيل الابيض فنفض رأسه فطرح سائسه ودلى مشفره فضربه القعقاع
فرمى به ووقع لجنبه وقتلوا من كان عليه وحمل حمال والربيل الاسديان على الفيل الآخر
فطعنه حمال فى عينه فاقعى ثم استوى وضربه الربيل فابان مشفره وبصر به سائسه فبقر انفه
وجبينه بالطبرزين فافلت الربيل جريحا فبقى الفيل جريحا متحيرا بين الصفين كلما جاء صف
المسلمين وخزوه واذا أتى صف المشركين نخسوه وولى الفيل وكان يدعى الاجرب وقد عور حمال

وبالودكم اضرمت ومن اعجب العجاب تمهيد الروث بالتوت والسباع بالضباع والسكاك
بالكراع ونحن خيولنا
برقية وسهامنا عمانية
وسيوفنا شديدة المضارب
ذكرها فى المشارق والمغارب
ان قتلناكم فنعم البضاعة
وان قتلتمونا فبيننا وبين الجنة
ساعة ولا تحسبن الذين
قتلوا فى سبيل الله أمواتا
بل احياء عند ربهم يرزقون
وذلكم قلوبنا كالجبال
وعددنا كالرمال فالقصاب
لا يبالى بكثرة الغنم وكثير
من الحطب يكفيه قليل من
الضرم كم من فئة قليلة
غلبت فئة كثيرة باذن الله
والله مع الصابرين الفرار
الفرار من الرزايا لا من
المنايا ونحن من الطمأنينة
على عادة الامنية ان قتلنا
فشهداء وان عشنا كنا
سعداء ألا ان حزب الله
هم الغالبون ابعد أمير
المؤمنين وخليفة رسول
رب العالمين تطلبون منا
طاعة لا صمالكم ولا طاعة
وطلبتم ان نوضح لكم امرنا
قبل ان ينكشف الغطاء
ويدخل علينا منكم الخطاء
هذا الكلام فى نظمه تركيك
وفى سلكه تفكيك لو
كشف البيان بعد التبيان
اكفر بعد ايمان واتخاذ
رب ثان لقد جئتم شيأ ادا
تكاد السموات يتفطرن منه
وتنشق الارض وتخر الجبال هدا قل لكاتبك الذى وضع رسالته ووصف مقالته وصل كتابكم الى الباب

عبيه

أو كطنين ذباب فستكتب ما يقول وغدله من العذاب مدا فلما وصل اليه الكتاب غضب غضبا شديدا وبعد

عينيه فالقى نفسه فى العتيق فاتبعته الفيلة فخرقت صف الاعاجم فعبرت فى اثره فاتت المدائن فى توابيتها وهلك من فيها فلما ذهبت الفيلة وخلص المسلمون والفرس ومال الظل تزاحف المسلمون فاجتلدوا حتى أمسوا وهم على السواء فلما أمسى الناس اشتد القتال وصبر الفريقان فخرجا على السواء

(ذكر ليلة الهرير وقتل رستم)

قيل انما سميت بذلك لتركهم الكلام انما كانوا يهرون هريرا وأرسل سعد طليحة وعمرا الى مخاضة أسفل العسكر ليقوموا عليها خشية ان يأتيه القوم منها فلما أتياها قال طليحة لو خضنا وأتينا الاعاجم من خلفهم قال عمرو بل نعبر أسفل فافترقا وأخذ طليحة وراء العسكر وكبر ثلاث تكبيرات ثم ذهب وقد ارتاع أهل فارس وتعجب المسلمون وطلبه الاعاجم فلم يدركوه وأما عمرو فانه أغار أسفل المخاضة ورجع وخرج مسعود بن مالك الاسدى وعاصم بن عمرو وابن ذى البردين الهلالى وابن ذى السهمين وقيس بن هبيرة الاسدى واشباههم فطاردوا القوم فاذاهم لا يشدون ولا يريدون غير الزحف فقدموا صفوفهم وزاحفهم الناس بغير اذن سعد وكان أول من زاحفهم القعقاع وقال سعد اللهم اغفرها له وانصره فقد أذنت له ان لم يستأذنى ثم قال أرى الامر ما فيه هذا فاذا كبرت ثلاثا فاحملوا وكبر واحدة فلحقهم أسد فقال اللهم اغفرها لهم وانصرهم ثم حملت النخع فقال اللهم اغفرها لهم وانصرهم ثم حملت بجيلة فقال اللهم اغفرها لهم وانصرهم ثم حملت كندة فقال اللهم اغفرها لهم وانصرهم ثم زحف الرؤساء ورحا الحرب تدور على القعقاع وتقدم حنظلة بن الربيع وأمراء الاعشار وطليحة وغالب وحمال وأهل النجدات ولما كبر الثالثة لحق الناس بعضهم بعضا وخالطوا القوم واستقبلوا الليل استقبالا بعد ما صلوا العشاء وكان صليل الحديد فيها كصوت القيون ليلتهم الى الصباح وأفرغ الله الصبر عليهم افراغا وبات سعد بليلة لم يبت بمثلها ورأى العرب والعجم أمرا لم ير مثله قط وانقطعت الاخبار والاصوات عن سعد ورستم وأقبل سعد على الدعاء فلما كان عند الصبح انتمى الناس فاستدل بذلك على انهم الاعلون وكان أول شئ سمعه نصف الليل الباقى صوت القعقاع بن عمرو وهو يقول

نحن قتلنا معشرا وزائدا * أربعة وخمسة وواحدا
نحسب فوق اللبد الاساودا * حتى اذا ماتوا دعوت جاهدا
* الله ربى واحترزت عامدا *

وقاتلت كندة تركا الطبرى وكان مقدما فيهم وأصبح الناس ليلة الهرير وتسمى ليلة القادسية من بين تلك الليالى وهم حسرى لم يغمضوا ليلتهم كلها فسار القعقاع فى الناس فقال ان الدائرة بعد ساعة لمن بدأ القوم فاصبروا ساعة واحملوا فان النصر مع الصبر فاجتمع اليه جماعة من الرؤساء وصمدوا لرستم حتى خالطوا الذين دونه مع الصبح فلما رأت ذلك القبائل قام فيها رؤساؤهم وقالوا لا يكونن هؤلاء أجد فى أمر الله منكم ولا هؤلاء يعنى الفرس أجرأ على الموت منكم فحملوا فيما يليهم وخالطوا من بازائهم فاقتتلوا حتى قام قائم الظهيرة فكان اول من زال الفيرزان والهرمزان فتأخرا وثبتا حيث انتهيا وانفرج القلب وركد عليهم النقع وهبت ريح

ايام مرض السلطان وتوفى ليلة الجمعة خامس عشر شوال سنة احدى وثمانمائة ودفن فى تربته وعهد لولده وفى صبيحة نهار الجمعة اجتمع الخليفة والامراء وسلطنوا ولده (الملك الناصر فرج بن الظاهر برقوق) تولى السلطنة وعمره عشر سنين وظن الناس بموت والده قيام فتنة عظيمة فلم يتحرك ساكن وانشد ابن الاوحدى فى ذلك

مضى الظاهر السلطان اكرم مالك * الى ربه يرقى الى الخلد فى الدرج
وقالوا ستأتى شدة بعد موته * فاكذبهم ربى وما جاء سوى فرج

وفى سنة ثلاث وثمانمائة ورد الخبر بان تيمورلنك أصبح محيطا بحلب احاطة السوار بالمعصم وتقاتلت التتار مع أهلها مقاتلة عظيمة ثم ان النواب وغالب عساكر الممالك برزت اليهم فاخذ سودون نائب الشام الميمنة ودمرداش نائب حلب الميسرة وبقية النواب بالقلب وقدموا العامة بين أيديهم فركب تيمور وزحف عليهم بجيوشه فما كان غير ساعة حتى دهمهم خلق كامواج البحر فولوا الى أدبارهم منهزمين نحو البلد وقد اسالت العساكر بالجوافر أجساد العامة وجرى من دخول المنهزمين بالابواب من فساد الاجسام وذهاب المهج ما ذهب

عاصف فقلعت طيارة رستم عن سريره فهوت في العتيق وهي دبور ومال الغبار عليهم وانتهى القعقاع ومن معه الى السرير فعثروا به وقد قام رستم عنه حين أطارت الريح الطيارة الى بغال قد قدمت عليه بمال فهي واقفة فاستظل في ظل بغل وحمله وضرب هلال بن علفة الحمل الذي تحته رستم فقطع حباله ووقع عليه أحد العدلين ولا يراه هلال ولا يشعر به فأزال عن ظهره فقارا وضربه هلال ضربة فنفحت مسكا ومضى نحو العتيق فرمى بنفسه فيه واقتحمه هلال عليه وأخذ برجليه ثم خرج به فضرب جبينه بالسيف حتى قتله ثم القاه بين أرجل البغال ثم صعد السرير وقال قتلت رستم ورب الكعبة الي الي فاطافوا به وكبروا ونفله سعد سلبه وكان قد أصابه الماء ولم يظفر بقلنسوته ولو ظفر بها لكانت قيمتها مائة ألف وقيل ان هلالا لما قصد رستم رماه رستم بنشابة أثبت قدمه بالركاب فحمل عليه هلال فضربه فقتله ثم احتز رأسه وعلقه ونادى قتلت رستم فانهزم قلب المشركين وقام الجالينوس على الردم ونادى الفرس الى العبور واما المقترنون فانهم جشعوا فتهافتوا في العتيق فوخزهم المسلمون برماحهم فما افلت منهم مخبر وهم ثلاثون ألفا وأخذ ضرار بن الخطاب درفش كابيان وهو العلم الاكبر الذي كان للفرس فعوض منه ثلاثين ألفا وكانت قيمته ألف ألف ومائتي ألف وقتلوا في المعركة عشرة آلاف سوى من قتلوا في الايام قبله وقتل من المسلمين قبل ليلة الهرير ألفان وخمسمائة وقتل ليلة الهرير ويوم القادسية ستة آلاف فدفنوا في الخندق حيال مشرق ودفن ما كان قبل ليلة الهرير على مشرق وجمعت الاسلاب والاموال فجمع شيء لم يجمع قبله ولا بعده مثله وأرسل سعد الى هلال فسأله عن رستم فاحضره فقال جرده الا ما شئت فاخذ سلبه فلم يدع عليه شيأ وأمر القعقاع وشرحبيل باتباعهم حتى بلغا مقدار الخرارة من القادسية وخرج زهرة بن الحوية التميمي في آثارهم في ثلثمائة فارس ثم أدركه الناس ولحق المنهزمين والجالينوس يجمعهم فقتله زهرة وأخذ سلبه وقتلوا ما بين الخرارة الى السيلحين الى النجف وعادوا من اثر المنهزمين ومعهم الاسرى فرؤي شاب من النخع وهو يسوق ثمانين رجلا أسرى من الفرس واستكثر سعد سلب الجالينوس فكتب فيه الى عمر فكتب عمر الى سعد تعمد الى مثل زهرة وقد صلى بمثل ما صلى به وقد بقي عليك من حربك ما بقي تفسد قلبه امض له سلبه وفضله على أصحابه عند عطائه بخمسمائة ولما تبع المنهزمون الفرس كان الرجل يشير الى الفارسي فيأتيه فيقتله وربما أخذ سلاحه فقتله به وربما أمر رجلين فيقتل أحدهما صاحبه ولحق سلمان بن ربيعة الباهلي وعبد الرحمن بن ربيعة بطائفة منهم قد نصبوا راية وقالوا لا نبرح حتى نموت فقتلهم سلمان ومن معه وكان قد ثبت بعد الهزيمة بضعة وثلاثون كتيبة استحيوا من الفرار وقصدهم بضعة وثلاثون من رؤساء المسلمين لكل كتيبة منها رئيس وكان قتال أهل الكتائب من الفرس على وجهين منهم من هرب ومنهم من ثبت حتى قتل وكان ممن هرب من أمراء الكتائب الهرمزان وكان بازاء عطارد ومنهم أهوذ وكان بازاء حنظلة بن الربيع وهو كاتب النبي صلى الله عليه وسلم ومنهم زاد بن بهيش وكان بازاء عاصم بن عمرو ومنهم قارن وكان بازاء القعقاع وكان ممن ثبت وقتل شهريار بن كنارا وكان بازاء سلمان بن ربيعة وابن الهربذ وكان بازاء عبد الرحمن بن ربيعة والفرخان الاهوازي وكان بازاء بسر بن ابي رهم الجهني ومنهم خسروشنوم الهمذاني وكان بازاء

العقول وتعلقت الدواب بالقامة ومعهم شاق كثير فاقتحمت عساكر التتار في المدينة وامتدت ايديهم في اقطارها وجالت خيولهم بارجائها سفكا ونهبا وسبيا فاحتمى بالمساجد الجم الغفير من النساء المخدرات والكواعب النواهدات فمالوا عليهم وقرنوهم اسرى في الحبال وأسرفوا في قتل الاطفال ونهب الاموال وتخريب المنازل وافتضاض البكور واتهاك الستور واستمر الحال على هذا المنوال من يوم السبت الى يوم الثلاثاء وهم مع ذلك مشتغلون بنقب القلعة وردم الخندق فعند ذلك نزل مرداش في طائفة من الامراء من القلعة يطلبون الامان فاجابهم تيمور وخلع عليهم واطمأن خاطرهم فنزل بقية أصحابهم من القلعة كل نائب وطائفته فنظم كل رجلين في قيد وفرقهم في قومه ثم قدم اليه النهب وأقام بحلب نحوا من شهر وأصحابه تعدو في نهب المدينة والقرى وافسادها وتعبث بقطع اشجارها وهدم أحجارها وأخبر بعض من يوثق به انه شاهد بظاهر حلب انه قد بني شبه المواذن من رؤس الرجال مرتفعة البناء دورها نيف وعشرون ذراعا وعلوها في الهواء نحو عشرة أذرع والوجوه بارزة تسفي عليها الرياح وعدتها عشرة ثم ارتحل عنها بعدما تركها خالية وفي اليوم السادس من جمادى الاولى

ابن

ابن الهذيل الكاهلي وتراجع الناس من طلب المنهزمين وقد قتل مؤذنهم فتشاح المسلمون في الاذان حتى كادوا يقتتلون وأقرع سعد بينهم فخرج سهم رجل فاذن وفضل أهل البلاء من أهل القادسية عند العطاء بخمسمائة خمسمائة وهم خمسة وعشرون رجلا منهم زهرة وعصمة الضبي والكلج وأما اهل الايام قبلها فانهم فرض لهم على ثلاثة آلاف فضلوا على اهل القادسية فقيل لعمر لو الحقت بهم أهل القادسية فقال لم أكن لالحق بهم من لم يدركهم وقيل له لو فضلت من بعدت داره على من قاتلهم بفنائه قال كيف أفضل عليهم وهم شجن العدو وهل فعل المهاجرون بالانصار هذا وكانت العرب تتوقع وقعة العرب وأهل فارس بالقادسية فيما بين العذيب الى عدن أبين وفيما بين الابلة وايلة يرون ان ثبات ملكهم وزواله بها وكانت في كل بلد مصيخة اليها تنظر ما يكون من أمرها فلما كانت وقعة القادسية سارت بها الجن فاتت بها اناسا من الانس فسبقت اخبار الانس وكتب سعد الى عمر بالفتح وبعدة من قتلوا وبعدة من أصيب من المسلمين وسمى من يعرف مع سعد بن عميلة الفزاري وكان عمر يسأل الركبان من حين يصبح الى انتصاف النهار عن اهل القادسية ثم يرجع الى أهله ومنزله قال فلما لقي البشير سأله من أين فأخبره قال يا عبد الله حدثني قال هزم الله المشركين وعمر يخب معه يسأله والآخر يسير على ناقته لا يعرفه حتى دخل المدينة واذا الناس يسلمون عليه بامرة المؤمنين قال البشير هلا أخبرتني رحمك الله انك أمير المؤمنين فقال عمر لا بأس عليك يا أخي وأقام المسلمون بالقادسية في انتظار قدوم البشير وأمر عمر الناس ان يقوموا على أقباضهم ويصلحوا احوالهم وتتابع اليهم اهل الشام ممن شهد اليرموك ودمشق ممدين لهم وجاء أولهم يوم اغواث وآخرهم بعد الغد يوم الفتح فكتبوا فيهم الى عمر يسألونه عما ينبغي أن يشار فيه مع نذير بن عمرو وقيل كانت وقعة القادسية سنة ست عشرة قال وكان بعض اهل الكوفة يقول انها كانت سنة خمس عشرة وقد تقدم انها كانت سنة أربع عشرة (حمضة بن النعمان بضم الحاء المهملة وفتح الميم وبالضاد المعجمة بسر بن أبي رهم بضم الباء الموحدة وسكون السين المهملة والحوية بفتح الحاء المهملة وكسر الواو وقيل بالجيم المضمومة وفتح الواو والاول أصح وحمال بفتح الحاء المهملة وتشديد الميم والمعنى بضم الميم وفتح العين المهملة والنون المشددة وحصين بن نمير بضم الحاء وفتح الصاد ومعاوية بن حديج بضم الحاء وفتح الدال المهملتين وآخره جيم والمعتم بضم الميم وسكون العين المهملة وفتح التاء فوقها نقطتان وآخره ميم مشددة وصرار بكسر الصاد المهملة وبالراءين المهملتين بينهما الف موضع عند المدينة وصنين بكسر الصاد المهملة والنون المشددة بعدها ياء ساكنة معجمة باثنتين من تحتها وآخره نون موضع من ناحية الكوفة) انتهى خبر القادسية

(ذكر ولاية عتبة بن غزوان البصرة)

قيل في هذه السنة بعث عمر عتبة بن غزوان الى البصرة وكان بها قطبة بن قتادة السدوسي يغير بتلك الناحية كما كان يغير المثنى بناحية الحيرة فكتب الى عمر يعلمه مكانه وانه لو كان معه عدد يسير ظفر بمن كان قبله من العجم فنفاهم عن بلادهم فكتب اليه عمر يأمره بالمقام والحذر ووجه اليه شريح بن عامر احد بني سعد بن بكر فاقبل الى البصرة وترك بها قطبة ومضى الى الاهواز حتى انتهى الى دارس وفيها مسلحة الاعاجم فقتلوه فبعث عمر عتبة بن غزوان قال له

دخل السلطان الى دمشق فاقام بها يومين وخرج في اليوم الثالث فخيم بقبة يلبغا ثم ظهر في أثناء النهار بعض جماعة على الجبل عما يلي عقبة دمر من عسكر تيمور وهم مقدار الف فارس فخرج اليهم من العسكر المنصور دون المائة فالتقوا معهم فانكسر أصحاب تيمور كسرة قوية ثم انهم مسكوا من العسكر المنصور ثلاثة فوارس وأضرم تلك الليلة نارا عظيمة فتخيل للسلطان ان النار ملء الارض بقدر ما كن النار واخذ تيمور اثنين من الاسارى وسحبهم وشواهم على النار كالغنم وأطلق الثالث فرجع وأخبر السلطان بذلك فانقطع قلوب العسكر في تلك الليلة رجع السلطان الى الديار المصرية هاربا وصحبه الخليفة والامراء مع كل امير مملوك أو اثنان أو ثلاثة وليس معهم خيل ولا قماش وتشتت بقية العسكر حفاة عراة وأما اهل دمشق فلم يشعروا برجوع السلطان فاصبح ورأيهم جميعا للمناصبة للحرب فركبوا الاسوار واعلنوا بالنداء يستحثون بعضهم بعضا على الجهاد فتراموا مع التتار على الاسوار وقتلوا منهم وغنموا من خيلهم وكانت بينهم مقاتلة هائلة حتى قيل انهم قتلوا من التتار نحوا من ألف فارس وفي آخر النهار حضر اثنان من أصحاب تيمور ينادي أحدهم بطلب الصلح وان يحضر احد من يعقل حتى يكلمه ...

حين وجهه يا عتبة انى قد استعملتك على أرض الهند وهي حومة من حومة العدو وأرجوان يكفيك الله ما حولها و يعينك عليها وقد كتبت الى العلاء بن الحضرمي ان يمدك بعرفجة بن هرثمة وهو ذو مجاهدة ومكايدة للعدو فاذا قدم عليك فاستشره وادع الى الله فمن اجابك فاقبل منه ومن أبى فالجزية والا فالسيف واتق الله فيما وليت واياك ان تنازعك نفسك الى كبر يفسد عليك اخوتك وقد صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعززت به بعد الذلة وقويت به بعد الضعف حتى صرت أميرا مسلطا وملكا مطاعا تقول فيسمع منك وتأمر فيطاع أمرك فيالها نعمة ان لم ترفعك فوق قدرك وتبطرك على من دونك واحتفظ من النعمة احتفاظك من المعصية ولهى أخوفهما عندى عليك ان تستدرجك وتخدعك فتسقط سقطة تصير بها الى جهنم اعيذك بالله ونفسى من ذلك ان الناس أسرعوا الى الله حتى رفعت لهم الدنيا فارادوها فارد الله ولا ترد الدنيا واتق مصارع الظالمين انطلق أنت ومن معك حتى اذا كنتم فى أقصى أرض العرب وأدنى أرض العجم فاقيموا فسار عتبة ومن معه حتى اذا كانوا بالمربد تقدموا حتى بلغوا حيال الجسر الصغير فنزلوا فبلغ صاحب الفرات خبرهم فاقبل فى أربعة آلاف فالتقوا فقاتلهم عتبة بعد الزوال وكان فى خمسمائة فقتلهم أجمعين ولم يبق الا صاحب الفرات فاخذه أسيرا ثم خطب عتبة أصحابه وقال ان الدنيا قد تصرمت وولت جدا ولم يبق منها الا صبابة كصبابة الاناء ألا وانكم منتقلون منها الى دار القرار فانتقلوا بخير ما يحضر بكم وقد ذكر لى لو ان صخرة ألقيت من شفير جهنم لهوت سبعين خريفا ولتملأن أو عجبتم ولقد ذكر لى ان ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين خريفا وليأتين عليه يوم وهو كظيظ ولقد رأيتنى وانا سابع سبعة مع النبي صلى الله عليه وسلم ما لنا طعام الا ورق السمر حتى تقرحت اشداقنا والتقطت بردة فشققتها بينى وبين سعد فما منا أولئك السبعة من أحد الا وهو أمير مصر من الامصار وسيجربون الناس بعدنا وكان نزوله البصرة فى ربيع الاول أو الآخر سنة اربع عشرة وقيل ان البصرة مصرت سنة ست عشرة بعد جلولاء وتكريت ارسله سعد اليها بامر عمر وان عتبة لما نزل البصرة أقام نحو شهر فخرج اليه أهل الابلة وكان بها خمسمائة اسوار يحمونها وكانت مرفأ السفن من الصين فقاتلهم عتبة فهزمهم حتى دخلوا المدينة ورجع عتبة الى عسكره والقى الله الرعب فى قلوب الفرس فخرجوا عن المدينة وحملوا ما خف وعبروا الماء وأخلوا المدينة ودخلها المسلمون فاصابوا متاعا وسلاحا وسبيا فاقتسموه واخرج الخمس منه وكان المسلمون ثلثمائة وكان فتحها فى رجب أو فى شعبان ثم نزل موضع مدينة الرزق وخط موضع المسجد وبناه بالقصب وكان أول مولود بها عبد الرحمن بن أبى بكرة فلما ولد ذبح أبوه جزورا فكفتهم لقلة الناس وجمع لهم أهل دستميسان فلقيهم عتبة فهزمهم وأخذ مرزبانها أسيرا وأخذ قتادة منطقته فبعث بها مع انس بن حجية الى عمر فقال له عمر كيف الناس فقال انثالت عليهم الدنيا فهم يهيلون الذهب والفضة فرغب الناس فى البصرة فاتوها واستعمل عتبة مجاشع بن مسعود على جماعة وسيرهم الى الفرات واستخلف المغيرة بن شعبة على الصلاة الى ان يقدم مجاشع بن مسعود فاذا قدم فهو الامير وسار عتبة الى عمر فظفر مجاشع باهل الفرات وجمع الفليكان عظيم من الفرس للمسلمين فخرج اليه المغيرة بن شعبة فلقيهم بالمرغاب فاقتتلوا فقال

الاختيار على ارسال القاضي ابن مقلح الحنبلي فغاب ثم رجع وأخبر انه اجتمع بتيمور وتلطف معه حتى قال له هذه بلاد الانبياء وقد اعتقتها صدقة عن أولادي وأخذ ابن مقلح يعمل عزائم أهل البلد حتى صاروا فرقتين فرقة ترى ما رآه ابن مقلح من بذل الطاعة وهم الفقهاء ونحوهم وفرقة باقية على المحاربة وهم سواد الناس فباتوا تلك الليلة على ذلك ثم أصبحوا وقد غلب رأى ابن مقلح ومن عادة تيمور اذا اخذ بلدا صلحا ان يخرج اليه أهل البلد من كل نوع تسعة أشياء ويسمون ذلك الطقزات فطلب منهم تجهيز ذلك وهموا باخراجه من باب النصر فمنعهم نائب القلعة وهددهم باحراق البلد فاعرضوا عن ذلك وتدلوا من اعلى السور فبانوا فى مخيم تيمور ورجعوا وقد تقرر منهم قضاة و وزير ومستخرج للاموال ومعهم فرمان ومرسوم فيه تسعة أسطر يتضمن الامان لاهل دمشق خاصة فقرئ ذلك على المنبر وفتحوا الباب الصغير وقعد أمير من امراء تيمور ثم شرعوا فى جباية الاموال التى قرروها عليهم وهى ألف ألف دينار وحملت اليه فلما وضعت بين يديه غضب وأمر بان يحمل له ألف ألف تومان والتومان عشرة آلاف دينار فرجعوا يأخذون فى جباية الاموال فتزايد البلاء وفى هذه المدة كلها لم تقم الجمعة الا مرة واحدة نساء

نساء المسلمين لو لحقنا بهم فكان معهم فاتخذن من خمرهن رايات وسرن الى المسلمين فلما رأى المشركون الرايات ظنوا ان مددا للمسلمين قد أقبل فانهزموا وظفر بهم المسلمون وكتب الى عمر بالفتح فقال عمر لعتبة من استعملت على البصرة فقال مجاشع بن مسعود قال اتستعمل رجلا من أهل الوبر على اهل المدر واخبره بما كان من المغيرة وأمره ان يرجع الى عمله فمات فى الطريق وقيل فى موته غير ذلك وسيرد ذكره سنة سبع عشرة وكان من سبى ميسان يسار أبو الحسن البصرى، وارطبان جد عبد الله بن عون بن ارطبان وقيل ان امارة عتبة البصرة كانت سنة خمس عشرة وقيل ست عشرة والاول أصح فكانت امارته عليها ستة أشهر واستعمل عمر على البصرة المغيرة بن شعبة فبقى سنتين ثم رمى بما رمى واستعمل اباموسى وقيل استعمل بعد عتبة أباموسى وبعده المغيرة * وفيها اعنى سنة اربع عشرة ضرب عمر ابنه عبيد الله وأصحابه فى شراب شربوه وأبا محجن * وفيها أمر عمر بالقيام فى شهر رمضان فى المساجد بالمدينة وجمعهم على أبي بن كعب وكتب الى الامصار بذلك وحج بالناس فى هذه السنة عمر بن الخطاب وكان على مكة عتاب بن أسيد فى قول وعلى اليمن يعلى بن منية وعلى الكوفة سعد وعلى الشام أبو عبيدة بن الجراح وعلى البحرين عثمان بن ابى العاص وقيل العلاء بن الحضرمى وعلى عمان حذيفة بن محصن وفى هذه السنة مات أبو قحافة والد أبى بكر الصديق بعد موت ابنه * وفيها مات سعد بن عبادة الانصارى وقيل سنة احدى عشرة وقيل سنة خمس عشرة * وفيها قتل سليط بن عمرو بن عامر بن لؤى * وفيها ماتت هند بنت عتبة بن ربيعة أم معاوية وكان اسلامها يوم الفتح

(ثم دخلت سنة خمس عشرة)

وقيل ان الكوفة مصرها سعد بن أبي وقاص فى هذه السنة دلهم على موضعها ابن بقيلة قال لسعد أدلك على أرض لله ارتفعت عن البقة وانحدرت عن الفلاة فدله على موضعها وقيل غير ذلك ويأتى ذكره

(ذكر الوقعة بمرج الروم)

فى هذه السنة كانت الوقعة بمرج الروم وكان سبب ذلك ان اباعبيدة وخالد بن الوليد سارا بمن معهما من فحل قاصدين حمص فنزلا على ذى الكلاع وبلغ الخبر هرقل فبعث توذر البطريق حتى نزل بمرج الروم غرب دمشق ونزل أبو عبيدة بمرج الروم أيضا ونازله يوم نزوله شنش الرومى فى مثل خيل توذر امدادا لتوذر وردأ لاهل حمص فلما نزل أصبحت الارض من توذر بلاقع وكان خالد بازائه وأبو عبيدة بازاء شنش وسار توذر يطلب دمشق فسار خالد وراءه فى جريدة وبلغ يزيد بن أبى سفيان فعل توذر فاستقبله فاقتتلوا ولحق بهم خالد وهم يقتتلون فاخذهم من خلفهم ولم يفلت منهم الا الشريد وغنم المسلمون ما معهم فقسمه يزيد فى أصحابه وأصحاب خالد وعاد يزيد الى دمشق ورجع خالد الى أبى عبيدة وقد قتل توذر وقاتل أبو عبيدة بعد مسير خالد شنش فاقتتلوا بمرج الروم فقتلت الروم مقتلة عظيمة وقتل شنش وتبعهم المسلمون الى حمص فلما بلغ هرقل ذلك أمر بطريق حمص بالمسير اليها وسار هو الى الرها وسار أبو عبيدة الى حمص

(ذكر فتح حمص وبعلبك وغيرهما)

وفى اثناء الجباية خرب ما بين الجامع والقلعة بالنار نحو من ثلث البلد ثم سلمت القلعة بعد تسعة وعشرين يوما من الاستيلاء على البلد وجمعت الاموال التى قررها ثانيا وأحضرت بين يديه فقال لابن مفلح وأصحابه هذه ثلاثة آلاف دينار بلادنا وقد بقى عليكم سبعة آلاف الف الف وأراكم عجزتم عن الاستخلاص ثم طلب منهم ما تركه العسكر من كل شئ ثم طلب جميع ما فى البلد من الاموال والدواب فكان عدتها نحو اثنى عشر ألفا ثم طلب جميع ما فيها من السلاح فلما انقضى ذلك كله امر باستكتاب خطط دمشق وكتب بها أوراقا وفرقها على امرائه فحينئذ طمت الامواج فنزل كل أمير فى خط وطالب سكان ذلك الخط فكان الرجل يطالب بالمال الثقيل الذى لا يقدر عليه فاذا امتنع عوقب بانواع العذاب ثم تخرج نساؤه وبناته فيوطؤن بين يديه فاقاموا على ذلك تسعة عشر يوما فلما علموا انهم قد اتوا على ما فى البلد خرجوا منها ثم أصبح فيهم عذاب الله المنزل فهجم عليهم كالجراد المنتشر فانتهبوا ما بقى وسبوا النساء والشباب والرجال والقوا الاطفال واطلقوا النار فى الجامع والبلد فاحترقت حتى صارت ترمى بشرر واستمر ذلك ثلاثة ايام حتى اندرست رسومها وفى ثالث شعبان ركب تيمور وسار

فلما فرغ أبو عبيدة من دمشق سار الى حمص فسلك طريق بعلبك فحصرها فطلب أهلها الامان فأمنهم وصالحهم وسار عنهم فنزل على حمص ومعه خالد وقيل انما سار المسلمون الى حمص من مرج الروم وقد تقدم ذكره فلما نزلوها قاتلوا أهلها فكانوا يغادونهم القتال ويراوحونهم في كل يوم بارد ولقي المسلمون بردا شديدا والروم حصارا طويلا فصبر المسلمون والروم وكان هرقل قد أرسل الى أهل حمص يعدهم المدد وأمر أهل الجزيرة جميعها بالتجهز الى حمص فساروا نحو الشام ليمنعوا حمص عن المسلمين فسير سعد بن أبي وقاص السرايا من العراق الى هيت وحصروها وسار بعضهم الى قرقيسيا فتفرق أهل الجزيرة وعادوا عن نجدة أهل حمص فكان أهلها يقولون تمسكوا بمدينتكم فانهم حفاة فاذا أصابهم البرد تقطعت أقدامهم فكانت أقدام الروم تسقط ولا يسقط للمسلمين اصبع فلما خرج الشتاء قام شيخ من الروم فدعاهم الى مصالحة المسلمين فلم يجيبوه وقام آخر فلم يجيبوه فناهدهم المسلمون فكبروا تكبيرة فانهدم كثير من دور حمص وزلزلت حيطانهم فتصدعت فكبروا ثانية فاصابهم أعظم من ذلك فخرج أهلها اليهم يطلبون الصلح ولا يعلم المسلمون بما حدث فيهم فأجابوهم وصالحوهم على صلح دمشق وأنزلها أبو عبيدة السمط بن الاسود الكندي في بني معاوية والاشعث بن ميناس في السكون والمقداد في بلي وأنزلها غيرهم وبعث بالاخماس الى عمر مع عبد الله بن مسعود وكتب عمر الى أبي عبيدة ان أقم في مدينتك وادع أهل القوة من عرب الشام فاني غير تارك البعثة اليك ثم استخلف أبو عبيدة على حمص عبادة بن الصامت وسار الى حماة فتلقاه أهلها مذعنين فصالحهم أبو عبيدة على الجزية لرؤسهم والخراج على أرضهم ومضى نحو شيزر فخرجوا اليه يسألون الصلح على ما صالح عليه أهل حماة وسار أبو عبيدة الى معرة حمص وهي معرة النعمان نسبت بعد الى النعمان بن بشير الانصاري فاذعنوا له بالصلح على ما صالح عليه أهل حمص ثم أتى اللاذقية فقاتله أهلها وكان لها باب عظيم يفتحه جمع من الناس فعسكر المسلمون على بعد منها ثم أمر فحفر حفائر عظيمة تستر الحفرة منها الفارس راكبا ثم أظهروا انهم عائدون عنها ورحلوا فلما جنهم الليل عادوا واستتروا في تلك الحفائر وأصبح أهل اللاذقية وهم يرون ان المسلمين قد انصرفوا عنهم فاخرجوا سرحهم وانتشروا بظاهر البلد فلم يرعهم الا والمسلمون يصيحون بهم ودخلوا معهم المدينة وملكت عنوة وهرب قوم من النصارى ثم طلبوا الامان على ان يرجعوا الى أرضهم فقوطعوا على خراج يؤدونه قلوا أو كثروا وتركت لهم كنيستهم وبنى المسلمون بها مسجدا جامعا بناه عبادة بن الصامت ثم وسع فيه بعد ولما فتح المسلمون اللاذقية جلا أهل جبلة من الروم عنها فلما كان زمن معاوية بنى حصنا خارج الحصن الرومي وشحنه بالرجال وفتح المسلمون مع عبادة بن الصامت انطرطوس وكان حصنا فجلا عنه أهله فبنى معاوية مدينة انطرطوس ومصرها وأقطع بها القطائع للمقاتلة وكذلك فعل ببانياس وفتحت سلمية أيضا وقيل انما سميت سلمية لانه كان بقربها مدينة تدعى المؤتفكة انقلبت باهلها ولم يسلم منهم غير مائة نفس فبنوا لهم مائة منزل وسميت سلم مائة ثم حرف الناس فقالوا سلمية وهذا يمشي انما لو كان أهلها عربا ولسانهم عربيا واما اذا كان لسانهم أعجميا فلا يسوغ هذا القول ثم ان صالح بن علي بن عبد الله ابن عباس اتخذها دارا وبنى ولده فيها ومصروها ونزلها من نزلها من ولده وهي وأرضوها لهم

نحو حلب باجماع البلاد وكانت مدة اقامته في دمشق اربعة وسبعين يوما ثم بعد رحيله كل من بقي به ربهم الفلاحون والعشير وجرى عليهم منهم ما لا يجري من تيمور وفي هذه السنة وقع بطرابلس واعمالها زلزلة عظيمة هدمت برج اليش وبرجا من قلعة المرقب فقتل نحو مائتي نفر وغارت ارض كانت بستانا وبالقرب منها بستان فزحفت ارضه واستقرت مكان البستان الغائر وكتب بذلك محاضر واثبتت وفيها وقع فتن بين الامراء وخاف السلطان على نفسه من ذلك واختفى فلم يعلم احد أين ذهب وكانت مدة ملكه ست سنين وخمس شهور وعمره ثلاث وعشرون سنة فاجتمعت القضاة والامراء عند الخليفة واستشار وابتولية اخيه وهو الثالث من الجراكسة • (الملك المنصور عبد العزيز) • بن الناصر برقوق تولى الملك في شهر ربيع الاول سنة ثمان وثمانمائة وكان عمره ثمان سنين وفي ثامن عشر ربيع الآخر ركب جماعة من المماليك وقالوا نريد استاذنا الملك الناصر فرج ان كان حيا فارونا اياه وان كان ميتا فارونا قبره وطال الكلام فقال لهم اينال الاشقر ان استاذكم عندي فمن اراد ان ينظره فيحضر عندي بآلة الحرب فحضر من المماليك نحو الثلثمائة فخرج اليهم (ذكر

(ذكر فتح قنسرين ودخول هرقل القسطنطينية)

ثم ارسل ابو عبيدة خالد بن الوليد الى قنسرين فلما نزل الحاضر زحف اليهم الروم وعليهم ميناس وكان من أعاظم الروم بعد هرقل فاقتتلوا فقتل ميناس ومن معه مقتلة عظيمة لم يقتلوا مثلها فماتوا على دم واحد وسار خالد حتى نزل على قنسرين فتحصنوا منه فقال لو كنتم فى السحاب لحملنا الله اليكم أو لانزلكم الينا فنظروا فى أمرهم ورأوا مالقى أهل حمص فصالحوهم على صلح حمص فأبى خالد الا على خراب المدينة فأخربها فعند ذلك دخل هرقل القسطنطينية وسببه ان خالدا وعياضا ادربا الى هرقل من الشام وادرب عمرو بن مالك من الكوفة فخرج من ناحية قرقيسيا وادرب عبد الله بن المعتم من ناحية الموصل ثم رجعوا فعندها دخل هرقل القسطنطينية وكانت هذه أول مدربة فى الاسلام سنة خمس عشرة وقيل ست عشرة فلما بلغ عمر صنيع خالد قال أمر خالد نفسه يرحم الله أبا بكر هو كان أعلم بالرجال منى وقد كان عزله والمثنى بن حارثة وقال انى لم أعزلهما من ريبة ولكن الناس عظموهما فخشيت ان يوكلوا اليهما فاما المثنى فانه رجع عن رأيه فيه لما قام بعد أبى عبيدة ورجع عن خالد بعد قنسرين وأما هرقل فانه خرج من الرها وكان أول من انبح كلابها وانفر دجاجها من المسلمين زياد بن حنظلة وكان من الصحابة وسار هرقل فنزل بشمشاط ثم أدرب منها نحو القسطنطينية فلما أراد المسير منها علا على نشز ثم التفت الى الشام فقال السلام عليك ياسورية سلام لا اجتماع بعده ولا يعود اليك رومى أبدا الا خائفا حتى يولد المولود المشؤم ويا ليته لا يولد فما أحلى فعله وأمر فتنته على الروم ثم سار فدخل القسطنطينية وأخذ أهل الحصون التى بين اسكندرية وطرسوس معه لئلا يسير المسلمون فى عمارة ما بين انطاكية وبلاد الروم وشعث الحصون فكان المسلمون لا يجدون بها أحدا وربما كمن عندها الروم فأصابوا غرة المتخلفين فاحتاط المسلمون لذلك

(ذكر فتح حلب وانطاكية وغيرهما من العواصم)

لما فرغ أبو عبيدة من قنسرين سار الى حلب فبلغه ان أهل قنسرين نقضوا وغدروا فوجه اليهم السمط الكندى فحصرهم وفتحها واصاب فيها بقرا وغنما فقسم بعضه فى جيشه وجعل بقيته فى المغنم ووصل ابو عبيدة الى حاضر حلب وهو قريب منها فجمع اصنافا من العرب فصالحهم ابو عبيدة على الجزية ثم أسلموا بعد ذلك وأتى حلب وعلى مقدمته عياض بن غنم الفهرى فتحصن اهلها وحصرهم المسلمون فلم يلبثوا ان طلبوا الصلح والامان على انفسهم واولادهم ومدينتهم وكنائسهم وحصنهم فأعطوا ذلك واستثنى عليهم موضع المسجد وكان الذى صالحهم عياض فاجاز أبو عبيدة ذلك وقيل صولحوا على ان يقاسموا منازلهم وكنائسهم وقيل ان أبا عبيدة لم يصادف بحلب أحدا لان أهلها انتقلوا الى انطاكية وراسلوا فى الصلح فلما تم ذلك رجعوا اليها وسار ابو عبيدة من حلب الى انطاكية وقد تحصن بها كثير من الخلق من قنسرين وغيرها فلما فارقها لقيه جمع العدو فهزمهم فألجأهم الى المدينة وحاصرها من جميع نواحيها ثم انهم صالحوه على الجلاء او الجزية فجلا بعض واقام بعض فأمنهم ثم نقضوا فوجه ابو عبيدة اليهم عياض بن غنم وحبيب بن مسلمة ففتحاها على الصلح الاول وكانت انطاكية عظيمة الذكر عند المسلمين فلما فتحت كتب عمر الى أبى عبيدة ان رتب بانطاكية جماعة من المسلمين واجعلهم بها

بعض جماعة اينال فضربوهم بالسيوف والدبابيس فكسروهم وتبعوهم الى باب زويلة وامسك منهم جماعة وفى رابع جمادى الآخرة أشيع فى القاهرة ان الامراء يريدون الركوب ولا يعلم الطالب من المطلوب وضربت الكاسات ورموا بالنفط وقت التسبيح فلما أصبحوا ظهر السلطان فرج بن برقوق المرة الثانية خرج من بيت سودون الجزاوى فاجتمع اليه جماعة من الامراء والمماليك فدخلوا القلعة بعدما كانوا امتنعوا من فتحها وملكوا القصر الابلق وكانت مدة دولة المنصور عبد العزيز شهرين وتسعة أيام وامر بحمل أخيه المنصور المذكور وأخيه ابراهيم الى ثغر الاسكندرية وفى سنة خمس عشر وثمانمائة اتفق الامير شيخ ونوروز ويشبك بن ازدمر وغيرهم على العصيان فخرج لهم السلطان فى فرسان الى ان وصل الى غزة فخامر عليه اعيان عسكره وتوجهوا للامير شيخ ونوروز الى حمص فتوجه السلطان فى طلبهم فلما قرب من حمص قصدوا القاهرة من على بعلبك ووادى التيم فعاد السلطان فى طلبهم الى ان وصل الى اللجون واقتتلوا قتالا شديدا فانكسر السلطان وهرب الى دمشق فتبعوه وحاصروه بقلعتها اياما ثم اشتد الحصار على السلطان فطلب الامان فأمنوه فنزل من القلعة وهو

مرابطة ولا تحبس عنهم العطاء وبلغ اباعبيدة ان جمعا من الروم بين معرة مصرين وحلب فسار اليهم فلقيهم فهزمهم وقتل عدة بطارقة وسبى وغنم وفتح معرة مصرين على مثل صلح حلب وجالت خيوله فبلغت بوقا وفتحت قرى الجومة وسرمين وتيزين وغلبوا على جميع ارض قنسرين وانطاكية ثم أتى أبوعبيدة حلب وقد التاث أهلها فلم يزل بهم حتى اذعنوا وفتحوا المدينة وسار أبوعبيدة يريد قورس وعلى مقدمته عياض فلقيه راهب من رهبانها يسأله الصلح فبعث به الى أبي عبيدة فصالحه على صلح انطاكية وبث خيله فغلب على جميع أرض قورس وفتح تل عزاز وكان سلمان بن ربيعة الباهلي في جيش أبي عبيدة فنزل في حصن بقورس فنسب اليه فهو يعرف بحصن سلمان ثم سار أبوعبيدة الى منبج وعلى مقدمته عياض فلحقه وقد صالح أهلها على مثل صلح انطاكية وسير عياضا الى ناحية دلوك ورعبان فصالحه أهلها على مثل منبج واشترط عليهم ان يخبروا المسلمين بخبر الروم وولى ابوعبيدة كل كورة فتحها عاملا وضم اليه جماعة وشحن النواحي المخوفة وسار الى بالس وبعث جيشا مع حبيب بن مسلمة الى قاصرين فصالحهم أهلها على الجزية أو الجلاء فجلا أكثرهم الى بلد الروم وأرض الجزيرة وقرية جسر منبج ولم يكن الجسر يومئذ وانما اتخذ في خلافة عثمان للصوائف وقيل بل كان له رسم قديم واستولى المسلمون على الشام من هذه الناحية الى الفرات وعاد ابوعبيدة الى فلسطين وكان بجبل اللكام مدينة يقال لها جرجومة وأهلها يقال لهم الجراجمة فسار حبيب بن مسلمة اليها من انطاكية فافتتحها صلحا على ان يكونوا اعوانا للمسلمين وفيها امير أبوعبيدة بن الجراح جيشا مع ميسرة بن مسروق العبسي فسلكوا درب بغراس من اعمال انطاكية الى بلاد الروم وهو أول من سلك ذلك الدرب فلقي جمعا للروم ومعهم عرب من غسان وتنوخ واياد يريدون اللحاق بهرقل فاوقع بهم وقتل منهم مقتلة عظيمة ثم لحق به مالك الاشتر النخعي مددا من قبل أبي عبيدة وهو بانطاكية فسلموا وعادوا وسير جيشا آخر الى مرعش مع خالد بن الوليد ففتحها على اجلاء أهلها بالامان واخربها وسير جيشا آخر مع حبيب بن مسلمة الى حصن الحدث وانما سمي الحدث لان المسلمين لقوا عليه غلاما حدثا فقاتلهم في أصحابه فقيل درب الحدث وقيل لان المسلمين أصيبوا به فقيل درب الحدث وكان بنو أمية يسمونه درب السلامة لهذا المعنى

(ذكر فتح قيسارية وحصر غزة)

في هذه السنة فتحت قيسارية وقيل سنة تسع عشرة وقيل سنة عشرين وكان سببها ان عمر كتب الى يزيد بن ابي سفيان ان يرسل معاوية الى قيسارية وكتب عمر الى معاوية يأمره بذلك فسار معاوية اليها فحصر اهلها فجعلوا يزاحفونه وهو يهزمهم ويردهم الى حصنهم ثم زاحفوه آخر ذلك مستميتين وبلغت قتلاهم في المعركة ثمانين الفا وكملها في هزيمتهم مائة الف وفتحها وكان علقمة بن مجزز قد حصر القيقار بغزة وجعل يراسله فلم يشفه احد بما يريد فأتاه كأنه رسول علقمة فأمر القيقار رجلا ان يقعد له في الطريق فاذا مر به قتله ففطن علقمة فقال ان معي نفرا يشركونني في الرأي فانطلق فآتيك بهم فبعث القيقار الى ذلك الرجل ان لا يعرض له فخرج علقمة من عنده فلم يعد وفعل كما فعل عمرو بالارطبون (مجزز بجيم وزايين الاولى مكسورة)

شامل لبعض اولاده ونعمهم حوله وهو يبكي ويتضرع لهم فقبض ومحن ثم ادعى عليه ابن ازدمر بقتل اخيه بغير حق فحكم بقتله عوضه فجهز اليه ثلاثة فداوية فقتلوه في سادس عشر صفر فاقام يومين مرميا على مزبلة باحدى شوارع دمشق فكانت مدته سوى ايام غيبته اولا وثانيا ثلاث عشرة سنة ثم أضيفت السلطنة الى أمير المؤمنين المستعين بالله أبي الفضل العباس بن محمد العباسي وصار خليفة وسلطانا مدة ستة أشهر ثم ان الجراكسة اختاروا ان السلطنة لا تخرج منهم فرغبوا شيخا فيها وخلعوا المستعين بالله من الخلافة والسلطنة وولى الخلافة بعده الفضل داود العباسي وتولى السلطنة السلطان الرابع من الجراكسة *(الملك المؤيد شيخ)* جلس على سرير الملك في ثاني شعبان سنة خمس عشرة وثمانمائة وكانت البلاد وجلة والعربان عاصية وأمر الرعايا غير منتظم فمهد البلاد ووطن العباد وأمنت الطرقات وكان شجاعا كريما مهابا حسن الشكل معروف الطلعة فلما بلغ نوروز نائب الشام سلطنة الملك المؤيد حنق وغضب واظهر العصيان فسافر السلطان الى دمشق فلم يذعن له بالطاعة وتحارب مع السلطان أياما ثم ضعف عسكره فهرب وتحصن بالقلعة فحصره بها (ذكر

(ذكر فتح بيسان ووقعة أجنادين)

ولما انصرف أبو عبيدة وخالد الى حمص نزل عمرو وشرحبيل على أهل بيسان فافتتحاها وصالحا أهل الاردن واجتمع عسكر الروم بغزة واجنادين وبيسان وسار عمرو وشرحبيل الى الارطبون ومن معه وهو باجنادين واستخلف على الاردن أبا الاعور فنزل بالارطبون ومعه الروم وكان الارطبون ادهى الروم وأبعدها غورا وكان قد وضع بالرملة جندا عظيما وبايلياء جندا عظيما فلما بلغ عمر بن الخطاب الخبر قال قد رمينا ارطبون الروم بارطبون العرب فانظروا عما تفرج وكان معاوية قد شغل أهل قيسارية عن عمرو وكان عمرو قد جعل علقمة بن حكيم الفراسي ومسروق بن فلان العكي على قتال ايلياء فشغلوا من به عنه وجعل أيضا أبا أيوب المالكي على من بالرملة من الروم فشغلهم عنه وتتابعت الامداد من عند عمر الى عمرو وأقام عمرو على اجنادين لا يقدر من الارطبون على شئ ولا تشفيه الرسل فسار اليه بنفسه فدخل عليه كانه رسول ففطن به الارطبون وقال لاشك ان هذا هو الامير أو من يأخذ الامير برأيه فامر انسانا ان يقعد على طريقه ليقتله اذا مر به وفطن عمرو فقال له قد سمعت مني وسمعت منك وقد وقع قولك مني موقعا وانا واحد من عشرة بعثنا عمر والى هذا الوالي لنكاتفه فارجع فآتيك بهم الآن فان رأوا الذي عرضت على الآن فقد رآه الامير وأهل العسكر وان لم ير رددتهم الى مأمنهم فقال نعم ورد الرجل الذي أمر بقتله فخرج عمرو من عنده وعلم الرومي انه اخدعه فقال خدعني الرجل هذا أدهى الخلق وبلغت خديعته عمر بن الخطاب فقال لله در عمرو وعرف عمرو ماخذه فلقيه فاقتتلوا باجنادين قتالا شديدا كقتال اليرموك حتى كثرت القتلى بينهم وانهزم ارطبون الى ايلياء ونزل عمرو باجنادين وأفرج المسلمون الذين يحصرون بيت المقدس لارطبون فدخل ايلياء وازاح المسلمين عنه الى عمرو وقد تقدم ذكر وقعة اجنادين على قول من يجعلها قبل اليرموك وسياقها على غير هذه السياقة فلهذا ذكرناها هنالك وههنا

(ذكر فتح بيت المقدس وهو ايلياء)

في هذه السنة فتح بيت المقدس وقيل سنة ست عشرة في ربيع الاول وسبب ذلك انه لما دخل ارطبون ايلياء فتح عمرو غزة وقيل كان فتحها في خلافة أبي بكر ثم فتح سبسطية وفيها قبر يحيى بن زكريا عليه السلام وفتح نابلس بامان على الجزية وفتح مدينة لد ثم فتح تبنى وعمواس وبيت جبرين وفتح يافا وقيل فتحها معاوية وفتح عمرو مرج عيون فلما تم له ذلك ارسل الى ارطبون رجلا يتكلم بالرومية وقال له اسمع ما يقول وكتب معه كتابا فوصل الرسول ودفع الكتاب الى ارطبون وعنده وزراؤه فقال ارطبون لا يفتح والله عمرو شيأ من فلسطين بعد اجنادين فقالوا له من أين علمت هذا فقال صاحبها رجل صفته كذا وكذا وذكر صفة عمر فرجع الرسول الى عمرو فاخبره الخبر فكتب الى عمر بن الخطاب يقول اني اعالج عدوا شديدا وبلادا قد ادخرت لك فرأيك فعلم عمر ان عمرا لم يقل ذلك الا بشئ سمعه فسار عمر عن المدينة وقيل كان سبب قدوم عمر الى الشام ان أبا عبيدة حصر بيت المقدس فطلب اهله منه ان يصالحهم على صلح اهل مدن الشام وان يكون المتولي للعقد عمر بن الخطاب فكتب اليه بذلك فسار عن المدينة واستخلف عليها علي بن ابي طالب فقال له علي أين تخرج بنفسك انك تريد عدوا كلبا فقال عمر ابادر بالجهاد قبل موت

زويلة وجدد ثلاث خطب بالقلعة وغيرها فرض وأدركته المنية في المحرم عام أربعة وعشرين وثمانمائة وكانت مدته ثمان سنين وخمسة أشهر وستة أيام وتسلطن بعده ولده وهو الخامس من ملوك الجراكسة *(الملك المظفر احمد)* بن المؤيد شيخ تولى الملك يوم موت والده وكان عمره اذ ذاك سنة وستة أشهر وايا ما ولم يكن تولى احد من الخلفاء ولا من الملوك أصغر منه واستبد بالامر الامير ططر وكان امير الجلس وكان كريما فاستمال عقل الترك بالاعطاء فقبض في ذلك اليوم على بعض الامراء وكان جقمق نائب الشام فوثب واخذ قلعة دمشق واظهر العصيان فسافر السلطان الى الشام فحضر اليه فرقة من الامراء بغزة ودخلوا تحت الطاعة ثم وقعت الفتنة بين الامراء فتقاتلوا فهرب بعضهم الى صرخد وتحصن بقلعتها الى ان استقر الركاب الشريف ودخل دمشق فجهز اليهم نائبها فحاصرهم الى ان سلموا انفسهم ثم توجه السلطان الى حلب فحضر اليه جماعة من الامراء الهاربين من المؤيد في بلاد الشمال فاقبل عليهم ورجع الى الشام وهم في خدمته وفي مستهل رمضان من السنة المذكورة قبض على المظفر

العباس انكم لو فقدتم العباس لانتقض بكم الشر كما ينتقض الحبل فمات العباس لست سنين من خلافة عثمان فانتقض بالناس الشر وسار عمر فقدم الجابية على فرس وجميع ما قدم الشام أربع مرات الاولى على فرس والثانية على بعير والثالثة على بغل رجع لاجل الطاعون والرابعة على حمار وكتب الى امراء الاجناد ان يوافوه بالجابية ليوم سماه لهم في المجردة ويستخلفوا على أعمالهم فلقوه حيث رفعت لهم الجابية فكان اول من لقيه يزيد وأبو عبيدة ثم خالد على الخيول عليهم الديباج والحرير فنزل وأخذ الحجارة ورماهم بها وقال ما اسرع ما رجعتم عن رأيكم اياى تستقبلون في هذا الزى وانما شبعتم مذ سنتين وبالله لو فعلتم هذا على رأس المائتين لاستبدلت بكم غيركم فقالوا يا أمير المؤمنين انها يلامقة وان علينا السلاح قال فنعم اذن وركب حتى دخل الجابية وعمرو وشرحبيل كأنهما لم يتحركا فلما قدم عمر الجابية قال له رجل من اليهود يا أمير المؤمنين انك لا ترجع الى بلادك حتى يفتح الله عليك ايلياء وكانوا قد شجوا عمرا وأشجاهم ولم يقدر عليها ولا على الرملة فبينما عمر معسكر بالجابية فزع الناس الى السلاح فقال ما شأنكم فقالوا الا ترى الى الخيل والسيوف فنظر فاذا كردوس يلمعون بالسيوف فقال عمر مستأمنة ولا تراعوا فأمنوهم واذا أهل ايلياء وحيزها فصالحهم على الجزية وفتحوها له وكان الذى صالحه العوام لان ارطبون والتذارق دخلا مصر لما وصل عمر الى الشام وأخذوا كتابه على ايلياء وحيزها والرملة وحيزها فشهد ذلك اليهودى الصلح فسأله عمر عن الدجال وكان كثير السؤال عنه فقال له وما مسئلتك عنه يا أمير المؤمنين أنتم والله تقتلونه دون باب لد ببضع عشرة ذراعا وأرسل عمر اليهم بالامان وجعل علقمة بن حكيم على نصف فلسطين واسكنه الرملة وجعل علقمة بن مجزز على نصفها الآخر واسكنه ايلياء وضم عمرا وشرحبيل اليه بالجابية فلقياه راكبا فقبلا ركبته وضم كل واحد منهما محتضنهما ثم سار الى بيت المقدس من الجابية فركب فرسه فرأى به عرجا فنزل عنه وأتى ببرذون فركبه فجعل يتجلجل به فنزل وضرب وجهه وقال لا اعلم من علمك هذه الخيلاء ثم لم يركب برذونا قبله ولا بعده وفتحت ايلياء وأرضها على يديه وقيل كان فتحها سنة ست عشرة ولحق ارطبون ومن أبى الصلح من الروم بمصر فلما ملك المسلمون مصر قتل وقيل بل لحق بالروم فكان يكون على صوائفهم والتقى هو وصاحب صائفة المسلمين ومع المسلمين رجل من قيس يقال له ضريس فقطع يد القيسى وقتله القيسى فقال فيه

فان يكن ارطبون الروم افسدها • فان فيها بحمد الله منتفعا

وان يكن ارطبون الروم قطعها • فقد تركت بها أوصاله قطعا

•(ذكر فرض العطاء وعمل الديوان)•

وفى سنة خمس عشرة فرض عمر للمسلمين الفروض ودون الدواوين وأعطى العطايا على السابقة واعطى صفوان بن امية والحرث بن هشام وسهيل بن عمرو فى اهل الفتح اقل ما اخذ من قبلهم فامتنعوا من اخذه وقالوا لا نعترف ان يكون احد اكرم منا فقال انى انما اعطيتكم على السابقة فى الاسلام لا على الاحساب قالوا فنعم اذن واخذوا وخرج الحرث وسهيل باهليهما نحو الشام فلم يزالا مجاهدين حتى اصيبا فى بعض تلك الحروب وقيل ماتا فى طاعون عمواس ولما اراد عمر وضع الديوان قال له على وعبد الرحمن بن عوف ابدأ بنفسك قال لا بل ابدأ بعم

رسول

أحمد ومحبس بقلعة دمشق وكانت مدته سبعة اشهر واثنين وعشرين يوما ثم تولى السلطنة بعده وهو السادس من ملوك الجراكسة •(الملك الظاهر ططر)• ركب بشعار المملكة فى قلعة دمشق وفرح الناس بذلك لقمع الاعداء وأرضى العسكر بالمال فلم يختلف فيه اثنان وأخذ بقلوب الناس وعاد من دمشق ودخل القاهرة فى رابع شوال وأقام أياما يسيرة طيبة ثم عرض له قولنج صفراوى فمات منه يوم الاحد رابع ذى الحجة سنة أربع وعشرين وثمانمائة ودفن بمقام الامام ابى الليث وكانت مدة سلطنته ثلاثة اشهر وثلاثة ايام وتولى الملك بعده ولده وهو السابع من الجراكسة •(الملك الصالح محمد)• بن الظاهر ططر ولى الملك وعمره عشر سنين واستبد بالامر الامير جانى بك الصوفى فاتفق بعض الامراء على قبض الامير المذكور فتحصن بالقلعة فطالبوه فلم ينزل ثم جاءه من باب السلسلة بعض الامراء واظهروا له المناصحة وسألوه ان ينزل بمكان للمشاورة فنزل وتوجهوا به الى بيت الامير نوروز فأمسكوه واعتقلوه بثغر الاسكندرية واستقر الامير برسباى مكانه ثم ان البلاد قصرت همم عليها والطرقات فسدت لصغر سن السلطان فاجتمع أهل الحل والعقد وخلعوا الصالح وكانت مدته أربعة شهور وبايعوا السلطان الثامن

رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الاقرب فالاقرب ففرض للعباس وبدأ به ثم فرض لاهل بدر خمسة آلاف خمسة آلاف ثم فرض لمن بعد بدر الى الحديبية أربعة آلاف أربعة آلاف ثم فرض لمن بعد الحديبية الى ان أقلع أبو بكر عن أهل الردة ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف فى ذلك من شهد الفتح وقاتل عن أبى بكر ومن ولى الايام قبل القادسية كل هؤلاء ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف ثم فرض لاهل القادسية وأهل الشام ألفين ألفين وفرض لاهل البلاء النازع منهم ألفين وخمسمائة ألفين وخمسمائة فقيل له لو ألحقت أهل القادسية باهل الايام فقال لم أكن لالحقهم بدرجة من لم يدركوا وقيل له قد سويت من بعدت داره بمن قربت داره وقاتلهم عن فنائه فقال من قربت داره أحق بالزيادة لانهم كانوا ردأ للحتوف وشجى للعدو فهلا قال المهاجرون مثل قولكم حين سوينا بين السابقين منهم والانصار فقد كانت نصرة الانصار بفنائهم وهاجر اليهم المهاجرون من بعد وفرض لمن بعد القادسية واليرموك الفا الفا ثم فرض للروادف المثنى خمسمائة خمسمائة ثم للروادف الليث بعدهم ثلثمائة ثلثمائة سوى كل طبقة فى العطاء قويهم وضعيفهم عربيهم وعجميهم وفرض للروادف الربيع على مائتين وخمسين وفرض لمن بعدهم وهم أهل هجر والعباد على مائتين والحق باهل بدر أربعة من غير أهلها الحسن والحسين وأباذر وسلمان وكان فرض للعباس خمسة وعشرين ألفا وقيل اثنى عشر ألفا واعطى نساء النبى صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف عشرة آلاف الا من جرى عليها الملك فقال نسوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفضلنا علينا فى القسمة فسو بيننا ففعل وفضل عائشة بالفين لمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم اياها فلم تأخذ وجعل نساء أهل بدر فى خمسمائة خمسمائة ونساء من بعدهم الى الحديبية على أربعمائة أربعمائة ونساء من بعد ذلك الى الايام ثلثمائة ثلثمائة ونساء أهل القادسية مائتين مائتين ثم سوى بين النساء بعد ذلك وجعل الصبيان سواء على مائة مائة ثم جمع ستين مسكينا وأطعمهم الخبز فاحصوا ما أكلوا فوجدوه يخرج من جريبتين ففرض لكل انسان منهم ولعياله جريبتين فى الشهر وقال عمر قبل موته لقد هممت ان أجعل العطاء أربعة آلاف أربعة آلاف ألفا يجعلها الرجل فى أهله وألفا يزودها معه وألفا يجهز بها وألفا يترفق بها فمات قبل أن يفعل وقال له قائل عند فرض العطاء يا أمير المؤمنين لو تركت فى بيوت الاموال عدة لكون ان كان فقال كلمة ألقاها الشيطان على فيك وقانى الله شرها وهى فتنة لمن بعدى بل أعد لهم ما أعد الله ورسوله طاعة الله ورسوله هما عدتنا التى بها أفضينا الى ما ترون فاذا كان المال ثمن دين أحدكم هلكتم وقال عمر للمسلمين انى كنت امرأ تاجرا يغنى الله عيالى بتجارتى وقد شغلتمونى بأمركم هذا فما ترون انه يحل لى فى هذا المال وعلى ساكت فاكثر القوم فقال ما تقول يا على فقال ما أصلحك وعيالك بالمعروف ليس لك غيره فقال القوم القول ما قال على فاخذ قوته واشتدت حاجة عمر فاجتمع نفر من الصحابة منهم عثمان وعلى وطلحة والزبير فقالوا لو قلنا لعمر فى زيادة نزيده اياها فى رزقه فقال عثمان هلموا فلنستبرئ ما عنده من وراء وراء فاتوا حفصة ابنته فاعلموها الحال واستكتموها ان لا تخبر بهم عمر فلقيت عمر فى ذلك فغضب وقال من هؤلاء لاسوءنهم قالت لا سبيل الى علمهم قال أنت بينى وبينهم ما أفضل ما اقتنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتك من الملبس قالت ثوبين ممشقين

سنة خمس وعشرين وثمانمائة وجعل الصالح فى قاعة بين اولاده وهو من عتقى الملك برقوق فلما استقر على تخت الملك منع الناس من تقبيل الارض بين يديه وجعل مكانه تقبيل يد السلطان وفى سنة ثمان وعشرين وثمانمائة جهز السلطان أغزية لفتح جزيرة قبرس وتوجهت الخيول فى البر الى مدينة طرابلس وفى تاسع شوال من السنة المذكورة وردت الاخبار بنصرة المسلمين ودقت البشائر وزينت القاهرة وفيما بعد ذ وردت الامراء المجاهدون برا وبحرا ومعهم من الغنائم ومن الاسارى بحيث لا تحصى وأسروا الملك وهو مقيد راكب على بغل فرسم بسجنه ثم بيعت الغنائم وتقرر على ملك الافرنج مائتا ألف دينار يقوم بنصفها وهو بالقاهرة والنصف اذا توجه لبلاد قبرس وان يحمل فى كل سنة عشرين ألف دينار ثم أفرج عنه وجهز الى بلاده (ومن الحوادث فى أيامه) فى سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة مطرت بحمص ضفادع خضر فلاثت الازقة والاسطعة وفيها حصل وباء عظيم باقليم مصر ووجد كثير من التماسيح والاسماك ميتة طافيا على وجه الماء ووجد بين السويس والقاهرة كثير من

كان يلبسهما الوفد والجمع قال فأى الطعام نالته عندك أرفع قالت خرقا من خبز شعير فصببنا عليه وهو حار أسفل عكتنا فجعلتها دسمة حلوة فأكل منها قال وأى مبسط كان يبسط عندك كان أوطأ قالت كساء ثخين كنا نربعه فى الصيف فاذا كان الشتاء بسطنا نصفه وتدثرنا بنصفه قال يا حفصة فأبلغيهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدر فوضع الفضول مواضعها وتبلغ بالترجية وانى والله لاضعن الفضول مواضعها ولاتبلغن بالترجية وانما مثلى ومثل صاحبى كثلاثة سلكوا طريقا فمضى الاول وقد تزود فبلغ المنزل ثم اتبعه الآخر فسلك طريقه فأفضى اليه ثم اتبعه الثالث فان لزم طريقهما ورضى بزادهما لحق بهما وان سلك غير طريقهما لم يجامعهما

(ذكر الحروب الى آخر السنة فى ذلك يوم برس وبابل وكوثى)

لما فرغ سعد من امر القادسية أقام بها بعد الفتح شهرين وكاتب عمر فيما يفعل فكتب اليه عمر يأمره بالمسير الى المدائن وان يخلف النساء والعيال بالعتيق وان يجعل معهم جندا كثيفا وان يشركهم فى كل مغنم ماداموا يخلفون المسلمين فى عيالاتهم ففعل ذلك وسار من القادسية لايام بقين من شوال وكل الناس مؤد مقتوى قد نفل الله اليهم ما كان فى عسكر الفرس فلما وصلت مقدمة المسلمين برس وعليهم عبد الله بن المعتم وزهرة بن حوية وشرحبيل بن السمط لقيهم بها بصبهرا فى جمع من الفرس فهزمه المسلمون ومن معه الى بابل وبها فالة القادسية وبقايا رؤسائهم الخيرزان ومهران الرازى والهرمزان واشباههم وقد استعملوا عليهم الفيرزان وقدم بصبهرا منهم رماه برس فوقع فى النهر ومات من طعنة كان طعنه زهرة ولما هرم بصبهرا أقبل بسطام دهقان برس فصالح زهرة وعقد له الجسور وأخبره عن اجتمع ببابل فأرسل زهرة الى سعد يعرفه ذلك فقدم عليه سعد ببرس وسيره فى المقدمة واتبعه عبد الله وشرحبيل وهاشم المرقال واتبعهم فنزلوا على الفيرزان ببابل وقد قالوا نقاتلهم قبل ان نفترق فاقتتلوا فهزمهم المسلمون فانطلقوا على وجهين فسار الهرمزان نحو الاهواز فأخذها فأكلها وخرج الفيرزان نحو نهاوند فأخذها فأكلها وبها كنوز كسرى وأكل الماهين وسار الخيرزان ومهران الى المدائن وقطعا الجسر وأقام سعد ببابل فقدم زهرة بين يديه بكير بن عبد الله الليثى وكثير بن شهاب السعدى حتى عبرا الصراة فلحقا بأخريات القوم وفيهم فيومان والفرخان فقتل بكير الفرخان وقتل كثير فيومان بسورا وجاء زهرة فجاز سورا ونزل وجاء سعد وهاشم والناس ونزلوا عليه وتقدم زهرة نحو الفرس وكانوا قد نزلوا بين الدير وكوثى وقد استخلف الخيرزان ومهران على جنودهما شهريار فنازلهم زهرة فبرزوا الى قتاله وخرج شهريار يطلب المبارزة فأخرج زهرة اليه أبا نباتة نائل بن جعشم الاعرجى وكان من شجعان بنى تميم وكلاهما وثيق الخلق فلما رأى شهريار نائلا ألقى الرمح ليعتنقه وألقى ابو نباتة رمحه ليعتنقه ايضا وانتضيا سيفيهما فاجتلدا ثم اعتنقا فسقطا عن دابتيهما فوقع شهريار عليه كأنه جبل فضغطه بفخذه وأخذ الخنجر وأراد حل أزرار درعه فوقعت اصبعه فى فى نائل فكسر عظمها ورأى منه فتورا فبادره وجلد به الارض ثم قعد على صدره وأخذ خنجره وكشف درعه عن بطنه وطعن به بطنه وجنبه حتى مات وأخذ فرسه وسواريه وسلبه وانهزم أصحابه فذهبوا فى البلاد وأقام زهرة بكوثى حتى قدم عليه سعد فقدم

الضباب والذباب أمواتا ما ومقاتات ويبلغ الموتى فى اليوم زيادة عن ستة آلاف ثم أهمل العدد وفى يوم الجمعة نصف جمادى الآخرة اجتمع اربعون شريفا اسم كل منهم محمد بالجامع الازهر فقرؤا ما تيسر الى أذان العصر فصعدوا على السطح وأذنوا جميعا بصوت واحد ونزلوا فصلوا العصر وانفضوا وفى يوم السبت اخذ يتناقص فى كل يوم عن الآخر حتى انقطع وفيها وردت الاخبار بانه كانت زلزلة عظيمة بجزيرة الاندلس وعم غرناطة سقطت منها ابنية كثيرة وخسفت بثلاث مدن وهى همدان وواسط ودارا وابتلعتها الارض باهلها وروى أن حائطا بمسجد غرناطة ارتفع قدر عشرة أذرع ثم رجع وأقامت الارض خمسة عشر يوما ثم سكنت حتى خرج الناس الى الصحراء خوفا ان يقع عليهم البنيان وفى سنة خمس وثلاثين وثمانمائة ورد الخبر بان الخراب شمل بلاد الشرق من تبريز الى بغداد وأرسل عليها جراد لم يدع فيها خضرا ووقع الغلاء عندهم حتى بيع رطل اللحم المصرى بنصف دينار وبيع لحم الكلب بستة دراهم فضة ثم أعقب ذلك وباء ببغداد والجزيرة وديار بكر وفيها طلق رجل زوجته وهى حامل فغيبت الحمل وتزوجت بغيره ثم طلقها ثم تزوجت بثالث فطلقها فولدت

البحر

اليه نائلا والبسه سلاح شهريار وسواريه واركبه برذونه وغنمه الجميع فكان أول اعرابي سوّر بالعراق وأقام بها سعد أياما وزار مجلس ابراهيم الخليل عليه السلام وقيل كانت هذه الوقعات سنة ست عشرة (نائل بالنون وبعد الالف ياء تحتها نقطتان وآخره لام)

(ذكر بهرسير وهي المدينة العتيقة وهي المدائن الدنيا من الغرب)

ثم ان سعدا قدم زهرة الى بهرسير فمضى في المقدمات فتلقاه شيرازاد دهقان ساباط بالصلح فارسله الى سعد فصالحه على تأدية الجزية ولقي زهرة كتيبة بنت كسرى التي تدعى بوران وكانوا يحلفون كل يوم ان لا يزول ملك فارس ما عشنا فهزمهم وقتل هاشم بن عتبة وهو ابن أخي سعد المقرط وهو أسد كان لكسرى قد ألفه فقبل سعد رأس هاشم وقبل هاشم قدم سعد وارسله سعد في المقدمة الى بهرسير فنزل الى المظلم وقرأ أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال ثم ارتحل فنزل على بهرسير ووصلها سعد والمسلمون فرأوا الايوان فقال ضرار بن الخطاب الله أكبر ابيض كسرى هذا ما وعد الله ورسوله وكبر وكبر الناس معه فكانوا كلما وصلت طائفة كبروا ثم نزلوا على المدينة وكان نزولهم عليها في ذي الحجة وحج بالناس في هذه السنة عمر بن الخطاب وكان عامله فيها على مكة عتاب بن أسيد في قول وعلى الطائف يعلى بن منية وعلى اليمامة والبحرين عثمان بن ابي العاص وعلى عمان حذيفة بن محصن وعلى الشام أبو عبيدة بن الجراح وعلى الكوفة وارضها سعد بن ابي وقاص وعلى البصرة المغيرة بن شعبة وفيها مات سعد بن عبادة الانصاري وقيل توفي في خلافة أبي بكر ونوفل بن الحرث بن عبد المطلب وكان أسن من أسلم من بني هاشم

(ثم دخلت سنة ست عشرة)

(ذكر فتح المدائن الغربية وهي بهرسير)

في هذه السنة في صفر دخل المسلمون بهرسير وكان سعد محاصرا لها وأرسل الخيول فاغارت على من ليس له عهد فاصابوا مائة الف فلاح فاصاب كل واحد منهم فلاحا لان كل المسلمين كان فارسا فارسل سعد الى عمر يستأذنه فاجابه ان من جاءكم من الفلاحين ممن لم يعينوا عليكم فهو امانة ومن هرب فادركتموه فشأنكم به فخلى سعد عنهم وأرسل الى الدهاقين ودعاهم الى الاسلام أو الجزية ولهم الذمة فتراجعوا ولم يدخل في ذلك ما كان لآل كسرى فلم يبق غربي دجلة الى أرض العرب سوادي الا آمن واغتبط بملك الاسلام واقاموا على بهرسير شهرين يرمونهم بالمجانيق ويدنون اليهم بالدبابات ويقاتلونهم بكل عدة ونصبوا عليها عشرين منجنيقا فشغلوهم بها وربما خرج العجم فقاتلوهم فلا يقومون لهم وكان آخر ما خرجوا متجردين للحرب وتبايعوا على الصبر فقاتلهم المسلمون وكان على زهرة بن الحوية درع مفصوم فقيل له لو أمرت بهذا الفصم فسرد فقال لهم اني على الله لكريم ان ترك سهم فارس الجند كلهم ان لا يؤمني من هذا الفصم حتى يثبت في فكان أول رجل أصيب من المسلمين يومئذ هو بنشابة من ذلك الفصم فقال بعضهم انزعوها فقال دعوني فان نفسي معي ما دامت في لعلّ أن أصيب منهم بطعنة أو ضربة فمضى نحو العدو فضرب بسيفه شهريار من أهل اصطخر فقتله وأحيط به فقتل وما انكشفوا وقيل ان زهرة عاش الى أيام الحجاج فقتله شبيب الخارجي وسيرد ذكره واشتد

هذه عادة قدر الطفل فدفنه أهلها خوف العار وفيها زاد النيل أربعة أذرع في غير أوانه فغرقت غالب الزراعة الصيفية وفي رابع ذي القعدة سنة احدى واربعين وثمانمائة جمع السلطان الخليفة والامراء والقضاة وعهد بالسلطنة لولده ثم تولى عليه الصرع حتى توفي بعصر يوم السبت ثالث عشر ذي الحجة وكانت مدة ملكه خمس عشرة سنة وثمانية أشهر وخمسة أيام وكان بدو أمره انه كان أبوه في بلاده فقيرا فسلمه لحداد ينفخ له الكير فاقام عنده مدة ثم مات أبوه فتزوجت أمه برجل فقير فاحتاج فباعه ليهودي يسمى صادقا فخدمه مدة ثم باعه لبعض التجار فجاء به الى مدينة حلب فاشتراه نائبها الامير دقماق فاقام عنده مدة ثم أرسله تقدمة للظاهر برقوق ومازال يترقى الى ان بلغ ما بلغ ثم استقل بعده ولده السلطان التاسع من الجراكسة *(الملك العزيز أبو المحاسن يوسف)* بن الاشرف برسباي ولي السلطنة في حياة والده بعهد منه في رابع ذي القعدة سنة احدى وأربعين وثمانمائة وعمره اربع عشرة سنة وسبعة أشهر *(وفي ايامه)* وقع الاختلاف بين الامراء ونهبت العرب الحاج في عودهم بوادي عنترة فاخذوا منهم ثلاثة آلاف جمل باحمالها وأسروا من الركب جماعة وقتل جماعة

الحصار بأهل المدائن القربة حتى أكلوا السنانير والكلاب وصبروا من شدة الحصار على أمر عظيم فبيناهم يحاصرونهم اذ أشرف عليهم رسول الملك فقال الملك يقول لكم هل لكم الى المصالحة على ان لنا ما يلينا من دجلة الى جبلنا ولكم ما يليكم من دجلة الى جبلكم اما شبعتم لا أشبع الله بطونكم فقال لهم أبو مفزر الاسود بن قطبة وقد أنطقه الله تعالى بما لا يدري ما هو ولا من معه فرجع الرجل فقطعوا دجلة الى المدائن الشرقية التي فيها الايوان فقال له من معه يا ابا مفزر ما قلت له قال والذي بعث محمدا بالحق ما أدري وانا أرجو ان أكون قد نطقت بالذي هو خير وسأله سعد والناس عما قال فلم يعلم فنادى سعد في الناس فنهدوا اليهم فما ظهر على المدينة أحد ولا خرج رجل الا رجل ينادي بالامان فأمنوه فقال لهم ما بقي بالمدينة من يمنعكم فدخلوا فما وجدوا فيها شيأ ولا أحدا الا الأسارى وذلك الرجل فسألوه لاي شئ هربوا فقال بعث الملك اليكم يعرض عليكم الصلح فأجبتموه انه لا يكون بيننا وبينكم صلح أبدا حتى نأكل عسل افريذين باترج كوثى فقال الملك يا ويله ان الملائكة تتكلم على السنتهم ترد علينا فساروا الى المدينة القصوى فلما دخلها المسلمون أنزلهم سعد المنازل وأرادوا العبور الى المدائن فوجدوا المعابر قد أخذوها ما بين المدائن وتكريت

(ذكر فتح المدائن التي فيها ايوان كسرى)

وكان فتحها في صفر أيضا سنة ست عشرة قيل واقام سعد ببهرسير أياما من صفر فأتاه علج فدله على مخاضة تخاض الى صلب الفرس فأبى وتردد عن ذلك وقحمهم المد وكانت السنة كثيرة المدود ودجلة تقذف بالزبد فأتاه علج فقال ما يقيمك لا يأتي عليك ثلاثة حتى يذهب يزدجرد بكل شئ في المدائن فهيجه ذلك على العبور وأرى رؤيا أن خيول المسلمين اقتحمت دجلة فعبرت فعزم سعد لتأويل الرؤيا فجمع الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر فلا تخلصون اليه معه ويخلصون اليكم اذا شاؤا في سفنهم فيناوشونكم وليس وراءكم شئ تخافون ان تؤتوا منه قد كفاكم أهل الايام وعطلوا ثغورهم وقد رأيت من الرأي ان تجاهدوا العدو قبل ان تحصدكم الدنيا الا اني قد عزمت على قطع هذا البحر اليهم فقالوا جميعا عزم الله لنا ولك على الرشد فافعل فندب الناس الى العبور وقال من يبدأ ويحمي لنا الفراض حتى تتلاحق به الناس لكي لا يمنعوهم من العبور فانتدب له عاصم بن عمرو ذو البأس في ستمائة من أهل النجدات فاستعمل عليهم عاصما فقدمهم عاصم في ستين فارسا وجعلهم على خيل ذكور واناث ليكون اسلس لسباحة الخيل ثم اقتحموا دجلة فلما رآهم الاعاجم وما صنعوا أخرجوا للخيل التي تقدمت مثلها فاقتحموا عليهم دجلة فلقوا عاصما وقد دنا من الفراض فقال عاصم الرماح الرماح اشرعوها وتوخوا العيون فالتقوا فاطعنوا وتوخى المسلمون عيونهم فولوا ولحقهم المسلمون فقتلوا أكثرهم ومن نجا منهم صار أعور من الطعن وتلاحق الستمائة بالستين غير متعبين ولما رأى سعد عاصما على الفراض قد منعها أذن للناس في الاقتحام وقال قولوا نستعين بالله ونتوكل عليه حسبنا الله ونعم الوكيل والله لينصرن الله وليه وليظهرن دينه وليهزمن عدوه ولا قوة الا بالله العلي العظيم وتلاحق الناس في دجلة وانهم يتحدثون كما يتحدثون في البر وطبقوا دجلة حتى ما يرى من الشاطئ شئ وكان الذي يساير سعدا سلمان

وفوض اليه الامر ان يعزل ويولي ولم يبق للسلطان سوى الاسم فلما كان يوم الاربعاء تاسع عشر ربيع الاول خلع العزيز وكانت مدته أربعة وتسعين يوما وتسلطن السلطان المذكور وهو العاشر من ملوك الجراكسة *(الملك الظاهر أبو سعيد جقمق)* جلس على سرير الملك في الساعة الثالثة من يوم خلع العزيز وسجن في دار بالقلعة واجرى عليه من وقف أبيه في كل شهر عشرة آلاف درهم وفي سلخ رمضان فقد العزيز من القلعة فاشتد قلق السلطان وماج الناس وتحوزوا ووقع فتنة وسبب اختفائه انه كان بخدمته طواشي يسمى صندل احتوى على عقل العزيز وخوفه وكان له طباخ فداخله صندل في اخراج العزيز فقال انا أنهض بذلك فلما كان وقت الافطار والناس على اخطتهم ألبسه الطباخ ثيابه وحمل على رأسه قدرا وأخرجه من باب القلعة وصار ينتقل من مكان الى مكان وكبس عليه اماكن كثيرة حتى فساقي الاموات ودور النصارى ثم ان العزيز قوي عليه الخوف فأذن للطواشي والطباخ ان ينصرفا عنه وصار مع مملوكه ازدمر يتنكر في كل يوم في زي حتى الناس

الفارسي فعامت بهم خيولهم وسعد يقول حسبنا الله ونعم الوكيل والله لينصرن الله وليه وليظهرن دينه وليهزمن عدوه ان لم يكن في الجيش بغي أو ذنوب تغلب الحسنات فقال له سلمان الاسلام جديد ذللت لهم البحور كما ذلل لهم البر اما والذي نفس سلمان بيده ليخرجن منه افواجا كما دخلوا فيه أفواجا فخرجوا منه كما قال سلمان لم يفقدوا شيأ الا قدحا مالك بن عامر العنبري سقط منه قدح فذهبت به جرية الماء فقال له الذي يسايره معيرا له أصابه القدر فطاح فقال والله اني لعلى حالة ما كان الله ليسلبني قدحي من بين العسكرين فلما عبروا ألقته الريح الى الشاطئ فتناوله بعض الناس وعرفه صاحبه فأخذه صاحبه ولم يغرق منهم أحد غير ان رجلا من بارق يدعى غرقدة زال عن ظهر فرس له اشقر فثنى القعقاع عنان فرسه اليه فأخذ بيده فأخرجه سالما وخرج الناس سالمين وخيلهم تنفض اعرافها فلما رأى الفرس ذلك واتاهم أمر لم يكن في حسابهم خرجوا هاربين نحو حلوان وكان يزدجرد قد قدم عياله الى حلوان قبل ذلك وخلف مهران الرازي والنخيرجان وكان على بيت المال بالنهروان وخرجوا معهم بما قدروا عليه من خير متاعهم وخفيفه وما قدروا عليه من بيت المال وبالنساء والذراري وتركوا في الخزائن من الثياب والمتاع والآنية والفصوص والالطاف مالا يدرى قيمته وخلفوا ما كانوا اعدوا للحصار من البقر والغنم والاطعمة وكان في بيت المال ثلاثة آلاف ألف ألف ألف ثلاث مرات أخذ منها رستم عند مسيره الى القادسية النصف وبقي النصف وكان أول من دخل المدائن كتيبة الاهوال وهي كتيبة عاصم بن عمرو ثم كتيبة الخرساء وهي كتيبة القعقاع بن عمرو فأخذوا في سككها لا يلقون فيها احدا يخشونه الا من كان في القصر الابيض فأحاطوا بهم ودعوهم فاستجابوا على تأدية الجزية والذمة فتراجع اليهم أهل المدائن على مثل عهدهم ليس في ذلك ما كان لآل كسرى ونزل سعد القصر الابيض وسرح سعد زهرة في آثارهم الى النهروان ومقدار ذلك من كل جهة وكان سلمان الفارسي رائد المسلمين وداعيهم دعا أهل بهرسير ثلاثا وأهل القصر الابيض ثلاثا واتخذ سعد ايوان كسرى مصلى ولم يغير ما فيها من التماثيل ولم يكن بالمدائن اعجب من عبور الماء وكان يدعى يوم الجراثيم لا يبقى احد الا انشزت له جرثومة من الارض يستريح عليها ما يبلغ الماء حزام فرسه ولذلك يقول أبو بجيد نافع بن الاسود —

وأملنا على المدائن خيلا * بحرها مثل برهن اريضا
فانتثلنا خزائن المرء كسرى * يوم ولوا وحاض منها جريضا

ولما دخل سعد الايوان قرأ كم تركوا من جنات وعيون وزروع الى قوله قوما آخرين وصلى فيه صلاة الفتح ثماني ركعات لا يفصل بينهن ولا يصلي جماعة وأتم الصلاة لانه نوى الاقامة وكانت أول جمعة بالعراق وجمعت بالمدائن في صفر سنة ست عشرة ولما سار المسلمون وراءهم ادرك رجل من المسلمين فارسيا يحمي أصحابه فضرب فرسه ليقدم على المسلم فأحجم وأراد الفرار فتقاعس فأدركه المسلم فقتله وأخذ سلبه وأدرك رجل آخر من المسلمين جماعة من الفرس يتلاومون وقد نصبوا لاحدهم كرية وهو يرميها لا يخطئها فرجعوا فلقيهم المسلم فتقدم اليه ذلك الفارسي فرماه بأقرب مما كانت الكرية فلم يصبه فوصل المسلم اليه فقتله وهرب أصحابه

دخل في زي النساء فلم يزل يتنقل حتى قبض عليه وعلى مملوكه ازدمر في هيئة مغربي ليلة الاحد سابع عشر شوال وسجن بالقلعة ثم وجه الى ثغر الاسكندرية فسجن بها ورتب له كل يوم ألف درهم من وقف أبيه وفي سنة خمس وأربعين وثمانمائة شاع بالقاهرة ان الشيخ القدوة الشريف العلامة سيدي أحمد البدوي سار الى بلاد الفرنج وخلص من أيديهم ثلاثة رجال أسرى وأتى بهم الى مقامه وكسر قيودهم وأصبح الناس ترى الرجال والقيود وما ذلك على الله بعزيز وفيها وصلت قصاد ملك الحبشة صحبة قاصد السلطان وقدموا التحف من جملتها عشرة اقفاص مملوءة قضبان ذهب وتبر وعشرة رماح ذهب وخمس وستون جارية حبشية بكرا باعناقهن قلائد المسك والعنبر وفيها رجع العسكر المجهز الى جزيرة رودس ومعهم بنت الملك وأسرى رجال وصبيان ونساء وصحبتهم من الذهب العين ثمانية عشر صندوقا في كل صندوق نحو ثلاثة قناطير ذهب واثنتا عشرة جرة نحاس مختومة الفم بالرصاص في كل جرة قنطار ونصف ذهبا وغير ذلك من الجواهر

(أبو عبيد بضم الباء الموحدة وفتح الجيم وبعدها ياء تحتها نقطتان ودال مهملة)

•(ذكر ما جمع من غنائم أهل المدائن وقسمتها)•

كان سعد قد جعل على الاقباض عمرو بن عمرو بن مقرن وعلى القسمة سلمان بن ربيعة الباهلي بجمع ما في القصر والايوان والدور وأحصى ما يأتيه به الطلب وكان أهل المدائن قد نهبوها عند الهزيمة وهربوا في كل وجه فما أفلت أحد منهم بشيء الا ادركهم الطلب فأخذوا ما معهم ورأوا بالمدائن قبابا تركية مملوءة سلالا مختومة برصاص فحسبوه طعاما فاذا فيها آنية الذهب والفضة وكان الرجل يطوف ليبيع الذهب بالفضة متماثلين ورأوا كافورا كثيرا فحسبوه ملحا فعجنوا به فوجدوه مرا وادرك الطلب مع زهرة جماعة من الفرس على جسر النهروان فازدحموا عليه فوقع منهم بغل في الماء فعجلوا وكبوا عليه فقال بعض المسلمين ان لهذا البغل لشأنا فجالدهم المسلمون عليه حتى أخذوه وفيه حلية كسرى ثيابه وخرزاته ووشاحه ودرعه التي فيها الجوهر وكان يجلس فيها للمباهاة ولحق الكلج ببغلين معهما فارسان فقتلهما وأخذ البغلين فأبلغهما صاحب الاقباض وهو يكتب ما يأتيه به الرجال فقال له قف حتى ننظر ما معك فحط عنهما فاذا سفطان فيهما تاج كسرى مرصعا وكان لا يحمله الا اسطوانتان وفيه الجوهر وعلى البغل الآخر سفطان فيهما ثياب كسرى التي كان يلبس من الديباج المنسوج بالذهب المنظوم بالجوهر وغير الديباج منسوجا منظوما وأدرك القعقاع بن عمرو فارسا فقتله وأخذ منه عيبتين في احداهما خمسة أسياف وفي الاخرى ستة اسياف وأدراع منها درع كسرى ومغافره ودرع هرقل ودرع خاقان ملك الترك ودرع داهر ملك الهند ودرع بهرام جوبين ودرع سياوخش ودرع النعمان استلبها الفرس أيام غزاهم خاقان وهرقل وداهر وأما النعمان وجوبين ففي هربا من كسرى والسيوف من سيوف كسرى وهرمز وقباذ وفيروز وهرقل وخاقان وداهر وبهرام وسياوخش والنعمان فأحضر القعقاع الجميع عند سعد فخيره بين الاسياف فاختار سيف هرقل وأعطاه درع بهرام ونفل سائرها في الخرساء الا سيف كسرى والنعمان فبعثهما الى عمر بن الخطاب لتسمع العرب بذلك حسبوها في الاخماس وبعثوا بتاج كسرى وحليته وثيابه الى عمر ليراه المسلمون وأدرك عصمة بن خالد الضبي رجلين معهما حماران فقتل أحدهما وهرب الآخر وأخذ الحمارين فأتى بهما صاحب الاقباض فاذا على احدهما سفطان في أحدهما فرس من ذهب بسرج من فضة وعلى ثفره ولبانه الياقوت والزمرد المنظوم على الفضة ولجام كذلك وفارس من فضة مكلل بالجوهر وفي الآخر ناقة من فضة عليها شليل من ذهب وبطان من ذهب ولها زمام من ذهب وكل ذلك منظوم بالياقوت وعليها رجل من ذهب مكلل بالجوهر كان كسرى يضعهما على اسطوانتي التاج وأقبل رجل بحق الى صاحب الاقباض فقال هو والذين معه ما رأينا مثل هذا ما يعدله ما عندنا ولا يقاربه فقالوا هل أخذت منه شيئا فقال والله لولا الله ما أتيتكم به فقالوا من انت فقال والله لا أخبركم فتحمدوني ولكني أحمد الله وارضى بثوابه فاتبعوه رجلا فسأل عنه فاذا هو عامر بن عبد قيس وقال سعد والله ان الجيش لذو امانة ولولا ما سبق لاهل بدر لقلت انهم على فضل أهل بدر لقد تتبعت منهم هناة ما احسبها من هؤلاء وقال جابر بن عبد الله والذي لا اله الا هو ما اطلعنا على أحد من أهل القادسية انه يريد الدنيا

والياقوت والصفا أخذوا ذلك كله من قلعة تشتمل من اعمال ردمس وهدمت القلعة بهذه الغزوة وذكروا انهم رأوا في واد فيها ثعبانا طائرا في الهواء طوله نحو خمسة وعشرين ذراعا بضفيرتين شعرا عينا رشما الا رأسه مثل رأس الصل وذنبه مفروق فرقتين طائر بغير جناح سألوا عنه أهل المراكب فقالوا هذا الجنس بهذا الوادي كثير وفي سنة احدى وخمسين وثمانمائة ظهرت مدينة يقال لها اقرقص من عمل الفيوم كانت غرقت مع ما غرق من القرى وبهذه المدينة جامع من خصوصياته انه لا ينام فيه انسان الا وجد نفسه خارج الجامع وفي ليالي الجمع يظهر منه نور ساطع ورجل عظيم قائم بالتسبيح والتحميد الى يومنا هذا وان دخله جنب أو حائض أغلق الباب في وجهه وذكر ان رجلا أراد الدخول اليه ومعه شيء من الافيون فعمي عليه باب الجامع ولا زال حتى ألقى ما معه ففتح له الباب وفي سنة سبع وخمسين وثمانمائة حصل للسلطان ضعف وتزايد عليه المرض فخلع نفسه وتوفي بعد ثلاثة أيام واجتمعت الامراء على ولاية ولده وكانت مدة

مع الآخرة فلقد اتهمنا ثلاثة نفر فما رأينا كأمانتهم وزهدهم وهم طليحة وعمرو بن معديكرب وقيس بن المكشوح وقال عمر لما قدم عليه بسيف كسرى ومنطقته وبزبرجده ان قوما ادوا هذا لذوو أمانة فقال علي انك عففت فعفت الرعية فلما جمعت الغنائم قسم سعد الفيء بين الناس بعد ما خمسه وكانوا ستين الفا فاصاب الفارس اثني عشر الفا وكلهم كان فارسا ليس فيهم راجل ونفل من الاخماس في أهل البلاء وقسم المنازل بين الناس وأحضر العيالات فانزلهم الدور فاقاموا بالمدائن حتى فرغوا من جلولاء وحلوان وتكريت والموصل ثم تحولوا الى الكوفة وأرسل سعد في الخمس كل شيء أراد ان يعجب منه العرب وما كان يعجبهم ان يقع وأراد اخراج خمس القطيف فلم تعتدل قسمته وهو بهار كسرى فقال للمسلمين هل تطيب أنفسكم عن اربعة أخماسه فنبعث به الى عمر يضعه حيث يشاء فانا لا نراه يتقسم وهو بيننا قليل وهو يقع من أهل المدينة موقعا فقالوا نعم فبعثه الى عمر والقطيف بساط واحد طوله ستون ذراعا وعرضه ستون ذراعا مقدار جريب كانت الاكاسرة تعده للشتاء اذا ذهبت الرياحين شربوا عليه فكانهم في رياض فيه طرق كالصور وفيه فصوص كالانهار أرضها مذهبة وخلال ذلك فصوص كالدر وفي حافاته كالارض المزروعة والارض المبقلة بالنبات في الربيع والورق من الحرير على قضبان الذهب وزهره الذهب والفضة وثمره الجوهر واشباه ذلك وكانت العرب تسميه القطيف فلما قدمت الاخماس على عمر نفل منها من غاب ومن شهد من أهل البلاء ثم قسم الخمس في مواضعه ثم قال اشيروا علي في هذا القطيف فمن بين مشير بقبضه وآخر مفوض اليه فقال له علي لم يجعل الله علمك جهلا ويقينك شكا انه ليس لك من الدنيا الا ما أعطيت فامضيت أو لبست فابليت أو اكلت فافنيت وانك ان تبقه على هذا اليوم لم تعدم في غد من يستحق به ما ليس له فقال صدقتني ونصحتني فقطعه بينهم فاصاب عليا قطعة منه فباعها بعشرين ألفا وما هي باجود تلك القطع وكان الذي سار بالاخماس بشير بن الخصاصية وأثنى الناس على أهل القادسية فقال عمر أولئك اعيان العرب ولما رأى عمر سيف النعمان سأل جبير بن مطعم عن نسب النعمان فقال جبير كانت العرب تنسبه الى اسلاء قنص وكان أحد بني عجم بن قنص فجهل الناس عجم فقالوا لخم فنفله سيفه وولى عمر بن الخطاب سعد بن أبي وقاص صلاة ما غلب عليه وحربه وولى الخراج النعمان وسويدا ابني مقرن سويدا على ما سقت الفرات والنعمان على ما سقت دجلة ثم استعفيا فولى عملهما حذيفة بن أسيد وجابر بن عمرو المزني ثم ولى عملهما بعد حذيفة ابن النعمان وعثمان بن حنيف (حذيفة بن أسيد بفتح الهمزة وكسر السين)

(ذكر وقعة جلولاء وفتح حلوان)

وفي هذه السنة كانت وقعة جلولاء وسببها ان الفرس لما انتهوا بعد الهرب من المدائن الى جلولاء وافترقت الطرق باهل اذربيجان والباب وأهل الجبال وفارس قالوا ان افترقتم لم تجتمعوا أبدا وهذا مكان يفرق بيننا فهلموا فلنجتمع للعرب به ولنقاتلهم فان كانت لنا فهو الذي نحب وان كانت الاخرى كنا قد قضينا الذي علينا وأبلينا عذرا فاحتفروا الخندق واجتمعوا فيه على مهران الرازي وتقدم يزدجرد الى حلوان وأحاطوا خندقهم بحسك الحديد الا طرقهم فبلغ ذلك سعدا فارسل الى عمر فكتب اليه عمر أن سرح هاشم بن عتبة الى جلولاء واجعل على

ملكه أربع عشرة سنة وعشرة أشهر ويومين ثم تولى بعده ولده وهو السلطان الحادي عشر من ملوك الجراكسة *(الملك المنصور أبو السعادات عثمان)* ابن الملك الظاهر جقمق ولي السلطنة يوم خلع والده وسنه دون العشرين وركب بشعار المملكة وحمل الامير الكبير اينال العلائي القبة والطير على رأسه ودقت الكوسات ونودي بالامان والاطمئنان وفي اليوم السابع عشر من ولايته أراد كسر العسكر واقامة مماليك أبيه لكثرة ما سمع من الكلام وكان تدميره في تدبيره فرسم بامساك بعض الامراء فأمسكوا وقيدوا وأرسلوا الى ثغر الاسكندرية فانقلبت عليه بقية الامراء بامساك اخوانهم وخافت على أنفسهم منه وقالوا اذا كان هذا فعله فيمن يتعلق به وأفنوا أعمارهم في خدمة والده فما حاله مع غيرهم فوقع الاضطراب في العسكر وصاروا فرقتين فوقع بينهما حرب عظيم يطول شرحها حتى حاصروا القلعة ومنعوا عنهم الاكل وقطعوا الماء فعند ذلك اتفق الرأي على خلع السلطان فخلع وكانت مدته ستة وأربعين يوما ولا يعلم أحدا اقل مدة منه

مقدمته القعقاع بن عمرو وان هزم الله الفرس فاجعل القعقاع بين السواد والجبل وليكن الجند اثنى عشر الفا ففعل سعد ذلك وسار هاشم من المدائن بعد قسمة الغنيمة فى اثنى عشر ألفا منهم وجوه المهاجرين والانصار واعلام العرب ممن كان ارتد ومن لم يرتد فسار من المدائن الى بابل مهروذ فصالحه دهقانها على ان يفرش له جريب الارض دراهم ففعل وصالحه ثم مضى حتى قدم جلولاء فحاصرهم فى خنادقهم واحاط بهم وطاولهم الفرس وجعلوا لا يخرجون الا اذا أرادوا وزاحفهم المسلمون نحو ثمانين يوما كل ذلك ينصر المسلمون عليهم وجعلت الامداد ترد من يزدجرد الى مهران وامتد سعد المسلمين وخرجت الفرس وقد احتفلوا فاقتتلوا فارسل الله عليهم الريح حتى اظلمت عليهم البلاد فتحاجزوا فسقط فرسانهم فى الخندق فجعلوا فيه طرقا مما يليهم يصعد منه خيلهم فافسدوا حصنهم وبلغ ذلك المسلمين فنهضوا اليهم وقاتلوهم قتالا شديدا لم يقتتلوا مثله ولا ليلة الهرير الا انه كان أعجل وانتهى القعقاع بن عمرو من الوجه الذى زحف فيه الى باب خندقهم فاخذه وأمر مناديا ينادى يا معاشر المسلمين هذا أميركم قد دخل الخندق وأخذه فأقبلوا اليه ولا يمنعكم من بينكم وبينه من دخوله وانما أمر بذلك ليقوى المسلمين فحملوا ولا يشكون بان هاشما فى الخندق فاذا هم بالقعقاع بن عمرو وقد أخذه فانهزم المشركون عن المجال يمنة ويسرة فهلكوا فيما اعدوا من الحسك فعقرت دوابهم وعادوا رجالة واتبعهم المسلمون فلم يفلت منهم الا من لا يعد وقتل يومئذ منهم مائة ألف فجللت القتلى المجال وما بين يديه وما خلفه فسميت جلولاء بما جللها من قتلاهم فهى جلولاء الوقيعة وسار القعقاع بن عمرو فى الطلب حتى بلغ خانقين ولما بلغت الهزيمة يزدجرد سار من حلوان نحو الرى وقدم القعقاع حلوان فنزلها فى جند من الافناء والحمراء وكان فتح جلولاء فى ذى القعدة سنة ست عشرة ولما سار يزدجرد عن حلوان استخلف عليها خسروشنوم فلما وصل القعقاع قصر شيرين خرج عليه خسروشنوم وقدم اليه الزينبى دهقان حلوان فلقيه القعقاع فقتل الزينبى وهرب خسروشنوم واستولى المسلمون على حلوان وبقى القعقاع بها الى ان تحول سعد الى الكوفة فلحقه القعقاع واستخلف على حلوان قباذ وكان أصله خراسانيا وكتبوا الى عمر بالفتح وبنزول القعقاع حلوان واستأذنوه فى اتباعهم فأبى وقال لوددت ان بين السواد وبين الجبل سدا لا يخلصون الينا ولا نخلص اليهم حسبنا من الريف السواد انى آثرت سلامة المسلمين على الانفال وأدرك القعقاع فى اتباعه الفرس مهران بخانقين فقتله وأدرك الفيرزان فنزل وتوغل فى الجبل فتحامى وأصاب القعقاع سبايا فارسلهن الى هاشم فقسمهن فاتخذن فولدن وممن ينسب الى ذلك السبى أم الشعبى وقسمت الغنيمة وأصاب كل واحد من الفوارس تسعة آلاف وتسعة من الدواب وقيل ان الغنيمة كانت ثلاثين ألف ألف فقسمها سلمان بن ربيعة وبعث سعد بالاخماس الى عمر وبعث الحساب مع زياد ابن أبيه فكلم عمر فيما جاء له ووصفه فقال عمر هل تستطيع ان تقوم فى الناس بمثل ما كلمتنى به فقال والله ما على الارض أهيب فى صدرى منك فكيف لا اقوى على هذا من غيرك فقام فى الناس بما أصابوا وما صنعوا وبما يستأذنون من الانسياح فى البلاد فقال عمر هذا الخطيب المصقع فقال ان جندنا اطلقوا بالفعال ألسنتنا فلما قدم الخمس على عمر قال والله لا يجنه سقف حتى اقسمه فبات عبد الرحمن بن عوف

مع عظم شوكته ولما خلع من السلطنة عقدت البيعة باجماع أهل الحل والعقد للسلطان الثانى عشر من ملوك الجراكسة وهو (الملك الاشرف ابو النصر اينال) ولى الملك يوم خلع المنصور وهو يوم الاثنين ثامن شهر ربيع الاول عام سبعة وخمسين وثمانمائة وأصله من مماليك الظاهر برقوق اشتراه مع أخيه طوخ فاعتق أخاه لكونه كان الاكبر وترك اينال هذا كما كان الى ان ملكه ولده الملك الناصر فرج فاعتقه وجعله بعد مدة خاصكيا ثم انتقل الى امرة اخرى الى ان ولى الامرة الكبرى وتسلطن ولما ملك خلع على الامراء وفرح به الناس لعقله وسكينته واستقر الامير خوشقدم حاجب الحجاب أمير سلاح وفى اليوم الثالث من ولايته أطلق الامراء المسجونين فى ثغر الاسكندرية وسجن الملك المنصور مكانهم ولما تولى الاشرف لم يتحرك ساكن فى البلاد لما يعهدونه منه من الفروسية والعقل وفى هذه السنة وقع من الامر الغريب ان السهم الذى خلف ميزاب الرحمة بسقف الكعبة المشرفة كبير وكان خشبه عودا

وعبد الله بن الارقم يحرسانه فى المسجد فلما أصبح جاء فى الناس فكشف عنه فلما نظر الى ياقوته وزبرجده وجوهره بكى فقال له عبد الرحمن بن عوف ما يبكيك يا أمير المؤمنين فوالله ان هذا لموطن شكر فقال عمر والله ما ذلك يبكينى وبالله ما أعطى الله هذا قوما الا تحاسدوا وتباغضوا ولا تحاسدوا الا ألقى الله بأسهم بينهم ومنع عمر من قسمة السواد لتعذر ذلك بسبب الآجام والغياض وتبعيض المياه وما كان لبيوت النار ولسكك البرد وما كان لكسرى ومن جامعه وما كان لمن قتل والارجاء وخاف أيضا الفتنة بين المسلمين فلم يقسمه ومنع من بيعه لانه لم يقسم وأقروها حبيسا يولونها من أجمعوا عليه بالرضا وكانوا لا يجمعون الا على الامراء فلا يحل بيع شئ من أرض السواد ما بين حلوان والقادسية واشترى جرير أرضا على شاطئ الفرات فرد عمر ذلك الشراء وكرهه

(ذكر فتح تكريت والموصل)

وفى هذه السنة فتحت تكريت فى جمادى وسبب ذلك ان الانطاق سار من الموصل الى تكريت وخندق عليه ليحمى أرضه ومعه الروم واياد وتغلب والنمر والشهارجة فبلغ ذلك سعدا فكتب الى عمر فكتب اليه عمر ان سرح اليه عبد الله بن المعتم واستعمل على مقدمته ربعى بن الافكل وعلى الخيل عرفجة بن هرثمة فسار عبد الله الى تكريت ونزل على الانطاق فحصره ومن معه أربعين يوما فتزاحفوا أربعة وعشرين زحفا وكانوا أهون شوكة من أهل جلولاء وأرسل عبد الله بن المعتم الى العرب الذين مع الانطاق يدعوهم الى نصرته وكانوا لا يخفون عليه شيأ ولما رأت الروم المسلمين ظاهرين عليهم تركوا امراءهم ونقلوا امتاعهم الى السفن فأرسلت تغلب واياد والنمر الى عبد الله بالخبر وسألوه الامان وأعلموه انهم معه فأرسل اليهم ان كنتم صادقين فأسلموا فأجابوه وأسلموا فأرسل اليهم عبد الله اذا سمعتم تكبيرنا فاعلموا انا أخذنا أبواب الخندق فخذوا الابواب التى تلى دجلة وكبروا واقتلوا من قدرتم عليه ونهد عبد الله والمسلمون وكبروا وكبرت تغلب واياد والنمر وأخذوا الابواب فظن الروم ان المسلمين قد أتوهم من خلفهم مما يلى دجلة فقصدوا الابواب التى عليها المسلمون وأخذتهم سيوف المسلمين وسيوف الربعيين الذين أسلموا تلك الليلة فلم يفلت من أهل الخندق الا من أسلم من تغلب واياد والنمر وأرسل عبد الله بن المعتم ربعى بن الافكل الى الحصنين وهما نينوى والموصل فسمى نينوى الحصن الشرقى وسمى الموصل الحصن الغربى وقال اسبق الخبر وسرح معه تغلب واياد والنمر فقدمهم ابن الافكل الى الحصنين فسبقوا الخبر وأظهروا الظفر والغنيمة وبشروهم ووقفوا بالابواب وأقبل ابن الافكل فاقتحم عليهم الحصنين وكلبوا أبوابهما فنادوا بالاجابة الى الصلح وصاروا ذمة وقسموا الغنيمة فكان سهم الفارس ثلاثة آلاف درهم وسهم الراجل ألف درهم وبعثوا بالاخماس الى عمر وولى حرب الموصل ربعى بن الافكل والخراج عرفجة بن هرثمة وقيل ان عمر بن الخطاب استعمل عتبة على فرقد على قصد الموصل وفتحها سنة عشرين فأتاها فقاتله أهل نينوى فأخذ حصنها وهو الشرقى عنوة وعبر دجلة فصالحه أهل الحصن الغربى وهو الموصل على الجزية ثم فتح المرج وبانهذرا وباعذرا وحبتون وداسن وجميع معاقل الاكراد وقردى وبازبدى وجميع أعمال الموصل فصارت للمسلمين وقيل ان عياض بن غنم لما فتح بلدا على ما نذكره أتى

فاقليما نفتش أهل مكة على مثله فلم يجدوا فبينما هم فى ذلك اذ بلغهم ان مركبا لبعض التجار قدمت من الهند وفيها أربعة صوارى مقدار السهم الذى انكسر فسار جماعة من مكة الى جدة حتى أتوا التاجر صاحب المركب وأعطوه فى السهم خمسمائة دينار فأبى فأعطوه حتى وصل ألفا ومائتى دينار فأبى ولما الحوا عليه فى الطلب خرج من المينة وأخذ فى السفر فلم يخرج عن المينة الا قليلا واختلفت الرياح وهاجت عليه الامواج فكسرت المركب وخرجت ألواحا ولا زال الريح يحمل ذلك الصارى المطلوب حتى أتى به ساحل جدة فحمل بامان حتى أتوا به الى مكة فوجدوه عودا فاقليما كأنه ذلك الذى انكسر فوضعوه موضعه وفى السنة التى تولى فيها الاشرف فتح السلطان محمد بن مرادخان بن عثمان مدينة قسطنطينية ووردت قصاده الى القاهرة وعلى يدهم كتاب بفتح القسطنطينية وبعض هدايا الى الملك الاشرف فخلع على القاصد ورسم بكتب جواب الكتاب وتهنئة هذا الفتح العظيم وفى سنة ثلاث وستين وثمانمائة سقط عمو ف

الموصل ففتح أسعد الحصنين وبعث عتبة بن فرقد الى الحصن الآخر ففتحه على الجزية والخراج والله أعلم (المعتم بضم الميم وسكون العين المهملة وآخره ميم مشددة)

•(ذكر فتح ماسبذان)•

ولما رجع هاشم من جلولاء الى المدائن بلغ سعدا ان آذين بن الهرمزان قد جمع جمعا وخرج بهم الى السهل فارسل اليهم ضرار بن الخطاب في جيش فالتقوا بسهل ماسبذان فاقتتلوا فاسرع المسلمون في المشركين وأخذ ضرار آذين أسيرا فضرب رقبته ثم خرج في الطلب حتى انتهى الى السيروان فأخذ ماسبذان عنوة فهرب أهلها في الجبال فدعاهم فاستجابوا له وأقام بها حتى تحول سعد الى الكوفة فارسل اليه فنزل الكوفة واستخلف على ماسبذان ابن الهذيل الاسدى فكانت أحد فروج الكوفة وقيل ان فتحها كان بعد وقعة نهاوند

•(ذكر فتح قرقيسيا)•

ولما رجع هاشم من جلولاء الى المدائن وقد اجتمعت جموع أهل الجزيرة فامدوا هرقل على أهل حمص وبعثوا جندا الى أهل هيت فارسل سعد عمر بن مالك بن عتبة بن نوفل بن عبد مناف في جند وجعل على مقدمته الحرث بن يزيد العامرى فخرج عمر بن مالك في جنده نحو هيت فنازل من بها وقد خندقوا عليهم فلما رأى عمر بن مالك اعتصامهم بخندقهم ترك الاخبية على حالها وخلف عليهم الحرث بن يزيد يحاصرهم وخرج في نصف الناس فجاء قرقيسيا على غرة فاخذها عنوة فاجابوا الى الجزية وكتب الى الحرث بن يزيد ان هم استجابوا فخل عنهم فليخرجوا والا فخندق على خندقهم خندقا ابوابه مما يليك حتى أرى رأيي فراسلهم الحرث فاجابوا الى العود الى بلادهم فتركهم وسار الحرث الى عمر بن مالك • وفيها غرب عمر بن الخطاب ابا محجن الثقفى الى باضع • وفيها تزوج ابن عمر صفية بنت أبى عبيد أخت المختار • وفيها حمى عمر الربذة لخيل المسلمين • وفيها ماتت مارية أم ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى عليها عمر ودفنها بالبقيع في المحرم • وفيها كتب عمر التاريخ بمشورة على بن أبى طالب وحج بالناس في هذه السنة عمر بن الخطاب واستخلف على المدينة زيد بن ثابت وكان عماله على البلاد الذين كانوا في السنة قبلها وكان على حرب الموصل ربعى بن الافكل وعلى خراجها عرفجة بن هرثمة وقيل كان على الحرب والخراج بها عتبة بن فرقد وقيل كان ذلك كله الى عبد الله بن المعتم وعلى الجزيرة عياض بن غنم

(ثم دخلت سنة سبع عشرة)

•(ذكر بناء الكوفة والبصرة)•

في هذه السنة اختطت الكوفة وتحول سعد اليها من المدائن وكان سبب ذلك ان سعدا أرسل وفدا الى عمر بفتح المذكورة فلما رآهم عمر سألهم عن تغير ألوانهم وحالهم فقالوا وخومة البلاد غيرتنا فامرهم عمران يرتادوا منزلا ينزله الناس وكان قد حضر مع الوفد نفر من بنى تغلب ليعاقدوا عمر على قومهم فقال لهم عمر أعاقدكم على ان من أسلم منكم كان له ما للمسلمين وعليه ما عليهم ومن أبى فعليه الجزية فقالوا اذن يهربون ويصيرون عجما وبذلوا له الصدقة فابى فجعلوا جزيتهم مثل صدقة المسلم فاجابهم على ان لا ينصروا وليدا فهاجر هؤلاء التغلبيون ومن

اطاعهم

العلماء المنجم عظيم ساطع النور بالافق سقط على شجرة من بعض أشجارها فاحترقت الشجرة نصفين نصفا اسود فصار طريا أخضر والنصف الذى لم يسود احترق وجف واتقسه وتنار الى ذلك الدور رجلان حاتا في تلك الساعة وورد شيران في تلك الساعة من ذلك اليوم أمطرت السماء بناحية اسنا وارمنت مطرا عليما لم يعهد مثله ووجد في ذلك المطر السمك حيا وهذا يؤيد قول من قال ان بين السماء والارض بحرا يقال له المكفوف وبه من أنواع الحيوانات ما لا يعلم ولا يدرى خلقها الا الله تعالى وفي يوم الاربعاء رابع عشر جمادى الاولى سنة خمس وستين وثمانمائة أمر السلطان باحضار الخليفة والقضاة والامراء وعهد لولده لضعف تزايد في بدنه وخلع نفسه وتوفى بعده وكانت مدة ملكه ثمان سنين وشهرين وخمسة أيام وهو الثالث عشر من ملوك الجراكسة •(الملك المؤيد أبو الفتح أحمد)• بن الملك الاشرف اينال ولى السلطنة وقت الظهر يوم خلع أبوه نفسه وركب بشعار المملكة وحمل الامير خوشقدم القبة والطير

أطاعهم من النمر واياد الى سعد بالمدائن ونزلوا بالمدائن ونزلوا معه بعد بالكوفة وقيل بل كتب حذيفة الى عمر ان العرب قد رقت بطونها وجفت اعضادها وتغيرت الوانها وكان مع سعد فكتب عمر الى سعد اخبرنى ما الذى غير ألوان العرب ولحومهم فكتب اليه سعد ان الذى غيرهم وخومة البلاد وان العرب لا توافقها الا ما وافق ابلها من البلدان فكتب اليه عمر ان ابعث سلمان وحذيفة رائدين فليرتادا منزلا بريا بحريا ليس بينى وبينكم فيه بحر ولا جسر فارسلهما سعد فخرج سلمان حتى أتى الانبار فسار فى غربى الفرات لا يرضى شيأ حتى أتى الكوفة وسار حذيفة فى شرقى الفرات لا يرضى شيأ حتى أتى الكوفة وكل رملة وحصباء مختلطين فهو كوفة فأتيا عليها وفيها ديرات ثلاثة دير حرمة ودير أم عمرو ودير سلسلة وخصاص خلال ذلك فاعجبتهما البقعة فنزلا فصليا ودعوا الله تعالى ان يجعلها منزل الثبات فلما رجعا الى سعد بالخبر وقدم كتاب عمر اليه أيضا كتب سعد الى القعقاع بن عمرو وعبد الله بن المعتم ان يستخلفا على جندهما ويحضرا عنده ففعلا فارتحل سعد من المدائن حتى نزل الكوفة فى المحرم سنة سبع عشرة وكان بين نزول الكوفة ووقعة القادسية سنة وشهران وكان فيما بين قيام عمر واختطاط الكوفة ثلاث سنين وثمانية أشهر ولما نزلها سعد كتب الى عمر انى قد نزلت بالكوفة منزلا فيما بين الحيرة والفرات بريا وبحريا ينبت الحلفاء والنصى وخيرت المسلمين بينها وبين المدائن فمن أعجبه المقام بالمدائن تركته فيها كالمسلحة ولما استقروا بها عرفوا أنفسهم ورجع اليهم ما كانوا فقدوا من قوتهم واستأذن أهل الكوفة فى بنيان القصب واستأذن فيه أهل البصرة أيضا واستقر منزلهم فيها فى الشهر الذى نزل أهل الكوفة بعد ثلاث نزلات قبلها فكتب اليهم ان العسكر أشد لحربكم واذكر لكم وما أحب ان اخالفكم فابتنى أهل المصرين بالقصب ثم ان الحريق وقع فى الكوفة والبصرة وكانت الكوفة أشد حريقا فى شوال فبعث سعد نفرا منهم الى عمر يستأذنونه فى البنيان باللبن فقدموا عليه بخبر الحريق واستئذانه أيضا فقال افعلوا ولا يزيدن أحدكم على ثلاثة أبيات ولا تطاولوا فى البنيان والزموا السنة يلزمكم الدولة فرجع القوم الى الكوفة بذلك وكتب عمر الى البصرة بمثل ذلك وكان على تنزيل الكوفة أبو هياج بن مالك وعلى تنزيل البصرة عاصم بن دلف أبو الجرباء وقدر المناهج أربعين ذراعا وما بين ذلك عشرين ذراعا والازقة سبع اذرع والقطائع ستين ذراعا وأول شئ خطه فيهما وبنى مسجداهما وقام فى وسطهما رجل شديد النزع فرمى فى كل جهة بسهم وأمر ان يبنى ما وراء ذلك وبنى ظلة فى مقدمة مسجد الكوفة على اساطين رخام من بناء الاكاسرة فى الحيرة وجعلوا على الصحن خندقا لئلا يقتحمه احد ببنيان وبنوا لسعد دارا بحياله وهى قصر الكوفة اليوم بناه روزبه من آجر بنيان الاكاسرة بالحيرة وجعل الاسواق على شبه المساجد من سبق الى مقعد فهو له حتى يقوم منه الى بيته ويفرغ من معه . بلغ عمر ان سعدا قال وقد سمع اصوات الناس من الاسواق سكنوا عنى الضويط وأن الناس يسمونه قصر سعد فبعث محمد بن مسلمة الى الكوفة وأمره ان يحرق باب القصر ثم يرجع ففعل فبلغ سعدا ذلك فقال هذا رسول أرسل لهذا فاستدعاه سعد فأبى ان يدخل اليه فخرج اليه سعد وعرض عليه نفقة فلم يأخذ وابلغه كتاب عمر اليه بلغنى انك اتخذت قصرا جعلته حصنا ويسمى قصر سعد بينك وبين الناس باب

على رأسه والامراء فى ركابه حتى أتى القصر فدقت البشائر وجلس على سرير الملك وخلع على الخليفة والامراء على العادة ثم بعد ذلك وقع بينه وبين الامراء وهجموا حتى ملكوا الاصطبل ولم يكن عند السلطان فى القلعة سوى مائة مملوك من مماليك والده فلبسوا ونزلوا من السبع حدرات وحصل بينهم وبين العسكر وقعة عظيمة وقاسوا من تلك الفئة القليلة ذلا وهوانا لا يعبر عنه ولم يستطع أحد يقرب القلعة من تلك الفئة القليلة وباتوا تلك الليلة على ما هم عليه وقد أيقن السلطان بالزوال فركب وطلع الى الصيرة وطلبت جماعته الامان فاخرجوهم بالذل والهوان وخلعوه من السلطنة وأرسلوه لثغر الاسكندرية فكانت مدته أربعة أشهر واجتمع اهل الحل والعقد واعيان العسكر على سلطنة الامير الكبير الاتابكى وهو الرابع عشر من ملوك الجراكسة وليس منهم *(الملك الظاهر أبو سعيد خوشقدم)* ركب من محل ولايته فى نهار الاحد تاسع عشر شهر رمضان المبارك سنة خمس وستين

فليس بقصر لنا ولكنه قصر الخبال ازل منه مما يلي بيوت الاموال وأغلقه والاجعل على القصر بابا يمنع الناس من دخوله فخلف له سعد ما قال الذي قالوا فرجع محمد فابلغ عمر قول سعد فصدقه وكانت ثغور الكوفة أربعة حلوان وعليها القعقاع وماسبذان وعليها ضرار بن الخطاب وقرقيسيا وعليها عمر بن مالك أو عمرو بن عتبة بن نوفل والموصل وعليها عبد الله بن المعتم وكان بها خلفاؤهم اذا غابوا عنها وولى سعد الكوفة بعد ما اختطت ثلاث سنين ونصفا سوى ما كان بالمدائن قبلها

•(ذكر خبر حمص حين قصد هرقل من بها من المسلمين)•

وفي هذه السنة قصد الروم اباعبيدة بن الجراح ومن معه من المسلمين بحمص وكان المهيج للروم أهل الجزيرة فانهم أرسلوا الى ملكهم وبعثوه على ارسال الجنود الى الشام ووعدوا من انفسهم المعاونة ففعل ذلك فلما سمع المسلمون باجتماعهم ضم أبو عبيدة اليه مسالحهم وعسكر بفناء مدينة حمص وأقبل خالد من قنسرين اليهم فاستشارهم أبو عبيدة في المناجزة أو التحصين الى مجيء الغياث فاشار خالد بالمناجزة وأشار سائرهم بالتحصين ومكاتبة عمر فأطاعهم وكتب الى عمر بذلك وكان عمر قد اتخذ في كل مصر خيولا على قدره من فضول أموال المسلمين عدة لكون ان كان فكان بالكوفة من ذلك أربعة آلاف فرس وكان القيم عليها سلمان بن ربيعة الباهلي ونفر من أهل الكوفة وفي كل مصر من الامصار الثمانية على قدره فان نابتهم نائبة ركبها الناس وساروا الى ان يتجهز الناس فلما سمع عمر الخبر كتب الى سعد ان اندب الناس مع القعقاع بن عمرو وسرحهم من يومهم فان أباعبيدة قد احيط به وكتب اليه أيضا سرح سهيل بن عدي الى الرقة فان أهل الجزيرة هم الذين استثاروا الروم على أهل حمص وامره ان يسرح عبد الله بن عتبان الى نصيبين ثم ليقصد حران والرها وان يسرح الوليد بن عقبة على عرب الجزيرة من ربيعة وتنوخ وان يسرح عياض بن غنم فان كان قتال فامرهم الى عياض فمضى القعقاع في أربعة آلاف من يومهم الى حمص وخرج عياض بن غنم وامراء الجزيرة وأخذوا طريق الجزيرة وتوجه كل أمير الى الكورة التي أمر عليها وخرج عمر من المدينة فأتى الجابية لابي عبيدة مغيثا يريد حمص ولما بلغ أهل الجزيرة الذين أعانوا الروم على أهل حمص وهم معهم خبر الجنود الاسلامية تفرقوا الى بلادهم وفارقوا الروم فلما فارقوهم استشار أبو عبيدة خالدا في الخروج الى الروم فأشار به فخرج اليهم فقاتلهم ففتح الله عليه وقدم القعقاع بن عمرو بعد الوقعة بثلاثة أيام فكتبوا الى عمر بالفتح وبقدوم المدد عليهم والحكم في ذلك فكتب اليهم ان اشركوهم فانهم نفروا اليكم وانفرق لهم عدوكم وقال جزى الله أهل الكوفة خيرا يكفون حوزتهم ويمدون أهل الامصار فلما فرغوا رجعوا

•(ذكر فتح الجزيرة وارمينية)•

وفي هذه السنة فتحت الجزيرة وقد ذكرنا ارسال سعد العساكر الى الجزيرة فخرج عياض بن غنم ومن معه وارسل سهيل بن عدي الى الرقة وقد ارفض اهل الجزيرة عن حمص الى كورهم حين سمعوا باهل الكوفة فنزل عليهم فأقام يحاصرهم حتى صالحوه فبعثوا في ذلك الى عياض وهو في منزل وسط بين الجزيرة فقبل منهم وصالحهم وصاروا ذمة وخرج عبد الله بن عتبان على

وثمانمائة وطلع الى القصر وجلس الامير الكبير بلباي القبة والطير على رأسه ودقت الكوسات والبشائر ونودي بالامان والاطمئنان وجلس على سرير الملك وكان ملكا صالحا كاملا مطيعا لاوامر الشرع مهابا ووقع بين الامراء في زمانه وقعات وفي سنة ست وستين وثمانمائة حصل بمكة المشرفة سيل عظيم حتى وصل الماء في الحرم الى القناديل وغطى باب الكعبة بمقدار ذراعين وعام المنبر في الماء واستمر ذلك يومين وفيه أخبر رجل صالح من الوجه القبلي بمصر يدعى طه انه حصل في تلك البلاد سيل عظيم وانحدر فيه حية عظيمة طولها اثنان وعشرون خطوة رأسها كرأس العنزة فقتلها أهل الناحية بعد مشقة عظيمة وذكر الصاوي في تاريخه ان في سنة اثنين وسبعين وثمانمائة في أواخر ربيع الاول أمطرت السماء وقت العصر حصا أبيض زنة الحصاة ما بين رطل وأكثر وأقل مع برق ورعد وظلمة بحيث التجأ كثير من حاضري المساجد وغيرهم بالضجيج والبكاء والذكر حتى انجلى وفي نهار السبت عشرين من ربيع الاول

المرمل الى نصيبين فلقوه بالصلح وصنعوا كصنع أهل الرقة فكتبوا الى عياض فقبل منهم
وعقد لهم وخرج الوليد بن عقبة فقدم على عرب الجزيرة فنهض معه مسلمهم وكافرهم الا اياد بن
نزار فانهم دخلوا أرض الروم فكتب الوليد بذلك الى عمر ولما أخذوا الرقة ونصيبين ضم عياض
اليه سهيلا وعبد الله وسار بالناس الى حران فلما وصل اجابه اهلها الى الجزية فقبل منهم ثم ان
عياضا سرح سهيلا وعبد الله الى الرها فاجابوهما الى الجزية واجروا كل ما أخذوه من الجزيرة
عنوة مجرى الذمة فكانت الجزيرة أسهل البلدان فتحا ورجع سهيل وعبد الله الى الكوفة
وكتب أبو عبيدة الى عمر بعد انصرافه من الجابية يسأله أن يضم اليه عياض بن غنم اذا أخذ
خالدا الى المدينة فصرفه اليه فاستعمل حبيب بن مسلمة على عجم الجزيرة وحربها والوليد بن
عقبة على عربها فلما قدم كتاب الوليد على عمر عن دخل الروم من العرب كتب عمر الى ملك الروم
بلغني ان حيا من أحياء العرب ترك دارنا وأتى دارك فوالله لتخرجنه الينا أو لنخرجن النصارى
اليك فاخرجهم ملك الروم فخرج منهم أربعة آلاف وتفرق بقيتهم فيما يلي الشام والجزيرة من
بلاد الروم فكل ايادي في أرض العرب من أولئك الاربعة آلاف وأبى الوليد بن عقبة ان يقبل
من تغلب الا الاسلام فكتب فيهم الى عمر فكتب اليه عمر انما ذلك بجزيرة العرب لا يقبل منهم
الا الاسلام فدعهم على ان لا ينصروا وليدا ولا يمنعوا أحدا منهم من الاسلام وكان في تغلب
عز وامتناع فهم بهم الوليد فخاف عمر ان يسطو عليهم فعزله وأمر عليهم فرات بن حيان وهند
ابن عمرو الجملي وقال ابن اسحق ان فتح الجزيرة كان سنة تسع عشرة وقال ان عمر كتب الى سعد
ابن أبي وقاص اذا فتح الله الشام والعراق فابعث جندا الى الجزيرة وأمر عليه خالد بن عرفطة
أو هاشم بن عتبة أو عياض بن غنم قال سعد لا أخر أمير المؤمنين عياضا الا لان له فيه هوى وانا
موليه فبعثه وبعث معه جيشا فيه أبو موسى الاشعري وابنه عمر بن سعد ليس له من الامر شئ
فسار عياض ونزل بجنده على الرها فصالحه أهله مصالحة حران وبعث ابا موسى الى نصيبين
فافتتحها وسار عياض بنفسه الى دارا فافتتحها ووجه عثمان بن أبي العاص الى أرمينية الرابعة
فقاتل أهلها فاستشهد صفوان بن المعطل وصالح أهلها عثمان على الجزية ثم كان فتح قيسارية
من فلسطين وهرب هرقل فعلى هذا القول تكون الجزيرة من فتوح أهل العراق والاكثر على
انها من فتوح أهل الشام فان أبا عبيدة سير عياض بن غنم الى الجزيرة وقيل ان أبا عبيدة لما توفى
استخلف عياضا فورد عليه كتاب عمر بولاية حمص وقنسرين والجزيرة فسار الى الجزيرة سنة ثمان
عشرة للنصف من شعبان في خمسة آلاف وعلى ميمنته سعيد بن عامر بن حذيم الجمحي وعلى ميسرته
صفوان بن المعطل وعلى مقدمته هبيرة بن مسروق فانتهت طليعة عياض الى الرقة فاغاروا
على الفلاحين وحصروا المدينة وبث عياض السرايا فاتوه بالاسرى والاطعمة وكان حصرها
ستة ايام فطلب أهلها الصلح فصالحهم على أنفسهم وذراريهم وأموالهم ومدينتهم وقال
عياض الارض لنا قد وطئناها وملكناها فاقرها في ايديهم على الخراج ووضع الجزية ثم سار الى
حران فجعل عليها عسكرا يحصرها عليهم صفوان بن المعطل وحبيب بن مسلمة وسار هو الى الرها
فقاتله اهلها ثم انهزموا وحصرهم المسلمون في مدينتهم فطلب أهلها الصلح فصالحهم وعاد الى
حران فوجد صفوان وحبيبا قد غلبا على حصون وقرى من أعمال حران فصالحه أهلها على مثل

فمن السنة المذكورة مات
السلطان ودفن بتربته
التي انشأها وكانت مدة
ملكه ست سنين ونصفا
وعمره خمس وسبعون سنة
واجتمعت آراء الخليفة
والقضاة والامراء على
سلطنة الاتابكي وهو
الخامس عشر من ملوك
الجراكسة *(الملك الظاهر
بلباي)* جلس على سرير
الملك يوم وفاة خوشقدم
وكان ضعيف الراي
والتدبير واستقر في الاتابكية
تمربغا واستمر في السلطنة
ستا وخمسين يوما ثم بعد
ذلك اجتمع أهل الحل
والعقد واتفقوا على خلعه
لكونه عاجزا في تدبير المملكة
وارسلوه الى الاسكندرية
فسجنوه بها واتفق رأيهم
على سلطنة الاتابكي وهو
السادس عشر من ملوك
الجراكسة *(الملك الظاهر
أبو سعيد تمربغا)* ولي الملك
يوم خلع بلباي وصارت
الاتابكية اقابيباي
المحمودي الظاهري وكان
رومي الاصل من مماليك
الظاهر جقمق وكان له فضل
وصلاح مع الفروسية التامة
ومع ذلك ما صفا له الدهر يوما
واستقر في السلطنة شهرين
الا يوما واحدا ثم خلع وجهز
لدمياط فسجن ثم اجتمع
رأي الخاص والعام على

صلح الرها وكان عياض يغزو ويعود الى الرها وفتح سميساط وأتى سروج ورأس كيفا والارض البيضاء فصالحه أهلها على صلح الرها ثم ان أهل سميساط غدروا فرجع اليهم عياض فحاصرهم حتى فتحها ثم اتى قريات على الفرات وهي جسر منبج وما يليها ففتحها وسار الى رأس عين وهي عين الوردة فامتنعت عليه وتركها وسار الى تل موزن ففتحها على صلح الرها سنة تسع عشرة وسار الى آمد فحصرها فقاتله أهلها ثم صالحوه على صلح الرها وفتح ميافارقين على مثل ذلك وكفرتوثا وسار الى نصيبين فقاتله أهلها ثم صالحوه على مثل صلح الرها وفتح طور عبدين وحصن ماردين وقصد الموصل ففتح أحد الحصنين وقيل لم يصل اليها وأتاه بطريق الزوزان فصالحه ثم سار الى ارزن ففتحها ودخل الدرب فاجازه الى بدليس وبلغ خلاط فصالحه بطريقها وانتهى الى العين الحامضة من أرمينية ثم عاد الى الرقة ومضى الى حمص فمات سنة عشرين واستعمل عمر سعيد بن عامر بن حذيم فلم يلبث الا قليلا حتى مات فاستعمل عمير بن سعد الانصاري ففتح رأس عين بعد قتال شديد وقيل ان عياضا أرسل عمير بن سعد الى رأس عين ففتحها بعد ان اشتد قتاله عليها وقيل ان عمر أرسل أبا موسى الاشعري الى رأس عين بعد وفاة عياض وقيل ان خالد ابن الوليد حضر فتح الجزيرة مع عياض ودخل حماما آمد فاطلى بشيء فيه خمر فعزله عمر وقيل ان خالدا لم يسر تحت لواء أحد غير أبي عبيدة والله أعلم ولما فتح عياض سميساط بعث حبيب بن مسلمة الى ملطية ففتحها عنوة ثم نقض أهلها الصلح فلما ولي معاوية الشام والجزيرة وجه اليها حبيب ابن مسلمة أيضا ففتحها عنوة ورتب فيها جندا من المسلمين مع عاملها

(ذكر عزل خالد بن الوليد)

في هذه السنة وهي سنة سبع عشرة عزل خالد بن الوليد عما كان عليه من التقدم على الجيوش والسرايا وسبب ذلك انه كان ادرب هو وعياض بن غنم فاصابا اموالا عظيمة وكانا توجها من الجابية مرجع عمر الى المدينة وعلى حمص أبو عبيدة وخالد تحت يده على قنسرين وعلى دمشق يزيد وعلى الاردن معاوية وعلى فلسطين علقمة بن مجزز وعلى الساحل عبد الله بن قيس فبلغ الناس ما أصاب خالد فانتجعه رجال وكان منهم الاشعث بن قيس فاجازه بعشرة آلاف ودخل خالد الحمام فتدلك بغسل فيه خمر فكتب اليه عمر بلغني انك تدلكت بخمر وان الله قد حرم ظاهر الخمر وباطنه ومسه فلا تمسوها اجسادكم فكتب اليه خالد انا قتلناها فعادت غسولا غير خمر فكتب اليه عمر ان آل المغيرة ابتلوا بالجفاء فلا أماتكم الله عليه فلما فرق خالد في الذين انتجعوه الاموال سمع بذلك عمر بن الخطاب وكان لا يخفى عليه شيء من عمله فدعا عمر البريد فكتب معه الى أبي عبيدة أن يقيم خالدا ويعقله بعمامته وينزع عنه قلنسوته حتى يعلمكم من أين أجاز الاشعث أمن ماله أم من مال اصابه أصابها فان زعم انه فرقه من اصابة أصابها فقد أقر بخيانة وان زعم انه من ماله فقد أسرف واعزله على كل حال واضمم اليك عمله فكتب أبو عبيدة الى خالد فقدم عليه ثم جمع الناس وجلس لهم على المنبر فقام البريد فقال يا خالد أمن أين اجاز الاشعث فلم يجبه وأبو عبيدة ساكت لا يقول شيأ فقام بلال فقال ان أمير المؤمنين أمر فيك بكذا وكذا ونزع عمامته فلم يمنعه سمعا وطاعة ووضع قلنسوته ثم اقامه فعقله بعمامته وقال من اين أجزت الاشعث من مالك أجزت ام من اصابة اصبتها فقال بل من مالي فاطلقه وأعاد قلنسوته ثم عممه بيده ثم قال

ولية السلطان السابع عشر من ملوك الجراكسة

(الملك الاشرف أبو النصر قايتباي المحمودي الظاهري) جلبه الخواجا محمود الى مصر فنسب اليه واشتراه برسباي وعتقه الظاهر جقمق واليه انتسب وتنقل في المراتب الى ان صار اتابكا جلس على سرير الملك يوم الاثنين سادس رجب سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة فسارق المملكة بشهامة وصرامة ماسار بها ملك قبله وكان يحكي عن نفسه انه لما جلب الى مصر للبيع وهو في حد البلوغ كان معه رفيقه أحد المماليك فتسامرا مع الجمال في ليلة من ليالي شهر رمضان فقالوا لعل هذه الليلة ليلة القدر والدعاء فيها مستجاب فليدع كل واحد منا بدعاء يحبه فقال قايتباي انا اطلب من الله تعالى سلطنة مصر فقال رفيقه وانا اطلب ان اكون أميرا كبيرا فقال الجمال وانا اطلب من الله تعالى خاتمة الخير فصار قايتباي سلطانا ورفيقه اميرا كبيرا فكانا اذا اجتمعا يقولان فاز الجمال من بيننا رحمه الله تعالى وكان ملكا جليلا وسلطانا نبيلا له اليد الطولى في الخيرات والمبرات

نسمع ونطيع لولاتنا ونفهم ونخدم موالينا قال وأقام خالد متحيرا لايدرى أمعزول أو غير معزول ولايه أبو عبيدة بذلك تكرمة وتفخمة فلما تأخر قدومه على عمر ظن الذى كان نكتب الى خالد بالاقبال اليه فرجع الى قنسرين فخطب الناس وودعهم ورجع الى حمص فخطبهم ثم سار الى المدينة فلما قدم على عمر شكاه وقال قد شكوتك الى المسلمين فبالله انك فى أمرى لغير مجمل فقال له عمر من اين هذا الثراء قال من الانفال والسهمان مازاد على ستين ألفا فلك فقوم عمر ماله فزاد عشرين ألفا فجعلها فى بيت المال ثم قال ياخالد والله انك على لكريم وانك الى لحبيب وكتب الى الامصار انى لم أعزل خالدا عن سخطة ولا خيانة ولكن الناس فخموه وفتنوا به فخفت ان يوكلوا اليه فاحببت ان يعلموا ان الله هو الصانع وان لايكونوا بعرض فتنة وعوضه عما أخذ منه

(ذكر بناء المسجد الحرام والتوسعة فيه)

وفيها أعنى سنة سبع عشرة اعتمر عمر بن الخطاب وبنى المسجد الحرام ووسع فيه واقام بمكة عشرين ليلة وهدم على قوم أبوا أن يبيعوا ووضع اثمان دورهم فى بيت المال حتى أخذوها وكانت عمرته فى رجب واستخلف على المدينة زيد بن ثابت وأمر بتجديد انصاب الحرم فامر بذلك مخرمة بن نوفل والازهر بن عبد عوف وحويطب بن عبد العزى وسعيد بن يربوع واستأذنه أهل المياه فى ان يبنوا منازل بين مكة والمدينة فاذن لهم وشرط عليهم ان ابن السبيل أحق بالظل والماء وفيها تزوج عمر أم كلثوم بنت على بن أبى طالب وهى ابنة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بها فى ذى القعدة

(ذكر غزوة فارس من البحرين)

و وكان العلاء

قيل كان عمر يقول لما أخذت الاهواز ومايليها وددت ان بيننا وبين فارس جبلا من نار لا نصل اليهم منه ولا يصلون الينا وقد كان العلاء بن الحضرمى على البحرين ايام أبى بكر فعزله عمر وجعل موضعه قدامة بن مظعون ثم عزل قدامة وأعاد العلاء يناوى سعد بن أبى وقاص ففاز العلاء فى قتال أهل الردة بالفضل فلما ظفر سعد باهل القادسية وازاح الاكاسرة جاء باعظم مما فعله العلاء فاراد العلاء ان يصنع فى الفرس شيأ ولم ينظر فى الطاعة والمعصية وقد كان عمر نهاه عن الغزو فى البحر ونهى غيره أيضا اتباعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وخوف الغرر فندب العلاء الناس الى فارس فاجابوه وفرقهم اجنادا على أحدها الجارود بن المعلى وعلى الآخر سوار بن همام وعلى الآخر خليد بن المنذر بن ساوى وخليد على جميع الناس وحملهم فى البحر الى فارس بغير اذن عمر فعبرت الجنود من البحرين الى فارس فخرجوا الى اصطخر وبازائهم أهل فارس وعليهم الهربذ فحالت الفرس بين المسلمين وبين سفنهم فقام خليد فى الناس فخطبهم ثم قال اما بعد فان القوم لم يدعوكم الى حربهم وانما جئتم لمحاربتهم والسفن والارض لمن غلب فاستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين فاجابوه الى ذلك ثم صلوا الظهر ثم ناهدوهم فاقتتلوا قتالا شديدا بمكان يدعى طاوس فقتل سوار والجارود وكان خليد قد أمر أصحابه أن يقاتلوا رجالة ففعلوا فقتل من أهل فارس مقتلة عظيمة ثم خرجوا يريدون البصرة ولم يجدوا الى الرجوع فى البحر سبيلا وأخذت الفرس منهم طرقهم فعسكروا وامتنعوا ولما بلغ

المدارس الثلاثة وعدة ربط فى الحرمين وبيت المقدس وله بمصر والشام وغزة وغيرها آثار جليلة وخيرات جمة أكثرها باق الى يومنا هذا وهو أواخر سنة ست وألف وقد اطاعته العباد ودانت له البلاد بحيث انه سافر من مصر الى الفرات فى طائفة يسيرة جدا من الجند وخرج الى الحج فى سنة أربع وثمانين وثمانمائة وأقام الامير الكبير يشبك الدوادار نائبا عنه ولم يحج أحد من ملوك الجراكسة غيره ووقف على أهالى المدينة المنورة والوافدين اليها ما يحمل منه اليها كل سنة سبعة آلاف اردب قمحا ليفرق على كبيرهم وصغيرهم غنيهم وفقيرهم حرهم وعبدهم ذكرهم وانثاهم بالسوية بينهم ويعمل دشيشة كل يوم للفقراء مع قرصين وعمر حرم المدينة لما احترق وأجرى عين عرفة وابطل المكوس واجتهد فى تعمير البلاد حق الاجتهاد فلما استهلت سنة احدى وتسعمائة وهى أول القرن العاشر وكان اولها يوم الاثنين فيها وقعت فتنة بالمدينة النبوية من أميرها حسن بن زبيرى فانه تعدى

عمر صنيع العلاء أرسل الى عتبة بن غزوان يأمره بانفاذ جند كثيف الى المسلمين بفارس قبل ان يهلكوا وقال فانى قد ألقى فى روعى كذا وكذا نحو الذى كان وأمر العلاء بأثقل الاشياء عليه تأمير سعد عليه فشخص العلاء الى سعد بمن معه وأرسل عتبة جيشا كثيفا فى اثنى عشر ألف مقاتل فيهم عاصم بن عمرو وعرفجة بن هرثمة والاحنف بن قيس وغيرهم فخرجوا على البغال يجنبون الخيل وعليهم أبو سبرة بن أبى رهم أحد بنى عامر بن لؤى فسار بالناس وساحل بهم لا يعرض له أحد حتى التقى أبو سبرة وخليد بحيث أخذ عليهم الطريق عقيب وقعة طاوس وانما كان ولى قتالهم أهل اصطخر وحدهم ومن شذ من غيرهم وكان أهل اصطخر حيث أخذوا الطريق على المسلمين بجمعوا أهل فارس عليهم فجاؤا من كل جهة فالتقوا هم وأبو سبرة بعد طاوس وقد توافت الى المسلمين امدادهم وعلى المشركين شهرك فاقتتلوا ففتح الله على المسلمين وقتل المشركين وأصاب المسلمون منهم ما شاؤا وهى الغزوة التى شرفت فيها نابتة البصرة وكانوا أفضل نوابت الامصار ثم انكفؤا بما أصابوا وكان عتبة كتب اليهم بالحث وقلة العرجة فرجعوا الى البصرة سالمين ولما أحرز عتبة الاهواز وأوطأ فارس استأذن عمر فى الحج فاذن له فلما قضى حجه استعفاه فأبى أن يعفيه وعزم عليه ليرجعن الى عمله فدعا الله ثم انصرف فمات فى بطن نخلة ودفن وبلغ عمر موته فمر به زائرا لقبره وقال أنا قتلتك لولا انه أجل معلوم وأثنى عليه خيرا ولم يختط فيمن اختط من المهاجرين وانما ورث ولده منزلهم من فاختة بنت غزوان وكانت تحت عثمان بن عفان وكان خباب مولاه قد لزم سمته فلم يختط ومات عتبة بن غزوان على رأس ثلاث سنين من مفارقة سعد وذلك بعد ان استنفذ الجند الذين بفارس ونزولهم البصرة واستخلف على الناس أبا سبرة بن ابى رهم بالبصرة فأقره عمر بقية السنة ثم استعمل المغيرة بن شعبة عليها فلم ينتقض عليه أحد ولم يحدث شيأ الا ما كان بينه وبين أبى بكرة ثم استعمل أبا موسى على البصرة ثم صرف الى الكوفة ثم استعمل عمر بن سراقة ثم صرف ابن سراقة الى الكوفة من البصرة وصرف أبو موسى من الكوفة الى البصرة فعمل عليها ثانية وقد تقدم ذكر ولاية عتبة ابن غزوان البصرة والاختلاف فيها سنة أربع عشرة

•(ذكر عزل المغيرة عن البصرة وولاية أبى موسى)•

فى هذه السنة عزل عمر المغيرة بن شعبة عن البصرة واستعمل عليها أبا موسى وأمره أن يشخص اليه المغيرة بن شعبة فى ربيع الاول قاله الواقدى وكان سبب عزله انه كان بين ابى بكرة والمغيرة بن شعبة منافرة وكانا متجاورين بينهما طريق وكانا فى مشربتين فى كل واحدة منهما كوة مقابلة الاخرى فاجتمع الى أبى بكرة نفر يتحدثون فى مشربته فهبت الريح ففتحت باب الكوة فقام أبو بكرة ليسده فبصر بالمغيرة وقد فتحت الريح باب كوة مشربته وهو بين رجلى امرأة فقال للنفر قوموا فانظروا فقاموا فنظروا وهم أبو بكرة ونافع بن كلدة وزياد بن أبيه وهو أخو أبى بكرة لامه وشبل بن معبد البجلى فقال لهم اشهدوا قالوا ومن هذه قال ام جميل بنت الافقم وكانت من بنى عامر بن صعصعة وكانت تغشى المغيرة والامراء وكان بعض النساء يفعلن ذلك فى زمانها فلما قامت عرفوها فلما خرج المغيرة الى الصلاة منعه أبو بكرة وكتب الى عمر فبعث عمر أبا موسى اميرا على البصرة وأمره بلزوم السنة فقال اعنى بعدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

وفتح خزانة النبى صلى الله عليه وسلم وأخذ غالب ما فيها من ذهب وفضة وربما وقعت فتنة بين العساكر المصرية آل أمرها الى أن غضب السلطان على جماعة من الامراء وانقلب الدست جميعه حتى آل الامر الى وفاة السلطان يقال ان السلطان لما رأى اختباط العساكر بعضها على بعض ضعف من القهر واستمر مريضا خمسة عشر يوما وتوفى بعد غروب الشمس يوم الاحد سابع عشرى ذى القعدة ودفن بتربته وكان لمشهد عظيم لم يعهد مثله الملك وكانت مدته ثلاثين سنة الا ثمانية اشهر وكانت الامراء قد اجتمعوا يوم السبت والخليفة والقضاة وأهل الحل والعقد وبايعوا ابن الملك وهو الثامن عشر من ملوك الجراكسة •(الملك الناصر أبو السعادات محمد ابن قايتباى)• ولى الملك يوم وفاة والده وسنه نحو خمس عشرة سنة لانه ولد تقريبا فى سنة ست وثمانين وثمانمائة وأمه جركسية فاستمر قانصوه الغورى أتابكا وكان ضعيف العقل سفيه الافعال صغارية واختل نظام الملك بعد تدبيره يحكى عنه أمور قبيحة

فانهم فى هذه الامة كالملح قال له خذ من أحببت فاخذ معه تسعة وعشرين رجلا منهم أنس بن مالك وعمران بن حصين وهشام بن عامر وخرج معهم فقدم البصرة فدفع الكتاب بامارته الى المغيرة وهو أوجز كتاب وابلغه اما بعد فانه بلغنى نبأ عظيم فبعثت أبا موسى أميرا فسلم اليه ما فى يدك والعجل فاهدى اليه المغيرة وليدة تسمى عقيلة ورحل المغيرة ومعه ابو بكرة والشهود فقدموا على عمر فقال له المغيرة سل هؤلاء الاعبد كيف رأونى استقبلهم أم مستدبرهم وكيف رأوا المرأة او عرفوها فان كانوا مستقبلى فكيف لم استتر أو مستدبرى فبأى شئ استحلوا النظر الى فى منزلى على امرأتى والله ما اتيت الا امرأتى وكانت تشبهها فشهد ابو بكرة انه رآه على ام جميل يدخله كالميل فى المكحلة وانه رآهما مستدبرين وشبل ونافع مثل ذلك واما زياد فانه قال رأيته جالسا بين رجلى امرأة فرأيت قدمين مخضوبتين يخفقان واستين مكشوفتين وسمعت حفزا شديدا قال هل رأيت كالميل فى المكحلة قال لا قال هل تعرف المرأة قال لا ولكن أشبهها قال فتنح وأمر بالثلاثة فجلدوا الحد فقال المغيرة اشفنى من الاعبد قال اسكت اسكت الله نامتك أما والله لو تمت الشهادة لرجمتك باحجارك

(ذكر الخبر عن فتح الاهواز ومناذر ونهر تيرى)

وفى هذه السنة فتحت الاهواز ومناذر ونهر تيرى وقيل كان سنة عشرين وكان السبب فى هذا الفتح انه لما انهزم الهرمزان يوم القادسية وهو أحد البيوتات السبعة فى أهل فارس وكانت امته منهم مهرجانقذف وكور الاهواز فلما انهزم قصد خوزستان فملكها وقاتل بها من أرادهم فكان الهرمزان يغير على أهل ميسان ودستميسان من مناذر ونهر تيرى فاستمد عتبة بن غزوان سعدا فامده بنعيم بن مقرن ونعيم بن مسعود وأمرهما أن يأتيا على ميسان ودستميسان حتى يكونا بينهم وبين نهر تيرى ووجه عتبة بن غزوان سلمى بن القين وحرملة بن مريطة وكانا من المهاجرين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهما من بنى العدوية من بنى حنظلة فنزلا على حدود ميسان ودستميسان بينهم وبين مناذر ودعوا بنى العم فخرج اليهم غالب الوائلى وكليب بن وائل الكلبى فتركا نعيما وأتيا سلمى وحرملة وقالا انتما من العشيرة وليس لكما منزل فاذا كان يوم كذا وكذا فانهدوا للهرمزان فان أحدنا يثور بمناذر والآخر بنهر تيرى فنقتل المقاتلة ثم يكون وجهنا اليكم فليس دون الهرمزان شئ ان شاء الله ورجعا وقد استجابا واستجاب قومهما بنو العم بن مالك وكانوا ينزلون خوزستان قبل الاسلام فاهل البلاد يأمنونهم فلما كان تلك الليلة ليلة الموعد بين سلمى وحرملة وغالب وكليب وكان الهرمزان يومئذ بين نهر تيرى وبين دلث وخرج سلمى وحرملة صبيحتهما فى تعبية وانهضا نعيما ومن معه فالتقوا هم والهرمزان بين دلث ونهر تيرى وسلمى بن القين على أهل البصرة ونعيم بن مقرن على أهل الكوفة فاقتتلوا فبيناهم على ذلك اقبل مدد من قبل غالب وكليب وأتى الهرمزان الخبر بان مناذر ونهر تيرى قد أخذا فكسر ذلك قلب الهرمزان ومن معه فهزمه الله واياهم فقتل المسلمون منهم ما شاؤا وأصابوا ما شاؤا واتبعوهم حتى وقفوا على شاطئ دجيل وأخذوا ما دونه وعسكروا بحيال سوق الاهواز وعبر الهرمزان جسر سوق الاهواز وأقام وصار دجيل بين الهرمزان والمسلمين فلما رأى الهرمزان ما لا طاقة به طلب الصلح فاستأمروا عتبة فاجاب الى ذلك على الاهواز كلها ومهرجانقذف

(ومنها) انه كان اذا سمع بامرأة حسناء هجم عليها وقطع دائرة فرجها ونظمه فى خيط أعده لنظم فروج النساء (ومنها) ان والدته كانت من أعقل النساء وأجملهن هيأت له جارية جميلة جدا وجعلتها به فى بيت حزين اعدته لهما فدخل عليها وأقفل الباب على نفسه وعليها وربطها وشرع يسلخ جلدها كالجلادين وهى حية تصرخ فلما سمعوا صراخها أرادوا الهجوم عليها فما أمكنهم الدخول واستمر الى ان سلخها وحشا جلدها بالاثواب وخرج يظهرها لهم استاذية فى السلخ (ومنها) انه مر وهو فى موكبه بدكان حلوانى يبيع الحلاوة فأقامه من دكانه وجلس مكانه يبيع الحلاوة وكانت له حركات من هذه الخرافات منها ما يضحك ومنها ما يبكى الى أن سقط من أعين العسكر وفى سنة احدى وتسعمائة وصل كتب الحاج الى دمشق أرسلوها من أرض البلاط وأخبروا بان الحاج مكث بمكة ستة عشر يوما وان المحمل الذى أخذه عرب بنى لام بمنزل الحسا. عام اول رده حداد امير بنى لام الى أمير الحاج وان أمير الحاج دخل الى الحرمين

ما خلا نهر تيرى ومناذر وما غلبوا عليه من سوق الاهواز فانه لا يرد عليهم وجعل سلمى على مناذر
مسلحة وأمرها الى غالب وحرملة على نهر تيرى وأمرها الى كليب فكانا على مسالح البصرة
وهاجرت طوائف من بني العم فنزلوا البصرة ووفد عتبة وفدا الى عمر منهم سلمى وجماعة من أهل
البصرة فأمرهم عمر أن يرفعوا حوائجهم فكلهم قال أما العامة فأنت صاحبها وطلبوا
لأنفسهم الا الاحنف بن قيس فانه قال يا أمير المؤمنين انك كما ذكروا ولقد تعزب عنك ما يحق علينا
انهاؤه اليك مما فيه صلاح العامة وانما ينظر الوالي فيما غاب عنه بأعين اهل الخبر ويسمع
بآذانهم فان اخوانا من أهل الكوفة نزلوا في مثل حدقة البعير الغاسقة من العيون العذاب
والجنان الخصاب فتأتيهم ثمارهم ولم يخضدوا وانا معشر أهل البصرة نزلنا سبخة هشاشة وعقة
نشاشة طرف لها في الفلاة وطرف لها في البحر الاجاج يجري اليها ما يجري في مثل مري النعامة
دارنا فعمة ووظيفتنا ضيقة وعددنا كثير واشرافنا قليل وأهل البلاء فينا كثير درهمنا كبير
وقفيزنا صغير وقد وسع الله علينا وزادنا في أرضنا فوسع علينا يا أمير المؤمنين وزدنا طبقة نطوف
علينا ونعيش بها فلما سمع عمر قوله أحسن اليهم وأقطعهم مما كان فيأ لاهل كسرى وزادهم ثم
قال هذا الفتى سيد أهل البصرة وكتب الى عتبة فيه بأن يسمع منه ويرجع الى رأيه وردهم الى
بلدهم وبينا الناس على ذلك من ذمتهم مع الهرمزان وقع بين الهرمزان وغالب وكليب في
حدود الارضين اختلاف فحضر سلمى وحرملة لينظرا فيما بينهم فوجدا غالبا وكليبا محقين
والهرمزان مبطلا فحالا بينهما وبينه فكفر الهرمزان ومنع ما قبله واستعان بالاكراد وكثف
جنده وكتب سلمى ومن معه الى عتبة بذلك فكتب عتبة الى عمر فكتب اليه عمر يأمره بقصده
وامد المسلمين بحرقوص بن زهير السعدي كانت له صحبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره
على القتال وعلى ما غلب عليه وسار الهرمزان ومن معه وسار المسلمون الى جسر سوق الاهواز
وأرسلوا اليه اما ان تعبر الينا او نعبر اليكم فقال اعبروا الينا فعبروا فوق الجسر فاقتتلوا مما
يلي سوق الاهواز فانهزم الهرمزان وسار الى رامهرمز وفتح حرقوص سوق الاهواز ونزل بها
واتسعت له بلادها الى تستر ووضع الجزية وكتب بالفتح الى عمر وارسل اليه الاخماس

(ذكر صلح الهرمزان وأهل تستر مع المسلمين)

وفي هذه السنة فتحت تستر وقيل سنة ست عشرة وقيل سنة تسع عشرة قيل ولما انهزم الهرمزان
يوم سوق الاهواز وافتتحها المسلمون بعث حرقوص جزء بن معاوية في اثره بأمر عمر الى سوق
الاهواز فما زال يقتلهم حتى انتهى الى قرية الشغر واعجزه الهرمزان فمال جزء الى دورق وهي
مدينة سرق فأخذها صافية ودعا من هرب الى الجزية فأجابوه وكتب الى عمر وعتبة بذلك فكتب
عمر الى حرقوص والى جزء بالمقام فيما غلبا عليه حتى يأمرهما بأمره فعمر جزء البلاد وشق الانهار
واحيا الموات وراسلهم الهرمزان يطلب الصلح فأجاب عمر الى ذلك وان يكون ما اخذه المسلمون
بأيديهم ثم اصطلحوا على ذلك واقام الهرمزان والمسلمون يمنعونه اذا قصده الاكراد ويجبي اليهم
ونزل حرقوص جبل الاهواز وكان يشق على الناس الاختلاف اليه فبلغ ذلك عمر فكتب اليه
يأمره بنزول السهل وان لا يشق على مسلم ولا معاهد ولا تدركك فترة ولا عجلة فتكدر دنياك
وتذهب آخرتك وبقي حرقوص الى يوم صفين وصار حروريا وشهد النهروان مع الخوارج

بالمحلين وفي سادس عشر صفر دخل الحملان الى دمشق في أبهة عظيمة لمفرقة الجدد وفي سنة ثلاث وتسعمائة حصل للسلطان
ضيق عظيم من شدة
الاختلاف بمصر وهو
محصور بالقلعة وحصل
لاهل دمشق من العصاة
ضيق شديد من نهب وقتل
وسبي حريم وحريق بحيث
يطول شرحه وفي سنة أربع
وتسعمائة استمر السلطان
محصورا وليس له من الامر
شئ وفي هذه السنة بيع
بدمشق حمل الاجاص
العثماني بسبعة دراهم
والحمل التفاح الفاطمي
مثله والنبطي الحمل بدرهمين
والخبز الخاص الكماجة
الرطل بدرهمين الاربعا
وما دونه بدرهم وربع وما
دونه بدرهم لكون غرارة
القمح بيعت بنحو ماتين
أو اقل والشعير بمائة
أو اقل والدبس القنطار
باربعمائة ذكر صاحب الدر
الفاخر في القرن العاشر ان
الملك الناصر توجه للصيد
فجاءه طومان باي العادل
وهو راكب ومعه قدح لبن
فناوله اياه فامتنع الناصر
من شربه فضربه طومان
باي بطبر كان معه ثم ظهر
من الكمين رفقته فقتلوا
الناصر وابن عم له وهما
راكبان على خيلهما بمكان
يقال له الطالبية بالقرب
من الاهرام في نهار الاربعاء
خامس عشر ربيع الاول سنة أربع وتسعمائة وعاد العسكر في يومهم الى القاهرة ودفنوا الناصر في تربة والده فكانت

(ذكر

(ذكر فتح رامهرمز وتستر واسر الهرمزان)

قيل كان فتح رامهرمز وتستر والسوس فى سنة سبع عشرة وقيل سنة تسع عشرة وقيل سنة عشرين وكان سبب فتحها ان يزدجرد لم يزل وهو بمرو يثير أهل فارس اسفا على ما خرج من ملكهم فتحركوا وتكاتبوا هم وأهل الاهواز وتعاقدوا على النصرة فجاءت الاخبار حرقوص ابن زهير وجزأ وسلمى وحرملة فكتبوا الى عمر بالخبر فكتب عمر الى سعد أن ابعث الى الاهواز جندا كثيفا مع النعمان بن مقرن وعجل فلينزلوا بازاء الهرمزان ويتحققوا أمره وكتب الى أبى موسى أن ابعث الى الاهواز جندا كثيفا وأمر عليهم سعد بن عدى أخا سهيل فابعث معه البراء بن مالك ومجزاة بن ثور وعرفجة بن هرثمة وغيرهم وعلى أهل الكوفة والبصرة جميعا أبو سبرة بن أبى رهم فخرج النعمان بن مقرن فى أهل الكوفة فسار الى الاهواز على البغال يجنبون الخيل فخلف حرقوصا وسلمى وحرملة وسار نحو الهرمزان وهو برامهرمز فلما سمع الهرمزان بمسير النعمان اليه بادره بالشدة ورجا أن يقتطعه ومعه أهل فارس فالتقى النعمان والهرمزان باربك فاقتتلوا اقتتالا شديدا ثم ان الله عز وجل هزم الهرمزان فترك رامهرمز ولحق بتستر وسار النعمان الى رامهرمز ونزلها وصعد الى ايذج فصالحه تيرويه على ايذج ورجع الى رامهرمز فاقام بها ووصل أهل البصرة فنزلوا سوق الاهواز وهم يريدون رامهرمز فأتاهم خبر الوقعة وهم بسوق الاهواز وأتاهم الخبر ان الهرمزان قد لحق بتستر فساروا نحوه وسار النعمان أيضا وسار حرقوص وسلمى وحرملة وجزء فاجتمعوا على تستر وبها الهرمزان وجنوده من أهل فارس والجبال والاهواز فى الخنادق وأمدهم عمر بابى موسى وجعله على أهل البصرة وعلى الجميع أبو سبرة فحاصروهم اشهرا وأكثروا فيهم القتل وقتل البراء ابن مالك وهو اخو أنس بن مالك فى ذلك الحصار الى الفتح مائة مبارزة سوى من قتل فى غير ذلك وقتل مثله مجزاة بن ثور وكعب بن ثور وعدة من أهل البصرة وأهل الكوفة وزاحفهم المشركون أيام تستر ثمانين زحفا يكون لهم مرة وعليهم مرة فلما كان فى آخر زحف منها واشتد القتال قال المسلمون يا براء اقسم على ربك ليهزمنهم فقال اللهم اهزمهم لنا واستشهدنى وكان مجاب الدعوة فهزموهم حتى أدخلوهم خنادقهم ثم اقتحموها عليهم ثم دخلوا مدينتهم وأحاط بها المسلمون فبينماهم على ذلك وقد ضاقت المدينة بهم وطالت حربهم خرج رجل الى النعمان يستأمنه على أن يدله على مدخل يدخلون منه ورمى فى ناحية أبى موسى بسهم ان آمنتمونى دللتكم على مكان تأتون المدينة منه فأمنوه فى نشابة فرمى اليهم باخرى وقال انهدوا من قبل مخرج الماء فانكم تفتحونها فندب الناس اليه فانتدب له عامر بن عبد قيس وبشر كثير ونهدوا لذلك المكان ليلا وقد ندب النعمان اصحابه ليسيروا مع الرجل الذى يدلهم على المدخل الى المدينة فانتدب له بشر كثير فالتقوا هم وأهل البصرة على ذلك المخرج فدخلوا فى السرب والناس من خارج فلما دخلوا المدينة كبروا فيها وكبر المسلمون من خارج وفتحت الابواب فاجتلدوا فيها فاناموا كل مقاتل وقصد الهرمزان القلعة فتحصن بها واطاف به الذين دخلوا فنزل اليهم على حكم عمر فاوثقوه واقتسموا ما أفاء الله عليهم فكان سهم الفارس ثلاثة آلاف وسهم الراجل الفا وجاء صاحب الرمية والرجل الذى خرج بنفسه فأمنوهما ومن أغلق بابه معهما وقتل من

مدة ملكه عامين وثلاثة اشهر وتسعة عشر يوما وولى مكانه شاه الملك التاسع عشر من ملوك الجراكسة *(الملك الظاهر أبو سعيد قانصوه)* تولى الملك نهار الجمعة سابع عشر ربيع الاول سنة اربع وتسعمائة وسكن فى زمانه اضطراب الفتن وسار فى احكامه السير الحسن وارتكن الى صهره زوج أخته الاشرف جان بلاط فصار طومان باى يرمى الفتنة بينهما حتى استمر مختفيا نحو نصف شهر وبعد ذلك ظفر جان بلاط بقانصوه فقيده وأرسله الى الاسكندرية ووضعه فى البرج فاستمر محبوسا سبع عشرة سنة وولد له هناك اولاد وكانت مدة ولايته عاما واحدا وثمانية اشهر ويومين وتولى مكانه السلطان العشرون من ملوك الجراكسة *(الملك الاشرف جان بلاط)* جلس على سرير الملك ثانى شهر ذى الحجة سنة خمس وتسعمائة فعصى عليه قصروه نائب الشام فارسل له عسكرا مقدمهم الدوادار الكبير طومان باى فاتفق مع العاصى وعاد الى القاهرة مع العساكر الجهزة الى الشام فحاصروا القلعة جمعة ثم خامر عسكره عليه فهربوا عنه فخرج مع الحريم فى زى امرأة واستمر الملك شاغرا ثلاثة أيام فطلع له طومان باى فأمسكه وأرسله الى الاسكندرية ثم قتله خنقا فكانت مدة ولايته نصف عام وأياما يسيرة ثم تولى الملك الحادى والعشرون

من ملوك الجراكسة وهو (الملك العادل طومان باي) جلس على سرير الملك بمصر بعد ان تسلطن بالقصر الابلق بدمشق نهار الجمعة خامس شهر جمادى الاولى سنة ست وتسعمائة وصلى الجمعة بالجامع الاموي ثم دخل قلعة دمشق وسكن بها وخطب له ثم سار من دمشق الى مصر وفي خدمته قصروه اتابكه الذي كان نائب الشام وفي تاسع عشر جمادى الآخرة طلع الملك العادل طومان باي الى قلعة مصر واحضر القضاة والخليفة وقرئت عليهم ما بايعته بدمشق فأمضى له الجميع وفرح الناس بذلك لبغضهم بجان بلاط لخبث طويته ورجاء لعدل هذا الملك ولما تمكن من الملك بعد نصف شهر قتل قصروه واستخف بالامراء المقدمين فحقدوا عليه فاتفق قيت الرماح أمير سلاح والاشرف الغوري الدوادار الكبير وغيرهما فركبوا عليه في سابع عشر رمضان سنة ولايته فنزل في آخر نهاره من القلعة هاربا واختفى فتتبعه العسكر الى ان ظفروا به فقتلوه وقطعوا رأسه ودفنوه في تربته التي أعدها لنفسه ايام امرته في اطراف الصحراء من جهة القبلة فكانت مدة ولايته ثلاثة أشهر ونصفا وتولى الملك بعده الثاني والعشرون من ملوك الجراكسة وهو آخرهم

المسلمين تلك الليلة بشر كثير وعن قتل الهرمزان بنفسه مجزأة بن ثور والبراء بن مالك وخرج أبو سبرة بنفسه في أثر المنهزمين الى السوس ونزل عليها ومعه النعمان بن مقرن وأبو موسى وكتبوا الى عمر فكتب الى أبي موسى برده الى البصرة وهي المرة الثالثة فانصرف اليها من على السوس وسار زر بن عبد الله بن كليب الفقيمي الى جنديسابور فنزل عليها وهو من الصحابة وأمر عمر على جند البصرة المقترب وهو الاسود بن ربيعة أحد بني ربيعة بن مالك وهو صحابي أيضا وكانا مهاجرين وكان الاسود قد وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال جئت لاقترب الى الله بصحبتك فسماه المقترب وأرسل أبو سبرة وفدا الى عمر بن الخطاب فيهم أنس بن مالك والاحنف ابن قيس ومعهم الهرمزان فقدموا به المدينة وألبسوه كسوته من الديباج الذي فيه الذهب وتاجه وكان مكللا بالياقوت وحليته ليراه عمر والمسلمون فطلبوا عمر فلم يجدوه فسألوا عنه فقيل جلس في المسجد لوفد من الكوفة فوجدوه في المسجد متوسدا برنسه وكان قد لبسه للوفد فلما قاموا عنه توسده ونام فجلسوا دونه وهو نائم والدرة في يده فقال الهرمزان أين عمر قالوا هو ذا فقال أين حرسه وحجابه قالوا ليس له حارس ولا حاجب ولا كاتب قال فينبغي أن يكون نبيا قالوا بل يعمل بعمل الانبياء فاستيقظ عمر بجلبة الناس فاستوى جالسا ثم نظر الى الهرمزان فقال الهرمزان قالوا نعم فقال الحمد لله الذي أذل بالاسلام هذا وأشباهه فأمر بنزع ما عليه فنزعوه وألبسوه ثوبا صفيقا فقال له عمر يا هرمزان كيف رأيت عاقبة الغدر وعاقبة أمر الله فقال يا عمر انا واياكم في الجاهلية كان الله قد خلى بيننا وبينكم فغلبناكم فلما كان الآن معكم غلبتمونا ثم قال له ما حجتك وما عذرك في انتقاضك مرة بعد أخرى فقال أخاف أن تقتلني قبل ان أخبرك قال لا تخف ذلك واستسقى ماء فأتي به في قدح غليظ فقال لو مت عطشا لم استطع ان أشرب في مثل هذا فأتي به في اناء يرضاه فقال اني أخاف أن أقتل وانا أشرب فقال عمر لا بأس عليك حتى تشربه فأكفأه فقال عمر أعيدوا عليه ولا تجمعوا عليه بين القتل والعطش فقال لا حاجة لي في الماء انما اردت ان استأمن به فقال عمر له اني قاتلك فقال قد أمنتني فقال كذبت قال أنس صدق يا أمير المؤمنين قد أمنته قال عمر يا أنس أنا أؤمن قاتل مجزأة بن ثور والبراء بن مالك والله لتأتين بمخرج أو لأعاقبنك قال قلت له لا بأس عليك حتى تخبرني ولا بأس عليك حتى تشربه وقال له من حوله مثل ذلك فأقبل على الهرمزان وقال خدعتني والله لا انخدع الا أن تسلم فأسلم ففرض له في ألفين وأنزله المدينة وكان المترجم بينهما المغيرة بن شعبة وكان يفقه بالفارسية الى ان جاء المترجم وقال عمر للوفد لعل المسلمين يؤذون أهل الذمة فلهذا ينتقضون بكم قالوا ما نعلم الا وفاء قال فكيف هذا فلم يشفه أحد منهم الا ان الاحنف قال له يا أمير المؤمنين انك نهيتنا عن الانسياح في البلاد وان ملك فارس بين أظهرهم ولا يزالون يساجلوننا ما دام ملكهم فيهم ولم يجتمع ملكان متفقان حتى يخرج أحدهما صاحبه وقد رأيت انا لم نأخذ شيئا بعد شيء الا بانبعاثهم وغدرهم وان ملكهم هو الذي يبعثهم ولا يزال هذا دأبهم حتى تأذن لنا بالانسياح فنسيح في بلادهم ونزيل ملكهم فهنالك ينقطع رجاء أهل فارس فقال صدقتني والله ونظر في حوائجهم وسرحهم وأتى عمر الكتاب باجتماع أهل نهاوند فأذن في الانسياح في بلاد الفرس وقتل محمد بن جعفر بن أبي طالب شهيدا على تستر في قول بعضهم (اربك بفتح الهمزة

وسكون الراء وضم الباء الموحدة وفي آخره كاف موضع عند الاهواز)

(ذكر فتح السوس)

قيل ولما نزل أبو سبرة على السوس وبها شهريار أخو الهرمزان احاط المسلمون بها وناوشوهم القتال مرات كل ذلك يصيب اهل السوس في المسلمين فأشرف عليهم الرهبان والقسيسون فقالوا يا معشر العرب ان مما عهد الينا علماؤنا انه لا يفتح السوس الا الدجال أو قوم فيهم الدجال فان كان فيكم فستفتحونها وسار أبو موسى الى البصرة من السوس وصار مكانه على أهل البصرة بالسوس المقترب بن ربيعة واجتمع الاعاجم بنهاوند والنعمان على اهل الكوفة محاصرا أهل السوس مع أبي سبرة وزر محاصرا أهل جنديسابور فجاء كتاب عمر بصرف النعمان الى أهل نهاوند من وجهه ذلك فناوشهم القتال قبل مسيره فصاح أهلها بالمسلمين وناوشوهم وغاظوهم وكان صاف بن صياد مع المسلمين في خيل النعمان فأتى صاف باب السوس فدقه برجله فقال انفتح بظار وهو غضبان فتقطعت السلاسل وتكسرت الاغلاق وتفتحت الابواب ودخل المسلمون والقى المشركون بايديهم ونادوا الصلح الصلح فاجابهم الى ذلك المسلمون بعد ما دخلوها عنوة واقتسموا ما أصابوا ثم افترقوا فسار النعمان حتى أتى نهاوند وسار المقترب حتى نزل على جنديسابور مع زر وقيل لابي سبرة هذا جسد دانيال في هذه المدينة قال وما لنا بذلك فاقره في أيديهم وكان دانيال قد لزم نواحي فارس بعد بختنصر فلما حضرته الوفاة ولم ير أحدا على الاسلام أكرم كتاب الله عمن لم يجبه فقال لابنه ائت ساحل البحر فاقذف بهذا الكتاب فيه فأخذه الغلام وغاب عنه وعاد وقال له قد فعلت قال ما صنع البحر قال ما صنع شيأ فغضب وقال والله ما فعلت الذي أمرتك به فخرج من عنده وفعل فعلته الاولة فقال كيف رأيت البحر صنع قال ماج واصطفق فغضب أشد من الاول وقال والله ما فعلت الذي أمرتك به فعاد الى البحر والقاه فيه فانفلق البحر عن الارض وانفجرت له الارض عن مثل التنور فهوى فيها ثم انطبقت عليه واختلط الماء فلما رجع اليه وأخبره بما رأى فقال الآن صدقت ومات دانيال بالسوس وكان هناك يستسقى بجسده فاستأذنوا عمر فيه فامر بدفنه وقيل في أمر السوس ان يزدجرد سار بعد وقعة جلولاء فنزل اصطخر ومعه سياه في سبعين من عظماء الفرس فوجهه الى السوس والهرمزان الى تستر فنزل سياه الكلبانية وبلغ أهل السوس أمر جلولاء ونزول يزدجرد اصطخر فسألوا أبا موسى الصلح وكان محاصرا لهم فصالحهم وسار الى رامهرمز ثم سار الى تستر ونزل سياه بين رامهرمز وتستر ودعا من معه من عظماء الفرس وقال لهم قد علمتم انا كنا نحدث ان هؤلاء القوم سيغلبون على هذه المملكة وتروث دوابهم في ايوانات اصطخر ويشدون خيولهم في شجرها وقد غلبوا على ما رأيتم فانظروا لانفسكم قالوا رأينا رأيك قال ارى ان تدخلوا في دينهم ووجهوا شيرويه في عشرة من الاساورة الى أبي موسى فشرط عليهم ان يقاتلوا معه العجم ولا يقاتلوا العرب وان قاتلهم أحد من العرب منعهم منهم وينزلوا حيث شاؤوا ويلحقوا باشرف العطاء ويعقد لهم ذلك عمر على ان يسلموا فاعطاهم عمر ما سألوا فأسلموا وشهدوا مع المسلمين حصار تستر ومضى سياه الى حصن قد حاصره المسلمون في زي العجم فألقى نفسه الى جانب الحصن ونضح ثيابه بالدم فرآه اهل الحصن صريعا فظنوه رجلا منهم ففتحوا

(الملك الاشرف أبو النصر قانصوه الغوري) تولى السلطنة ثامن عشر شوال سنة ست وتسعمائة يوم عيد الفطر وكان رجلا بطينا سمينا مربوع القامة خطب باسمه وكان كثير الدهاء ذا رأي وفطنة وتيقظ الا انه كان شديد الطمع كثير الظلم والعسف بخيلا وكثرت العوانية في أيامه لكثرة ما يصفي اليهم وصار اذا شاهد انسانا توسع في دنياه وأظهر التجمل في ملبسه أو مثواه فيرسل اليه الاعوان ويطالبه بالقرض ويستصفي أمواله ويهلك أهله وعياله الى ان يصير فقيرا وصار اذا مات أحد يأخذ ماله جميعا ويترك أولاده فقراء وجمع من هذا الباب أموالا عظيمة وخزائن وسيعة فاستجاب الله فيه دعاء المظلومين وقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين (حكي) ان رجلا من أولياء الله تعالى رأى بمصر في آخر دولة قانصوه الغوري رجلا من جماعة السلطان أخذ متاعا من دلال ولم يرضه في ثمنه فقال له الدلال بيني وبينك شرع الله فضربه بالدبوس

باب الحصن ليدخلوه اليهم فوثب وقاتلهم حتى خلوا عن الحصن وهربوا فملكه وحده وقيل ان هذا الفعل كان منه بتستر

(ذكر مصالحة جنديسابور)

وفى هذه السنة سار المسلمون عن السوس فنزلوا بجنديسابور وزر بن عبد الله محاصرهم وأقاموا عليها يقاتلونهم فرمى الى من بها من عسكر المسلمين بالامان فلم يفجأ المسلمين الا وقد فتحت أبوابها واخرجوا أسواقهم وخرج أهلها فسألهم المسلمون فقالوا رميتم بالامان فقبلناه واقررنا بالجزية فقالوا ما فعلنا وسأل المسلمون فاذا عبد يدعى مكنفا كان أصله منها فعل هذا فقالوا هو عبد فقال أهلها لا نعرف العبد من الحر وقد قبلنا الجزية وما بدلنا فان شئتم فاغدروا فكتبوا الى عمر فاجاز أمانهم فأمنوهم وانصرفوا عنهم

(ذكر مسير المسلمين الى كرمان وغيرها)

قيل فى سنة سبع عشرة أذن عمر للمسلمين فى الانسياح فى بلاد فارس وانتهى فى ذلك الى رأى الاحنف فامر أبا موسى ان يسير من البصرة الى منقطع ذمة البصرة فيكون هناك حتى يأتيه أمره وبعث بألوية من ولى مع سهيل بن عدى فدفع لواء خراسان الى الاحنف بن قيس ولواء اردشير خرة وسابور الى مجاشع بن مسعود السلمى ولواء اصطخر الى عثمان بن أبى العاص الثقفى ولواء فسا ودارابجرد الى سارية بن زنيم الكنانى ولواء كرمان الى سهيل بن عدى ولواء سجستان الى عاصم بن عمرو وكان من الصحابة ولواء مكران الى الحكم بن عمير التغلبى فخرجوا ولم يتم مسيرهم الى سنة ثمان عشرة وأمدهم عمر بنفر من أهل الكوفة فامد سهيل بن عدى بعبد الله ابن عتبان وأمد الاحنف بعلقمة بن النضر وبعبد الله بن أبى عقيل وربعى بن عامر وأمد عاصم بن عمرو بعبد الله بن عمير الاشجعى وأمد الحكم بن عمير بشهاب بن المخارق فى جموع وقيل كان ذلك سنة احدى وعشرين وقيل سنة اثنتين وعشرين وسنذكر كيفية فتحها هناك ونذكر أسماءها ان شاء الله تعالى وكان على مكة هذه السنة عتاب بن أسيد فى قول وعلى اليمن يعلى ابن منية وعلى اليمامة والبحرين عثمان بن أبى العاص وعلى عمان حذيفة بن محصن وعلى الشام من ذكر قبل وعلى الكوفة وأرضها سعد بن أبى وقاص وعلى قضائها ابو قرة وعلى البصرة وأرضها ابو موسى وعلى القضاء أبو مريم الحنفى وقد ذكر من كان على الجزيرة والموصل قبل وحج بالناس فى هذه السنة عمر بن الخطاب

(ثم دخلت سنة ثمان عشرة)

(ذكر القحط وعام الرمادة)

فى سنة ثمان عشرة أصاب الناس مجاعة شديدة وجدب وقحط وهو عام الرمادة وكانت الريح تسفى ترابا كالرمادة فسمى عام الرمادة واشتد الجوع حتى جعلت الوحش تأوى الى الانس وحتى جعل الرجل يذبح الشاة فيعافها من قبحها وفيه أيضا كان طاعون عمواس وفيه ورد كتاب أبى عبيدة على عمر يذكر فيه ان نفرا من المسلمين أصابوا الشراب منهم ضرار وأبو جندل فسألناهم فتأولوا وقالوا خيرنا فاخترنا قال فهل أنتم منتهون ولم يعزم فكتب اليه عمر اعا منعناه فانتهوا وقال له ادعهم على رؤس الناس وسلهم احلال الخمر أم حرام فان قالوا حرام فاجلدهم

فشج رأسه وقال هذا شرع الله فسقط الدلال مغشيا عليه ومضى الجندى بالمتاع وما قدر أحد من المسلمين على منعه قال الرجل الصالح فرفعت يدى الى الله تعالى ودعوت على الجندى المذكور وعلى سلطانه وعلى الظلمة من اعوانه فصادف ساعة الاجابة وبت تلك الليلة واما أفكر فى أمرهم فرأيت فيما يرى النائم ملائكة نزلت من السماء وبايديهم مكانس وهم يكنسون الجراكسة من أرض مصر ويلقونهم فى بحر النيل فاستيقظت من النوم واذا بقارئ يتلو القرآن يقرأ قوله تعالى فانتقمنا منهم فأغرقناهم فى اليم بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين فعلمت ان الله تعالى يأخذهم أخذا وبيلا فما مضى قليل الا وبرز السلطان وصحبته الخليفة والعساكر الى حلب وأشاع بانه يصلح بين ملك الروم السلطان سليم خان العثمانى وصاحب العجم شاه اسمعيل الصفوى فلما وصل الى مدينة غزة شكا اليه اهل بيت المقدس ظلم نائبهم فلم يلتفت الى كلامهم واهانهم

ثمانين ثمانين وان قالوا حلال فاضرب أعناقهم فسألهم فقالوا بل حرام فجلدهم وندموا على لجاجتهم وقال ليحدثن فيكم يا أهل الشام حدث فحدث عام الرمادة وأقسم عمر ان لا يذوق سمنا ولا لبنا ولا لحما حتى يحيى الناس فقدمت السوق عكة سمن ووطب من لبن فاشتراهما غلام لعمر بأربعين درهما ثم أتى عمر فقال يا أمير المؤمنين قد أبر الله يمينك وعظم أجرك قدم السوق وطب من لبن وعكة من سمن ابتعتهما بأربعين درهما فقال عمر أغليت بهما فتصدق بهما فاني أكره ان آكل اسرافا وقال كيف يعنيني شأن الرعية اذا لم يصبني ما أصابهم وكتب عمر الى امراء الامصار يستغيثهم لاهل المدينة ومن حولها ويستمدهم فكان أول من قدم عليه أبو عبيدة بن الجراح بأربعة آلاف راحلة من طعام فولاه قسمتها فيمن حول المدينة فقسمها وانصرف الى عمله وتتابع الناس واستغنى أهل الحجاز وأصلح عمرو بن العاص بحر القلزم وأرسل فيه الطعام الى المدينة فصار الطعام بالمدينة كسعر مصر ولم ير أهل المدينة بعد الرمادة مثلها حتى حبس عنهم البحر مع مقتل عثمان فذلوا وتقاصروا وكان الناس بذلك وعمر كالمحصور عن أهل الامصار فقال أهل بيت من مزينة لصاحبهم وهو بلال بن الحرث قد هلكنا فاذبح لنا شاة قال ليس فيهن شيء فلم يزالوا به حتى ذبح فسلخ عن عظم أحمر فنادى يا محمداه فأرى في المنام ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه فقال ابشر بالحياة ائت عمر فاقرأه مني السلام وقل له اني عهدتك وانت في العهد شديد العقد فالكيس الكيس يا عمر فجاء حتى أتى باب عمر فقال لغلامه استأذن لرسول رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى عمر فأخبره ففزع وقال رأيت به مساء قال لا فادخله وأخبره الخبر فخرج فنادى في الناس وصعد المنبر فقال أنشدكم الله الذي هداكم هل رأيتم شيأ تكرهونه قالوا اللهم لا ولم ذاك فأخبرهم ففطنوا ولم يفطن عمر فقالوا انما استبطأك في الاستسقاء فاستسق بنا فنادى في الناس وخرج معه العباس ماشيا فخطب وأوجز وصلى ثم جثا لركبتيه وقال اللهم عجزت عنا انصارنا وعجز عنا حولنا وقوتنا وعجزت عنا أنفسنا ولا حول ولا قوة الا بك اللهم فاسقنا وأحي العباد والبلاد وأخذ بيد العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وان دموع العباس لتتحادر على لحيته فقال اللهم انا نتقرب اليك بعم نبيك صلى الله عليه وسلم وبقية آبائه وأكبر رجاله فانك تقول وقولك الحق وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة فحفظتهما بصلاح آبائهما فاحفظ اللهم نبيك صلى الله عليه وسلم في عمه فقد دلونا به اليك مستشفعين مستغفرين ثم أقبل على الناس فقال استغفروا ربكم انه كان غفارا وكان العباس قد طال عمره (٣) وعيناه تذرفان ولحيته تجول على صدره وهو يقول اللهم أنت الراعي فلا تهمل الضالة ولا تدع الكسير بدار مضيعة فقد صرخ الصغير ورق الكبير وارتفعت الشكوى وأنت تعلم السر وأخفى اللهم فاغثهم بغناك قبل ان يقنطوا فيهلكوا فانه لا ييأس الا القوم الكافرون فنشأت طريرة من سحاب فقال الناس ترون ترون ثم التأمت ومشت فيها ريح ثم هدأت ودرت فوالله ما برحوا حتى اعتنقوا الجدار وقلصوا المآزر فطفق الناس بالعباس يمسحون اركانه ويقولون هنيئا لك ساقي الحرمين فقال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب

بعمي سقى الله الحجاز وأهله * عشية يستسقي بشيبته عمر
توجه بالعباس في الجدب راغبا * اليه فما ان رام حتى أتى المطر

بالطرد والضرب ثم دخل دمشق ونائبها سيباى الكافلي وهو حامل القبة والطير على رأس الملك اجلالا له كعادة الملوك ونزل في المصطبة عند وطاة برزة وأقام سبعة ايام وتوجه الى حلب ومر على حمص فشكا له أهل البلد ظلم نائبهم فلم يلتفت اليهم فاذاقهم الطرد والصغار ولم يزر السيد الجليل خالد بن الوليد مع ان الطاغية تيمور لما دخل حمص زاره وجعل أهلها في خفارته وعند وصوله الى حلب جاءه قاصدان من السلطان سليم خان العثماني أحدهما قاضي عسكر الروم ابلي ركن الدين بن زيرك والآخر قراجا باشا وأخبراه بوصول ملك الروم الى مدينة قيسارية ونيته التوجه لقتال الصفوية فاكرمهما وذكرا لهما الصلح بين ملكهم وبين شاه اسمعيل الصفوي وأرسل بسبب ذلك الى ملك الروم قاصدا يقال له مغلباى دوادارا فلما وصل اليه قبض عليه حتى وصل له قاصداه ثم حلق لحيته وأخذ جميع الذي معه وقال له قل لاستاذك هذا خارجي وانت مثله

ومنا رسول الله فينا زانه • فهل فوق هذا للمفاخر مفتخر

•(ذكر طاعون عمواس)•

في هذه السنة كان طاعون عمواس بالشام فمات فيه أبو عبيدة بن الجراح وهو أمير الناس ومعاذ بن جبل ويزيد بن أبي سفيان والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وعتبة بن سهيل وعامر ابن غيلان الثقفي مات وأبوه حي وتفانى الناس منه قال طارق بن شهاب أتينا أبا موسى في داره بالكوفة نتحدث عنده فقال لا عليكم ان تخفقوا فقد أصيب في الدار انسان ولا عليكم ان تنزهوا من هذه القرية فتخرجوا في فسيح بلادكم ونزهها حتى يرفع هذا الوباء وسأخبركم بما يكره ويتقى من ذلك ان يظن من خرج انه لو أقام مات ويظن من أقام فأصابه لو خرج لم يصبه فاذا لم يظن المسلم هذا فلا عليه ان يخرج اني كنت مع أبي عبيدة بالشام عام طاعون عمواس فلما اشتعل الوجع وبلغ ذلك عمر كتب الى أبي عبيدة ليستخرجه منه ان سلام عليك أما بعد فقد عرضت لي اليك حاجة أريد ان أشافهك فيها فعزمت عليك اذا انت نظرت في كتابي هذا الا تضعه من يدك حتى تقبل فعرف أبو عبيدة ما أراد فكتب اليه يا أمير المؤمنين قد عرفت حاجتك الي واني في جند من المسلمين لا أجد بنفسي رغبة عنهم فلست أريد فراقهم حتى يقضي الله في وفيهم أمره وقضاءه فخلني من عزيمتك فلما قرأ عمر الكتاب بكى فقال الناس يا أمير المؤمنين امات ابو عبيدة فقال لا وكان قد وكتب اليه عمر ليرفعن بالمسلمين من تلك الارض فدعا أبا موسى فقال له ارتد للمسلمين منزلا قال فرجعت الى منزلي لارتحل فوجدت صاحبتي قد أصيبت فرجعت اليه فقلت له والله لقد كان في أهلي حدث فقال لعل صاحبتك أصيبت قلت نعم قال فأمر ببعيره فرحل له فلما وضع رجله في غرزه طعن فقال والله لقد أصبت ثم سار بالناس حتى نزل الجابية وكان أبو عبيدة قد قام في الناس فقال أيها الناس ان هذا الوجع رحمة ربكم ودعوة نبيكم وموت الصالحين قبلكم وان أبا عبيدة سأل الله ان يقسم له منه حظه فطعن فمات واستخلف على الناس معاذ بن جبل فقام خطيبا بعده فقال أيها الناس ان هذا الوجع رحمة ربكم ودعوة نبيكم وموت الصالحين قبلكم وان معاذا يسأل الله ان يقسم لآل معاذ حظهم فطعن ابنه عبد الرحمن فمات ثم قام فدعا به لنفسه فطعن في راحته فلقد كان يقبلها ثم يقول ما أحب ان لي بما فيك شيأ من الدنيا فلما مات استخلف على الناس عمرو بن العاص فخرج بالناس الى الجبال ورفعه الله عنهم فلم يكره عمر ذلك من عمرو وقد قيل ان عمر بن الخطاب قدم الشام فلما كان بسرغ لقيه امراء الاجناد فيهم أبو عبيدة بن الجراح فاخبروه بالوباء وشدته وكان معه المهاجرون والانصار خرج غازيا بجمع المهاجرين الاولين والانصار فاستشارهم فاختلفوا عليه فمنهم القائل خرجت لوجه الله فلا يصدك عنه هذا ومنهم القائل انه بلاء وفناء فلا نرى ان تقدم عليه فقال لهم قوموا ثم أحضر مهاجرة الفتح من قريش فاستشارهم فلم يختلفوا عليه وأشاروا بالعود فنادى عمر في الناس اني مصبح على ظهر فقال أبو عبيدة أفرارا من قدر الله فقال نعم نفر من قدر الله الى قدر الله أرأيت لو كان لك ابل فهبطت واديا له عدوتان احداهما مخصبة والاخرى جدبة أليس ان رعيت المخصبة رعيتها بقدر الله وان رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله فسمع بهم عبد الرحمن ابن عوف فقال ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم بهذا الوباء ببلد فلا تقدموا عليه واذا

واقاتلك قبله والميعاد بيني وبينك في مرج دابق فلما وصل اليه القاصد خرج من حلب بعد اقامته بها نحو الشهرين وترك ولده في قلعتها وذلك في يوم الثلاثاء عشري شهر رجب وصحبته العساكر وهم نحو ثلاثين ألفا فوصل الى مرج دابق ونزل عند القبر المنسوب لنبي الله داود عليه السلام ومكث به ثلاثة ايام او اكثر وفي نهار الاثنين سادس عشري شهر رجب وصل اليهم اول العساكر الرومية وقت الظهر فركبوا خيولهم وارتصوا لهم فوقعت المحاربة بينهم ثم بعد ذلك وصلت المدافع الكبار على عجل تجرها الخيول فرموا بها عليهم فاظلم الافق وصار لها دوي فجفلت الخيل وهرب الغلمان فقتل جماعة من المقدمين وغيرهم فوقع الغوري عن فرسه فاركبوه بلا عمامة ثم طاح ثانيا فاقعدوه وقالوا له اثبت لنا فقال لهم ما بقي شيء فرغت وسكت من وقته ثم زحفت عليهم العساكر الرومية ففرغنه عسكره شذر مذر وتركوه ملقى على وجه الارض تحت سنابك الخيل

وقع ببلد وانتم به فلا تخرجوا فرارا منه فانصرف عمر بالناس الى المدينة وهذه الرواية أصح لان البخاري ومسلما اخرجاها في صحيحيهما ولان أبا موسى كان هذه السنة بالبصرة ولم يكن بالشام لكن هكذا ذكره وانما اوردناه لننبه عليه (عمواس بفتح العين المهملة والميم والواو وبعد الالف سين مهملة وسرغ بفتح السين المهملة وسكون الراء المهملة وآخره غين معجمة) ومعنى قوله دعوة نبيكم حين جاءه جبريل فقال فناء امتك بالطعن او الطاعون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فبالطاعون ولما هلك يزيد بن أبي سفيان استعمل عمر أخاه معاوية بن أبي سفيان على دمشق وخراجها واستعمل شرحبيل بن حسنة على جند الاردن وخراجها واصاب الناس من الموت مالم يروا مثله قط وطمع له العدو في المسلمين لطول مكثه مكث شهورا واصاب الناس بالبصرة مثله وكان عدة من مات في طاعون عمواس خمسة وعشرين الفا

(ذكر قدوم عمر الى الشام بعد الطاعون)

ولما هلك الناس في الطاعون كتب أمراء الاجناد الى عمر بما في أيديهم من المواريث فجمع الناس واستشارهم وقال لهم قد بدا لي ان اطوف على المسلمين في بلدانهم لانظر في آثارهم فأشيروا علي وفي القوم كعب الاحبار وفي تلك السنة اسلم فقال كعب يا أمير المؤمنين بأيهم اتريد ان تبدأ قال بالعراق قال فلا تفعل فان الشر عشرة أجزاء تسعة منها بالمشرق وجزء بالمغرب والخير عشرة اجزاء تسعة بالمغرب وجزء بالمشرق وبها قرن الشيطان وكل داء عضال فقال علي يا امير المؤمنين ان الكوفة للهجرة بعد الهجرة وانها القبة الاسلام ليأتينها يوم لا يبقى مسلم الا وحن اليها لينتصرن باهلها كما انتصر بالحجارة من قوم لوط فقال عمر ان مواريث أهل عمواس قد ضاعت فأبدأ بالشام فاقسم المواريث واقيم لهم ما في نفسي ثم ارجع فاتقلب في البلاد وابدي اليهم أمري فسار عن المدينة واستخلف عليها علي بن أبي طالب واتخذ ايلة طريقا فلما دنا منها ركب بعيره وعلى رحله فرو مقلوب واعطى غلامه مركبه فلما تلقاه الناس قالوا أين أمير المؤمنين قال امامكم يعني نفسه فساروا امامهم وانتهى هو الى ايلة فنزلها وقيل للمتلقين قد دخل أمير المؤمنين ايلة ونزلها فرجعوا واعطى عمر الاسقف بها قميصه وقد تخرق ظهره ليغسله ويرقعه ففعل وأخذه ولبسه وخاط له الاسقف قميصا غيره فلم يأخذه فلما قدم الشام قسم الارزاق وسمى الشواتي والصوائف وسد فروج الشام ومسالحها وأخذ يدورها واستعمل عبد الله بن قيس على السواحل من كل كورة واستعمل معاوية وعزل شرحبيل بن حسنة وقام بعذره في الناس وقال اني لم أعزله عن سخطة ولكني أريد رجلا أقوى من رجل واستعمل عمرو بن عتبة على الاهراء وقسم مواريث أهل عمواس فورث بعض الورثة من بعض وأخرجها الى الاحياء من ورثة كل منهم وخرج الحرث بن هشام في سبعين من أهل بيته فلم يرجع منهم الا أربعة ورجع عمر الى المدينة في ذي القعدة ولما كان بالشام وحضرت الصلاة قال له الناس لو أمرت بلالا فأذن فامره فأذن فما بقي أحد أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وبلال يؤذن الا بكى حتى بل لحيته وعمر أشدهم بكاء وبكى من لم يدركه ببكائهم ولذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الواقدي ان الرها وحران والرقة فتحت هذه السنة على يد عياض بن غنم وان عين الوردة وهي رأس عين فتحت فيها على يد عمير بن سعد وقد تقدم شرح فتحها وفي هذه السنة

فمات ولم يعلم به احد واستولى على بلاده السلطان سليم خان تغمده الله بالرحمة والغفران كما سيأتي بيانه في محله ان شاء الله تعالى وهرب بقية السيوف من الجراكسة الى مصر وصيروا الدوادار (طومان باي) سلطانا وهو الثالث والعشرون من ملوك الجراكسة ولما دخل السلطان سليم خان الى مصر هرب طومان باي الى البر فامسكه شيخ عرب وجاء به الى اوطاق السلطان سليم فامر بصلبه في باب زويلة وبها انقطعت الجراكسة وهذا شأن الدنيا في ابنائها تنقلب بهم وتحول عنهم فسبحان من لا يزول ملكه ثم اعلم بان الخلفاء الاسلامية ثلاث طبقات كلهم من قريش وهم من نسل اسمعيل عليه السلام *(الاولى) الخلفاء الراشدون أولهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه وآخرهم الحسن بن علي رضي الله عنهما (والثانية) الطبقة الاموية (والثالثة) الطبقة العباسية وتفرقت في الخلافة العباسية من الملوك والسلاطين طوائف كثيرة فلنذكرهم ان شاء الله

فى ذى الحجة حوّل عمر المقام الى موضعه اليوم وكان ملصقا بالبيت وفيها استقضى عمر شريح ابن الحرث الكندى على الكوفة وعلى البصرة كعب بن سور الازدى وكانت الولاة على الامصار الولاة فى السنة قبلها وحج بالناس عمر بن الخطاب

(ثم دخلت سنة تسع عشرة)

قال بعضهم ان فتح جلولاء والمدائن كان هذه السنة وكذلك فتح الجزيرة وقد تقدم ذكر فتح الجميع والخلاف فيه وقيل فيها كان فتح قيسارية على يد معاوية وقيل سنة عشرين وقد تقدم ايضا ذكر ذلك سنة ست عشرة وفى هذه السنة سالت حرة ليلى وهى قرب المدينة نارا فامر عمر بالصدقة فتصدق الناس فانطفأت وحج بالناس هذه السنة عمر وكان عماله فيها من تقدم ذكرهم وفيها قتل صفوان بن المعطل السلمى وقيل بل مات سنة ستين آخر خلافة معاوية وفيها مات أبى بن كعب وقيل بل مات سنة عشرين وقيل اثنتين وعشرين وقيل اثنتين وثلاثين والله أعلم

(ثم دخلت سنة عشرين)

•(ذكر فتح مصر)•

قيل فى هذه السنة فتحت مصر فى قول بعضهم على يد عمرو بن العاص والاسكندرية أيضا وقيل فتحت الاسكندرية سنة خمس وعشرين وقيل فتحت مصر سنة ست عشرة فى ربيع الاول وبالجملة فينبغى ان يكون فتحها قبل عام الرمادة لان عمرو بن العاص حمل الطعام فى بحر القلزم من مصر الى المدينة والله أعلم وقيل غير ذلك واما فتحها فانه لما فتح عمر بيت المقدس وأقام به أياما وأمضى عمرو بن العاص الى مصر واتبعه الزبير بن العوّام فاخذ المسلمون باب اليون وساروا الى مصر فلقيهم هناك أبو مريم جاثليق مصر ومعه الاستف بعثه المقوقس لمنع بلادهم فلما نزل بهم عمرو قاتلوه فارسل اليهم لا تعجلونا حتى نعذر اليكم وليبرز الىّ أبو مريم وأبو مريام فكفوا وخرجا اليه فدعاهما الى الاسلام أو الجزية وأخبرهما بوصية النبى صلى الله عليه وسلم بأهل مصر بسبب هاجر أم اسمعيل عليه السلام فقالوا قرابة بعيدة لا يصل مثلها الا الانبياء آمنا حتى نرجع اليك فقال عمرو مثلى لا يخدع ولكنى أؤجلكما ثلاثا لتنظرا فقالا لا زدنا فزادهم يوما فرجعا الى المقوقس فابى ارطبون ان يجيبهما وأمر بمناهدتهم فقال لاهل مصر اما نحن فسنجهد ان ندفع عنكم فلم يفجأ عمرا الا البيات وهو على عدة فلقوه فقتل ارطبون وكثير من معه وانهزم الباقون وسار عمرو والزبير الى عين الشمس وبها جمعهم وبعث الى فرما ابرهة بن الصباح وبعث عوف بن مالك الى الاسكندرية فنزل عليها اقبل وكان الاسكندر وفرما اخوين ونزل عمرو بعين الشمس فقال أهل مصر لملكهم ما تريد الاقتال قوم هزموا كسرى وقيصر وغلبوهم على بلادهم فلا تعرض لهم ولا تعرضنا وذلك فى اليوم الرابع وناهدوهم وقاتلوهم فلما التقى المسلمون والمقوقس بعين الشمس واقتتلوا جال المسلمون فذمرهم عمرو فقال له رجل من اليمن انا لم نخلق من حديد فقال له عمرو اسكت انما أنت كلب قال فانت أمير الكلاب فنادى عمرو باصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فاجابوه فقال تقدموا فبكم ينصر الله فتقدموا وفيهم أبو بردة وابو برزة وتبعهم الناس وفتح الله على المسلمين وظفروا وهزموا المشركين فارتقى الزبير ابن العوام سورها فلما أحسوه فتحوا الباب لعمرو وخرجوا اليه مصالحين فقبل منهم ونزل

تعالى (قيل) ما الفرق بين الخلافة والملك والسلطنة من حيث الشرع نقل عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه انه قال لبعض الصحابة املك انا ام خليفة فقال له اذا وضعت شيأ من بيت المال فى غير حقه واخذته من غير موضعه مصادرة اوغصبا قصدا لا خطأ فانت ملك غير خليفة (والخليفة) هو الذى يأخذ بحق ويضع فى حق (والملك) هو الذى لا يبالى من أين يأخذ ويصرف الناس يأخذ من هذا ويعطى هذا (والسلطان) هو الذى يكون فى ولايته ملوك فيكون ملك الملوك فيكون اقل عسكره عشرة آلاف فارس ويملك ممالك متعددة وجاز ان يطلق عليه اسم السلطان الاعظم ويشترط ان يخطب له فى ممالك متعددة وبلاد مختلفة اقل ذلك ثلاثة أيام واكثرها ثلاثة أشهر وكانت قاعدة الخلافة المحمدية المدينة النبوية على ساكنها أفضل التحية وذلك مدة خلافة أبى بكر وعمر وعثمان فلما قتل عثمان تعلقت ارادة الله تعالى برفع الخلافة عنها لان الخلافة

الزبير عليهم عنوة حتى خرج على عمرو من الباب معهم فعقدوا صلحا بعدما اشرفوا على الهلكة فاجروا ما أخذوا عنوة مجرى الصلح فصاروا ذمة واجروا من دخل فى صلحهم من الروم والنوبة مجرى اهل مصر ومن اختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مامنه واجتمعت خيول المسلمين بمصر وبنوا الفسطاط ونزلوه وجاء أبو مريم وأبو مريام الى عمرو وطلبا منه السبايا التى أصيبت بعد المعركة فطاردهما فقالا كل شئ أصبتموه منذ فارقناكم الى ان رجعنا اليكم ففى ذمة فقال عمرو لهما اتغيرون علينا وتكونون فى ذمة قالا نعم فقسم عمرو بن العاص السبى على الناس وتفرق فى بلدان العرب وبعث بالاخماس الى عمر بن الخطاب ومعها وفد فاخبروا عمر بن الخطاب بحالهم كله وبما قال أبو مريم فرد عمر عليهم سبى من لم يقاتلهم فى تلك الايام الاربعة وترك سبى من قاتلهم فردوهم وحضرت القبط باب عمرو وبلغ عمرا أنهم يقولون ما ارث العرب ما رأينا مثلنا دان لهم فخاف ان يطمعهم ذلك فامر بجزور فطبخت ودعا أمراء الاجناد فاعلموا أصحابهم فحضروا عنده واكلوا اكلا عربيا انتشكوا وحشوا وهم فى العباء بغير سلاح فازداد طمعهم وأمر المسلمين أن يحضروا الغد فى باب مصر وا حديهم ففعلوا واذن لاهل مصر فرأوا شيأ غير ما رأوا بالامس وقام عليهم القوام بالوان مصر فاكلوا أكل اهل مصر فارتاب القبط وبعث أيضا الى المسلمين تسلحوا للعرض غدا واذن لهم فعرضهم عليهم وقال لهم علمت حالكم حين رأيتم اقتصاد العرب فخشيت ان تهلكوا فاحببت ان اريكم حالهم فى أرضهم كيف كانت ثم حالهم فى أرضكم ثم حالهم فى الحرب فقد رأيتم ظفرهم بكم وذلك عيشهم وقد كلبوا على بلادكم بما نالوا فى اليوم الثانى فاردت ان تعلموا ان ما رأيتم فى اليوم الثالث غير تارك عيش اليوم الثانى وراجع الى عيش اليوم الاول فتفرقوا وهم يقولون لقد رمتكم العرب برجالهم وبلغ عمر ذلك فقال والله ان حربه لمنية ما لها سطوة ولا سورة كسورات الحروب من غيره ثم ان عمرا سار الى الاسكندرية وكان من بين الاسكندرية والفسطاط من الروم والقبط قد تجمعوا له وقالوا نغزوه قبل ان يغزونا ويروم الاسكندرية فالتقوا واقتتلوا فهزمهم وقتل منهم مقتلة عظيمة وسار حتى بلغ الاسكندرية فوجد أهلها معدين لقتاله فارسل المقوقس الى عمرو يسأله الهدنة الى مدة فلم يجبه الى ذلك وقال لقد لقينا ملككم الاكبر هرقل فكان منه ما بلغكم فقال المقوقس لاصحابه صدق فنحن أولى بالاذعان فاغلظوا له فى القول وامتنعوا فقاتلهم المسلمون وحصروهم ثلاثة أشهر وفتحها عمرو عنوة وغنم ما فيها وجعلهم ذمة وقيل ان المقوقس صالح عمرا على اثنى عشر ألف دينار على ان يخرج من الاسكندرية من أراد الخروج ويقيم من أراد المقام وجعل فيها عمرو جندا ولما فتحت مصر غزوا النوبة فرجع المسلمون بالجراحات وذهاب الحدق لجودة رميهم فسموهم رماة الحدق فلما ولى عبد الله بن سعد بن أبى سرح مصر أيام عثمان صالحهم على هدية عدة رؤس فى كل سنة ويهدى اليهم المسلمون كل سنة طعاما مسمى وكسوة وأمضى ذلك الصلح عثمان ومن بعده من ولاة الامور وقيل ان المسلمين لما انتهوا الى بلهيب وقد بلغت سباياهم الى اليمن أرسل صاحبهم الى عمرو انى كنت أخرج الجزية الى من هو أبغض الى منكم فارس والروم فان أحببت الجزية على ان ترد ما سبيتم من أرضى فعلت فكتب عمرو الى عمر يستأذنه فى ذلك ورفعوا الحرب الى ان يرد كتاب عمر فورد الجواب

لما انتهت الى على بن أبى طالب كرم الله وجهه انتقل من المدينة الى الكوفة واتخذها قاعدة خلافته وربما استوطن البصرة وكذلك ابنه الحسن وستتخذها قاعدة للخلافة الامام الخاتم المحمدى المهدى عليه الرضوان فى آخر الزمان فلما ولى معاوية انتقلت قاعدة الخلافة الى دمشق ولم تزل الى آخر الدولة الاموية فلما انتقلت الدولة الى بنى العباس سكن السفاح مدينة الانبار فلما ولى المنصور بنى بغداد وسكنها فصارت قاعدة الخلافة له ولبنيه الى أيام المعتصم بالله فبنى بلدة سر من رأى فانتقلت قاعدة الخلافة اليها ثم عادت قاعدة الخلافة الى بغداد الى وقعة التتار فانتقلت قاعدة الخلافة الى مصر وقد كانت بخارا قاعدة السلطنة زمن بنى ساسان ثم صارت غزنة زمان محمود بن سبكتكين ثم همذان زمان دولة السلجوقية ثم مدينة خوارزم زمان الملوك الخوارزمشاهية ثم دمشق زمن الملك العادل نور الدين الشهيد ثم مصر

من عمر لعمري بجزية قائمة أحب الينا من غنيمة تقسم ثم كأنها لم تكن واما السبي فان اعطاك ملكهم الجزية على ان تخيروا من في أيديكم منهم بين الاسلام ودين قومه فمن اختار الاسلام فهو من المسلمين ومن اختار دين قومه فضع عليه الجزية واما من تفرق في البلدان فانا لا نقدر على ردهم فافعل فعرض عمرو ذلك على صاحب الاسكندرية فاجاب اليه فجمعوا السبي واجتمعت النصارى وخيروهم واحدا واحدا فمن اختار المسلمين كبروا ومن اختار النصارى نخروا وصار عليه جزية حتى فرغوا وكان من السبي أبو مريم عبد الله بن عبد الرحمن فاختار الاسلام وصار عريف زبيد وكان ملوك بني أمية يقولون ان مصر دخلت عنوة وانما هم عبيدنا نزيد عليهم كيف شئنا ولم يكن كذلك

•(ذكر عدة حوادث)•

وفي هذه السنة أعني سنة عشرين غزا أبو بحرية عبد الله بن قيس أرض الروم وهو أول من دخلها فيما قيل وقيل أول من دخلها ميسرة بن مسروق العبسي فسبى وغنم وقيل فيها عزل عمر قدامة بن مظعون من البحرين وحده في الخمر واستعمل أبا بكرة على البحرين واليمامة وفيها تزوج عمر فاطمة بنت الوليد أم عبد الرحمن بن الحرث بن هشام وفيها عزل عمر سعد بن أبي وقاص عن الكوفة لشكايتهم اياه وقالوا لا يحسن يصلي وفيها قسم عمر خيبر بين المسلمين وأجلى اليهود عنها وقسم وادي القرى وفيها أجلى يهود نجران الى الكوفة وفيها بعث عمر علقمة بن مجزز المدلجي الى الحبشة وكانت تطرقت بلاد الاسلام فأصيب المسلمون فجعل عمر على نفسه ان لا يحمل في البحر أحدا أبدا يعني للغزو وقيل سنة احدى وثلاثين (مجزز بجيم وزاءين الاولى مكسورة مشددة) وفيها مات أسيد بن حضير (أسيد تصغير اسد وحضير بالحاء المهملة المضمومة والضاد المفتوحة والراء) وفيها مات هرقل وملك ابنه قسطنطين وفيها ماتت زينب بنت جحش ونزل في قبرها أسامة بن زيد وابن أخيها محمد بن عبد الله بن جحش وحج بالناس عمر وكان عماله على الامصار من كان قبل هذه السنة الا من ذكرت انه عزله وكان قضاته فيها القضاة في السنة قبلها وفيها مات عياض بن غنم وهو الذي فتح الجزيرة وهو أول من أجاز الدرب الى الروم وفيها مات بلال بن رباح مؤذن النبي صلى الله عليه وسلم بدمشق وقيل بحلب وفيها مات أنيس بن مرثد بن أبي مرثد الغنوي وله ولابيه ولجده صحبة وقتل أبوه في غزوة الرجيع وفيها مات سعيد بن عامر بن حذيم الجمحي شهد فتح خيبر وكان فاضلا وكان على حمص حتى مات وقيل مات سنة تسع عشرة وقيل سنة احدى وعشرين وعمره أربعون سنة وفيها مات أبو سفيان بن الحرث ابن عبد المطلب وفيها ماتت صفية بنت عبد المطلب عمة النبي صلى الله عليه وسلم وفيها قتل المظهر بن رافع الانصاري قدم من الشام ومعه من علوج الشام فلما كان بخيبر أمرهم قوم من اليهود فقتلوه فأجلاهم عمر (المظهر بضم الميم وفتح الظاء المعجمة وتشديد الهاء وآخره راء مهملة)

•(تم الجزء الثاني ويليه الجزء الثالث وأوله ثم دخلت سنة احدى وعشرين)•

زمن السلطان صلاح الدين الايوبي وبنيه ثم استقرت قاعدة السلطنة الكاملة بمصر زمن الاتراك والجراكسة الى ان سلبها السلطان سليم خان اسكنه الله فسيح الجنان فانتقلت الآن قاعدة السلطنة الى مدينة القسطنطينية أيدها الله تعالى وابدها فانظر تقلب قواعد الخلافة والسلطنة من بلد الى بلد بتقلب الزمان والاوان وانه وارث الارض لا رب سواه ولا نعبد الا اياه وما أحسن قول العلامة أبي الوردي رحمه الله تعالى في هذا المعنى

سلطنة الدهر هكذا دول
فمن سلطان من بدا واها

ولله در من قال

ما اختلف الليل والنهار ولا
دارت نجوم السماء في فلك
الا لنقل السلطان من ملك
قد صار سلطانه الى ملك
وملك ذي العرش دائم ابدا
ليس بفان ولا بمشترك